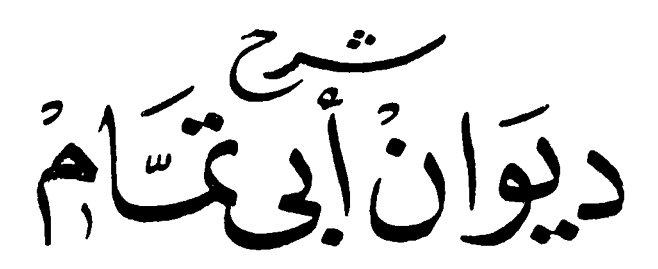


شرح ديوان أبي تمام

حبيب بن أوس ، الطائىّ

المتوفى بالموصل فى عام ٢٣١ من الهجرة

تأليف

محمد محيى الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه

الطبعة الأولى

في عام { ١٣٨٧ من الهجرة
{ ١٩٦٧ الميلادية

مطبعة المدني
٦٨ شارع العباسية ـ عمارة النجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى الجلال والكبرياء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الرسل والأنبياء ، وعلى آله وصحبه مَصَابيح الهُدَى وأعلام اليقين .

أما بعد : فهذا شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائيّ الذى « انفرَدَ بمذهب اختَرَعَه وصار فيه أولا وإماماً متبوعاً ، وشُهِر به حتى قيل : هذا مذهبُ أبي تمام ، وطريقة أبي تمام ، وسَلَكَ الناسُ نَهْجَه ، واقتَفَوْا أثَره » والذى حَيَّر ألباب العلماء بالشعر ونُقَّادَه ، فدأَبُوا على تتبُّعه ، وأكثروا القول فى تأويله ، وبالَغُوا فى استخراج مَعَانيه ، فَلَانَ لهم حينا واعتاص عليهم حيناً آخر ، فكان من ذلك أن أقَرَّ بعضهم على نفسه بالعجز عن استخراج الدقيق من معانيه ، ورمى آخرون هذا الشعر الفَحْلَ بالخروج عن « عمود الشعر وطريقته المعهودة » وزعموا أن أبا تمام « يريد البديع فيخرج إلى المحال » وإنما « حَمَلوا أنفسهم على الظلم القبيح والتعصب الظاهر » وقد كان أبو تمام « مغرما مشغوفاً بالشعر ، وانفرد به ، وجعله وُكْدَه ، وألف كتباً فيه ، واقتصر من كل فن عليه ، فإذا أورد المعنى المستغرب لم يكن ذلك ببدع له » وكان من ذلك أن كثر شارحو شعره ومتتبعو أخباره ، فالتبريزى ، وأبو بكر الصولى ، وأبو منصور الأزهرى، وأبو الريحان الخوارزمى ، وأبو على المرزوقى، وأبو حامد الخارزنجى ، وشيخ المعرة أبو العلاء المعري ، وابن المستوفى المبارك بن أحمد الإربلى ، وغير هؤلاء ، يشرحون شعره ، والخالديان ، والصولى ، والبديعى الموصلى وغير هؤلاء يؤلفون كتباً فى أخبار أبي تمام ، ويؤلف قوم فى سرقات

أبى تمام كما يؤلف قوم آخرون فى سرقات المتنبى ، ولم يُغض من شأن أبى تمام ولا من شأن المتنبى أن يتعصب عليهما قوم من النقاد ، بل كان ذلك من أسباب نباهة ذكرهما ، واشتهار أمرهما :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يُعرَفُ طيب عَرْفِ العود[1]

* * *

وقد طبع ديوان أبى تمام مراراً .

طبع فى مصر مجرداً من الشروح ، فى أواسط شعبان من عام ١٢٩٢ من الهجرة ، فى المطبعة الوهبية ، وطبع على هذه الطبعة بمصر مرة أخرى بمطبعة محمد على صبيح ، وطبع بشرح التبريزى فى دار المعارف ، وظهر من هذا الشرح ثلاثة أجزاء اشتملت على باب المديح وحده ، وكان ظهور الجزء الأول فى عام ١٩٥١ الميلادى .

وطبع فى بيروت مرة باسم «بدر التمام ، فى شرح ديوان أبى تمام» فى مطبعة قوزما ، فى سنة ١٩٢٨ الميلادية (= ١٣٤٧ الهجرية) ومؤلف هذا الشرح هو الدكتور ملحم إبراهيم الأسود ، وقد ذكر أنه اعتمد فى شرحه هذا على شرح الصولى وعلى شرح أبى العلاء المعرى ، وعلى شروح التبريزى والخارزنجى والمرزوقى والمبارك بن أحمد وغيرهم ، وقد تملكت من هذه الطبعة الجزء الأول ، وهو يقع فى ٤٧٢ صفحة من القطع الكبير ، ويشتمل من باب المديح إلى أثناء حرف الفاء ، ولا أعلم أتم طبع هذا الكتاب أم لم يتم فقد مضى على امتلاكيه أكثر من ثلاثين عاماً ، ولم ألتق بمن يعرف هذه النسخة رغم كثرة سؤالى عنها ،

---

(١) البيتان من شعر أبى تمام .

وطبع فى بيروت مرة أخرى بتعليقات موجزة للشيخ محيي الدين الخياط ، وقد أسقط الشيخ كثيراً من شعر أبى تمام ، وبخاصة باب الهجاء .

ولما أردت أن أتوفر على شرح هذا الديوان قارنت بين النسخة المطبوعة فى المطبعة الوهبية بمصر ، ونسخة شرح التبريزى المطبوعة فى دار المعارف ونسخة بيروت بشرح الدكتور ملحم إبراهيم الأسود، وقد وجدت فى كل واحدة من النسخ الثلاث شعراً لم يرد فى النسختين الأخريين ، فلزمنى أن أجمع كل ما فى هذه النسخ الثلاث وأنبه على ما انفردت به كل واحدة منهن أو ما اجتمع عليه نسختان منها ، ثم أن أنبه إلى اختلاف الروايات فى تقديم بعض القصائد على بعض ، وفى تقديم بعض أبيات القصيدة وفى ألفاظ بعض الأبيات ، فكانت هذه النسخة أجمع ماظهر من ديوان أبى تمام لشعره وللروايات المختلفة فيه ، ولزمنى أن أشرح الأبيات شرحا وسطا ، بين الوجيز المخل والبسيط الممل ، وتعرضت فى بعض الأحايين لشىء من النحو ، وذلك عندما يكون التركيب محتاجاً إلى شىء من ذلك ، أو يكون أحد الشراح قد تعرض لشىء منه على وجه لاأرتضيه ، وقد أنبه على من تعرض فلم يرقنى تعرضه ، وقد أسهو عن التنبيه إلى ذلك .

فإن كان فى إخراج نسخة من شعر أبى تمام صحيحة بقدر ما تحتمله الطاقة ، تتضمن كل ما تضمنته النسخ الصادرة قبل اليوم ، وليس فى إحدى تلك النسخ كلُّ ما فيها من شعر أبى تمام ، ومن أجل ذلك لم يكن فى نسخة من تلك النسخ غناء عنها فى حين أنها تغنى عن كل نسخة منها ، أقول : إن كان فى ذلك رضاً للأدب وللأدباء فإنى أشعر بطمأنينة نفس لايقدر قدرها ، والله حسبى وعليه التكلان ؟

كتبه

محمد محيي الدين عبد الحميد

ترجمة موجزة لأبى تمام[1]

١ ـ هو حبيب بن أَوْس بن الحارث بن قَيْس بن الأشَجِّ بن يَحْيَى بن مَرْوَان ابن مُرٍّ بن سَعْد بن كاهل بن عَمْرو بن عَدِيٍّ بن عمرو بن الغَوْث بن جَلْهَمة ـ وجهلمة هوطيِّء ـ بن أدد بن زيد بن كَهْلَان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن يشجب بن يَعْرُب بن قحطان .

٢ ـ وُلد بقرية جاسم ـ وهى إحدى قُرَى الجَيْدُور من أعمال دمشق ـ وأثبت الأقوال المأثورة أن مولده كان فى سنة تسعين ومائة من الهجرة .

٣ ـ كان أبو تمام أسْمَرَ اللون ، طويلا ، حُلْو الكلام ، غيرأن فى لسانه حبسة ، وفى كلامه تمتمة يسيرة حتى قيل فيه[2] .

يا نَبِيَّ الله فى الشعر ، ويا عيسى بن مَرْيَمْ
أنت من أشعر خلْقِ الـلّـه ، مالم تتكلم

وكان فَطِناً شديد الفِطْنَة ، قوىّ العارضة ، حاضر البديهة ، وقد واتَتْه هذه

(١) لأبى تمام ترجمة فى خزانة الأدب ١/١٧٢ و ٤٢٤ ، وفى وفيات الأعيان (رقم ١٤٣ بتحقيقنا) وفى شذرات الذهب ٢ / ٧٢ ، وفى العبر ١ / ٤١١ ، وفى معاهد التنصيص ١٨ بولاق ، وفى تاريخ بغداد ٨/٢٤٨ ، وفى طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٨٣ ، وقد أفردت ترجمته وأخباره بالتآليف قديما وحديثا ، وانظر أخبار أبى تمام للصولى ، وهبة الأيام فى أخبار أبى تمام للبديعى ، والموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى

(٢) ينسب هذان البيتان إلى أبى العميثل ، وينسبان إلى مخلد بن بكار الموصلى وممن نسبهما إلى مخلد بن بكار : الصولى (أخبار أبى تمام ٢٤١) وابن رشيق (العمدة ١ / ١١١ بتحقيقنا)

الخلال ، ومكّنتْ له من الغَوْص على المعانى ، فكان لا يزال يجدُّ فى أثر المعنى حتى يصل منه إلى ما يعسر على غيره تناوله .

٤ ـ كان لأبى تمام مذهب فى المُطابق والمجَانس اشتهر به ، ونُسِب إليه ، ولم ينسب إليه لأنه اخترعه ، لأن الشعراء من قبله قدطرقوه ، وجاءوا بشىءمنه، وإنما نسب إليه وعُرف هو به لأنه فضَلَ الشعراء جميعاً فيه ، وأكثرمنه ، وسلك جميع شُعَبه ، ولقد كان ذلك مَثَار ما دار حوله من الجدل ، ومن جهته انطلقت ألسنة الناقدين عليه ـ بحقّ أحيانا ، وبغير حقّ أحيانا أخرى ـ ذلك بأنه بالغ فى سلوك هذه السبيل وأولع بها حتى ليَنْدُرُ أن يخلو بيت له منه ، فأوقعه هذا الوَلوع فى التعسف وارتكاب متن الشطط ، ولكن الذى لا شك فيه عند أحد من النّقَدة والعلماء بمعايير الكلام أن الجيد من شعره كثير ، وأنه لا يلحقه أحد فى جيده ولا يشقّ غُبَارهُ .

٥ ـ اتَّصَل أبو تمام برجال الدولة فى عصره ، ومَدَح وهَجَا ورَثَى ، وقال فى كل أغراض الشعر ، وقد أحصيت عدة من مدحهم فألفيتهم ثمانيةوأربعين مابين خليفة وابن خليفة ووزير وكاتب وقاض وسَرِىّ : مدح أمير المؤمنين المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد ، ورثاه بعد موته ، ومدح أمير المؤمنين الواثق بالله ابن المعتصم ، ومدح محمد بن عبد الملك الزيات ، وأبا عبدالله أحمد بن أبى دُوَاد والحسن بن وَهب ، وأخاه سليمان بن وهْب ، ومالك بن طَوْق ، وأبا دُلَفَ القاسم بن عيسى العجلى ، وأبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى ، وأباالحسن محمد ابن الهيثم بن شبابة ، وإسحاق بن إبراهيم المصعبى ، وإسحاق بن أبى ربعى كاتب أبى دلف ، ومحمد بن حَسَّان الضَّبِّىّ ، وخالد بن يزيد بن مزيدالشَّيْبَانى، وكان أكثر إنسانٍ مدحه أبو تمام هو أبو سعيد محمد بن يوسف الثغرى،فقد أحصيت له فيه سبعا وعشرين قصيدة .

٦ ـ ونُرِيد أن نسجل هنا أن أباتمام الطائى كان كثيراً مايمدح الطائِيِّينَ ، فأبو سعيد طائى ، وأحمد بن عبد الكريم طائى ، وعمر بن عبد العزيز طائى ؛ وغير هؤلاء من حَمْدُوحيه طائى ، فإن لم يكن مدحه لهؤلاء ولغيرهم على التعصب لقبيلته التى ينمى إليها فهو لواحد من أمرين ، الأول أن يتخذ ذلك ذريعة لذكر الأجواد والشجعان من رجالات طيىء ، والتنويه بهم ، وفى ذلك من الفخر ما ليس يخفى ، والثانى أن يربط بين نسبه ونسب ممدوحه ويعلن أنه لا يمدح رغبة فى عطايا الممدوحين وإن جَلّتْ ، وإنما يمدح لهذه اللحمة التى تصله بِمَمْدُوحيه ، وفى هذا شيء من عزة النفس والاستعلاء عما تعودهُ الشعراء فى عصره ؛ ومهما يكن من شيء فإن هذا قد خطر لنا فأحببنا أن نسجله إلى أن يأذن الله لنا بتفصيل القول فيه .

٧ ـ وتوفى أبو تمام بالموصل ؛ فى سنة إحدى وثلاثين ومائتين من الهجرة وبَنَى عليه أحد بنى حُمَيْدٍ الطوسى قُبَّةً خارج الميدان ، وقبره الآن فى حديقة البلدية بالموصل ؟

بابُ المَديح

بسم الله الرحمن الرحيم

حرف الهمزة

(١)

قال يمدح خَالِدَ بن يزيد الشَّيْبَانِيَّ لما أراد المعتصمُ نَفْيه ، فرغِبَ خالدٌ أن يكون خروجُه إلى مكة ، فأُجِيبَ إلى ذلك ، ثم شَفَعَ فيه أحمدُ بن أبى دُؤَادٍ فَشَفَّعَه المعتصمُ ، وأعفاهُ من الخروج ، واستَقَرَّ على حاله :

١ يَا مُوضِـعَ الشَّدَنِيَّةِ الْوَجْنَاءِ وَمُصَارِعَ الإِدْلاَجِ وَالْإِسْرَاءِ

٢ أَقْرِ السَّلاَمَ مُعَرَّفًا وَمُحَصَّبًا مِنْ خَالِدِ الْمَعْرُوفِ وَالْهَيْجَاءِ

٣ سَيْلٌ طَمَا لَوْ لَمْ يَذُدْهُ ذَائِدٌ لَتَبَطَّحَتْ أُولاَهُ بِالْبَطْحَاءِ

٤ وغَدَتْ بُطُونُ مِنًى مُنًى مِنْ سَيْبِهِ وَغَدَتْ حَرًى مِنْهُ ظُهُورُ حِرَاءِ

---

(١)

(١) تقول : وضع البعير يضع ، إذا سار سيرا حثيثا فيه سرعة عظيمة ، وأوضعه راكبه : أى حمله على السرعة ، والشدنية: الناقة ، منسوبة إلى شدن ، وهو فحل من فحول الإبل ، أو هو موضع ، أو هو رجل من أصحاب الإبل الكريمة ، والوجناء : الغليظة العظيمة الوجنة ، والمراد القوية ، والإدلاج : سير الليل كله ، والإسراء مثله ، والمراد أنه يواصل السير لا يفتر عنه .

(٢) المعرف : المكان الذى يقف فيه الناس يوم عرفة ، والمحصب : المكان الذى ترمى فيه الجمار ، وأضاف خالدا إلى المعروف لأنه عادته وطبعه ، والهيجاء : الحرب ، يريد أنه جواد شجاع .

(٣) طما : ارتفع وعلا ، ويذده : يعقه ويمنعه ، وتبطحت : اتسعت ، والبطحاء: بطن الوادى إذا كان فيه رمل ، وهم يسمون بطن مكة « البطحاء » ويضيفون قريشا إليها فيقولون: قريش البطحاء ، وقريش الأبطح، وقريش الأباطح وانظر ٢٤/٢

(٤) منى الأولى بكسر الميم: اسم للموضع المعروف فى مناسك الحج ، ومنى الثانية =

٥ وَتعرَّفتْ عرفاتُ زاخِرَهُ ولَمْ ... يُخْصَصْ كَدَاءِ مِنْهُ بِالإِكْدَاءِ

٦ وَلَطَابَ مُرْتَبَعٌ بِطَيْبَةَ وَاكْتَسَتْ ... بُرْدَيْنِ بُرْدَ ثَرًى وَبُرْدَ ثَرَاءِ

٧ لاَ يُحْرَمِ الحِرْمَانَ خَيْرًا؛ إِنَّهُمْ ... حُرِمُوا بِهِ نَوْءًا مِنَ الأَنْوَاءِ

٨ يَا سَائِلِي عَنْ خَالِدٍ وفِعَالِهِ ... رِدْ فَاغْتَرِفْ عِلْمًا بِغَيْرِ رِشَاءِ

٩ أُنْظُرْ وَإِيَّاكَ الهَوَى لاتُمْكِنَنْ ... سُلْطَانَهُ مِنْ مُقْلَةٍ شَوْسَاءِ

١٠ تَعْلَمْ كَمِ افْتَرَعَتْ صُدُورُ رِمَاحِهِ ... وَسُيُوفُهُ مِنْ بَلْدَةٍ عَذْرَاءِ

١١ وَدَعَا فَأَسْمَعَ بِالأَسِنَّةِ وَاللُّهَى ... صُمَّ العِدَى فِي صَخْرَةٍ صَمَّاءِ

= بضم الميم: جمع منية ، وظهور حراء: اسم غدت، وحرى منه :خبرها،ومعناه مألوفة مسكونة ، يقول: تغدو ظهور حراء ــ وهوجبل معروف بمكة ــ مسكونة مألوفة لأن الناس يؤملونه ويرجون عطاءه ؛ فيذهبون إليه ، ويكثرون عنده .

(٥) زاخره : أراد عطاءه الجياش الكثير ، وكداء ــ بفتح الكاف ــ جبل بمكة ، منه دخلها رسول الله يوم الفتح ، والإكداء : أصله أن يقف النبت عن النمو لأن عرقه صادف كدية صلبة ، فلم يتمكن من الاستمساك .

(٦) المرتبع : المنزل يحله القوم زمن الربيع ، وطيبة : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول : لو بقى واليا على الحرمين لطاب العيش هناك .

(٧) النوء : المطر، والأنواء : جمعه، والمراد عوارفه، وهم يشبهون الجود بالمطر .

(٨) رد : أمر من الورود ، وأصله ورود الماء للاستقاء ، والرشاء ــ بكسر الراء ــ أصله الدلو ، يريد إن كنت تريد معرفة حال خالد فألق بالك لى أحدثك عنه فتعرفه بغير جهد .

(٩) إياك الهوى : احذره ولا تمل إليه ، وسلطانه : سطوته وقهره ، ويروى فى مكانه « شيطانه » وشوساء : تنظر من ناحية بسبب غضب أو نحوه ، يقول : انظر نظرا قاصدا إلى الحق ولايستملك شيطان الهوى .

(١٠) افترعت : أصله من قولهم « افترع الرجل البكر» أى افتضها ، والعذراء : التى لم تمس ، يقول : كم افتتح بلادا كثيرة أعيت الفاتحين الذين حاولوها فلم يستطع أحد فتحها من قبله .

(١١) اللهى : جمع لهوة ــ بضم اللام ــ وهى العطية ، ويروى « بالأسنة والقنا» وصم العدى : أراد بهم العتاة الذين لايقدر أحد عليهم ولا يستجيبون إلى موادعة ،

١٢ بِمَجَامِعِ الثَّغْرَيْنِ مَا يَنفَكُّ فِي جَيْشٍ أَزَبَّ وَغَارَةٍ شَعْوَاءِ
١٣ مِنْ كُلِّ فَرْجٍ لِلعَدُوِّ كَأَنَّهُ فَرْجٌ حِمًى إِلاَّ مِنَ الأَكْفَاءِ
١٤ قَدْ كَانَ خَطْبٌ عَاثِرٌ فَأَقَالَهُ رَأْيُ الْخَلِيفَةِ كَوكَبِ الْخُلَفَاءِ
١٥ فخرجْتَ منها كَالشِّهَابِ وَلَمْ تَزَلْ مُذْ كُنْتَ خَرَّاجًا مِنَ الغَمَّاءِ
١٦ مَا سَرَّنِي بِخِدَاجِهَا مِنْ حُجَّةٍ مَا بَيْنَ أَنْدَلُسٍ إِلَى صَنْعَاءِ
١٧ أَجْرٌ وَلَكِنْ قَدْ نَظَرْتُ فلم أَجِدْ أَجْرًا يَفِي بِشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ
١٨ لَوْ سِرْتَ لَالْتَقَتِ الضُّلُوعُ عَلَى أَسًى كَلِفٍ قَلِيلِ السِّلْمِ لِلأَحْشَاءِ
١٩ وَلَجَفَّ نُوَّارُ الْقَرِيضِ ، وَقَلَّمَا يُلْفَى بَقَاءُ الغَرْسِ بَعْدَ الْمَاءِ

(١٢) جيش أزب : كثير الرماح ، والغارة الشعواء : المتفرقة .

(١٣) الفرج الأول : الثغر ، وهو الموضع الذى يخشى مجىء العدومنه ، والثانى أراد به المرأة ، وفى الزواج لايرضى أولياء المرأة تزويجها إلا من الكفء المساوى لها فى الحسب والنسب ، يقول : لقد افتتح هذه الثغور التى كانت ممتنعة على غيره ، فكأنها نساء حماهن أولياؤهن من التزوج حتى جاء الخاطب الكفء

(١٤) خطب عاثر : يشير إلى أن المعتصم كان قد غضب على خالد بسبب وشاية الحاسدين ، فشفع فيه القاضى ابن أبى دواد ، حتى رضى عنه المعتصم ، وأقاله عثرته .

(١٥) الشهاب : النجم ، والغماء : الشدة المظلمة

(١٦) أصل الخداج - بكسر الخاء - أن يخرج الولد من بطن أمه ناقصا ، ومن هذا قالوا « أخدجت الناقة » إذا ولدت ولدا غير تام الخلق وإن كانت شهورها كاملة ، وقالوا «خدجت» بغير ألف- إذا ألقت ولدها من غير أن تكمل مدة حملها ، ثم أطلقوا الخداج على النقصان مطلقا ، وصنعاء : قصبة اليمن .

(١٨) سرت : أراد لومت ، وهو خير من أن يراد به لو سرت إلى البلد الذى أرادوا نفيك إليه ، والأسى : الحزن ، والسلم : الصلح .

(١٩) أصل النوار زهر النبات ، وأراد بنوار الكلام بلاغته ولسنه وقدرته على صوغ المعانى فى العبارات العالية ، ويروى « ولجف نوار النوال » والنوال : العطاء .

٢٠ فالجَوُّ جَوِّى إنْ أَقَمْتَ بِغِبْطَةٍ والأَرْضُ أَرْضِى وَالسَّمَاءُ سَمَائِى

(٢)

وقال يمدح يحيى بن ثابت :

١ قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فِي الغُلَوَاءِ كم تَعْذِلُونَ وَأَنْتُمُ سُجَرَائِى؟
٢ لاَ تَسْقِنِى مَاءَ المَلاَمِ ، فإِنَّنِى صَبٌّ قَدِ اسْتَعْذَبْتُ مَاءَ بُكَائِى
٣ وَمُعَرَّسٍ لِلْغَيْثِ تَخْفِقُ فَوْقَهُ رَايَاتُ كلِّ دُجُنَّةٍ وَطْفَاءِ
٤ نُشِرَتْ حَدَائِقُهُ ، فَصِرْنَ مَآلِفاً لِطَرَائِفِ الأَنْوَاءِ وَالأَنْدَاءِ

---

(٢٠) الجو : ما بين السماء والأرض ، يقول : إنى أعز بعزك ، وأسمو على أقرانى بسمو مكانتك وعالى منزلتك

(٢)

يضطرب ترتيب أبيات هذه القصيدة فتتقدم بعض أبياتها وتتأخر ، وقد اخترنا ترتيب رواية الصولى ، إذ كان هو الذى طبع عليه الديوان عدة طبعات .

(١) قدك : معناه حسبك وكافيك ، واتئب : أى استحى ، وأربيت : زدت ، والغلواء — بضم الغين وفتح اللام والواو — الغلو ، والزيادة ، والنشاط ، والسرعة ، ويقولون «خفض من غلوائك» أى أقلل من غلوك ، وسجرائى : جمع سجير ، وهو الخليل الصفى الحميم ، ويروى « شجرائى » بالشين المعجمة — وهو جمع شجير ، وهو الصاحب الردىء .

(٢) يريد كفوا عن ملامتكم واتركوها ، فإنى لا أخضع لعذلكم ، ولا أميل لموافقتكم .

(٣) المعرس : المكان ينزل فيه القوم آخر الليل للاستراحة ، والدجنة — بضم الدال والجيم وفتح النون مشددة — السحابة المظلمة ، والوطفاء : التى لها هيدب ، وهو خيط المطر ، ومعنى قوله « تخفق فوقه رايات — إلخ » أن البرق اللامع لا يزال يظهر من محيط أطراف السحابة المذكورة ؛ فيظهر كالراية المطرزة التى تخفق بالريح ، ويروى « تخفق وسطه » ويروى « تخفق بينه » .

(٤) الحدائق : جمع حديقة ، وهى الأشجار التى يحيط بها سور ، والمآلف : جمع مألف ، وهو المكان الذى يؤلف ، والطرائف : جمع طريفة ، وهى الجديدة ، والأنواء : الأمطار

٥ فَسَقَاهُ مِسْكَ الطَّلِّ كَافُورُ النَّدَى ... وَانْحَلَّ فِيهِ خَيْطُ كُلِّ سَمَاء
٦ غُنِيَ الرَّبِيعُ بِرَوْضِهِ ، فَكَأَنَّمَا ... أَهْدَى إِلَيْهِ الوَشْيَ مِنْ صَنْعَاء
٧ صَبَّحْتُه بِمُدَامَةٍ صَبَّحْتُهَا ... بِسُلَافَةِ الخُلَطَاءِ وَالنُّدَمَاء
٨ بِمُدَامَةٍ تَغْدُو المُنَى لِكُؤُوسِهَا ... خَوَلاً عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاء
٩ رَاحٌ إِذَا مَا الرَّاحُ كُنَّ مَطِيَّهَا ... كَانَتْ مَطَايَا الشَّوْقِ فِي الأَحْشَاء
١٠ عِنَبِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ سَبَكَتْ لَهَا ... ذَهَبَ المَعَانِي صَاغَةُ الشُّعَرَاء
١١ صَعُبَتْ وَرَاضَ المَزْجُ سَيِّءَ خُلْقِهَا ... فَتَعَلَّمَتْ مِنْ حُسْنِ خُلْقِ المَاء

---

(٥) الطل : أخف أنواع المطر ، وأضاف المسك إليه ليشير إلى أن رائحة عطرية فاحت من الأرض حين أصابها الطل ، والندى : قطرات خفيفة من المطر ، وكافور الندى : أراد به أن الندى عقد على أوراقه قطرات بيضاء كالكافور ، وانحل فيه خيط كل سماء : يريد أنه قد جاده كل ضرب من الغيث .

(٦) الوشى : كل مانقش وزين من الثياب ، وصنعاء معروفة بصنع الثياب المنقوشة ، شبه ألوان الزهر بالوشى الذى تصنعه صنعاء

(٧) المدامة : الخمر ، ويروى « صبحته بسلافة » والمعنى واحد ، والخلطاء : جمع خليط ، والندماء : جمع نديم ، وأراد بسلافة الخلطاء أفضلهم ، شبههم بالسلافة التى هى الخمر ، وقد أخذ هذا من قول أبى نواس :

الراح طيبة ، وليس تمامها ... إلا بطيب خلائق الجلاس

(٨) الخول : أصله ما يملكه الرجل من العبيد والإماء والإبل ، ثم استعمل فى كل ما يملكه من جميع الأشياء ، يقول : إن الأمانى تخدم هذه الكؤوس .

(٩) الراح الأول الخمر ، والثانى جمع راحة وهى الكف ، وكانت مطايا ـ إلخ : يريد أنه إذا تعاطاها شاربها أيقظت فيه دواعى الشوق .

(١٠) عنبية : متخذة من العنب ، وذهبية : لها لون الذهب ، وصاغة : جمع صائغ ، مثل بائع وباعة وحائك وحاكة

(١١) من هذا البيت تختلف نسخة التبريزى وغيرها ، وصعبت : أى أن فى طبعها القوة ، والمزج : الخلط بالماء ، وراضها : ذللها وسهلها ، وهذا مأخوذ من قول أبى نواس :

ألا دارها بالماء حتى تلينها ... فلن تكرم الصهباء حتى تهينها

١٢ خَرْقَاءُ يَلْعَبُ بالعُقُولِ حَبَابُهَا ... كَتَلَاعُبِ الأَفْعَالِ بالأَسْمَاءِ
١٣ وَضَعِيفَةٌ فَإِذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً ... قَتَلَتْ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ
١٤ جَهْمِيَّةُ الأَوْصَافِ إِلَّا أَنَّهُمْ ... قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرَ الأَشْيَاءِ
١٥ وكَأَنَّ بَهْجَتَهَا وَبَهْجَةَ كَأْسِهَا ... نَارٌ ونُورٌ قُيِّدَا بِوِعَاءِ
١٦ أَوْ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ بِكْرٌ أُطْبِقَتْ ... حَمْلاً عَلَى يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءِ
١٧ يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا ... فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءِ
١٨ وَلَهَا نَسِيمٌ كَالرِّيَاضِ تَنَفَّسَتْ ... فِي أَوْجُهِ الأَرْوَاحِ بالأَنْدَاءِ
١٩ وَمَسَافَةٍ كَمَسَافَةِ الهَجْرِ ارْتَقَى ... فِي صَدْرِ بَاقِي الحُبِّ وَالْبُرَحَاءِ

---

(١٢) الخرقاء : أصلها المرأة التى لا تحسن العمل ، والحباب ـ بوزن السحاب ـ الفقاقيع التى تطفو على وجه الماء ، وتلعب الأفعال بالأسماء : أنها ترفعها تارة وتنصبها تارة أخرى

(١٣) يريد أنها جمعت بين الضعف والقوة، كما جمعت بين الشراسة واللين، وبين الخرق وجودة الصنعة ، ويقول الصولى : إنه أخذه من قول جرير فى النساء :

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

(١٤) جهمية : أراد أنها منسوبة إلى جهم ، وهو متكلم كان يزعم أن الإنسان مجبر لا يستطيع أن يعمل شيئاً ثم يلزم العقوبة ، ويروى «جهمية الوصاف» جمع واصف

(١٦) فى رواية التبريزى « أطبقت حبلا » وقال : إن « أطبقت » يروى بالبناء للمعلوم وبالبناء للمجهول .

(١٧ و ١٨) هذان البيتان للبحترى من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (ديوانه ١/٤ ط هندية ـ ١/٧ ط المعارف) وعد الآمدى البيت الأول من إساءات البحترى (الموازنة ٢٧ بتحقيقنا) ثم عده من سرقات البحترى من على بن جبلة (ص ٢٧٤ بتحقيقنا) ثم ذكره مرة ثالثة فى بيان ماعيب به البحترى وليس بعيب (ص ٣٤٧) وقد سقطا جميعاً من رواية التبريزى وهو الحق، ولم نحذفهما لجريانهما فى المطبوعات من ديوان أبى تمام ، وللرغبة فى التنبيه إلى ذلك .

(١٩) المسافة : الأرض البعيدة، وأصلها اسم مكان من السوف، وهو أن يشم =

٢٠ بِيدٍ لنَسْلِ العِيدِ فى أُمْلُودِهَا ما شِئْتَ مِنْ هَيْدٍ وَمِنْ عُدَواءِ

٢١ مَزَّقْتُ ثَوْبَ عَكُوبِهَا بِرُكُوبِهَا وَالنَّارُ تَنْبُعُ مِنْ حَصَى المَعْزَاءِ

٢٢ وَإِلى ابْنِ حَسَّانَ اغتَدَتْ بِيَ هِمَّةٌ وَقَفَتْ عَلَيْهِ خُلَّتِي وَإِخَائِي

٢٣ يَا غَايَةَ الظُّرَفَاءِ وَالأُدَبَاءِ ، بَلْ يا سَيِّدَ الشُّعَرَاءِ وَالخُطَبَاءِ

٢٤ عُرِفَتْ بِكَ الآدَابُ مُحْفَلَةً كَمَا عُرِفَتْ قُرَيْشُ اللهِ بالبَطْحَاءِ

٢٥ سَاوَيْتَهُمْ أَدَباً ، وودُّكَ شَاهِدٌ بَلْ حَالِفٌ أَنْ لَسْتُمَا بِسَوَاءِ

= الدليل التراب ليعلم فى أى أرض هو ، والبرحاء – بضم الباء وفتح الراء – من الحب والوجد والشوق : معظمه وأكثره .

(٢٠) البيد : جمع بيداء ، وهى الأرض القفر ، سميت بذلك لأنها يبيد فيها سالكها : أى يهلك ، والعيد : فحل تنسب الإبل إليه ، وأملودها : الأملس منها ، ويروى « فى إمليدها » كما يروى « فى أبرادها » ويراد بالإمليد جسم الناقة ، وأصله من وصف الغصن ، والهيد – بفتح فسكون – زجر الإبل ، والعدواء : البعد . يقول : قطعت هذه المسافة على ناقة عيدية استكملت فى تركيب جسمها كل ما تتصف به النياق الأصيلات .

(٢١) العكوب : الغبار ، والمعزاء الأرض الحزنة ذات الحجارة الصلبة ، وهو مأخوذ من قول ذى الرمة:

يرحن بنا والمرو حام كأنما يطأن بنا منه على عجل جمرا

(٢٢) اغتدت : سارت ، ويروى مكانه « ارتقت » ويروى «اعتلت» والهمة : العزيمة والقصد ، والخلة – بضم الخاء المعجمة – الصداقة .

(٢٣) هذا البيت يقع فى شرح التبريزى بعد البيت ٢٨ ، ويقع هنا البيت ٣٠ الآتى ثم البيت ٣١ ثم البيت ٣٢ ثم ٣٣ ثم ٣٤ ثم ٣٥ ثم ٣٦ والأبيات ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ لا توجد فى روايته .

(٢٤) محفلة : معتبرة مهتما بها مبالغا فى الأخذ بالمفيد منها : يريد أنه أعلى منار الآداب ، وشاد بنيانها ، وأقام سوقها ، وبذل أمواله فى تنفيقها حتى غدت تعرف به ، وتنسب إليه .

٢٦ بخلائق أسكنتها خُلْدَ النَّدى ... فحمِدْتَ منها حَمْدَ كلِّ بلاءِ
٢٧ لم يَبْقَ ذو غدرٍ اريْبٍ مُلِمَّةٍ ... إلاَّ وقدْ ألجمتَه بوَفاءِ
٢٨ وَإذا تشاجرتِ الخُطوبُ فَرَيْتَها ... رأيا يَفُلُّ مَضارِبَ الأعْداءِ
٢٩ رَأيًا لو اسْتُسْقِيتَ ماءَ نَصيحَةٍ ... لجعلْتَهُ أرْيًا مِنَ الأرْياءِ
٣٠ لمَّا رأيتُكَ قدْ غذَوْتَ مَودَّتِي ... بالبِشْرِ واسْتَحْسَنْتَ وَجْهَ ثَنائِي
٣١ أنبطْتُ في قَلْبِي لوَأيِكَ مَشْرَعًا ... ظَلَّتْ تَحُومُ عليه طَيْرُ رَجائِي
٣٢ فَثَوَيْتُ جارًا للحَضِيضِ وهِمَّتِي ... قَدْ طُوِّقَتْ بكَوَاكِبِ الجَوْزاءِ
٣٣ إيهٍ فَدَتْكَ مَغارِسِي وَمَنَابِتِي ... اطْرَحْ غَناءكَ فِي بُحُورِ عَنائِي
٣٤ يَسِّرْ لِقَوْلِكَ مَهْرَ فِعْلِكَ ، إنَّهُ ... يَنْوِي افتِضاضَ صَنِيعَةٍ عَذْراءِ

(٢٦) خلائق : جمع خليقة ، وهى السجية والطبيعة ، خلد الندى : من إضافة المسبب إلى السبب ، أى أسكنتها الخلد بسبب جودك . والبلاء : الامتحان والاختبار .
(٢٧) ألجمته بوفاء : سددت فاه بوفائك له بما يؤمل فيك من جزيل العطاء .
(٢٨) فريتها : قطعتها ، ورأيا : تمييز ، أو منصوب على نزع الخافض ، أى قطعتها برأى ، ويفل : يحطم ويكسر ، ومضارب الأعداء : سيوفهم .
(٢٩) الأرى : العسل ، والأرياء : جمع الأرى .
(٣١) أنبطت : استخرجت ، وأصله من قولهم « أنبط الحافر الماء » إذا استخرجه من باطن الأرض ، والوأى : الوعد ، والمشرع : الموضع الذى يشرع فيه لورود الماء .
(٣٢) ثويت : أقمت ، والحضيض : منقطع الجبل عند أسفله ، يقول : مكانى فى الأرض ، ولكن همتى عند الجوزاء ؛ لأننى متصل بك ورجائى معقود عليك .
(٣٣) إيه : اسم فعل أمر معناه طلب الزيادة ، والمغارس : جمع مغرس وهو مكان الغرس ، والمنابت : جمع منبت وهو مكان النبات ، وأراد بهما أصوله ، والغناء بالمعجمة : الكفاية ، وبالمهملة : الشقاء والتعب الشديد ، يريد زدنى من نعمك ولا تبطىء فى إنجاز وعدك .
(٣٤) صنيعة عذراء : مكرمة لم يسبقك إليها سابق .

٣٥ وإلى محمدٍ ابتعثتُ قصائدي ورفعتُ للمستنشدين لوائي
٣٦ يحيى بنِ ثابتٍ الذي سنَّ الندى وحوى المكارمَ من حيًا وحياءِ

(٣)

وقال يمدح محمد بن خالد بن يزيد بن مَزْيَد

١ هتكتْ يدُ الأحزانِ سترَ عزائي هتكَ الصباحِ دُجُنَّةَ الظلماءِ
٢ فكأنَّما قلبي بمخلبِ طائرٍ وكأنَّما علَّتْهُ بطلاءِ
٣ ألفَ الأسى، وكأنَّما بينَ الأسى قَرَبٌ وبينَ غوامضِ الأحشاءِ
٤ لا منْ هوًى عكفتْ عليهِ شجونُهُ لصدودِ مُهْضَمةِ الحشا غيداءِ

(٣٦) سن الندى : اختط سبله وبين للناس نهجه وطريقه ، يريد لم يكن الناس يعرفون الجود فعرفهم إياه ، وسلك طريقه أمامهم فاقتدوا به ، والحيا — بالقصر — أصله المطر ، ويشبه به العطاء فيطلق عليه ، والحياء ، بالمد : كرم الخلق وطيب السجايا .

(٣)

سقطت هذه القصيدة برمتها من رواية التبريزي .

(١) هتكت : مزقت ، والعزاء : التصبروالتجلد ، والدجنة : أصله السحابة المظلمة كما سبق في ٣/٢ يريد لقد بدد الحزن عزائي وأذهب تصبري ، مثل مايذهب الصباح ظلمة الليل .

(٢) يقع هذا البيت في ب متأخراً عما يليه . والمخلب لجوارح الطير مثل الظفر للانسان ، والطلاء : الخمر .

(٣) الأسى : الحزن ، والقرب ـ بفتح القاف والراء جميعاً ـ أصله ألا يكون بينك وبين الماء إلا ليلة واحدة ـ يريد كأن الحزن لم يبق له إلا وقت قليل حتى يأتي على داخل الأحشاء .

(٤) عكفت عليه : لزمته ولم تفارقه ، والشجون : جمع شجن وهو الحزن ، ومهضمة الحشا : ضامرة الحصر ، والغيداء : اللينة المعاطف . يقول : لم يكن تراكم

٥ إلاّ لأنّ الدَّهْرَ أبْرَقَ صَرْفُهُ وَحَنَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبٌ بِرَزَاء

٦ وَلَقَدْ هَشَشْتُ لَهُ زَمَانَ غَضَارَتِى وَدَعَوْتُهُ فَأَجَابَ وَغْرَ دُعَائِى

٧ أغْدُو عَلَى صَحْبٍ كَأنَّ وُجُوهَهُمْ سُرُجٌ تَزَاهَرُ أوْ نُجُومُ سَمَاء

٨ وَقَدِيمَةٍ قَبْلَ الزَّمَانِ حَدِيثَةٍ جَاءَتْ وَمَا نُسِبَتْ إلَى آنَاء

٩ رُوحٌ بِلاَ جَسَدٍ تُعِينُ بِلاَ قُوًى وَقُوًى خُلِقْنَ خَفِيَّةً مِنْ مَاء

١٠ حَتَّى إذَا فُطِمَتْ وَحَانَ وِصَالُهَا حَجَبَ الرَّقِيبُ مَصُونَهَا بِوِعَاء

١١ فَإذَا فَضَضْتَ فَضَضْتَ عَنْ مَخْتُومَةٍ تَرْنُو إلَيْكَ بِدُرَّةٍ حَمْرَاء

١٢ قَتَلَتْكَ وَهْىَ صَرِيعَةٌ وَبَدِيعَةٌ إنْ قِيلَ مَيْتٌ قَاتِلُ الأحْيَاء

١٣ فَهْىَ المُدَامَةُ وَهْىَ بَعْدُ مُدَامَةٌ لٰكِنَّهَا زَيْنٌ لَدَى النُّدَمَاء

١٤ أعْنِى مُحَمَّدًا ابْنَ خَالِدَ، إنَّهُ مَأْوَى الطَّرِيدِ وَقَصْدُ كُلِّ غَنَاء

= الأحزان ناشئاً عن هوى ناشىء عن صدود فتاة ناحلة الخصر لينة المعاطف .

(٥) أبرق صرف الدهر : نزلت به نوازله ، وكثرت عليه مصائبه .

(٦) هششت له : ابتسمت، وغضارة الشباب : معظمه وعنفوانه، والوغر : الشديد

(٧) سرج : جمع سراج ، بوزن كتاب وكتب .

(٨) قديمة : أراد بها الخمر ، يريد أنها معتقة ، والآناء : الأزمان ، واحده أنى .

(١١) فضضت : فتحت وعاءها ، وترنو : تنظر .

(١٢) قتلتك : أراد أنها أسكرتك وصرعتك ، وهى صريعة : أراد ممزوجة بالماء ، وهم يعبرون عن المزج بالقتل ونحوه ، قال حسان :

إن التى ناولتنى فشربتها قتلت ــ قتلت ــ فهاتها لم تقتل

(١٣) المدامة : الخمر ، و « المدامة » الثانية تحتمل أنها بنفس معنى الأولى ، يعنى أنها هى الآن هى نفسها فى كل وقت ، وتحتمل أنها اسم مفعول من « أدام يديم » أى استمر على شربها .

(١٤) المأوى : المكان الذى تأوى إليه ، والطريد : المطرود ، وقصد : أى مقصود ، وأراد أنه مقصود كل طالب ، والغناء : أى النفع .

١٥ وَرِثَ النَّدَى ، وَحَوَى النُّهَى ، وَبَنَى الْعُلاَ
وَجَلاَ الدُّجَى ، وَرَمَى الْفَضَا بِهُدَاءِ

١٦ شَهِدَتْ لَهُ عُصَبُ الْمَكَارِمِ أَنَّهُ هُوَ رَبُّهَا مِنْ بَعْدِ ذِي الآلاءِ

١٧ صَدَقَتْ وَمَا كَذَبَتْ، وَفِيهِ بَدَائِعٌ كَثُرَتْ بَدَائِعُهَا عَلَى الشُّعَرَاءِ

١٨ أَنْسَى الْمُلِمَّةَ عِنْدَ وَقْتِ حُلُولِهَا فَهُوَ الدَّوَاءُ النَّاتِقُ الأَدْوَاءِ

١٩ الْفَخْرُ مُفْتَخِرٌ بِهِ ، وَبِهِ نَمَا وَإِلَيْهِ حِينَ سَمَا إِلَى الْعَلْيَاءِ

٢٠ رَجُلٌ بَدَا فَمَلاَ الْمَشَارِقَ نُورُهُ مُتَهَلِّلاً كَالْجَوْنَةِ الْبَيْضَاءِ

٢١ وَتَبَسَّمَ الْعَقْلُ ابْتِسَامَ أَقَاحِهِ مُتَزَاهِرًا عَنْ بَاكِرِ الأَنْدَاءِ

٢٢ وَسَرَى لَهُ نَجْمٌ يُوَافِقُ نَجْمَهُ فَمَحَا الظَّلاَمَ بِطَلْعَةٍ زَهْرَاءِ

٢٣ فَبِهِ الْمَلاَذُ مِنَ الزَّمَانِ وَجَوْرِهِ وَدِفَاعُ مَا يُخْشَى مِنَ الدَّهْيَاءِ

٢٤ وَإِذَا الْتِبَاسُ الرَّأْيِ أَلْبَسَ حَيْرَةً
أَوْفَى عَلَيْهِ بِأَرْشَدِ الآرَاءِ

---

(١٥) النهى : جمع نهية ـ بضم النون وسكون الهاء ـ وهى العقل ، وجلا : كشف ، والدجى : جمع دجية ، وهى الظلام ، والهداء : الهدى ، ومن حقه القصر لكنه مده .

(١٨) الملمة : النازلة من نوازل الدهر ، والناتق : المزيل والطارد ، والأدواء : جمع داء .

(٢٠) بدا : ظهر ، وملا : أصله ملأ ـ بالهمز ـ فسهل الهمزة ، والجونة : الشمس.

(٢١) تبسم العقل : يريد أن حلمه قد بلغ أشده ، ووقاره قد تناهى إلى أبعد الحدود.

(٢٣) الملاذ : الالتجاء .

(٢٤) التباس الرأى : اختلاط صوابه بخطئه ، وأوفى عليه : أشرف وأقبل بعزيمة وقوة.

٢٥ وَإِذَا الْكَرِيهَةُ شَبَّ نَارُ وَطِيسِهَا ثُمَّ اصْطَلَى الأَقْصَى مِنَ الإِدْنَاءِ

٢٦ أَرْعَبْتَ صَعْبَ قِيَادِهَا بِمُهَنَّدٍ وَتَرَكْتَهَا كَالرَّغْلَةِ الْعَمْيَاءِ

٢٧ هَاتِيكَ يَا مُسْتَفْهِمِي أَشْكَالُهُ وَوِرَاثَةُ الأَجْدَادِ وَالآبَاءِ

٢٨ وَلَقَدْ رَجَوْتُ فَهَلْ لَدَيْكَ بِحَاجَةٍ وَعَلِمْتُ أَنَّكَ لاَ تُخِيبُ رَجَائِي

٢٩ إِنِّي امْتَدَحْتُكَ لاَ لِعَائِدَةٍ، وَلاَ هِمَمِي جَزَاءُ مَدَائِحِي بِجَزَاءِ

٣٠ لَكِنْ أَرُومُ بِهِ احْتِيَاطَكَ؛ إِنَّهُ فِيمَا لَدَيْكَ لَبُغْيَتِي وَغَنَائِي

* * *

---

(٢٥) شبت النار : اشتعلت وارتفع لهبها . وأصل الوطيس التنور ، وهذه العبارة كناية عن تفاقم الخطب واشتداده ، واصطلى فلان بالنار : تعرض لها .

(٢٦) أرعبت : أخفت أشد الخوف ، والرعلة : النعامة ، وهى مضرب المثل فى الحيرة .

(٣٠) أروم : أبغى وأطلب ، واحتياطك : أراد إحاطتك ووصول خبره إليك واللام فى « لبغيتى » هى اللام المزحلقة ، وتسمى لام الابتداء التى تدخل على خبر إن المكسورة الهمزة .

حرف الباء

(٤)

قال يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا إسحاق محمد
ابن هارون الرشيد ، ويذكر فتح عَمُّورِيَّةَ

١ السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ   فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
٢ بِيضُ الصَّفَائِحِ ، لاَ سُودُ الصَّحَائِفِ ، فِي   مُتُونِهِنَّ جِلاَءُ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ

---

(٤)

كان المعتصم بالله قد اعتزم فتح عمورية ، وكان المنجمون قد أخبروه أنهم يجدون عندهم أنه لا يفتحها ، وكان الروم قد بلغهم ما اعتزمه فكتبوا إليه أنهم يجدون فى كتبهم أنها لاتفتح إلا فى وقت إدراك التين والعنب ، يعنون وقت الصيف ، وكان الوقت شتاء ، ويخوفونه ثلوج بلادهم وبردها إن مضى لطيته الآن ، فلم يبال ما قال هؤلاء ولا ماقال هؤلاء ، وهيأ الجيش ، وخرج مصرا على فتحها ، وفتحها الله عليه ، وفى ذلك كله يقول أبو تمام هذه القصيدة .

(١) انباء : تقرأ بفتح الهمزة فى أولها ، وبكسرها ، فمن فتحها فهى عنده جمع نبأ وهو الخبر العظيم ، ومن كسرها فهى مصدر « أنبأ » أى أخبر ، والحد فى قوله « فى حده » أراد به حد السيف وهو جانبه القاطع ، والحد الثانى بمعنى الفصل بين الشيئين ، والجد — بكسر الجيم — ضد الهزل واللعب ، يريد أنه يفصل بين الجد واللعب ، إذ أنه متى استعمل السيف فقد خرج الأمر من الهزل إلى الجد .

(٢) الصفائح : جمع صفيحة ، وأصلها الحديدة العريضة ، والصحائف : جمع صحيفة وهى الكتاب والدفتر ، وجلاء الأمر ـ بكسر الجيم ـ كشفه ورفع الغطاء عنه ، والريب : جمع ريبة ، وهى بمعنى الشك .

٣ وَالْعِلْمُ فِي شُهُبِ الأَرْمَاحِ لاَمِعَةً بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ، لاَ فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبُ

٤ أَيْنَ الرِّوَايَةُ ؟ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا
صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ ؟

٥ تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلاَ غَرَبِ

٦ عَجَائِبًا زَعَمُوا الأَيَّامَ مُجْفِلَةً عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ الأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ

٧ وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ
إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ

---

(٣) شهب : جمع شهاب ، والأرماح : جمع رمح ، والإضافة من إضافة المشبه به إلى المشبه : أى الأرماح التى كالشهب ، أو المراد بالشهب الأسنة ، والسبعة الشهب : أراد به الكواكب الطوالع التى منها زحل والقمر ، يرد على المنجمين ما زعموه من أنهم يجدون فى تنجيمهم أنه لا يفتحها ، فقد فتحها وظهر كذبهم .

(٤) الزخرف : أصله ما يعجبك منظره من متاع الدنيا ، ويقال لكل قول محسن مكذوب : زخرف .

(٥) تخرصا : تكذبا وافتراء ، والأحاديث : جمع أحدوثة وهى الحديث ، والملفقة : التى ضم بعضها إلى بعض ولم تكن من شكل واحد ، والنبع — بفتح فسكون — شجر صلب ينبت فى رؤوس الجبال تتخذ منه القسى ، والغرب — بفتح الغين والراء جميعا — شجر ينبت على الأنهار ليست له قوة ، يريد أن هذه الأحاديث ليست بشىء أصلا ، فلا هى قوية ، ولا هى ضعيفة

(٦) مجفلة : مأخوذ من قولهم « أجفلت النعام » إذا أحست بأمر يذعرها فهربت منه على عجل وخوف ، ويروى فى مكانه « مجلية » أى منكشفة .

(٧) الدهياء : الداهية ، وكان المنجمون قد زعموا أنه إذا ظهر الكوكب ذو الذنب فإن ذلك يدل على حدوث فتنة عظيمة وتغير ولاية ، فأكذبهم أبو تمام فى ذلك .

٨ وَصَيَّرُوا الأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرَتِّبَةً — مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ

٩ يَقْضُونَ بِالأَمْرِ عَنْهَا وَهْيَ غَافِلَةٌ — مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وفِي قُطُبِ

١٠ لَوْ بَيَّنَتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ — لَمْ تُخْفِ مَا حَلَّ بِالأَوْثَانِ وَالصُّلُبِ

١١ فَتْحُ الْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ — نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطَبِ

١٢ فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ — وَتَبْرُزُ الأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشُبِ

١٣ يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ — عَنْكَ الْمُنَى حُفَّلاً مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ

---

(٨) الأبرج : جمع القلة للبرج ، ويجمع فى الكثرة على بروج ، وفى القرآن الكريم (والسماء ذات البروج) ومرتبة : اسم الفاعل من الترتيب ، ويريد أنهم نسبوا ترتيب الأمور للنجوم .

(٩) الفلك : مدار النجوم ، والقطب : أصله بوزن قفل ، فضم الطاء إتباعا لضم القاف ، وهو كل ثابت يدور عليه شىء ، وفى السماء قطب الشمال وقطب الجنوب .

(١٠) يقول فى الرد عليهم : لو كانت هذه البروج تبين أمرا قبل وقوعه كما زعموا لبينت أمر هذا الفتح العظيم الذى لم يكن فتح أجل منه ، ويروى «لم يخف» ويقرأ بفتح حرف المضارعة على أنه من الثلاثى اللازم ، والصلب — بضم الصاد واللام — جمع صليب .

(١٢) تفتح : أصله تتفتح ، فحذف إحدى التاءين ، والقشب : جمع قشيب ؛ وهو الجديد ، وضرب هذا مثلا لتعظيم أمر هذا الفتح ومسرة المسلمين به .

(١٣) أتى بعمورية فى هذا البيت مشدد الياء ، وأتى به مخفف الياء فى قوله من كلمة يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات :

أقام الأنام منار الهـــدى — وأخـــرس ناقوس عموريه

الحفل : جمع حافل ؛ وأصله الضرع الملىء باللبن؛ وهو هنا مستعار للمنى وهى جمع الأمنية — بضم فسكون — وهى ما يتمناه الإنسان ، والحلب — بفتح الحاء واللام جميعا — ما يحلب من اللبن .

١٤ أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الإِسْلَامِ فِي صَعَدٍ
وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشِّرْكِ فِي صَبَبِ

١٥ أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا
فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ بَرَّةٍ وَأَبِ

١٦ وَبَرْزَةَ الوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا
كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِي كَرِبِ

١٧ مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ
شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهْيَ لَمْ تَشِبِ

١٨ بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ

١٩ حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللهُ السِّنِينَ لَهَا مَخْضَ الْحَلِيبَةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الحِقَبِ

---

(١٤) الجد — بفتح الجيم — الحظ والبخت ، وصعد : أى ارتفاع ، وصبب : هبوط وانحدار .

(١٥) أم لهم : أراد هذه البلدة ، وجعلها أمهم لأنها تجمع أمرهم وتضمهم كما تضم الأم ولدها ، ويروى « فدى لها » مكان فداءها .

(١٦) البرزة : المرأة التى تظهر للرجال ولا تستتر منهم ، ويقال : هى الحيية ، وكسرى : اسم لكل من ملك الفرس ، وأبو كرب : كنية أحد التبابعة ملوك اليمن ، يريد أنها استعصت على الفرس وعلى اليمن فلم يستطع أحد منهم فتحها .

(١٩) أصل المخض فى اللبن إذا وضعته فى وعاء وحركته لكى يخرج زبده ، وقد استعار ذلك للأيام ، والحليبة : ما حلب من اللبن ، ويروى « مخض البخيلة » وخصها لأنها أشد اجتهادا فى استخراج الزبد من الكريمة ، ويروى « مخض الحليب فعادت » والحقب : جمع حقبة ، وهى مدة من الزمن غير محدودة .

٢٠ أَتَتْهُمُ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً مِنْهَا، وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةَ الْكُرَبِ

٢١ جَرَى لَهَا الْفَأْلُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقِرَةٍ إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ

٢٢ لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ

٢٣ كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ قَانِى الذَّوَائِبِ مِنْ آنِى دَمٍ سَرِبِ

٢٤ بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِّىِّ مِنْ دَمِهِ لاَ سُنَّةِ الدِّينِ وَالإِسْلاَمِ مُخْتَضِبِ

---

(٢٠) سادرة : أى لا تهتم لشيء ، أو متحيرة، ويروى « سادرة عنها » ويروى « كاربة منها » أى قريبة .

(٢١) الفأل : الزجر ، وأكثر استعماله فى الخير ، ضد الطيرة ، وقد يستعمل فى الشر كما استعمله أبو تمام ، ونحسا : ضد السعد ، ويروى فى مكانه « برحا » ويكون كالبارح ، ومن العرب من يتشاءم بالبارح ، وعليه يجرى قول أبى تمام ، ومن العرب من يتيمن بالبارح ويتشاءم بالسانح ، وعلى ذلك اختلفوا فى تفسيرهما ، فمنهم من يزعم أن السانح من الطير ما ولاك مياسره فكان من جهة يمينك ، والبارح ما ولاك ميامنه فكان من جهة يسارك ، ومنهم من يعكس ذلك ، وأنقرة : بلد من بلاد الروم يزعمون أن فيها قبر امرىء القيس بن حجر الكندى .

(٢٢) أختها : هى أنقرة ، والضمير يرجع إلى عمورية . والجرب : داء معروف يوصف بسرعة العدوى .

(٢٣) قانى الذوائب : أى محمرها ، وأصله « قانىء » بالهمزة فسهله ، والآنى : الحار ، وفى القرآن الكريم (وبين حميم آن) وسرب — بفتح السين وكسر الراء — أى سائل .

(٢٤) يريد أن شعره قد خضب بدمه بحكم السيف وما سنه فيهم ، و« الخطى » الرمح ، منسوب إلى الخط ، ويروى « بسنة السيف والحناء » وما أثبتناه أحسن انسجاما ، ومختضب : من وصف فارس .

٢٥ لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ

٢٦ غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًى
يَشُلُّه وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ

٢٧ حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ
عَنْ لَوْنِهَا ، أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ

٢٨ ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحًى شَحِبِ

٢٩ فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ
وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ

٣٠ تَصَرَّحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُبِ

---

(٢٦) غادرت : تركت ، وبهيم الليل : الذى اشتد ظلامه فلا ضوء فيه ، ويشله : بطرده ، واللهب : النار .

(٢٧) الجلابيب : جمع جلباب ، وهو الرداء أو القميص ، والدجى : جمع دجية وهى الظلمة ، وقد تقال على الليل ، واستعار الجلابيب للدجى ليشير إلى أن الظلام كان ساترا لكل شىء ، ولكن جلاه وغير لونه هذه النار التى تطايرت فى الأفق ، فمن رأى ذلك ظن أن النهار باق والشمس لم تغب .

(٢٨) يقول : إن ضوء النار يصير الليل نهارا ، وإن تكاثف الدخان يصير الضحى شاحبا .

(٢٩) أفلت : غربت وغابت ، ووجبت الشمس : سقطت فى المغرب ، وهو بمعنى أفلت .

(٣٠) تصرح الدهر : تكشف كما يتكشف الغمام عن وجه السماء ، ووصف اليوم بأنه طاهر جنب لأن فيه مسرة المسلمين ومذلة الروم ومساءتهم ، فكنى بالطهارة عن الأول وبالجنابة عن الثانى ، أو لأنهم لما ظفروا بالروم سبوا نساءهم فغشوهن فوجب عليهم الغسل ، والزمن قد يوصف بما يقع فيه ، يقال : يوم صائم ونهار سائر ، وليل نائم ، وليل ساهر ، وما أشبه ذلك .

٣١ لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى
بَانٍ بِأَهْلٍ، وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبِ

٣٢ مَا رَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًى مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ

٣٣ وَلَا الْخُدُودُ وَإِنْ أُدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ أَشْهَى إِلَى نَاظِرِى مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ

٣٤ سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنَّا الْعُيُونُ بِهَا عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ

٣٥ وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ جَاءَتْ بَشَاشَتُهُ عَنْ سُوءِ مُنْقَلَبِ

٣٦ لَوْ يَعْلَمُ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنَتْ
لَهُ الْعَوَاقِبُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضُبِ

---

(٣١) العزب : الرجل لا زوجة له ، والمرأة لا زوج لها ، يطلق على المذكر والمؤنث بلفظ واحد ، يريد أنهم أصبحوا وهم أعزاب، ولم يأت الليل حتى صار لكل منهم زوجة من السبي ، كنى بذلك عن قرب الفتح وعن كثرة السبي .

(٣٢) مية : صاحبة ذى الرمة التى كان يشبب بها ، وغيلان : هو ذو الرمة ، وهو غيلان بن عقبة .

(٣٣) الترب ــ بفتح التاء وكسر الراء ــ الذى لصق بالتراب وتعفر به .

(٣٤) يريد بالسماجة ــ وهى القبح ــ ما كان من خراب عمورية فى نفوس أهلها ، يعنى أن هذا الخراب كان سببا فى تمتع أعين الفاتحين وثلج صدورهم بما أحرزوه من غلبة ونصر.

(٣٥) تبدو : تظهر ، ويروى « تبقى عواقبه » وحسن المنقلب للفاتحين ، وسوء المنقلب للمغلوبين .

(٣٦) أطلق لفظ الكفر وأراد به الكفار ، وكمنت : استترت ، ويروى « خبأت » والعواقب : جمع عاقبة ، ويروى « له المنية » وهى الموت ، والسمر : جمع أسمر ، والمراد به الرمح ، والقضب : جمع قضيب ، والمراد به السيف .

٣٧ تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمٍ ... لِلّهِ مُرْتَقِبٍ فِي اللهِ مُرْتَغِبِ

٣٨ وَمُطْعَمِ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ ... يَوْمًا ، وَلاَ حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ

٣٩ لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ ... إِلاَّ تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعُبِ

٤٠ لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلاً يَوْمَ الْوَغَى لَغَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

٤١ رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَهَا ... وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ لَمْ تُصِبِ

٤٢ مِنْ بَعْدِ مَا أَشَّبُوهَا وَاثِقِينَ بِهَا ... وَاللهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَعْقِلِ الأَشِبِ

---

(٣٨) مطعم النصر : يريد أن الله يرزقه النصر دائما ، وأصل هذه العبارة أن تقال فى الصيد ، يقال « فلان مطعم الصيد » يريدون أنه إذا خرج للصيد رجع وقد اصطاد الكثير ، وقالوا « قوس مطعمة » يريدون أن الرامى بها لا تخيب رميته ، ولم تكهم : أى لم تنب عن الضريبة ، وأصله فى السيف كما يقال « نبا السيف » إذا لم يصب ، واستعاره هنا للسنان .

(٣٩) لم ينهض : يروى فى مكانه « لم ينهد » والمعنى واحد ، وأخذ معنى هذا البيت من الحديث « نصرت بالرعب » .

(٤٠) الجحفل : الجيش العظيم ، واللجب ــ بفتح اللام وكسر الجيم ــ الكثير الأصوات ، ويكون ذلك بكثرة عدده ووفرة سلاحهم ، والوغى : الحرب .

(٤٢) أشبوها : أصله الأصيل من قولهم « تأشبت الغيضة » أى التفت أشجارها وتهدلت أغصانها ، ثم استعملوها هذا الاستعمال فقالوا « أشبت الحصن » يريدون أنهم حصنوه بالجنود ، أراد التف من حولها الجنود كالشجر الملتف ، ويروى «آمنين بها » ويروى « والله فتاح » وهى خير مما هنا ، والمعقل : الحصن ، والأشب ــ بفتح الهمزة وكسر الشين ــ أى المنيع الحصين .

٤٣ وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لاَ مَرْتَعٌ صَدَدٌ لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوِرْدُ مِنْ كَثَبِ

٤٤ أَمَانِياً سَلَبَتْهُمْ نُجْحَ هَاجِسِهَا
ظُبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلُبِ

٤٥ إِنَّ الْحِمَامَيْنِ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمُرٍ
دَلْوَا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشُبِ

٤٦ لَبَّيْتَ صَوْتاً زِبَطْرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ
كَأْسَ الْكَرَى وَرُضَابَ الْخُرَّدِ الْعُرُبِ

---

(٤٣) ذو أمرهم: رئيسهم ، والمرتع :أصله المكان الذى ترتع فيه الماشية،وصدد: قريب ، ويروى فى مكانه « أمم » وهو بمعناه ؛ والورد : ذهاب الراعية إلى الماء لتستقى ، والكثب : القرب .

(٤٤) الأمانى : جمع أمنية ، ونجح هاجسها : صدق ما خطر منها على بالهم ، وظبى السيوف : حدها ، واحدتها ظبة ، والقنا السلب : الرماح الطوال ، يقال : رمح سلب ـ بفتح فكسر ـ أى طويل ، وقد يكون السلب جمع سلوب ، مثل صبور وصبر وغفور وغفر ـ ويراد به الذى يسلب أرواح الناس وأموالهم .

(٤٥) الحمامين : تثنية حمام ـ بكسر الحاء ـ وهو الموت ، والبيض : السيوف ، والسمر : الرماح ، وأصله بسكون الميم ، ولكنه ثقله بضمها إقامة للوزن ، وجعل الحمامين هما السيوف والرماح لأنهما سببها ، كما جعل الحياتين هما الماء والعشب لذلك .

(٤٦) زبطريا : منسوب إلى زبطرة ، وهى اسم مدينة، قيل : إن الروم فتحوها فسبوا منها امرأة ، فلما أخذوها نادت « وامعتصماه » فلما نقل ذلك إلى المعتصم خف للحرب ولم يثنه عنها عائق ،ولما افتتح عمورية بحث عن هذه الأخيذة حتى إذا وجدها قال : لبيك . وهرقت : أسلت ، والكرى : النوم ، جعل له كأسا ثم زعم أنه أراق هذه الكأس ، يريد أنه طرد النوم عن أجفانه ، والرضاب ـ بضم الراء ـ ريق الفم ، والخرد : جمع خريدة ، وأصلها اللؤلؤة التى لم تثقب ، وأراد بها المرأة الحيية ، والعرب : جمع عروب ، وهى التى تتحبب إلى زوجها

٤٧ عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ ... بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصِبِ

٤٨ أَجَبْتَهُ مُعْلِنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا ... وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ

٤٩ حَتَّى تَرَكْتَ عَمُودَ الشِّرْكِ مُنْقَعِرًا ... وَلَمْ تُعَرِّجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنُبِ

٥٠ لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأْيَ الْعَيْنِ تُوفَلِسٌ ... وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرَبِ

---

(٤٧) عداك : صرفك وباعدك ، والثغور الأول : جمع ثغر ، وهو الموضع من بلاد العدو الذى يخشى أن يأتى منه، والثغور الثانى : جمع ثغر وهو الفم ، والسلسال: أصله الماء الصافى السهل الدخول فى الحلق وأراد به هنا الريق ، وأصل الحصب ـ بفتح الحاء وكسر الصاد ـ الذى فيه الحصباء وهى صغار الحصى ، ووصف به ماء الفم وهو الريق لأنه جعل الأسنان التى فى الفم بمنزلة الحصباء التى فى مجرى الماء .

(٤٨) معلنا : مجاهدا ، ويروى « معلما » بفتح اللام ـ أى جاعلا لنفسه علامة يعرف بها على عادة الأبطال المعروفين بالشجاعة ، و « بالسيف » يتعلق بقوله «أجبته» ومنصلتا : حال من السيف ، والسيف المنصلت : المجرد من غمده ، ومعنى « ولو أجبت بغير السيف لم تجب » لم تعد مجيبا ، لأن إجابة مثل هذا الصوت الذى دعاك لا تفيد إلا أن تكون بالسيف ، ومن لم تكن إجابته مفيدة لا يعتبر مجيبا .

(٤٩) يروى « منعفرا » أى ملتصقا بالعفر وهو التراب ، ويروى « منقعرا » من قوله تعالى : (كأنهم أعجاز نخل منقعر) يريد أنه قصد من بيت الشرك إلى عموده الذى يقام عليه ويكون قوامه به فزعزعه واقتلعه ، كنى بذلك عن أنه قصد إلى قصبة بلادهم ، ولم يقصد القرى والرساتيق .

(٥٠) الحرب ـ بفتح الحاء والراء جميعا ـ الغضب ، وهو أيضا ذهاب المال ، وقد أخذ معناه من قول الجعدى :

وتستلب الدهم التى كان ربها ... ضنينا بها ، والحرب فيها الحرائب

٥١ غَدَا يُصَرِّفُ بالأَمْوَالِ جِرْيَتَهَا فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التَّيَّارِ والعَبَبِ

٥٢ هَيْهَاتَ زُعْزِعَتِ الأَرْضُ الوَقُورُ بِهِ
عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غَزْوِ مُكْتَسِبِ

٥٣ لم يُنْفِقِ الذهبَ المُرْبِي بِكَثْرَتِهِ عَلَى الحَصَى وبِهِ فَقْرٌ إلَى الذَّهَبِ

٥٤ إنَّ الأُسُودَ أُسُودَ الْغَابِ هِمَّتُهَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي المَسْلُوبِ لاَ السَّلَبِ

٥٥ وَلَّى وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِّيُّ مَنْطِقَهُ بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ

٥٦ أَحْذَى قَرَابِينَهُ صَرْفَ الرَّدَى وَمَضَى
يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الهَرَبِ

---

(٥١) يروى « ذو التيار والحدب » وهو كذلك فى شرح التبريزى وشرح الصولى . وعزه : غلبه وقهره ، والتيار : معظم الماء أو الموج ، والحدب ـ بفتح الحاء والدال جميعا ـ ارتفاع الماء تارة وانخفاضه أخرى ،

(٥٢) زعزعت : تحركت حركة عنيفة ، والضمير فى « به » يعود إلى نوفلس ، والمحتسب : هو الذى يفعل ما يفعل ابتغاء وجه الله ، والمكتسب : الذى يفعله رغبة فى اكتساب عرض من أعراض الدنيا .

(٥٣) المربى : الزائد ، يقال : أربى فلان على فلان ، أى زاد عليه .

(٥٤) الغاب : جمع غابة ، ويروى الغيل ، وهو مأوى الأسود ، والكريهة : أصلها الشديدة من كل شىء ، وأراد بها هنا الحرب

(٥٥) ولى : هرب ، والضمير المستتر يعود إلى نوفلس ، والخطى : المنسوب إلى الخط ، وهو مرفأ بعمان تنسب إليه الرماح ، والصخب : كثرة الكلام ، يريد أن الخوف أسكته والرعب أمسك بلسانه، ولكن قلبه وأحشاءه فى اضطراب ووجيب .

(٥٦) أحذى : أعطى ، وقرابينه : جمع قربان ، وهو هنا الجليس، سمى بذلك لقرب مجلسه منه ، والردى : الهلاك ، يقول : قد قدم هذا المنهزم جلساءه وأدنى الناس منزلة منه للقتال ، وتركهم ونجا بنفسه .

٥٧ مُوَكَّلاً بيَفَاعِ الأَرْضِ يَشْرُفُهُ مِنْ خِفَّةِ الخَوْفِ لاَ مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ
٥٨ إنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ الظَّلِيمِ فَقَدْ أَوْسَعْتَ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الحَطَبِ
٥٩ تِسْعُونَ أَلفاً كَآسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ
٦٠ يَا رُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتُثَّ دَابِرُهُمْ طَابَتْ وَلَوْ ضُمِّخَتْ بِالْمِسْكِ لَمْ تَطِبِ
٦١ وَمُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ حَيَّ الرِّضَا عَنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الْغَضَبِ

---

(٥٧) يفاع الأرض : ما ارتفع وعلا منها ، و « يشرفه » يروى بوزن ينصر ، ومعناه يعلوه ويصعد فوقه ، ويروى « يشرفه » بضم ياء المضارعة ـ وأصله يشرف عليه ، فحذف حرف الجر ، وأوصل الفعل إلى الضمير ، والطرب ههنا : خفة تعترى الإنسان من شدة الفرح

(٥٨) يعدو : يسير سيرا سريعا ، والضمير فى « حرها » يعود إلى الحرب ، والظليم : ذكر النعام ، وهو مضرب المثل فى سرعة العدو ، وجاحم النار : الذى يسعرها ويذكى لهيبها ، يقول : لقد خلفت جيشك بها يقتلون من فيها فجعلهم حطبا لنيران الحرب .

(٥٩) كان رهبان الروم يقولون : إنا نجد فى كتبنا أنه لا يفتح هذه المدينة إلا ملك يغرس فى ظاهرها شجر التين والكرم ، ثم يقيم هذا الملك حتى يثمر التين والعنب ، فلما سمع المعتصم ذلك أمر أن يغرس فى ظاهرها التين والكرم ، ثم فتح الله عليه قبل أن يثمرا ، واستعار نضج الأعمار للقتل لأنه قرنه بنضج التين والعنب .

(٦٠) الحوباء ـ بفتح الحاء وسكون الواو ـ النفس ، واجتث : قطع ، ودابرهم قيل هو أصلهم ، وقيل : آخرهم ، وضمخت : طليت بالطيب ، وطابت تطيب : من الطيب ، وهو هنا سرور النفس ، ومنه قولهم « طاب محمد نفسا » والنفس المهمومة لا تطيب بفوح شذا الطيب لأن ما بها من الهم يحول دون ذلك .

(٦١) ومغضب : الواو واو رب ، أى ورب مغضب على الكفر رده الظفر =

٦٢ والْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَأْزِقٍ لَجِجٍ تَجْثُو الرِّجَالُ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكَبِ

٦٣ كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَا قَمَرٍ
وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضٍ شَنِبِ

= بهم ، هكذا قال التبريزى ، وقال الخارزنجى : يجوز هذا ، ويجوز أن يكون المعنى : ورب ملك منهم كان مغتاظا مغضبا على المسلمين فأوقعت السيوف به فأحيت رضاه من إهلاكها إياه وأماتت غضبه .

(٦٢) المأزق — بكسر الزاى — المضيق ، وأراد به مكان الواقعة ، ولحج — بحاء ثم جيم — أى ضيق ، وعند التبريزى « لجج » بجيمين ، وهو من قولهم « لجج فى الشىء » إذا نشب فيه فلم يخلص ، من باب تعب، ويفسر بأن من دخل هذا المأزق لا يستطيع الخلاص منه ، ووقع فى بعض النسخ « لجب » ومعناه أنه مضطرب كثير الصخب ، وتجثو : تجلس ، وعند التبريزى « تجثو القيام » وحكى رواية أخرى « تجثو الكماة » والكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع المتغطى بالسلاح ، أى التام العدة ، و « صغرا » رواه التبريزى بالغين المعجمة ، أى صاغرين ، وزعم الصولى أنه بالعين المهملة ، أى متكبرين ، ويروى « جثوا على الركب » ويروى « قسرا على الركب » ومعنى البيت أن القوم يجثون على ركبهم لثقل ما حملوه من أمر الحرب ، وهو من قول الثقفى :

إن حملوا لم نرم مواقفنا وإن حملنا جثوا على الركب

(٦٣) سناها : أراد ضوأها ، والضمير عائد إلى الحرب ، وأراد بقوله « من سنا قمر » من ضوء جارية مثل القمر ، يعنى النساء اللاتى وقعت لهم فى السبى ، وتحت عارضها : أى تحت عارض الحرب التى تمطر المنايا ، وأصل العارض السحاب المعترض فى الأفق ، وفى التنزيل (هذا عارض ممطرنا) وقوله « من عارض شنب » المراد به ذوات الأسنان الباردة المحددة الأطراف ، وهو من أوصاف الجمال عند العرب ، والمعنى أنهم سبوا فى هذه الحرب نساء كثيرات من ذوات الأوجه المضيئة والثغور الباردة .

٦٤ كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِهَا
إِلَى الْمُخَدَّرَةِ الْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ

٦٥ كمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ الهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً تَهْتَزُّ مِنْ قُضُبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثُبِ

٦٦ بِيضٌ إِذَا انْتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ
أَحَقَّ بِالْبِيضِ أَبْدَانًا مِنَ الْحُجُبِ

٦٧ خَلِيفَةَ اللهِ جَازَى اللهُ سَعْيَكَ عَنْ جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ

٦٨ بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

٦٩ إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ
مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ

---

(٦٤) أسباب الرقاب : عروقها ، وأصل الأسباب الحبال ، واحدها سبب ، شبه عروق رقابهم بها ، والمخدرة : أراد بها المرأة التى يضن أهلها بها ولا يبرزونها ، والعذراء : التى لم يمسها أحد ، ويروى « الحسناء » يعنى أن قطع رقاب الفرسان كان سببا إلى سبي النساء .

(٦٥) أحرزت: ملكت، وقضب الهندى: السيوف ، واحدها قضيب ، ومصلتة : أى خارجة من أغمادها مشهورة، وقضب الثانية : جمع قضيب ، وهو الغصن، وأراد بها قامات النساء ، شبهها بالغصون ، والكثب : جمع كثيب ، وأصله القطعة من الرمل ، وتشبه بها أعجاز النساء .

(٦٦) بيض : جمع أبيض ، وهو من أوصاف السيف ، وانتضيت : سلت وأخرجت ، وحجبها : جمع حجاب وأراد به غمد السيف ، وأصل الجمع بضم الحاء والجيم جميعا لكنه سكن الجيم هنا للتخفيف وليتم الوزن ، والبيض الثانية : جمع بيضاء ، وأراد بها النساء ، وأبدانا : تمييز ، ويروى « أترابا » وهو جمع ترب ، وأصله المساوى فى السن ، يريد أحق بالنساء البيض المتساويات فى السن .

(٦٧) جرثومة كل شيء : أصله .

(٦٩) صروف الدهر : أحداثه ونوازله ، والرحم : القرابة والصهر ، والذمام — بالذال المعجمة — الذمة والعهد ، وغير منقضب : غير مقطوع .

٧٠ فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللاَّتِي نُصِرْتَ بِهَا وَبَيْنَ أَيامِ بَدْرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ
٧١ أَبْقَتْ بَنِي الأَصْفَرِ المِصْفَرِّ كَاسْمِهِمِ
صُفْرَ الوُجُوهِ ، وَجَلَتْ أَوْجُهَ العَرَبِ

* * *

(٥)

وقال يمدح عُمر بن طَوْق التغلبي :

١ أَحْسِنْ بِأَيَّامِ العَقِيقِ وَأَطْيِبِ وَالعَيْشِ فِي أَظْلاَلِهِنَّ المُعْجِبِ

---

(٧١) بنو الأصفر : هم الروم ، يسميهم العرب بهذا الاسم ، وروى التبريزى « المراض » فى مكان « المصفر » والمراض : الكثير المرض ، وجلت أوجه العرب : كشفتها وأوضحتها ، يقول : إن المواقع التى خضت غمارها قد أبقت الروم فى أسقام وأوجاع لابرء لهم منها ، وقد أقامت الشواهد على بسالة العرب وشجاعتها وأقامت لهم بناء الفخار والمجد شامخ الذرى رفيع العماد .

(٥)

وقعت هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ٥ لكنها متأخرة عن هذا الموضع بعد القصيدة التى يقولها فى مدح مالك بن طوق التغلبى ، وهو أبو عمر بن طوق بن مالك بن طوق .

(١) العقيق : اسم موضع بعينه ، وأصله الوادى ، و « أحسن » فعل تعجب جاء على صورة فعل الأمر ، ومثله « أطيب » ومعناها ما أحسن الأيام التى قضيناها فى العقيق وما أطيب ذكرياتها ، و « العيش » معطوف على أيام العقيق ، والأظلال : جمع ظل ، ويروى «فى أفيائهن» جمع فيء بمعنى الظل ،ويروى«فى أطرافهن» وتفسر أطرافهن بالغدوات والآصال والعشيات والأسحار ، والمعجب : وصف للعيش . يتعجب من حسن الأيام التى قضاها فى العقيق ومن طيبهن، ومن العيش الناعم الذى كان يعيشه هنالك .

٢ وَمَصِيفهنَّ الْمُسْتَظِلُّ بِظِلِّهِ سِرْبُ الْمَهَى وَرَبِيعِهِنَّ الصَّيِّبِ
٣ أُصُلٌ كَبُرْدِ الْعَصْبِ نِيطَ إِلَى الضُّحَى
عَبِقٍ بِرَيْحَانِ الرِّيَاضِ مُطَيَّبِ
٤ وَظِلاَلِهِنَّ الْمُشْرِقَاتِ بِخُرَّدٍ بِيضٍ كَوَاعِبَ غَامِضَاتِ الْأَكْعُبِ
٥ وَأَغَنَّ مِنْ دُعْجِ الظِّبَاءِ مُرَبَّبٍ بُدِّلْنَ مِنْهُ أَغَنَّ غَيْرَ مُرَبَّبِ

---

(٢) المصيف : يطلق على وقت الصيف ، وعلى المكان الذى ينزل فيه القوم فى أيام الصيف ، والسرب – بكسر السين وسكون الراء – جماعة الظباء والبقر ، والمهى : جمع مهاة ، وهى فى الأصل البقرة من بقر الوحش ، وأراد النساء الشبيهات بالبقر فى سعة العيون ، والربيع الصيب : الممطور ، والمصيف معطوف على أيام العقيق ، والمستظل نعت للمصيف ، وسرب فاعل المستظل ، وربيعهن معطوف على مصيفهن .

(٣) الأصل – بضم الهمزة والصاد جميعاً – جمع أصيل ، وهو الوقت من بعد العصر إلى المغرب ، وبرد العصب – بفتح العين وسكون الصاد – ضرب من الثياب اليمانية منقوش ، ونيط : علق ، وعبق – بوزن كتف – منتشر الريح ، وأصله نعت للأصل ، لكنه لما شبهه ببرد العصب أجراه عليه ، ومطيب : نعت ثان .

(٤) وظلالهن : عطف على « مصيفهن » فى البيت الثانى ، والخرد : جمع خريدة ، وأصل الخريدة اللؤلؤة التى لم تثقب ، وتستعار للمرأة ، والكواعب : جمع كاعب ، وهى التى برز نهدها ، وقوله « غامضات الأكعب » كنى به عن سمن سوقهن وامتلائها باللحم حتى لا تظهر كعوبهن .

(٥) الأغن : الذى فى صوته غنة ، وهى مما يتمدح به ، ودعج : جمع دعجاء أو أدعج ، وهو الوصف من الدعج – بفتح الدال والعين جميعا – وهو شدة سواد العين مع سعتها ، ومربب : أراد أنه أليف لا يبرح منزله ، لأنه قصد نساء لهن هذه الصفات ، والأغن غير المربب : الظباء النافرة التى لا تألف البيوت . يقول : كان العقيق مسكنا للفتيات الدعج الشبيهات بالظباء فصارت مسكنا للظباء ، يعنى خلا من السكان .

٦ لِلّهِ لَيْلَتُنَا ، وَكَانَتْ لَيْلَةً ذُخِرَتْ لَنَا بَيْنَ اللِّوَى فالشُّرَيْبِ

٧ قَالَتْ وَقَدْ أَعْلَقْتُ كَفِّي كَفَّهَا حِلاًّ ، وَمَا كُلُّ الْحَلَالِ بِطَيِّبِ

٨ فَنَعِمْتُ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ نُورِهَا ، فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحْجَبِ

٩ وَإِذَا رَنَتْ خِلْتَ الظِّبَاءَ وَلَدْنَهَا رِبْعِيَّةً وَاسْتُرْضِعَتْ فِي الرَّبْرَبِ

١٠ إِنْسِيَّةٌ إِنْ حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا جِنِّيَّةُ الأَبَوَيْنِ مَا لَمْ تُنْسَبِ

١١ قَدْ قُلْتُ لِلزَّبَّاءِ لَمَّا أَصْبَحَتْ فِي حَدِّ نَابٍ لِلزَّمَانِ وَمِخْلَبِ

١٢ لِمَدِينَةٍ عَجْمَاءَ قَدْ أَمْسَى الْبِلَى فِيهَا خَطِيباً بِاللِّسَانِ الْمُعْرِبِ

١٣ فَكَأَنَّمَا سَكَنَ الْفَنَاءُ عِرَاصَهَا أَوْ صَالَ فِيهَا الدَّهْرُ صَوْلَةَ مُغْضَبِ :

---

(٦) أصل اللوى : مسترق الرمل ، وقد يكون اسم مكان بعينه ، والشريب : جبل فى ديار بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ويروى « فالعليب » وهو اسم واد ، وينكر كثير من العلماء استعماله بأل .

(٧) حلا : أى حلالا .

(٨) بدت : ظهرت ، يعنى أن نورها يخترق الحجب .

(٩) رنت : نظرت ، ربعية : من نتاج الربيع ، وهو أجمل النتاج وأحسنه ، والربرب : أصله القطيع من بقر الوحش، يريد أنها جمعت بين محاسن الظباء ومفاتن البقر الوحشية .

(١٠) يريد أنها إذا نسبت تبين أنها من بنات الإنس ، وإذا لم تنسب حسبها الرائى جنية ، وذلك كناية عن كونها بارعة الحسن فائقة الجمال ، لأنهم ينسبون إلى الجن كل ما راقهم، لعظم الجن فى أنفسهم .

(١١) الزباء ، هنا : مدينة خربة على شط الفرات .

(١٢) عجماء : لا ينطق فيها ناطق ، أى ليس بها سكان ، لكن آثار البلى واضحة جلية تعرب عما أصابها .

(١٣) العراص : جمع عرصة، وهى ساحة الدار ، وصال : سطا وقهر وغلب، والبيت ١٤ مقول القول .

١٤ لَكِنْ بَنُو طَوْقٍ وَطَوْقٌ قَبْلَهُمْ شَادُوا الْمَعَالِيَ بِالثَّنَاءِ الأَغْلَبِ
١٥ فَسَتَخْرَبُ الدُّنْيَا وأَبْنِيَةُ الْعُلَى وَقِبَابُهَا جُدُدٌ بِهِمْ لَمْ تَخْرَبِ
١٦ رُفِعَتْ بِأَيَّامِ الطِّعَانِ وغُشِّيَتْ رَقْرَاقَ لَوْنٍ بِالسَّمَاحَةِ مُذْهَبِ
١٧ يَا طَالِبًا مَسْعَاتَهُمْ لِتَنَالَهَا هَيْهَاتَ مِنْكَ غُبَارُ ذَاكَ الْمَوْكِبِ
١٨ أَنْتَ الْمُعَنَّى بِالْغَوَانِي تَبْتَغِي أَقْصَى مَوَدَّتِهَا بِرَأْسٍ أَشْيَبِ
١٩ وَطِئَ الْخُطُوبَ وَكَفَّ مِنْ غُلَوَائِهَا عُمَرُ بْنُ طَوْقٍ نَجْمُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ
٢٠ مُلْتَفُّ أَعْرَاقِ الْوَشِيجِ إِذَا انْتَمَى يَوْمَ الْفَخَارِ ثَرِيُّ تُرْبِ الْمَنْصِبِ
٢١ فِي مَعْدِنِ الشَّرَفِ الَّذِي مِنْ حَلْيِهِ سُبِكَتْ مَكَارِمُ تَغْلِبَ ابْنَةِ تَغْلِبِ

---

(١٥) القباب : جمع قبة، وجدد : جمع جديد أو جديدة ، والضمير فى «قبابها» يعود إلى أبنية العلى التى شادوها

(١٦) يقول : رفعت أبنية علاهم بحروبهم ، وغشيت من سماحتهم وجودهم لونا مذهبا زاهيا .

(١٧) المسعاة : المكرمة التى يسعى لها الساعون ، وأكثر ما تستعمل فى المكارم العظيمة التى تصعب إلا على الأمجاد ، وهيهات : بعد ، وإذا بعد عنه غبار موكبهم فهم أنفسهم أشد بعدا ، لأن الغبار يكون وراءهم .

(١٨) أنت المعنى بالغوانى : يريد أن حال طالب مساعيهم كحال رجل وخط الشيب رأسه راح يتودد إلى الغوانى فلا يمكن أن يستجبن له .

(١٩) الخطوب : جمع خطب ، وهو الشديد من الأحداث ، ووطئها : كناية عن التغلب عليها وتذليلها ، لأن من وطىء شيئا بقدمه أهانه ، وكف : منع ، وغلواؤها : ارتفاعها وتجاوزها .

(٢٠) أكثر ما يستعمل الوشيج فى الرماح ، وانتمى : انتسب ، وثرى ترب المنصب : أى كثير ، فهو على هذا مأخوذ من الثراء ، أو هو بمعنى ند بلبل ، وهذا أنسب بالتراب ، والمنصب : الأصل . يريد أن قومه سادة شجعان كرام .

٢٢ قَدْ قُلْتُ فِي غَسَقِ الدُّجَى لِعِصَابَةٍ طَلَبَتْ أَبَا حَفْصٍ : مُنَاخَ الأَرْكُبِ
٢٣ الْكَوْكَبُ الْجُشَمِيُّ نصب عُيُونِكُمْ
فَاسْتَوْضِحُوا بِضِيَاءِ ذَاكَ الْكَوْكَبِ
٢٤ يُعْطِي عَطَاءَ الْمُحْسِنِ الْخَضِلِ النَّدَى
عَفْوًا ، وَيَعْتَذِرُ اعْتِذَارَ الْمُذْنِبِ
٢٥ وَمُرَحِّبٍ بِالزَّائِرِينَ ، وَبِشْرُهُ يُغْنِيكَ عَنْ أَهْلٍ لَدَيْهِ وَمَرْحَبِ
٢٦ يَغْدُو مُؤَمِّلُهُ إِذَا مَا حَطَّ فِي أَكْنَافِهِ رَحْلَ الْمُكِلِّ الْمُلْغِبِ

---

(٢٢) غسق الدجى : يروى فى مكانه « غلس الدجى » أى عند اشتداد الظلام والمناخ – بضم الميم – مكان الإناخة ، والإناخة : الإقامة ، والأركب : جمع ركب ، وانتصاب «مناخ» على أنه مفعول لفعل محذوف : أى ائت أو اقصد ، أو نحو ذلك ، يريد اقصد المكان الذى يقيم فيه الوافدون وطالبو المعروف لترى كم يقصده من الناس ، وكم يعطى من عظيم العطايا .

(٢٣) الجشمى : المنسوب إلى جشم – بضم الجيم وفتح الشين – وهو جشم ابن بكر بن تغلب .

(٢٤) عفوا : أى بدون مسألة ، يريد أنه يعطى معتفيه بدون أن يحوجهم إلى سؤاله عطاء كثيرا ، ومع هذا يعتذر إليهم ويظهر لهم أنه مقصر كأنما هو مذنب .

(٢٥) مرحب بالزائرين : قائل لهم مرحبا ، أى نزلتم منزلا رحبا فسيحا لا يضيق بنازليه ، وبشره : طلاقة وجهه ، وقوله « يغنيك عن أهل ومرحب » يجوز أن يراد به أن طلاقة وجهه تغنى النازلين به عن أهلهم وعن المنازل الرحبة التى يتوقعونها ، ويجوز أن يراد به أنه يغنيهم عن أن يقول لهم : أهلا ومرحبا .

(٢٦) مؤمله : راجى معروفه ومتوقع جوده وبره ، وأكنافه : جمع كنف ، وهو جهته وناحيته ، ويروى فى مكانه « أفنائه » جمع فناء ، ورحل المكل : مفعول حط ، والمكل : اسم الفاعل من « أكل الراكب دابته » أى أجهدها وأتعبها ، والملغب : اسم الفاعل من « ألغب ركوبته » أى بلغ منها غاية الإعياء ، وعلى هذا يكون تمام المعنى فى البيت الذى يليه ، وهذا هو التضمين الذى يعيبه النقاد .

٢٧ سَلِسَ اللُّبَانَةِ وَالرَّجَاءِ بِبَابِهِ كَثَبُ المُنَى مُمْتَدُّ ظِلِّ المَطْلَبِ
٢٨ اَلمَجْدُ شِيمَتُهُ وَفِيهِ فُكَاهَةٌ سُجُحٌ، وَلاَ جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ
٢٩ شَرِسٌ، وَيُتْبِعُ ذَاكَ لِينَ خَلِيقَةٍ
لاَ خَيْرَ فِي الصَّهْبَاءِ مَا لَمْ تُقْطَبِ
٣٠ صُلْبٌ إِذَا اعْوَجَّ الزَّمَانُ وَلَمْ يَكُنْ
لِيُلِينَ صُلْبَ الخَطْبِ مَنْ لَمْ يَصْلُبِ
٣١ الْوُدُّ لِلْقُرْبَى، وَلَكِنْ عُرْفُهُ لِلأَبْعَدِ الأَوْطَانِ دُونَ الأَقْرَبِ

---

(٢٧) سلس : أى سهل ، واللبانة ــ بضم اللام ــ الحاجة ، وكثب المنى : قريبها ، وممتد ظل المطلب : أى باب المطالب عنده واسع لا يضيق على قاصد ، وعلى ما ذكرنا فى شرح البيت السابق يكون « سلس اللبانة » خبر يغدو ، وهى بمعنى صار ، وتعمل عملها ، وجوز شراحه أن يكون « سهل اللبانة » من أوصاف الممدوح ، أى أن أصحاب الحاجات يجدون حاجاتهم عنده سهلة ميسورة ، ويكون البيت السابق تاما بنفسه ، وعليه يقرأ « سلس » بالرفع .

(٢٨) الشيمة ــ بكسر الشين ــ الخلق والعادة والسجية والطبيعة ، والسجح : اللين السهل ، ويروى فى مكانه « سمح » يقول : إن فيه مزاحا ولعبا يستعين بهما على الجد فى الأمور .

(٢٩) الصهباء : الخمر ، وقطبها : مزجها . يقول : إن فيه مع لينه وسهولته شراسة وشدة ، ولا يصلح أحدهما إلا بالآخر ، كما لا تصلح الخمر إلا إذا مزجت .

(٣٠) هذا البيت فى معناه من توابع معنى البيت السابق ، والصلب : الشديد ، يريد أنه إذا نزلت خطوب الدهر كان صلبا قويا ، ولن يتمكن أحد من قهر الزمان والغلبة عليه إلا إذا كان قوى الشكيمة صعب المراس .

(٣١) يعنى أنه يخص قرابته بالود والمحبة دون العطاء ؛ لأنهم فى غير حاجة إلى العطاء ، وأما معروفه وعطاؤه فهو مبذول لمن ليس بينه وبينه نسب ، وقد أطال الآمدى (الموازنة ١٥٥ بتحقيقنا) فى نقد هذا البيت .

٣٢ وَكَذَاكَ عَتَّابُ بْنُ سَعْدٍ أَصْبَحُوا وَهُمُ زِمَامُ زَمَانِنَا الْمُتَقَلِّبِ

٣٣ هُمْ رَهْطُ مَنْ أَمْسَى بَعِيدًا رَهْطُهُ وَبَنُو أَبِي رَجُلٍ بِغَيْرِ بَنِي أَبِ

٣٤ وَمُنَافِسٍ عُمَرَ بْنَ طَوْقٍ مَالَهُ مِنْ ضِغْنِهِ غَيْرُ الْحَصَى وَالإِثْلِبِ

٣٥ تَعِبُ الْخَلَائِقِ وَالنَّوَالِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُسْتَرِيحِ الْعِرْضِ مَنْ لَمْ يَتْعَبِ

٣٦ يَشْحُو بِهِ فِي الْمَجْدِ أَشْرَقَ وَجْهُهُ لَا يَسْتَنِيرُ فَعَالُ مَنْ لَمْ يَشْحُبِ

٣٧ بَحْرٌ يَطِمُّ عَلَى الْعُفَاةِ وَإِنْ تَهِجْ رِيحُ السُّؤَالِ بِمَوْجِهِ يَغْلَوْلِبِ

---

(٣٢) عتاب بن سعد : من بنى تغلب وهم رهط الممدوح ، وزمام زماننا : يروى فى مكانه « عقال زماننا » والمعنى قريب .

(٣٣) رهط الرجل : قومه وأهله الأدنون ، يريد أن هؤلاء القوم يعتز بهم الذليل ويقوى بهم الضعيف .

(٣٤) المنافس : الذى يحاول أن يصنع مثل صنعه ، والضغن : الحقد والبغضاء ، ويروى « ماله من صنعه » والإثلب ــ بوزن زبرج أو جعفر ــ الحصى المخلوط بالتراب ، يريد أن كل من يحاول أن يجاريه يرجع بالخيبة ، وكنى عن الخيبة بما ذكر من الحصى والإثلب .

(٣٥) الخلائق : جمع خليقة ، وهى الطبيعة ، والنوال : العطاء ، والعرض : موضع المدح والذم من الإنسان ، يقول : إنه مجبول على السعى والدأب فى تحصيل المجد ، وإنه يبذل العطاء الجم ليريح عرضه فلا يرمى بالقصور أو التقصير .

(٣٦) الشحوب : مصدر « شحب لونه يشحب » إذا تغير من مرض أو ضعف أو تعب ، وأشرق وجهه : تهلل .

(٣٧) يطم : يعلو ماؤه ويزبد ، والعفاة : جمع عاف وهو طالب العطاء ، ويغلولب : يغلب ، والحروف الزائدة فى هذه الكلمة يراد بزيادتها زيادة المعنى والمبالغة فيه .

٣٨ وَالشَّوْلُ ماحُلِبَتْ تَدَفَّقَ رِسْلُها وَتَجِفُّ دِرَّتُهـا إِذَا لَمْ تُحْلَبِ

٣٩ يا عَقْبَ طَوْقٍ أَيُّ عَقْبِ عَشِيرَةٍ أَنتُم ؟ ورُبَّتَ مُعْقِبٍ لَمْ يُعْقِبِ

٤٠ قَيَّدْتُ مِنْ عُمَرَ بْنِ طَوْقٍ هِمَّتِي بالْحُوَّلِ الثَّبْتِ الْجَنَـانِ الْقُلَّبِ

٤١ نَفَقَ الْمَدِيحُ بِبَابِهِ فكَسَوْتُهُ عِقْدًا مِنَ الْيَاقُوتِ غَيْرَ مُثَقَّبِ

٤٢ أَوْلَى الْمَدِيحِ بأَنْ يَكُونَ مُهَذَّبًا ما كَانَ مِنْهُ فِي أَغَرَّ مُهَذَّبِ

٤٣ غَرُبَتْ خَلَائِقُهُ وَأَغْرَبَ شاعِرٌ فِيهِ ، فأحْسَنَ مُغْرِبٌ فِي مُغْرِبِ

٤٤ لما كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقٍ حَقٍّ ، فَلَمْ آثَمْ وَلَمْ أَتَحَوَّبِ

---

(٣٨) الشول : جمع شائلة ، وهى الناقة مضى على نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية ، ورسلها : لبنها ، يقول : إن الناقة تجود باللبن ما داوم أصحابها على حلبها ، فإذا تركوا حلبها جف لبنها ، وضرب هذا مثلا للممدوح لأنه لا لذة له إلا البذل والعطاء ، فإذا لم يرد عليه من يعطيه تألم ونكد عيشه .

(٣٩) عقب الرجل — بفتح العين وكسر القاف — ولده ، وسكن قافه للتخفيف وليستقيم له الوزن ، و « أى عقب عشيرة أنتم » استفهام يراد به تفخيم شأنهم وتعظيمه ، وربت معقب لم يعقب : يريد أن كثيرا من الناس قد خلفوا أولادا ليسوا من صفات المجد ومكارم الأخلاق فى شىء ، فكأنهم لم يخلفوا أحدا .

(٤٠) قيدت همتى به : وقفتها عليه ولم أوجهها إلى غيره ، والحول : الذى يحتال للأمور ، والقلب : الذى يقلب الأمور على وجوهها حتى يصيب منها ما يقتضيه الرأى ، ويقال « فلان حول قلب » إذا كان حازما جيد الرأى .

(٤١) نفق المديح ببابه : راج عنده ، لأنه يعطى العطاء الجزيل فيقصده الشعراء كثيرا .

(٤٤) لم آثم : لم أفعل إثما ، ويروى فى مكانه « فلم أظلم » ولم أتحوب : لم آت بحوب ، والحوب — بضم الحاء — الإثم .

* * *

٤٥ وَمَتَى مَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى يَضِقْ
عَنِّى لَهُ صِدْقُ المَقَـــــالَةِ أَكْذِبِ

* * *

(٦)

وقال يمدح الحسن بن سَهْلٍ

١ أَبْدَتْ أَسًى أنْ رَأَتنِي مُخْلِسَ الْقَصَبِ
وَآلَ ما كَانَ مِنْ عُجْبٍ إلَى عَجَبِ

٢ سِتٌّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِى فأَتْبَعُهَا
إلَى المَشِيبِ وَلَمْ تَظْلِمْ وَلَمْ تَحُبِ

---

(٦)

تتقدم فى شرح التبريزى الـكلمة الواردة برقم ١٦ فى نسختنا على هذه القصيدة ، وهى أيضا فى مدح الحسن بن وهب .

(١) أبدت : أظهرت ، والأسى : الحزن ، و « أن » بفتح الهمزة على تقدير لام التعليل ، ومخلس : اسم الفاعل من قولهم « أخلس شعر فلان » إذا كان بعضه أبيض وبعضه أسود ، والقصب — بفتح القاف والصاد جميعا — جمع قصبة — بفتح فسكون — وهى الخصلة من الشعر ، وآل : رجع ، والعجب — بضم العين وسكون الجيم — الإعجاب وحسن التقدير ، والعجب — بفتح العين والجيم جميعا — الإنـكار ، يقول : لما رأت شيب شعرى حزنت ، وعاد إعجابها بى وحسن تقديرها لى إنـكارا على .

(٢) لم تحب : لم تأثم ، يقول: إن ما مضى من عمرى على قلته لا ينـكر معه شيبى لأنى قاسيت من أهوال الدهر مالا يحتمله أحد .

٣ يَوْمِي مِنَ الدَّهْرِ مِثْلُ الدَّهْرِ مُشْتَهِرٌ
عَزْماً وَحَزْماً ، وَسَاعِي مِنْهُ كالحِقَبِ

٤ فأَصْغِرِى أنَّ شَيْباً لاَحَ بِى حَدَثاً وأكْبِرِى أنَّنِي فِى الْمَهْدِ لم أَشِبِ

٥ فَلاَ يُؤَرِّقْكِ إِيمَاضُ القَتِيرِ به فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرأى وَالأَدَبِ

٦ رَأَتْ تَغَيُّرَهُ فاهْتَاجَ هَائِجُهَا وَقَالَ لاَ عِجُهَا لِلْعَبْرَةِ : انْسَكِبِى

٧ لاَ يَطْرُدُ الهَمَّ إلاَّ الْهَمُّ مِنْ رَجُلٍ مُقَلْقِلٍ لِبَنَاتِ الْقَفْرَةِ النُّجُبِ

٨ مَاضٍ إِذَا الهِمَمُ التفَّتْ رَأَيْتَ لهُ
بِوَخْدِهِنَّ اسْتِطَالاَتٍ عَلَى النُّوَبِ

---

(٣) الساع : جمع ساعة ، والحقب : جمع الحقبة ـ بكسر الحاء وسكون القاف ـ وهى السنة ، أو المدة من الدهر لا تحديد لها ، يقول : إن ما مر بى من الزمن طويل غاية فى الطول ، لأن ما ألاقيه فى اليوم الواحد يعادل ما يلاقيه غيرى فى دهر ، وما يمر فى الساعة أكثر مما يكابده سواى فى سنة .

(٤) أصغرى : أى عديه صغيرا ، ولاح : ظهر ، وحدثا : حال من ياء المتكلم ، أى استصغرى ما ترينه من شيب رأسى على حداثة سنى ، وأكبرى : عديه كبيرا ؛ أى تعجبى واستكبرى أنى لم أشب وأنا طفل فى المهد .

(٥) أرقه : أسهره ومنعه النوم ، والقتير : الشيب ، وإيماضه : لمعانه ، يقول : لا يؤرق جفنك ولا يمنعك النوم ظهور المشيب فى رأسى ، لأنه علامة من علامات جودة الرأى .

(٦) يروى «تشننه» فى مكان تغيره ، وأراد ضعف جلده حتى لكأنه شن وهو القربة الخلقة ، واهتاج : ثار ، ولا عجها : حزنها ، وكل مايؤثر فى القلب من حزن أو حب فهو لاعج ، والعبرة ـ بفتح فسكون ـ : الدمعة ، وانسكبى : تدفقى وسيلى .

٩ لاَ تُنْكِرِى مِنْهُ تَخْدِيداً تَجَلَّلَهُ
فَالسَّيْفُ لاَ يُزْدَرَى إِنْ كَانَ ذَا شُطَبِ

١٠ سَتُصْبِحُ العِيسُ بِي وَاللَّيلِ عِنْدَ فَتًى
كَثِيرِ ذِكْرِ الرِّضَى فِي سَاعَةِ الغَضَبِ

١١ صَدَفْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِفْ مَوَاهِبُهُ عَنِّي ، وَعَاوَدَهُ ظَنِّي وَلَمْ يَخِبِ

١٢ كَالْغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَافَاكَ رَيِّقُهُ وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ

١٣ خَلاَئِقَ الحَسَنِ استَوْفِي الْبَقَاءَ ؛ فَقَدْ
أَصْبَحْتِ قُرَّةَ عَيْنِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ

١٤ كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ أَخْلاَقِهِ أَبَدًا وَإِنْ ثَوَى وَحْدَهُ فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

---

(٩) تخديدا : تشققا ، ولا يزدرى : لايعاب ولا يحتقر ، وشطب السيف : طرائقه ، واحدها شطبة .

(١٠) العيس : جمع أعيس أو عيساء ، وهى الإبل التى يعلو بياضها شقرة .

(١١) صدفت عنه : عدلت عنه وملت ، وقوله « فلم تصدف مواهبه » يروى فى مكانه «فلم تصدف مودته» والمواهب: جمع موهبة ، وعاوده ظنى : تكرر عليه ، يريد أنه كلما أمله صدق ظنه وعاد عليه بمعروفه .

(١٢) ريق المطر – بفتح الراء وتشديد الياء مكسورة – أوله ، وقوله « وإن ترحلت عنه » يروى فى مكانه « وإن تحملت عنه » يقول : هو جواد كالغيث إن قصدت ناحيته وافاك أول مائه وإن رحلت عنه تبعك ، ويروى « كان فى الطلب » ويروى « جد فى الطلب » .

(١٤) الجحفل : الجيش الكثير العدد ، واللجب : الكثير الأصوات ، جعله من سعة خلقه وكثرة صبره على النوائب واحتماله المكاره فى مثل العسكر الكثير .

١٥ صِيغَتْ لَهُ شِيمَةٌ غَرَّاءُ مِنْ ذَهَبٍ لَكِنَّهَا أَهْلَكُ الأَشْيَاءِ لِلذَّهَبِ

١٦ لَمَّا رَأَى أَدَبًا فِي غَيْرِ ذِي كَرَمٍ قَدْ ضَاعَ أَوْ كَرَمًا فِي غَيْرِ ذِي أَدَبِ

١٧ سَمَا إِلَى السُّورَةِ العَلْيَاءِ فَاجْتَمَعَا فِي فِعْلِهِ كَاجْتِمَاعِ النَّوْرِ وَالعُشُبِ

١٨ بَلَوْتُ مِنْهُ وَأَيَّامِي مُذَمَّمَةٌ مَوَدَّةً وُجِدَتْ أَحْلَى مِنَ الشَّنَبِ

١٩ مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبٍ مَاضٍ ، كَفَى سَبَبًا
لِلْحُرِّ أَنْ يَعْتَفِي حُرًّا بِلَا سَبَبِ

* * *

---

(١٥) شيمة : خلق وطبيعة ، يقول : طبائعه لكونها خالصة من اللؤم كأنها مصوغة من الذهب النقى الصافى من الكدر ، وهى ـ مع ذلك ـ أشد الأشياء إهلاكا للذهب بسبب كثرة عطاياه .

(١٧) سما : ارتفع وعلا ، والسورة ـ بضم السين أو فتحها ـ المنزلة الرفيعة ، والنور ـ بالفتح ـ الزهر .

(١٨) بلوت : اختبرت ، وقوله « وأيامى مذممة » الواو للحال ، ويروى فى مكانه « وأخلاق مذممة » وقوله « أحلى من الشنب » فالشنب ـ بفح الشين والنون جميعا ـ رقة الثغر وصفاؤه وجماله ، ووقع فى شرح التبريزى « أحلى من النشب » بتقديم النون ، ويروى « أحلى من الضرب » وهو العسل ، ويروى « أدنى من النسب » .

(١٩) « ما » فى قوله « من غير ما سبب » زائدة ، وقد سكن الياء فى « أن يعتفى » وحقها الفتح ، للضرورة ، وكثيرا مايصنع أبو تمام ذلك ، وانظر البيت ١٩ من القصيدة ٧ .

* * *

(٧)

وقال يمدحه أيضاً :

١ أَأَيَّامَنَا مَا كُنْتِ إلاَّ مَوَاهِباً ... وَكُنْتِ بِإسْعَافِ الحَبِيبِ حَبَائِبَا

٢ سَنُغْرِبُ تَجْدِيدًا لِعَهْدِكِ فِي الْبُكَى ... فَمَا كُنْتِ فِي الأَيَّامِ إلاَّ غَرَائِبَا

٣ وَمُعْتَرَكٍ لِلشَّوقِ أَهْدَي بِهِ الْهَوَى ... إلَى ذِي الْهَوَى نُجْلَ الْعُيُونِ رَبَائِبَا

٤ كَوَاعِبُ زَارَتْ فِي لَيَالٍ قَصِيرَةٍ ... تَخَيَّلْنَ لِي مِنْ حُسْنِهِنَّ كَوَاعِبَا

---

(٧)

تقع هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ١٠ ، وفى بعض النسخ « يمدح الحسن بن رجاء » .

(١) مواهب : جمع موهبة ، وإسعاف الحبيب : من إضافة المصدر إلى فاعله : أى بإسماحه ورضاه ، وزعم التبريزى أن التقدير بإسعافك الحبيب ، وما ذكرناه أحسن ، يريد أن هذه الأيام لم تكن عنده كغيرها من الأيام ، وإنما كانت من نعم الله وعطاياه المستوجبة للشكر ، وكانت محبوبة بسبب مواصلة الحبيب .

(٢) سنغرب فى البكى : نبالغ فيه ، كلما تذكرنا ما كنا فيه وقابلناه بما نحن فيه الآن أغرقنا فى البكاء .

(٣) أصل المعترك : المكان الذى يعترك فيه المتحاربان ، وجعله هنا معتركا للشوق على التشبيه والاستعارة ، ونجل العيون : جمع نجلاء ، وهى الواسعة ، فالإضافة من إضافة الصفة للموصوف ، أى العيون النجل ، وربائبا : جمع ربيبة ، وهى فى الأصل المقيمة فى البيت لاتبرحه ، والمراد اللاتى حسنت مراعاتهن والقيام عليهن .

(٤) كواعب : جمع كاعب وهى التى برز نهدها ، يقول : لإعجابى بهذه الأيام وتعلقى بها خيل إلى أنهن كواعب .

٥ سَلَبْنَ غِطَاءَ الْحُسْنِ عَنْ حُرِّ أَوْجُهٍ تَظَلُّ لِلُبِّ السَّالِبِيهَا سَوَالِبَا

٦ وُجُوهٌ لَوَ انَّ الأَرْضَ فِيهَا كَوَاكِبٌ
تَوَقَّدُ لِلسَّارِى لَكَانَتْ كَوَاكِبَا

٧ سَلِى هَلْ عَمَرْتُ الْقَفْرَ وَهْىَ سَبَاسِبٌ
وَغَادَرْتُ رَبْعِى مِنْ رِكَابِى سَبَاسِبَا

٨ وَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَّقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا

٩ خُطُوبٌ إِذَا لاَقَيْتُهُنَّ رَدَدْنَنِى جَرِيحًا كَأَنِّى قَدْ لَقِيتُ كَتَائِبَا

١٠ وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوَائِبِ أَصْبَحَتْ خَلاَئِقُهُ طُرًّا عَلَيْهِ نَوَائِبَا

١١ وَقَدْ يَكْهَمُ السَّيْفُ الْمُسَمَّى مَنِيَّةً وَقَدْ يَرْجِعُ الْمَرْءُ الْمُظَفَّرُ خَائِبَا

---

(٥) حر الوجه : الظاهر منه ، واللب ــ بضم اللام وتشديد الباء ــ العقل ، وسوالب : جمع سالبة ، وقوله « سلبن غطاء الحسن عن حر أوجه » مراده به أنهن سفرن .

(٦) توقد : أصله تتوقد ، فحذف إحدى التاءين ، والسارى : السائر ليلا ، ويروى « لكن كواكبا » .

(٧) السباسب : جمع سبسب ، وهو القفر الذى لا عشب فيه ولا ماء . يقول : عمرت القفار بسفرى فيها ، وتركت منزلى قفرا موحشا لأنى فارقته .

(٩) الخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر العظيم والحادث الجسيم، والكتائب : جمع كتيبة ، وهى القطعة من الخيل أو الجيش .

(١٠) طرا : أى جميعا ، ويروى « جمعا عليه » يقول : من غالب الأيام ولم ينقد لأحكامها كانت أخلاقه نفسها من أعوان النوائب عليه .

(١١) كهم السيف ــ من باب فرح ــ كهامة وكهومة : كل عن ضريبته ، والمنية : الموت .

١٢ فآفَةُ ذَا أنْ لا يُصادِفَ مضرباً وَآفَةُ ذَا أَنْ لاَ يُصَادِفَ ضَارِبَا
١٣ وَملآنَ مِنْ ضِغْنٍ كَوَاهُ توَقُّلِي إلَى الهِمَّةِ الْعُلْيَا سَنَامًا وَغارِبَا
١٤ شَهِدْتُ جَسِيمَاتِ الْعُلَى وَهْوَ غائِبٌ
وَلَوْ كَانَ أيْضاً شَاهِدًا كانَ غائِبَا
١٥ إلَى الحَسَنِ اقْتَدْنَا رَكَائِبَ صَيَّرَتْ
لَهَا الْحَزْنَ مِنْ أَرْضِ الْفَلاَةِ رَكَائِبَا
١٦ نَبَذْتُ إلَيْهِ هِمَّتِي فَكَأَنَّمَا كَدَرْتُ بِهِ نَجْمًا عَلَى الأرْضِ ثاقِبَا

---

(١٢) المضرب : حد السيف إن قرأته بوزن مسجد ، فإن قرأته بوزن منبر فهو السيف . يريد أن آفة الرجل الظافر ألا يجد سيفا قاطعا يضرب به فيعلن عن شجاعته ، وآفة السيف ألا يجد رجلا شجاعا يستعمله ليظهر مضاؤه ، ويروى فى صدره « ألا يصادف راميا » .

(١٣) وملآن : الواو واو رب ، والضغن ـ بكسر فسكون ـ الحقد ، وكواه : أشعل فى صدره نار العداوة والحسرة ، وتوقلى : أى ارتفاعى إلى ذروة المجد ، وأصله قولهم « توقلت فى الجبل » أى ارتفعت وصعدت ، وأصل السنام سنام البعير ، والغارب : ما قدام السنام من البعير ، ثم استعير السنام والغارب لكل ما ارتفع من كل شىء ، ويروى « إلى الهمة القعسا » وأصله القعساء ، فقصره .

(١٤) جسيمات العلى : ضخامها وكبارها .

(١٥) الركائب : جمع ركوبة ، وقوله « لها الحزن » يروى فى مكانه « لنا الحزن » ويروى « لها البيد » والحزن : ماغلظ واشتد وعلا من الأرض ، والبيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء ، سميت به لأن سالكها يبيد أى يهلك .

(١٦) نبذت : طرحت ، وكدرت النجم : قضضته ، فانكدر هو : أى انقض ، وفى التنزيل الكريم (وإذا النجوم انكدرت) والنجم الثاقب : المضىء ، أو المرتفع ، والأول أنسب بالنجم . يقول : طرحت لهذا الممدوح همتى وعلقت به رجائى فكأنما قضضت بهذا الممدوح نجما ثاقبا على الدهر فأحرقه ، ويروى « قضضت بها نجما » فيعود الضمير على الهمة .

١٧ وَكُنْتَ امْرَأً أَلْقَى الزَّمَانَ مُسَالِماً
فَآلَيْتُ لاَ أَلْقَـــاهُ إلاَّ مُحَارِبَا

١٨ لَوِ اقْتُسِمَتْ أَخْلاَقُهُ الغُرُّ لم تَجِدْ مَعِيبًا ، وَلاَ خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عَائِبَا

١٩ إِذَا شِئْتَ أَنْ تُحْصِي فَوَاضِلَ كَفِّهِ
فَكُنْ كَاتِبًا أَوْ فَاتَّخِذْ لَكَ كَاتِبَا

٢٠ عَطَايَا هِيَ الأَنْوَاءُ إلاَّ عَلاَمَةً دَعَتْ تِلْكَ أَنْوَاءً وَهٰذِي مَوَاهِبَا

٢١ فأُقْسِمُ لَوْ أَفْرَطْتُ فِي الْوَصْفِ عَامِدًا
لأَكْذِبَ فِي مَدْحِيهِ لم أَكُ كَاذِبَا

٢٢ ثَوَى مَالُهُ نَهْبَ الْمَعَالِي ، فأَوْجَبَتْ
عَلَيْهِ زَكَاةُ الْجُودِ مَا لَيْسَ وَاجِبَـا

---

(١٨) قال الصولى : هذا من قول العباس بن الأحنف :

لو قسم الله جزءا من محاسنها في الخلق طرا لتم الحسن فى الناس

(٢٠) الأنواء : جمع نوء ـ بفتح النون وسكون الواو ـ والمراد به هنا المطر ، لأن عادتهم أن يشبهوا عطاء الممدوح بالغيث وبالمطر وبالديمة ، ونحو ذلك من كل ما يطلق على المطر ، وأصل النوء سقوط نجم فى المغرب وطلوع نجم بحياله من ساعته فى المشرق ، والعرب فى جاهليتها تنسب المطر إلى الأنواء فتقول : مطرنا بنوء كذا ، وتقول : قد صدق النوء ، إذا كان معه مطر ولم يخلف ، وقد استعملوا النوء فى المطر لأنه بسبب منه ، قال العريان :

وقلت له : جادت عليك سحابة بنوء ينـدى كل فغو وريحان

ودعت ـ بالبناء للمعلوم ، وبناؤه للمجهول لا تجيزه فصحى العربية ـ ومعناه سمت الأمطار أنواء وسمت عطاياه مواهبا ، وهو يريد أنه لافرق بينهما إلا فى التسمية.

(٢١) يريد أنه لو أطلق لشعره العنان وبالغ غاية المبالغة فى وصفه لما كان كاذبا فى شىء مما يقول .

(٢٢) ثوى : أقام ، ونهب المعالى : أى بسبب المعالى ، يريد أن سعيه لاكتساب المعالى أوجب عليه من الحقوق ما لم يكن واجبا .

٢٣ وَتَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ إِنْ جِئْتَ زَائِرًا
وتَزْدَادُ حُسْنًا كُلَّمَا جِئْتَ طَالِبَا

٢٤ خَدِينُ الْعُلَى أَبْقَى لَهُ الْبَذْلُ وَالنُّهَى عَوَاقِبَ مِنْ عُرْفٍ كَفَتْهُ الْعَوَاقِبَا

٢٥ يَطُولُ اسْتِشَارَاتِ التَّجَارِبِ رَأْيُهُ
إِذَا مَا ذَوُو الرَّأْيِ اسْتَشَارُوا التَّجَارِبَا

٢٦ بَرِئْتُ مِنَ الآمَالِ وَهْيَ كَثِيرَةٌ لَدَيْكَ وَإِنْ جَاءَتْكَ حُدْبًا لَوَاغِبَا

٢٧ وَهَلْ كُنْتُ إِلاَّ مُذْنِبًا يَوْمَ أَنْتَحِي
سِوَاكَ بِآمَالِي فَجِئْتُكَ تَائِبَا

* * *

---

(٢٤) خدين العلى : صديقها الذى لايفارقها ولا ينفك ملازمالها ، والبذل : العطاء ، والنهى : جمع نهية ـ بضم فسكون ـ وهى العقل ، والعرف : المعروف والإحسان .

(٢٥) يطول : يفضل ، وفاعله قوله « رأيه » وقوله « استشارات التجارب » مفعوله ، يريد أن رأيه يفضل استشارات التجارب .

(٢٦) برئت : يقرأ بضم التاء للمتكلم ، ويقرأ بفتح التاء للمخاطب ، فمن قرأه بضم التاء فالمعنى عليه إننى تخلصت من جميع آمالى على كثرتها ووكات أمرها إليك وألقيت عهدتها عليك ، ومن قرأه بفتح التاء فالمعنى عليه إنك قد قضيت لى كل ما أملت ، وأديت كل ما علقته عليك، حتى لم أعد أحتاج شيئا . والحدب : جمع أحدب ، واللواغب : جمع لاغب ، وهى المتعبات المعييات ، والضمير المستتر فى « جاءتك » يجوز أن يعود إلى الآمال ـ وهو الظاهر ـ ويكون الكلام على التشبيه ، ويجوز أن يعود على الركائب التى حملته إلى الممدوح وإن لم يجر لها ذكر ، ارتكانا على انسياق المعنى إلى ذهن السامع ، وهذا هو الأصل فى استعمال الحدب اللواغب بالمعنى الذى بيناه .

(٢٧) أنتحى : أقصد ، يريد لقد أذنبت حين قصدت غيرك آمل عنده الخير والمعروف ، وقصدى إليك وتعليق آمالى عليك توبة من هذا الذنب .

* * *

(٨)

وقال يمدح مالك بن طَوْق التَّغْلِبِىّ :

١ لَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجْعَ جَوَابِ ... أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْوَيْهِ طُولُ عِتَابِى

٢ لَعَذَلْتُهُ فِى دِمْنَتَيْنِ تَقَادَمَا ... مَمْحُوَّتَيْنِ لِزَيْنَبٍ وَرَبَابِ

٣ ثِنْتَيْنِ كَالْقَمَرَيْنِ حُفَّ سَنَاهُمَا ... بِكَوَاعِبٍ مِثْلِ الدُّمَى أَتْرَابِ

---

(٨)

تقع هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ٤ تالية لقصيدته فى مدح المعتصم بعد فتح عمورية .

(١) الشأو ـ بفتح الشين وسكون الهمزة ـ الغاية والأمد ، وتقول « كف فلان من شأو فلان » إذا رده عما يريد ورجعه عن عناده وغيه ، وجعل الدهر شأوين كأنما يريد أنه يفعل الشىء وضده ، كالمسرة والمساءة، والفرح والحزن ، والغنى والفقر ، يقول : لو نفع العتاب مع الدهر لعتبته ، ولو كان يرد على من لامه لأوجعته لوما .

(٢) العذل : اللوم فى تسخط ، والدمنة ـ بكسر الدال وسكون الميم ـ أثر القوم فى الدار ، وقوله « تقادما » كان مقتضى العربية أن يقول « تقادمتا » لأن الدمنة مؤنثة ، لـكن لما كانت الدمنة منزلا نظر إلى المعنى ، ويروى فى مكانه « بأمرة » ويروى « برامة » وكلاهما اسم مكان ، ورامة أكثر دورانا فى الشعر ، ويروى « بمرة » وممحوتين : يعنى قد زال أثرها ، وزينب ورباب : من أسماء النساء .

(٣) كالقمرين : أى أن كل واحدة منهما تشبه القمر ، فالتثنية حقيقية ، وزعم التبريزى أن معناه أن إحداهما تشبه الشمس والأخرى تشبه القمر ، وأن التشبيه على التغليب لأن هذا هو المشهور فى قولهم « القمران » أن يريدوا الشمس والقمر =

٤ مِنْ كُلِّ رِيمٍ لَمْ تَرُمْ سُوأً وَلَمْ تَخْلِطْ صِبًا أَيَّامِهَا بِتَصَابِ
٥ أَذْكَتْ عَلَيْكَ شِهَابَ نَارٍ فِي الْحَشَا بِالْعَذْلِ وَهْنًا أُخْتُ آلِ شِهَابِ
٦ عَذْلاً شَبِيهاً بِالْجُنُونِ كَأَنَّمَا قَرَأَتْ بِهِ الْوَرْهَاءُ صَدْرَ كِتَابِ
٧ أَوَمَا رَأَتْ بُرْدَيَّ مِنْ نَسْجِ الصِّبَا وَرَأَتْ خِضَابَ اللهِ وَهْوَ خِضَابِي
٨ لاَ جُودَ فِي الأَقْوَامِ يُعْلَمُ مَا خَلاَ جُودًا حَلِيفًا فِي بَنِي عَتَّابِ
٩ مُتَدَفِّقًا صَقَلُوا بِهِ أَحْسَابَهُمْ إِنَّ السَّمَاحَةَ صَيْقَلُ الأَحْسَابِ

= فيغلبوا لفظ القمر ويثنوهما عليه، وليس بجيد كما زعم،وحف : أحيط بها ، والسنا: الضوء ، والكواعب : جمع كاعب وهى التى نهد ثدياها ، وأتراب: جمع ترب . وهو اللدة المساوى فى السن .

(٤) الريم ــ بكسر الراء ــ الظبية البيضاء الخالصة البياض . ولم ترم : لم تطلب والصبا ــ بكسر الصاد ــ الصبوة والفتوة ، والتصابى : تصنع الصبا وتكلفه والتظاهر به .

(٥) أذكت : أشعلت وأوقدت . والشهاب ــ بكسر الشين ــ الشعلة من النار ، وبنو شهاب : بنو يربوع بن حنظلة الذين منهم عتبة بن الحارث بن شهاب الفارس المشهور ، ولم يجعلها منهم إلا حباً فى التجنيس .

(٦) عذلا : هو بدل من قوله « شهاب نار » فى البيت السابق . والورهاء: الحمقاء ، ويروى « شطر كتاب » .

(٧) البردان : تثنية برد ــ بالضم ــ وأصله الثوب المخطط، وأراد ببرديه نضارة وجهه وسواد شعره . يريد أنه لايزال فى ريعان شبابه وميعة فتائه . وخضاب الله : عنى به سواد شعره .

(٨) بنو عتاب : قوم الممدوح ، وقد حالفهم الجود : أى لازمهم وحط فى رحالهم وحلف ألا يفارقهم .

(٩) متدفقا : صفة لقوله « جودا » فى البيت السابق، ومعناه الفياض، وصقلوا: جلوا ، والأحساب : جمع حسب ، وهو ما يعده الإنسان من مفاخره . والسماحة : هى الجود والكرم .

١٠ قَوْمٌ إذَا جَلَبُوا الجِيادَ إلَى الوَغَى أيْقَنْتَ أنَّ السُّوقَ سُوقُ ضِرابِ

١١ يَا مَالِكُ ابْنَ المَالِكِينَ وَلَمْ تَزَلْ تُدْعَى لِيَوْمَيْ نَائِلٍ وَعِقَابِ

١٢ لَمْ تَرْمِ ذَا رَحِمٍ بِبَائِقَةٍ وَلاَ كَلَّمْتَ قَوْمَكَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ

١٣ لِلْجُودِ بَابٌ فِي الأنَامِ، وَلَمْ تَزَلْ كَفَّاكَ مِفْتَاحًا لِذَاكَ البَابِ

١٤ وَرَأَيْتَ قَوْمَكَ وَالإِسَاءَةُ مِنْهُمُ جَرْحَى بِظُفْرٍ لِلزَّمَانِ وَنَابِ

١٥ هُمْ صَيَّرُوا تِلْكَ البُرُوقَ صَوَاعِقًا فِيهِمْ وَذَاكَ العَفْوَ سَوْطَ عَذَابِ

١٦ فَأَقِلْ أُسَامَةَ جُرْمَهَا وَاصْفَحْ لَهَا عَنْهُ ، وَهَبْ مَا كَانَ لِلْوَهَّابِ

١٧ رَفَدُوكَ فِي يَوْمِ الكُلاَبِ وَشَقَّقُوا فِيهِ المَزَادَ بِجَحْفَلٍ غَلاَّبِ

---

(١٠) ضراب : قتال ومضاربة بالسيوف ، والوغى : الحرب .

(١١) نائل : جود وعطاء ، يريد أنه جواد كريم ، وأنه شجاع مقدام .

(١٢) ذارحم:أى ذا قرابة ، والبائقة : الداهية ، وقوله « ولا كلمت قومك إلخ » كناية عن كونه لم يترفع عليهم مع علو منزلته كما يترفع غيره من ذوى الجاه والسلطان

(١٣) يروى « ولم تزل يمناك مفتاحا »

(١٤-١٥) يروى « والإساءة فيهم » ويروى « جرحى بظفر للخطوب » ويروى «سوط عقاب» وكان جماعة من قوم الممدوح قد أساءوا الصنيع ، فطردهم ، فاعتذروا وأعلنوا التوبة ، وشفع لهم قوم ، فعفا عنهم ، وأسامة : حى من العرب من بنى تغلب .

(١٧) يوم الكلاب - بضم الكاف ، بزنة الغراب - من أيام العرب فى الجاهلية كان بين الملكين الأخوين شرحبيل بن الحارث وسلمة بن الحارث ، وهما من أعمام امرىء القيس بن حجر بن الحارث . وكانت بنو تغلب مع سلمة ، وبنو تميم مع شرحبيل ، وفى هذا اليوم قتل شرحبيل ، وفيه شققوا المزاد : أراد أنهم أراقوا ما كان معهم من الماء وقالوا : لا نشرب إلا من الكلاب أو نموت عطشا ، وفى هذا يقول الأخطل التغلبي :

وأخوهما السفاح ظمأ خيله حتى وردن من الكلاب نهالا

١٨ وَهُمُ بِعَيْنِ أُبَاغَ رَاشُوا لِلْوغَى سَهْمَيْكَ عِنْدَ الحَارِثِ الحَرَّابِ

١٩ وَلَيَالِيَ الحشاكِ وَالثَّرْثَارِ قَدْ جَلَبُوا الجِيَادَ لَوَاحِقَ الأَقْرَابِ

٢٠ فَمَضَتْ كُهُولُهُمُ وَدَبَّرَ أَمْرَهُمْ أَحْدَاثُهُمْ تَدْبِيرَ غَيْرِ صَوَابِ

٢١ لاَ رِقَّةُ الحَضَرِ اللَّطِيفِ غَذَتْهُمُ وَتَبَاعَدُوا عَنْ فِطْنَةِ الأَعْرَابِ

٢٢ فَإِذَا كَشَفْتَهُمُ وَجَدْتَ لَدَيْهِمُ كَرَمَ النُّفُوسِ وَقِلَّةَ الآدَابِ

= ورفدوك : أعانوك ، ويروى « بمحفل كاللاب » واللاب : أصله الحرة ذات الحجارة السود ، ويشبه الجيش بها لكثرة عدده وكثرة ما يحملون من السلاح ، ومن تشبيه الجيش بالحرة قول الشاعر ، وأنشده أبو على :

وأنا النذير بحرة مسودة تصل الجيوش إليكم أقوادها
أبناؤها متكنفون أباهم حنقو الصدور، وما هم أولادها

(١٨) أباغ : يضبط بضم الهمزة وبفتح آخره على أنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ، ويضبط بفتح الهمزة وكسر آخره على أنه مبنى على الكسر كحذام وقطام . وقد كانت فى أباغ موقعة بين النعمان المنذرى ومعه بنو تغلب والحارث بن أبى شمر الغسانى، وفيها هزم النعمان وبنو تغلب الحارث وجنوده ، وراشوا سهميك : أعانوك وكانوا لك قوة ، والأصل فى هذه العبارة قولهم « راش فلان السهم » إذا ألصق به الريش ، ولا ينتفع بالسهم إلا أن يراش ، ثم قالوا « راش فلان قومه » يريدون نفعهم وأصلح أمرهم وأوصل الخير إليهم .

(١٩) الحشاك : واد ، ويقال : هو نهر ، وقد يكون الوادى سمى باسم النهر ، أو بالعكس ، والثرثار : نهر معروف ، وقد كانت موقعة بين بنى تغلب وقيس عيلان فى كل من هذين ، ولواحق : جمع لاحق ، وهو الضامر ، والأقراب : جمع قرب ــ بضم القاف وسكون الراء ــ وهى الخاصرة ، والمقصود من تعداد هذه الأيام وتذكيره بها أن يرقق قلبه على بنى تغلب ، ويذكره أنهم كانوا مع قومه يتعاونون ويترافدون ويدفعون الأعداء ، وقد ذكر الثرثار الأخطل التغلبى فى قوله :

لعمرى لقد لاقت سليم وعامر على جانب الثرثار راغية البكر

(٢٠-٢٢) يعتذر عنهم بأنهم أغرار قليلو الحنكة والتجربة ، ولكنهم كريمو النفوس طيبو القلوب ، ويروى « وكثرة الآداب » .

٢٣ أَسْبِلْ عَلَيْهِمْ سِتْرَ عَفْوِكَ مُفْضِلاً وَانْفَحْ لَهُمْ مِنْ نَائِلٍ بِذِنَابِ

٢٤ لَكَ فِي رَسُولِ اللهِ أَعْظَمُ أُسْوَةٍ وَأَجَلُّهَا فِي سُنَّةٍ وَكِتَابِ

٢٥ أَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ الْقُلُوبِ رِضَاهُمُ كَمَلاً ، وَرَدَّ أَخَائِذَ الْأَحْزَابِ

٢٦ وَالْجَعْفَرِيُّونَ اسْتَقَلَّتْ ظُعْنُهُمْ عَنْ قَوْمِهِمْ وَهُمُ نُجُومُ كِلَابِ

٢٧ حَتَّى إِذَا أَخَذَ الْفِرَاقُ بِقِسْطِهِ مِنْهُمْ وَشَطَّ بِهِمْ عَنِ الْأَحْبَابِ

٢٨ وَرَأَوْا بِلَادَ اللهِ قَدْ لَفَظَتْهُمُ أَكْنَافُهَا رَجَعُوا إِلَى جَوَّابِ

---

(٢٣) تقول « أسبل فلان إزاره وثوبه » إذا أرسله وأرخاه وطوله حتى يجر على الأرض ، والمراد هنا اجعل عفوك ساترا لذنوبهم ومغطيا لمآثمهم ، ومفضلا : حال ، ومعناه منعما متفضلا عليهم ، والذناب : جمع ذنوب وهو الدلو المملوءة ماء ، هذا أصله ، والمراد امنحهم من عطائك نصيبا .

(٢٤) الأسوة — بضم الهمزة وسكون السين — القدوة ، والائتساء : الاقتداء ، وفى القرآن الكريم : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) .

(٢٥) المؤلفة القلوب: جماعة دخلوا فى الإسلام طمعا فى المغانم ، ولم تكن قلوبهم قد سكنت له — منهم أبو سفيان بن حرب ، ومنهم عيينة بن حصن الفزارى ، والأقرع ابن حابس ، والعباس بن مرداس السلمى ، وأعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم من المغنم مائة من الإبل لكل منهم يتألف بها قلوبهم ، وقد ذكروا فى آية (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) والأخائذ : جمع أخيذة ، والمراد بها السبية ، وكلمة «الأحزاب» مشهورة بأنها أطلقت على الذين تجمعوا على غزو مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بسبب ذلك غزوة الخندق ، ولم يكن لرسول الله فى هذه الغزوة سبايا ، لأنه لم يقاتل فيها قتالا له بال ، وإنما رد الله المشركين بغيظهم لم ينالوا خيرا بأن أرسل عليهم ريحاً وجنودا لم يروها ، وفرق كلمتهم ، وشتت شملهم ، فانقلبوا خاسرين ، ولكنه رد السبايا فى غزوة أوطاس وغيرها .

(٢٦ — ٢٩) كان بنو جعفر بن كلاب قد وقع بينهم وبين قومهم شر ، فارتحلوا عن بلادهم وجاوروا بنى الحارث بن كعب ، فلم يحمدوا جوارهم ، فظعنوا =

٢٩ فأَتَوْا كَرِيمَ الْخِيمِ مِثْلَكَ صَافِحًا
عَنْ ذِكْرِ أَحْقَادٍ مَضَتْ وَضِبَابِ

٣٠ لَيْسَ الْغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَـكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

٣١ قَدْ ذَلَّ شَيْطَانُ النفَاقِ وَأَخْفَتَتْ
بِيضُ السُّيُوفِ زَئِيرَ أُسْدِ الْغَابِ

٣٢ فاضْمُمْ قَوَاصِيَهُمْ إِلَيْكَ ؛ فإِنَّه لاَ يَزْخَرُ الْوَادِي بِغَيْرِ شِعَابِ

٣٣ وَالسَّهْمُ بالرِّيش اللُّؤَامِ ، وَلَنْ تَرَى
بَيْتًا بِلاَ عُمُدٍ وَلاَ أَطْنَابِ

= عنهم وهم لايعلمون ، فسار بنوالحارث فى إثرهم فلحقوهم فى موضع يقال له « فيف الريح» فدارت بينهم معركة وفقئت عين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فرجع بنو جعفر إلى جواب الكلابى ، فوجدوا عنده ما يحبون ، فحمل الدماء وأصلح بينهم ؛ فذلك ما يشير إليه أبو تمام . والظعن : الإبل بما تحمل من النساء ، واحدها ظعينة ، وتطلق الظعينة على المرأة وحدها ، وعلى الهودج وحده ، وعلى المرأة ما كانت فى الهودج ، والخيم ـ بكسر الخاء ـ الخلق ، ويروى « كريم النجر » بفتح النون وسكون الجيم ـ وهو الأصل ، والأحقاد : جمع حقد ، والضباب : جمع ضب ، والضب ـ بفتح الضاد ـ الحقد القديم الثابت فى القلب لا يبرحه .

(٣٠) المتغابى : الذى يتصنع الغباء ويتكلفه وما يريد أن يكون غبيا ، يريد به هنا : الذى يغضى عن هفوات أهله وإخوانه وكأنه لا يعلمها .

(٣١) « شيطان النفاق » يروى فى مكانه « سلطان النفاق » . وأخفتت : معناه سكتت ، والزئير : صوت السباع .

(٣٢) قواصيهم : جمع قاصية ، وهى البعيدة ، ويروى « أقاصيهم » جمع أقصى وهو الأبعد ، وزخر الوادى يزخر ـ من باب فتح ـ إذا جاء بسيل كثير ، والشعاب: جمع شعب وهو الطريق فى الجبل ومكان سيل الماء إلى الوادى .

(٣٣) الريش اللؤام : الذى يلائم بعضه بعضا ، وذلك أجود الريش عندهم ، ويقال : سهم لأم ـ بفتح اللام وسكون الهمزة ـ إذا كان ريشه كذلك . والعمد =

٣٤ مَهْــــلاً بَنِي غَنْمِ بْنِ تَغْلِبَ إِنَّكُمْ
لِلصِّيــــدِ مِنْ عَدْنَانَ وَالصُّيَّابِ

٣٥ لَوْلا بَنُو جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ فِيكُمُ
رُفِعَتْ خِيَامُكُمُ بِغَيْرِ قِبَابِ

٣٦ يَا مَالِكُ اسْتَوْدَعْتَنِي لَكَ مِنَّةً
تَبْقَى ذَخَائِرُهَا عَلَى الأَحْقَابِ

٣٧ يَا خَاطِباً مَدْحِي إِلَيْهِ بِجُودِهِ
وَلَقَدْ خَطَبْتَ قَلِيلَةَ الْخُطَّابِ

٣٨ خُذْهَا ابْنَةَ الْفِــكْرِ الْمُهَذَّبِ فِي الدُّجَى
وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَــــةِ الْجِلْبَابِ

ـ بضم العين والميم ـ جمع عمود ، وتكون بفتح العين والميم جميعا ، والأطناب: جمع طنب ، بوزن عنق وأعناق ، وهو الحبل ، يقول : إن الوادى لا يمتلىء بالماء إلا أن يكون له شعاب ، وإن السهم لا يصلح للاصابة به إلا أن يكون له ريش ، وإن البيت لايتم بناؤه إلا أن يكون له عمد وأطناب ، فكذلك السيد لا تتم سيادته إلا بأن يقوم بتأليف قومه ثم بصبره على مكروههم واحتماله أذاهم ، وتحمله الأعباء عنهم ، وإنك لخير من يفعل ذلك ؛ لأنك خير من اكتملت فيه شروط السيادة .

(٣٤) الصيد : جمع أصيد ، وهو الرجل يميل برأسه كثيرا ، وصياب القوم ـ بضم الصاد وتشديد الياء مفتوحة ـ خيارهم وسادتهم وأشرافهم ، يقول : أنتم بنو هؤلاء الصيد الأشراف ، فما ينبغى أن تفعلوا إلا فعل الأشراف .

(٣٥) جشم بن بكر : هم رهط مالك ، والقباب إنما تكون للملوك ، والخيام تكون لأوساط الناس ، يقول : لولا هؤلاء ما كان فيكم ملوك .

(٣٦) يروى « استودعتنى لك ذمة » ويروى « على الأعقاب » .

(٣٧) قليلة الخطاب : ليس لقلة الرغبة فيها ، ولكن لنفاستها ـ أو إبائها ـ على كثير من الراغبين ؛ فهم لا يطلبونها عجزا عن الوصول إليها .

(٣٨) « ابنة الفكر المهذب فى الدجى » يريد أنه صنع هذه القصيدة فى الليل .

٣٩ بِكْرًا تُوَرَّثُ فى الْحَيَاةِ ، وَتَنْثَنِي فِي السِّلْمِ وَهْيَ كَثِيرَةُ الأَسْلَابِ
٤٠ وَيَزِيدُهَا مَرُّ اللَّيَالِي جِدَّةً وَتَقَادُمُ الأَيَّامِ حُسْنَ شَبَابِ

* * *

(٩)

وقال يمدح إسحاق بن إبراهيم الْمُصْعَبِيَّ معاتباً :

١ قُلْ للأَمِيرِ الَّذِى قَدْ نَالَ مَا طَلَبَا وَرَدَّ مِنْ سَالِفِ الْمَعْرُوفِ مَا ذَهَبَا
٢ فِدَاء نَعْلِكَ مُعْطَى حَظِّ مَكْرُمَةٍ أَصْغَى إِلَى الْمَطْلِ حَتَّى بَاعَ مَا وَهَبَا

---

(٣٩) تورث فى الحياة : يريد أنه يرثها وهى حية ، وإنما قصد أنه يحرز جائزتها ، ويروى « وتفتدى » ـ بالبناء للمجهول ـ مكان « وتنثنى » .

* * *

(٩)

وقعت هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ١٧ وقدم لها بقوله « وقال يمدح إسحاق بن إبراهيم بن مصعب » ، وسقطت من مطبوعة بيروت ١٩٢٨ وأثبتناها فى هذا الموضع تبعا للأصل ، وهى أيضاً ثابتة فى مطبوعة أخرى ببيروت من غير تأريخ .

(١) المعروف : العرف والجود ، يريد أن المعروف كان قد درس وعفته الأيام فأعاده جديدا قشيبا .

(٢) هذا البيت يقع سابع أبيات القصيدة عند التبريزى ، ويروى « فدى لنعلك » يقول : يفديك امرؤ تمكن من العطاء وتهيأت له أسباب المكارم ، فوعد أن يسديها ، ومطل ، فتردد عليه القصاد فلم يأخذوا منه إلا بعد كثير التردد ، فكان ما أعطاهم كأنما باعه لهم ، وكانوا هم كأنما اشتروه منه .

٣ مَنْ نَالَ مِنْ سُؤْدد زَاكٍ وَمِنْ حَسَبٍ
مَا حَسْبُ وَاصِفِهِ مِنْ وَصْفِهِ حَسَبَا

٤ إذَا الْمَكَارِمُ عُقَّتْ وَاسْتُخِفَّ بِهَا
أَضْحَى السَّدَى وَالنَّدَى أُمًّا لَهُ وَأَبَا

٥ تَرْضَى السُّيُوفُ بِهِ فِي الرَّوْعِ مُنْتَصِرًا
وَيَغْضَبُ الدِّينُ وَلدُّنيَا إِذَا غَضِبَا

٦ فِي مُضْعَبِيِّينَ مَا الأَقْوَامُ بِدَرَدَّى لِلْمُلْكِ إِلاَّ أَعَادُوا خَدَّهُ تَرِبَا

٧ كَأَنَّهُمْ وَقَلَنْسِي البِيضِ فَوْقَهُمُ يَوْمَ الهِيَاجِ بُدُورٌ قُلْنِسَتْ شُهُبَا

٨ إِنِّي وَإِنْ كَانَ قَوْمٌ مَا لَهُمْ سَبَبٌ
إِلاَّ قَضَاءٌ كَفَاهُمْ دُونِيَ السَّبَبَا

---

(٣) يروى «من نال من سؤدد باقٍ» ومن الموصولة : بدل من الأمير ، والسؤدد : مصدر من مصادر « ساد الرجل قومه يسودهم سودا وسيادة وسوددا » أى صار رئيسهم ومقدمهم ، وقوله « حسبا » فى آخر البيت تميز ، والمعنى أنه يكفى واصفه إذا أراد وصفه من جهة حسبه .

(٤) أصل العقوق : ألا يقوم الولد بحق والديه عليه ، والندى : أصله ما كان فى الجو من البخار الشبيه بالماء ، وأصل السدى : ما وقع على الأرض منه ، والمراد بهما هنا الجود والكرم ، يريد أن الناس إذا لم يحفلوا بمكارم الأخلاق ولم يبروها فرفضوها واستخفوا بشأنها فإنه يبرها ويحرص عليها كما يبر الرجل أمه وأباه ، وفى التبريزى « أضحى الندى والسدى » .

(٧) القلنسى : اسم جنس جمعى واحده قلنسوة ، وقلبت الواو ياء لتطرفها ثم قلبت ضمة السين كسرة لئلا تعود الواو ، ويوم الهياج : يوم الحرب ، وقلنست : فعل اشتقوه من القلنسوة ، والشهب : جمع شهاب ، وأصله القطعة من النار .

(٨) ما لهم سبب إلا قضاء : ليس لهم ما يمتون إليك به إلا القضاء الذى لا يد لهم فيه ، ويروى هذا البيت :

إنى وإن كان قومى ما لهم سبب رموا بصنع كفاهم عندك السببا

٩ وكُنْتُ أَعْلَمُ عِلْماً لاَ كِفَاءَ لَهُ أَنْ لَيْسَ كُلُّ قِطَارٍ يُنْبِتُ العُشُبَا

١٠ وَرُبَّمَا عَدَلَتْ كَفُّ الكَرِيمِ عَنِ الْ
قَوْمِ الحُضُورِ وَنَالَتْ مَعْشَراً غَيَبَا

١١ لَمُضْمِرٌ غُلَّةً تَخْبُو فَيُضْرِمُهَا أَنِّى سَبَقْتُ وَيُعْطَى غَيْرِىَ القَصَبَا

١٢ وَنَادِبٌ رَفْعَ قَدْرٍ كُنْتُ آمُلُهُ لَدَيْكَ لاَ فِضَّةً أَبْغِى وَلاَ ذَهَبَا

١٣ أَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَظْلُومٍ وَسِيلَتُهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ لِى رَحِيماً فَارْحَمِ الأَدَبَا

١٤ احْفَظْ وَسَائِلَ شِعْرِى فِيكَ مَا ذَهَبَتْ
خَوَاطِفُ البَرْقِ إِلاَّ دُونَ مَا ذَهَبَا

---

(٩) لا كفاء له : لا مثل له ولا نظير ، والقطار : جمع قطر ، وهو المطر ، يعنى يعلم أنه ليس كل مطر ينبت عشبا ، ويروى « ليس كل فضاء » .

(١٠) الحضور : جمع حاضر ، ونالت ، هنا : معناه أعطت ، وغيبا : هو بفتح الغين والياء جميعا ، وهو جمع غائب ، ونظيره خادم وخدم .

(١١) لمضمر : هذا خبر إن الواقعة فى أول البيت ٨ ، والغلة ـ بضم الغين ـ كل مايجده الإنسان فى صدره من غيظ أو حزن أو عطش ، والقصب : جمع قصبة ، وهى ما يعطى للسابق فى المضمار ، وكان من عادتهم إذا تسابقوا وأرسلوا الخيل أقاموا رجلا عند الغاية التى يجرون إليها ، ومعه قصبة ، فمن وصل الغاية أولا أعطاه القصبة ، ومن ذلك قالوا : أحرز فلان قصب السبق ، إذا كان مبرزا على غيره لا يفوقه أحد .

(١٢) نادب : أى باك ، أو متفجع ، وهو عطف على « مضمر » فى البيت السابق ، ويروى « ونادب رفعة قد كنت آملها » ويروى « لا فضة أبكى » يريد أنه يبكى على ما يفوته من عظيم المنزلة بمدحه إياه ، وليس يبكى على جوائزه .

(١٣ و ١٤) الوسيلة : كل ما يتقرب به إنسان إلى إنسان ، والوسائل : جمع الوسيلة ، وتقول منه : وسل فلان إلى فلان يسل وسلا ، بوزن وعد يعد وعدا ، ويروى البيت ١٣ هكذا :

إن أنت لم تك عدل الجود منصفه لم نرج بعدك خلقا ينصف الأدبا

١٥ يَغْدُونَ مُغْتَرِبَاتٍ فِي الْبِلاَدِ فَمَا يَزَلْنَ يُؤْنِسْنَ فِي الآفاقِ مُغْتَرِبَا
١٦ وَلاَ تُضِعْهَا فَمَا فِي الأَرْضِ أَحْسَنُ مِنْ نَظْمِ الْقَوَافِي إِذَا مَا صَادَفَتْ حَسَبَا

* * *

(١٠)

وقال يمدح عَيَّاشَ بن لَهِيعَةَ الحَضْرَمِيّ :

١ تَقِي جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبِي وَلَيْسَ حَبِيبِي إِنْ عَذَلْتِ بِمُصْحِبِي

---

(١٥) يغدون : الضمير عائد إلى وسائل الشعر التي يمت بها إليه ، يقول : إنها تطوف البلاد وتجوب الآفاق فتؤنس المغتربين من حسنها وجودتها .

* * *

(١٠)

هذه القصيدة وردت في شرح التبريزي برقم ١١ ، ووقع في الأصل قبلها قطعتان إحداهما في العتاب من أربعة أبيات والثانية في الوصف من ثلاثة أبيات ، وأخذتهما عنه مطبوعة بيروت غير المؤرخة ، لكنا رددنا كل واحدة منهما إلى المكان الذي يليق بها .

(١) تقي : فعل أمر مسند لياء المخاطبة ، وقد اختلف حملة اللغة في تخريج هذه الكلمة ، فقال قوم منهم: ورد تقي يتقي ــ بوزن رضي يرضي ــ ومصدره تقي مثل هدى ، وتقاة ، وقال قوم : ورد تقي يتقي ــ بوزن رمى يرمى ، وقال قوم : الوارد في الأصل هو اتقى يتقي ــ على مثال افتعل يفتعل ــ إلا أنهم قد يخففونه بحذف ألف الوصل من أوله ، ثم يحذفون الحرف الساكن من بعد الألف ، فمن ذهب إلى أحد الرأيين الأولين قال : إن المضارع يتقي بسكون التاء ، ومن ذهب إلى الوجه الثالث قال : إن المضارع يتقي بفتح التاء ، وقد قال عبد الله بن همام السلولي فجاء بالأمر على الوجه الذي جاء في قول أبي تمام :

زيادتنا نعمان لا تنسينها تق الله فينا والكتاب الذي تتلو =

٢ فَلَمْ تُوفِدِى سُخْطًا عَلَى مُتَنَصِّلٍ وَلَمْ تُنْزِلِى عَتْبًا بِسَاحَةِ مُعْتِبِ

٣ رَضِيتُ الْهَوَى والشَّوْقَ خِدْنًا وَصَاحِبًا
فَإِنْ أَنْتِ لَمْ تَرْضَىْ بِذَلِكِ فَاغْضَبِى

٤ يُصَرِّفُ حَالاَتِ الْفِرَاقِ مُصَرِّفِى عَلَى صَعْبِ حَالاَتِ الأَسَى وَمُقَلِّبِى

٥ وَلِى بَدَنٌ يَأْوِى إِذَا الحُبُّ ضَافَهُ
إِلَى كَبِدٍ حَرَّى وقَلْبٍ مُعَــذَّبِ

٦ وَخُوطِيَّةٍ شَمْسِيَّــةٍ رَشَئِيَّةٍ مُهَفْهَفَةِ الأَعْلَى رَدَاحِ المُحَقَّبِ

= وقال خفاف بن ندبة فجاء بالمضارع مفتوح التاء :

جلاها الصيقلون فأخلصوها خفــافا كلهـــا يتقى بأثر

والجمحات : جمع جمحة ، وهى المرة من قولهم « جمح الفرس » إذا غلب راكبه ، ولست طوع مؤنبى : أى لست مطيعه فيما يريد ، والمؤنب : اسم الفاعل من التأنيب ، ويروى « جنيبى » بالجيم والنون ، فى مكان « حبيبى » والجنيب : الذى يسير إلى جنبك ، والمصحب : اسم الفاعل من « أصحب الرجل » إذا انقاد وتابع ، يقول : اتقينى فيما أتشدد فيه فإنى لا أسلس القيادة لمن يؤنب وليس قلبى بمنقاد لك إذا أنت لمت .

(٢) توفدى — بالفاء — أى لم توردى ، والمتنصل : اسم الفاعل من « تنصل فلان من الذنب » إذا خرج منه بالاعتذار عنه ، وهو يريد أنه ليس بمتنصل أصلا ، والمعتب هنا : الذى يزيل العتب .

(٣) الخدن — بكسر الخاء وسكون الدال — ومثله الخدين : الصديق والرفيق ، ويروى « فإن كنت — إلخ » .

(٦) خوطية : منسوبة إلى الخوط ، وأصله الغصن ، يريد امرأة تشبه الغصن فى اعتدال قوامها ، وشمسية : منسوبة إلى الشمس ، ورشئية : منسوبة إلى الرشأ ، وهو ولد الظبية ، وقوله «مهفهفة الأعلى» أراد به أنها ضامرة البطن ، وإنما يوصف بالمهفهف الخصر وما والاه ؛ ولا يوصف به الصدر ، والرداح — بفتح الراء والدال جميعا — الثقيلة العجز ، والمحقب — بضم الميم وفتح الحاء وتشديد القاف مفتوحة — اسم مكان ، ويريد به الموضع الذى توضع الحقيبة عنده ، والحقيبة : ما يجعله الراكب =

٧ تُصَدِّعُ شَمْلَ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ
وَتَشْعَبُهُ بِالْبَثِّ مِنْ كُلِّ مَشْعَبِ

٨ بِمُخْتَبِلٍ سَاجٍ مِنَ الطَّرْفِ أَحْوَرٍ   وَمُقْتَبَلٍ صَافٍ مِنَ الثَّغْرِ أَشْنَبِ

٩ مِنَ الْمُعْطَيَاتِ الْحُسْنَ وَالْمُؤْتَيَاتِهِ   مُجَلْبَبَةً أَوْ عَاطِلاً لَمْ تُجَلْبَبِ

١٠ لَوَ اَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ بْنَ حُجْرٍ بَدَتْ لَهُ
لَمَا قَالَ « مُرَّا بِى عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ »

= وراءه ، وأراد خلفها وإن لم يكن هناك حقيبة ، شبهها بالغصن فى اعتدال قوامها ، وبالشمس فى إشراقها وبهائها ، وبالرشأ فى جمالها وملاحتها ، ثم وصفها بضمور بطنها وامتلاء عجزها .

(٧) تصدع : تفرق ، والشمل — بفتح فسكون — كل ما اجتمع وتلاءم ، ويروى « بعد التئامه » فى مكان « من كل وجهة » وتشعب : تفرق أيضا ، وأصله من قولهم « شعبت الإناء » — من باب فتح — إذا كسرته وفرقت أجزاءه ، ويقال « شعبت الإناء » إذا كسرته وفرقت أجزاءه ، ويقال « شعبت الإناء » إذا لأمته وأصلحته وجمعته ، فهو من الأضداد ، والمشعب : اسم مكان الشعب .

(٨) مختبل : يروى بالباء بعد التاء — وأراد بالاختبال فتور العين ، ويروى « بمختتل » بتاءين ، من الختل وهو الخديعة ، والساجى : الساكن ، يعنى أنها تخدع المحب عن نفسه بنظر ساكن فاتر ، والأحور : الوصف من الحور وهو شدة سواد سواد العين مع شدة بياض بياضها ، و « مقتبل » فسروه بالمقبل وعلى هذا يكون بفتح الباء ، ولكنهم قالوا : ليس فى الشعر القديم استعمال المقتبل بمعنى المقبل ، والأشنب : الوصف من الشنب ، وهو طيب رائحة الفم .

(٩) المعطيات والمؤتيات : بوزن اسم المفعول ، ومجلببة : قد ألبست الجلباب ، وعاطلا : غير لابسة ، ويروى فى مكانه « فاضلا » أي ذات ثوب واحد ، والمستعمل فى هذا المعنى « فضل » بضم الفاء والضاد جميعا .

(١٠) يشير إلى قول امرىء القيس بن حجر الكندى :

خليلى مرا بى على أم جندب   لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

١١ فَتِلْكَ شُقُورِى لاَ ارْتِيَادُكِ بِالأذَى
مَحَـــلِّى إنْ لاَ تَبْـكَرِى تَتَأَوَّبِى

١٢ أَحَاوَلْتِ إِرْشَادِى فَعَقْلِيَ مُرْشِـدِى
أَمِ اسْتَمْتِ تَأْدِيبِى فَدَهْرِى مُؤَدِّبِى

١٣ هُمَا أَظْلَمَا حَالَيَّ ثُمَّتَ أَجْلَيَا ظَلاَمَيْهِما عَنْ وَجْهِ أَمْرَدَ أَشْيَبِ

١٤ شَجًى فِي حُلُوقِ الْحَادِثَاتِ مُشَرِّقٍ بِهِ عَزْمُهُ فِي التُّرَّهَاتِ مُغَرِّبِ

١٥ كَأَنَّ لَهُ دَيْناً عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ
مِنَ الأَرْضِ أَوْ ثَأْرًا لَدَى كُلِّ مَغْرِبِ

---

(١١) الشقور : تروى بضم الشين ، على أنها جمع شقر – بفتح فسكون – وهو الأمر المهم ، وتروى بفتح الشين ، ومعناه الهم المسهر ، وما يكتمه الإنسان ويعده من سره ، والارتياد : الطلب ، وأصله قولهم « راد فلان الكلأ » إذا أخذ يذهب ويجيء في طلبه ، تبكرى : مضارع « بكر فلان فى حاجته » من باب نصر – إذا خرج لها فى وقت البكرة ، وهى الصباح ، وقوله « تتأوبى » من التأويب ، وهو المجيء ليلا ، يقول : هذا الذى حدثتك حديثه هو حاجتى وما أريده ، ولست أريد أن تقصدينى بالأذى والعذل والملامة ، ولا أن تحرصى على أن تنالى منى .

(١٢) استمت : طلبت ورغبت وأردت ، وأصله فى سوم السلعة لشرائها ، تقول « سام فلان السلعة يسومها ، واستامها ، وساوم صاحبها مساومة » .

(١٣) تقول : ظلم الليل – من باب فرح – وأظلم ، وكلاهما لازم ، لكنه عداه هنا ، فنصب به قوله « حالى » وهو فى القياس صحيح ؛ لورود الثلاثى لازما فتكون الهمزة للتعدية ، لكن الاستعمال لم يرد به ؛ والمراد بحاليه الفقر والغنى ، وأجليا ظلاميهما : كشفاه وأناراه ، وجعل نفسه أمرد أشيب لأنه فى سن المردة وفى حنكة الشيب .

(١٤) الشجي : الغصص ، وهو مجرور على أنه بدل من قوله « أشيب » فى البيت السابق ، والترهات : المشكلات .

١٦ رَأَيْتُ لِعَيَّاشٍ خَلاَئِقَ لَمْ تَكُنْ لِتَكْمُلَ إِلاَّ فِي اللُّبَابِ المُهَذَّبِ

١٧ لَهُ كَرَمٌ لَوْ كَانَ فِي المَاءِ لَمْ يَغِضْ وَفِي البَرْقِ مَا شَامَ امْرُؤٌ بَرْقَ خُلَّبِ

١٨ أَخُو أَزَمَاتٍ بَذْلُه بَذْلُ مُحْسِنٍ إِلَيْنَا ولٰكِنْ عُذْرُهُ عُذْرُ مُذْنِبِ

١٩ إِذَا أَمَّهُ العَافُونَ أَلْفَوْا حِيَاضَهُ مِلاَءً وَأَلْفَوْا رَوْضَهُ غَيْرَ مُجْدِبِ

٢٠ إِذَا قَالَ أَهْلاً مَرْحَبًا نَبَعَتْ لَهُمْ مِيَاهُ النَّدَى مِنْ تَحْتِ أَهْلٍ وَمَرْحَبِ

٢١ يَهُولُكَ أَنْ تَلْقَاهُ صَدْرًا لِمَحْفِلٍ وَنَحْرًا لأَعْدَاءٍ وَقَلْبًا لِمَوْكِبِ

٢٢ مَصَادٌ تَلاَقَتْ لُوَّذًا بِرُيُودِهِ قَبَائِلُ حَيَّيْ حَضْرَمَوْتَ وَيَعْرُبِ

٢٣ بِأَرْوَعَ مَضَّاءٍ عَلَى كُلِّ أَرْوَعٍ وَأَغْلَبَ مِقْدَامٍ عَلَى كُلِّ أَغْلَبِ

---

(١٧) البرق الخلب ـ بزنة سكر ـ الذى ليس وراءه مطر ، وشام المرء البرق : نظر إليه ليعلم أين يقع مطره .

(١٨) أزمات : جمع أزمة ، وهى الشدة ، وجعله « أخا أزمات » لأنه الذى يدعى لتفريجها وكشفها ، يعنى أنه يقوم فيها ويبذل معروفه ، ومعنى هـذا البيت يتكرر فى شعر أبى تمام .

(١٩) أمه : قصده ، والعافون : جمع عاف ، وهو طالب المعروف ، وألفوا : وجدوا .

(٢٢) أصل المصاد أعلى الجبل ، وإذا نزل خطب لاذ الناس به وتحصنوا فيه ، فشبهه به على هذا المعنى ، وكشف التشبيه بما بعده ، ولوذ : جمع لائذ ، ونظيره راكع وركع وساجد وسجد ، والريود : جمع ريد ـ بفتح فسكون ـ وهو الحرف الناتىء من الجبل ، وحضرموت : قبيلة من اليمن ، يريد أنه يحتمى به العرب جميعهم ، سواء فى ذلك العدنانية من العرب والقحطانية .

(٢٣) بأروع : بدل من قوله «بريوده» فى البيت السابق ، أى يلوذون بأروع ، وأروع الثانى صفة لفرسه ، ويروى « بأروع مفضال » والأروع فى وصف الناس =

٢٤ كَلَوْذِهِمُ فِيما مَضَى مِنْ جُدُودِهِ
بِذِي الْعُرْفِ وَالإِحْمَادِ قَيْلٍ وَمَرْحَبِ
٢٥ ذُوونَ قُيُولٌ لَمْ تَزَلْ كُلُّ حَلْبَةٍ تَمزق مِنْهُمْ عَنْ أَغَرَّ مُجَنَّبِ
٢٦ هُمَام كَنَصْلِ السَّيْفِ كَيْفَ هَزَزْتَهُ
وَجَدْتَ الْمَنَايَا مِنْهُ فِي كُلِّ مَضْرِبِ

= معناه الذى يروعك بجماله ، والروعاء من الإبل والخيل: الحديدة الفؤاد ، ولم يصفوا المذكر به، والأغلب فى وصف الناس: الماضى لما يريد ، وقالوا «جمل أغلب» أى عظيم العنق .

(٢٤) لوذهم : مصدر « لاذ يلوذ » أى التجأ ، والعرف : المعروف والعطاء ، وتقول : أحمد الرجل إحمادا ، إذا أتى ما يحمد عليه ، ويروى « بذى العرف والإفضال » ويروى « بكل طويل الباع أروع منجب » .

(٢٥) ذوون : جمع ذو ، ومن ألقاب ملوك حمير : ذو مرحب ، وذو جدن ، وذو نواس ، ويقال لهم « الأذواء » وجمع ذو جمع المذكر السالم قليل ، وجاء منه قول الكميت :

فلا أعنى بذلك أسفليكم ولكنى عنيت به الذوينا

والقيول : جمع قيل ، وهو الذى يلى الملك فى المنزلة ، ويروى « بدور قيول » والحلبة : الجماعة من الخيل ، والمجنب من الخيل ـ بالجيم وبعدها باء ـ الذى بلغ تحجيله ركبتيه أو جاوزها، وتروى هذه الكلمة «محنب» بالحاء المهملة بعدها نون ـ وتفسر بما ذكرنا ،ولكن ذلك التفسير ليس بصواب ، والصواب أن المحنب ـ بالمهملة والنون ـ المعوج الساقين ، وهو مدح فى الخيل ، وقال امرؤ القيس :

فلأيا بلأى ما حملنا وليدنا على ظهر محبوك السراة محنب

وقال طرفة بن العبد البكرى :

وكرى إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضى نبهته المتورد

(٢٦) المنايا : جمع منية وهى الموت ، والمضرب ـ بوزن المسجد ـ المراد منه هنا موضع الضربة .

٢٧ تَرَكْتَ حُطَامًا مَنْكِبَ الدَّهْرِ إِذْ نَوَى
زِحَامِيَ لَمَّا أَنْ جَعَلْتُكَ مَنْكِبِي
٢٨ وَمَا ضِيقُ أَقْطَارِ الْبِلَادِ أَضَافَنِي إِلَيْكَ، وَلَكِنْ مَذْهَبِي فِيكَ مَذْهَبِي
٢٩ وَأَنْتَ بِمِصْرٍ غَايَتِي وَقَرَابَتِي بِهَا، وَبَنُو أَبِيكَ فِيهَا بَنُو أَبِي
٣٠ وَلَا غَرْوَ إِنْ وَطَّأْتَ أَكْنَافَ مَرْتَعِي
لِمُهْمَلِ أَحْفَاضِي وَرَفَّهْتَ مَشْرَبِي
٣١ فَقَوَّمْتَ لِي مَا اعْوَجَّ مِنْ قَصْدِ هِمَّتِي
وَبَيَّضْتَ لِي مَا اسْوَدَّ مِنْ وَجْهِ مَطْلَبِي
٣٢ وَهَاكَ ثِيَابَ الْمَدْحِ فَاجْرُرْ ذُيُولَهَا
عَلَيْكَ، وَهٰذَا مَرْكَبُ الْحَمْدِ فَارْكَبِ

* * *

(٢٧) تركت : يقرأ بضم التاء للمتكلم وبفتحها للمخاطب ، والمعنى يستقيم على كل منهما ، والحطام – بوزن غراب – الفتات المتكسر ، والمنكب: رأس الكتف، وأراد به فى آخر البيت الملجأ والمستند ، يقول : لما جعلتك ركنى الذى ألوذ به ومعتمدى الذى أستند إليه تغلبت على الدهر وحطمته تحطيما .

(٢٨) أضافنى : أمالنى . يقول : لم يكن لجوئى إليك بسبب ضيق البلاد على ، ولكن طريقتى أنى لا أمدح إلا الكرام ، ولم أجد كريما يستحق المدح سواك .

(٢٩) ويروى « وبنو الآباء فيها بنو أبى » يقول : أنت أنت غاية مقصدى فى مصر ، وأنا أمت إليك بصلة الأدب التى تقوم مقام صلة النسب ، ويتكرر هذا المعنى فى شعر أبى تمام ، انظر قصيدته الدالية فى مدح على بن الجهم .

(٣٠) لاغرو : أى لا عجب ، ووطأت : سهلت ومهدت ويسرت ، والأكناف : النواحى ، واحدها كنف – بوزن سبب وأسباب . والمهمل : الذى قد ترك وأهمل فى المرعى ، والأحفاض – بالحاء مهملة – جمع حفض وهو هنا الفتى من الإبل ، ومعنى « رفهت مشربى » جعلته رفها – بكسر فسكون – أرده متى شئت .

(١١)

وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يُوسُفَ الثَّغْرِيَّ :

١ مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أن لاَ تُجِيبَا فَصَوَابٌ مِنْ مُقْلَتِي أنْ تَصُوبَا

٢ فَاسْأَلَنْهَا وَاجْعَلْ بُكَاكَ جَوَاباً تَجِدِ الدَّمْعَ سَائِلاً وَمُجِيبَا

٣ قَدْ عَهِدْنَا الرُّسُومَ وَهْيَ عُكَاظٌ لِلصِّبَا تَزْدَهِيكَ حُسْنًا وَطِيبَا

٤ أكْثَرَ الأرْضِ زَائِراً وَمَزُورًا وَصُعُوداً مِنَ الْهَوَى وَصَبُوبَا

٥ وَكَعَاباً كَأنَّمَا أَلْبَسَتْهَا غَفَلاَتُ الشَّبَابِ بُرْداً قَشِيبَا

---

(١١)

تقع هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ١٢ تالية القصيدة السابقة ، ومحمد بن يوسف طائى ، وكان من قواد حميد الطوسى ، وهو من مرو .

(١) السجايا : جمع سجية وهى الطبيعة ، والمقلة : شحمة العين ، و « أن تصوبا » أن تنهمر بالدمع ، وأصله قولهم « صاب السحاب يصوب » إذا جاء بالمطر ، ويروى « من مقلة » بغير ياء المتكلم .

(٢) يروى « تخدع الشوق » ويروى « تجد الدمع » يقول : اسألها ولا تنتظر الجواب ، واجعل الشوق سائلا ومجيبا ؛ لأنه هو الذى دفعه إلى السؤال عن أحبابه الذين كانوا سكان هذه الديار ، وهو الذى يدفعه إلى البكاء .

(٣) عكاظ : سوق من أسواق العرب كانوا يجتمعون فيه فيتناشدون الأشعار ويتفاخرون ، وقد شبه الرسوم به فى كثرة الاجتماع بكل منهما ، وبينه فى البيت الآتى ، وتزدهيك : تستخفك وتستفزك ، أو تحملك على الزهو وهو العجب ، وحسنا : تمييز ، وطيبا : معطوف عليه .

(٤) أصل الصعود ــ بفتح الصاد ــ الأكمة التى يشق الصعود فيها ، وأصل الصبوب مأخوذ من قولهم « صب الرجل فى الوادى » أى انحدر .

(٥) الكعاب ــ بفتح الكاف بزنة السحاب ــ الفتاة التى نهد ثديها ، والبرد القشيب : الجديد .

٦ بيَّنَ الْبَيْنُ فَقْدَهَا ، قَلَّمَا تَعْــرِفُ فَقْدًا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيبَا

٧ لَعِبَ الشَّيْبُ بِالْمَفَارِقِ بَلْ جَــدَّ فَأَبْكَى تُمَاضِرًا وَلَعُوبَا

٨ خَضَبَتْ خَدَّهَا إِلَى لُؤْلُؤِ الْعِقْــدِ دَمًا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيبَا

٩ كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إِلاَّ الْفَظِيعَيْنِ مِيتَــةً وَمَشِيبَا

١٠ يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْغَوَانِي ذُنُوبَا

١١ وَلَئِنْ عِبْنَ مَا رَأَيْنَ لَقَدْ أَنْــكَرْنَ مُسْتَنْكَرًا وَعِبْنَ مَعِيبَا

١٢ أَوْ تَصَدَّعْنَ عَنْ قِلًى لَكَفَى بِالــشَّيْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ حَسِيبَا

١٣ لَوْ رَأَى اللهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ خَيْرًا جَاوَرَتْهُ الأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شِيبَا

١٤ كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِي صُرُوفُ اللَّيَالِي
خُلُقًا مِنْ أَبِي سَعِيــدٍ عَجِيبَا

١٥ طَابَ فِيهِ الْمَدِيحُ وَالْتَذَّ حَتَّى فَاقَ وَصْفَ الدِّيَارِ وَالتَّشْبِيبَا

---

(٧) المفارق : جمع مفرق ، وأصله الموضع الذى يفرق فيه الشعر ، وتماضر ولعوب : من أسماء النساء .

(٨) الشواة ـ بفتح الشين ـ جلدة الرأس ، وإنما أراد الشعر ، ويروى «سراتى» بالسين المهملة والراء ـ وهو أعلى الرأس . يقول : إنه شاب فخضب شعره ، فلما رأته بكت دما حتى خضبت وجهها وأعلى صدرها .

(١٠) الثغام ـ بفتح الثاء ، بزنة السحاب ـ نبت أبيض يشبه به الشيب .

(١٢) تصدعن : تفرقن ، والقلى ـ بكسر القاف ـ البغض . يقول : إن كن قد فارقننى وجفوننى فإن الشيب وحده يكفينى مؤنة البحث عن سبب لما صنعنه .

(١٤) صروف الليالى : نوازلها وخطوبها ، ويروى فى آخر البيت « خلقا من أبى سعيد رغيبا »

(١٥) التشبيب : وصف مفاتن النساء ومحاسنهن ، ويقال : التشبيب ذكر أيام الشباب واللهو ، وعندهم أن أطيب الشعر ما كان تشبيبا . ويقول أبو تمام : إن مدح هذا الممدوح قد صار أطيب من الشعر الذى يقال فى التشبيب .

١٦ لَوْ يُفَاجِى ذِكْرُ الْمَدِيحِ كُثَيِّرًا بِمَعَانِيهِ خَالَهُنَّ نَسِيبَا

١٧ غَرَّبَتْهُ الْعُلَى عَلَى كَثْرَةِ الأَهْلِ فَأَضْحَى فِى الأَقْرَبِينَ جَنِيبَا

١٨ فَلْيَطُلْ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِى مَرْوَ مُقِيماً بِهَا لَمَاتَ غَرِيبَا

١٩ سَبَقَ الدَّهْرَ بِالتِّلَادِ وَلَمْ يَنْتَظِرِ النَّائِبَاتِ حَتَّى تَنُوبَا

٢٠ وَإِذَا مَا الْخُطُوبُ أَعْفَتْهُ كَانَتْ رَاحَتَاهُ حَوَادِثًا وَخُطُوبَا

٢١ وَصَلِيبِ الْقَنَاةِ وَالرَّأْىِ وَالإِسْلَامِ ، سَائِلْ بِذَاكَ عَنْهُ الصَّلِيبَا

٢٢ وَعَرَّ الدِّينَ بِالْجِلَادِ وَلَكِنْ وُعُورَ الْعَدُوِّ صَارَتْ سُهُوبَا

(١٦) يفاجى : أصله « يفاجىء » بالهمز ، فسهل الهمزة بقلبها ياء لانكسار ماقبلها ، ومعنى يفاجيه يأتيه ويرد عليه بغتة ، وكثير : أصله فى العلمية بضم الكاف وفتح الثاء وتشديد الياء مكسورة ، مصغرا ، وهو كثير بن عبد الرحمن ، المشهور بكثير عزة ، ولكنه جاء به على الأصل فى الوصف بفتح الكاف وكسر الثاء ، وقد عابوه .

(١٧) المعنى : لقد جعله تفرده بالعلى والمكرمات غريبا بين الناس ؛ إذ لا يوجد له بينهم نظير .

(١٩) التلاد ـ بكسر التاء ، بوزن الكتاب ـ ومثله التالد والتليد : المال الذى يرثه المرء عن آبائه ، ويقابله الطارف والطريف ، وهو ما يستحدثه ويتأثله بنفسه وبجهده ، يقول : إنه لا ينتظر نزول حادثة من حوادث الدهر بإنسان فيجود له ، ولكنه يعطى عفوا ومن غير أسباب توجب العطاء .

(٢٠) يقول : إن يديه تفرقان ماله وتبددانه ؛ فهما من أعظم الخطوب والكوارث على هذا المال .

(٢١) صليب القناة : شديدها وقويها ، والصليب فى آخر البيت : أراد به أهل الصليب الذين يحاربهم من الروم .

(٢٢) وعر الدين ـ بتشديد العين ـ أى جعله وعرا على العدو ، وأراد بلاد الإسلام ، السهوب : جمع سهب ، وهو السهل المستوى من الأرض ، يقول: إنه بسبب جلاده وما يقوم به من الحروب قد جعل بلاد الإسلام صعبة المنال وعرة المسالك وصير بلاد العدو سهلة المنال سهلة المسالك .

٢٣ فَدُرُوبُ الإِشْرَاكِ تُدْعَى فَضَاءً   وَفَضَاءُ الإِسْلَامِ يُدْعَى دُرُوبَا
٢٤ قَدْ رَأَوْهُ وَهْوَ القَرِيبُ بَعِيدًا   وَرَأَوْهُ وَهْوَ البَعِيدُ قَرِيبَا
٢٥ سَكَنَ الكَيْدُ فِيهِمُ ، إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ إِرْبٍ أَنْ لا تُسَمَّى أَرِيبَا
٢٦ مَكْرُهُمْ عِنْدَهُ فَصِيحٌ وَإِنْ هُمْ   خَاطَبُوا مَكْرَهُ رَأَوْهُ جَلِيبَا
٢٧ وَلَعَمْرُ القَنَا الشَّوَارِعِ تَمْرِى   مِنْ تِلَاعِ الطُّلَى نَجِيعًا صَبِيبَا
٢٨ فِي مَكَرٍّ لِلرَّوْعِ كُنْتَ أَكِيلًا   لِلْمَنَايَا فِي ظِلِّهِ وَشَرِيبَا
٢٩ لَقَدِ انْصَعْتَ وَالشِّتَاءُ لَهُ وَجْـهٌ   يَرَاهُ الرِّجَالُ جَهْمًا قَطُوبَا

---

(٢٣) يروى « صارت فضاء » ويروى « تدعى دروبا » وأصل الدرب ـ بسكون الراء ـ كل مدخل إلى بلاد الروم ، وقيل : هو خاص بغير النافذ ، وهذا أنسب هنا ، يريد أن المداخل غير النافذة من بلاد الروم قد صارت فضاء يسهل السير فيها والخروج منها إن اقتضى الأمر ذلك ، وعلى العكس من هذا بلاد الإسلام .

(٢٥) الكيد :الخديعة والمكر ، والإرب ، بكسر فسكون : الحاجة والمطلب أو الدهاء والعقل ، ومعنى «من أعظم إرب ـ إلخ» أن من أمارات العقل والحكمة ألا يشتهر الداهى بأنه داه حتى لا يتحرز منه .

(٢٦) جليبا : أراد به أعجميا مجلوبا من بلاد أخرى ، يريد أن مكرهم لا يخفى عليه ، ومكره لا يبين لهم .

(٢٧) الشوارع : جمع شارعة ، وهى هنا المسددة نحو الأقران ، وتمرى : تستخرج ، والتلاع : جمع تلعة ، وأصلها أعلى الوادى ، وتطلق على أسفله ، فهو من الأضداد ، والطلى : الأعناق ، والنجيع : الدم ، يقول : إن قناه لتصوب إلى نحور الأعداء فتستخرج من أعناقها دما جاريا ، يريد أنه يأتى عليهم .

(٢٨) المكر : المكان الذى يكر فيه الفرسان بعضهم على بعض ، والروع : الخوف ، ويروى عجز البيت « للمنايا به وكنت شريبا » وما أسمج أن يكون البطل المغوار آكلا للمنايا وشاربا لها .

(٢٩) لقد انصعت : يريد لقد حملت على الأعداء ، وهو مأخوذ من «صاع القوم يصوعون» إذا حمل بعضهم على بعض ، وتقول «صاع فلان أقرانه» إذا جاءهم من كل ناحية . والكماة : الشجعان ، واحدهم كمى ، والجهم ـ بفتح فسكون ـ الباسر القاطب الكالح ، يريد أن الشتاء كان شديدا .

٣٠ طَاعِناً مَنْحَرَ الشَّمَالِ مُتِيحاً لِبِلادِ العَدُوِّ مَوْتاً جَنُوبَا
٣١ فى لَيَالٍ تَكَادُ تُبْقِى بِخَدِّ الشَّمْسِ مِنْ رِيحِهَا البَلِيلِ شُحُوبَا
٣٢ سَبَرَاتٍ إِذَا الحُرُوبُ أُبِيخَتْ هَاجَ صِنَّبْرُهَا فصَارَتْ حُرُوبَا
٣٣ فَضَرَبْتَ الشِّتَاءَ فِى أَخْدَعَيْهِ ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْداً رَكُوبَا
٣٤ لَوْ أَصَخْنَا مِنْ بَعْدِهَا لسَمِعْنَا لِقُلُوبِ الأيام مِنْكَ وَجِيبَا
٣٥ كلُّ حِصْنٍ مِنْ ذِى الكَلاَعِ وَأَكْشُو ثَاءَ أُطِيعَتْ فِيهِ يَوْماً عَصِيبَا

(٣٠) المعنى : أنه يغزو بلاد العدو وهى فى جهة الشمال بالنظر إلى بلاد الإسلام فيطعن فى أبطالهم ، ومعنى متيحا مهيئا ، وقوله « موتا جنوبا » ليس بالجيد .

(٣١) يروى « تبدى بخد الشمس » ومعنى تبدى تغير ، والبليل من الريح الباردة ، والشحوب : التغير .

(٣٢) سبرات : جمع سبرة ــ بوزن ركعة وركعات ــ وهى الغدوات الباردات ، والصنبر : شدة البرد ، و « أبيخت » بالباء والخاء المعجمة ــ أى سكن لهبها ، وروى « إذا الحتوف أتيحت » . يعنى إذا سكنت الحرب فى هذه الأوقات لشدة بردها فإن البرد يهيج ويثور فيكون كالحرب .

(٣٣) الأخدعان : عرقان فى جانبى العنق ، ويقال للأبى الصعب : فلان شديد الأخدع ، والعود ــ بفتح العين وسكون الواو ــ الجمل المسن ، وركوبا : أى سهلا ذلولا منقادا لراكبه .

(٣٤) أصخنا : أنصتنا ، والضمير فى قوله « من بعدها » يعود للضربة ، والوجيب : الخفقان والاضطراب ، ولم يكتف بأن جعل للشتاء أخدعين وبأن شبهه بالجمل المسن المنقاد ، حتى جعل للأيام قلوبا وجعلها تخفق وتضطرب ، وانظر الموازنة بتحقيقنا .

(٣٥) ذو الكلاع ــ بفتح الكاف أو ضمها ــ هو هنا اسم حصن ، وأصل « ذو الكلاع » اسم واحد من أذواء حمير ، وأكشوثاء : حصن ببلاد الروم ، و « أطيعت » بالعين المهملة ، ويروى « أطيقت » بالقاف ، واليوم العصيب ــ ومثله العاصب ــ الشديد .

٣٦ وَصَلِيلاً مِنَ السُّيُوفِ مُرِنًّا وَشِهَاباً مِنَ الحَرِيقِ دَبُوبَا
٣٧ وأَرَادُوكَ بالبَيَاتِ ومَنْ هُـــــذَا يُرَادِي مُتَالِعاً أَوْ عَسِيبَا
٣٨ فرَأَوْا قَشْعَمَ السِّيَاسَةِ قَدْ ثَقَّـــفَ مِنْ جُنْدِهِ القَنَا والقُلُوبَا
٣٩ حَيَّةُ اللَّيْلِ يُشْمِسُ الحَزْمُ مِنْهُ إِنْ أَرَادَتْ شَمْسُ النَّهَارِ غُرُوبَا
٤٠ لَوْ تَقَصَّوْا أَمْرَ الأَزَارِقِ خَالُوا قَطَرِيًّا سَمَا لَهُمْ أَوْ شَبِيبَـــا

(٣٦) أصل الصليل صوت ضرب الحديد بعضه على بعض ، وأراد صوت السيوف وهى تحز رقابهم ، والشهاب : القطعة من النار ، وقوله « دبوبا » بالدال المهملة وبالباء — أى يدب إليهم ، يعنى يسير ، ويروى « ذنوبا » أى ذا ذنب ، ورجحها التبريزى مستدلا بقوله وهو البيت ٧ من القطعة ٤ فى مدح المعتصم :

وخوفوا النـاس من دهياء مظلمة إذا بدا الـكوكب الغربى ذو الذنب

ويروى « رتوبا » أى راتبا ، ويروى أيضا « دؤوبا »

(٣٧)أرادوك: قصدوك ، والبيات : أن يأتى العدو ليلا وهم نائمون فيأخذ القوم على غرة منهم ، والمراداة : المراماة ، وهى أن يتبارى الخصمان فى الرمى ، و « هذا » فسرها التبريزى بالذى ، يعنى أنها اسم موصول ، وجوز أن تـكون اسم إشارة على الأصل ، كما جوز أن تـكون زائدة ، ومتالع وعسيب : جبلان

(٣٨) القشعم — بوزن جعفر — فى الأصل المسن من النسور ، وأراد بقشعم السياسة شيخها وصاحب الحنـكة والتجربة فيها ، وثقف القنا : قومها ، والمراد أنه أعد للحرب عدتها ، ودرب رجاله عليها ، وهيأهم لها

(٣٩) من طباع كثير من الحيات أن تترقب الليل فتخرج من جحرها لتبتلع فراخ الطير ، فأضافها أبو تمام إلى الزمان الذى تظهر فيه ، ومعنى « يشمس الحزم منه » أن حزمه يضىء له فتتضح له وجوه الرأى ، ويروى عجز البيت « حين فاءت شمس النهـار غروبا » ومعنى فاءت رجعت . ومعنى البيت أنه يستعد لأعدائه فلا ينام .

(٤٠) تقول « تقصيت عن الخبر » تريد أنك بحثت عن أقصاه ونهايته لتعلم حقيقته ، والأزارق : هم الأزارقة ، وهم جماعة من الخوارج كان يقودهم نافع بن الأزرق ، فنسبوا إليه ، وخالوا : ظنوا ، وقطرى:هو قطرى بن الفجاءة التميمى ، =

٤١ ثُمَّ وَجَّهْتَ فارسَ الأَزْدِ والأَوْ حَدَ فِي النُّصْحِ مَشْهَدًا وَمَغِيبَا
٤٢ فَتَصَلَّى مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاذٍ جَمْرَةَ الحَرْبِ وامْتَرَى الشُّؤْبُوبَا
٤٣ بِالعَوَالِي يَهْتِكْنَ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ صَدْرَهُ أَوْ حِجَابَهُ المَحْجُوبَا
٤٤ طَلَبَتْ أَنْفُسَ الكُمَاةِ فَشَقَّتْ مِنْ وَرَاءِ الجُيُوبِ مِنْهُمْ جُيُوبَا
٤٥ غَزْوَةٌ مُتْبِعٌ وَلَوْ كَانَ رَأْيٌ لَمْ تَفَرَّدْ بِهِ لَكَانَتْ سَلُوبَا

= وكان أمره قد اشتد وخطبه قد تفاقم فى أيام بنى مروان فسير الحجاج واليهم على العراق البعوث لقتاله ، وشبيب : هو ابن نعيم الشيبانى ، كان من رؤوس الخوارج أيضا ، حتى تسمى بأمير المؤمنين ، والخوارج كانوا من الفرسان المغاوير ، وكان لهم صبر على الجلاد ، واستماتة فيه ، ومعنى البيت أن هذا الممدوح فى شدته ونجدته وصلابته أحد هذين البطلين المشهود لهما بالجلادة والقوة

(٤١) فارس الأزد : هو محمد بن معاذ الذى سيذكره فى البيت التالى ، والمشهد: مصدر بمعنى الحضور ، والمغيب مصدر أيضا بمعنى الغياب ، يعنى أنه ناصح أمين إن كان بين يديك أو كان غائبا عنك .

(٤٢) تصلى : مثل اصطلى ، تقول : اصطلى فلان النار وتصلاها ، تريد أنه تعرض لها حتى لفحه حرها ، وامترى : أصل معناه مسح الضرع ليحلب اللبن ، والشؤبوب فى الأصل : الدفعة من المطر ، والمراد به هنا دماء العدو .

(٤٣) العوالى : جمع عالية ، والمراد بها الرماح ، وقوله « بالعوالى » يتعلق بقوله فى البيت السابق « امترى » يعنى أنه استنزف دماء أعدائه بطعنهم بالرماح .

(٤٤) الضمير المستتر فى « طلبت » يعود إلى العوالى ، يعنى طلبت هذه الرماح الكماة فشقت جيوب دروعهم ونفذت إلى القلوب فقتلتهم

(٤٥) المتبع : التى يتبعها ولدها ، وتفرد : أصله تتفرد فحذف إحدى التاءين ، والسلوب ــ بفتح السين ــ التى أخذ منها ولدها بموت أو ذبح ، يقول : إنه يتبع الغزوة بأختها ، ولو أنه شاور أصحابه لأشاروا عليه ألا يعود إلى الغزو ، يكنى بذلك عن شيئين أحدهما شدة القتال وضراوته وتعرض الأبطال فيه للموت ، والثانى تفرد الممدوح بالرغبة فى الغزو ومحبته

٤٦ يَوْمُ فَتْحٍ سَقَى أُسُودَ الضَّوَاحِي كُثَبَ الْمَوْتِ رَائِبًا وَحَلِيبَا

٤٧ فَإِذَا مَا الأَيَّامُ أَصْبَحْنَ خُرْسًا كُظَّمًا فِي الْفَخَارِ قَامَ خَطِيبَا

٤٨ كَانَ دَاءُ الإِشْرَاكِ سَيْفُكَ وَاشْتَدَّتْ شَكَاةُ الْهُدَى فَكُنْتَ طَبِيبَا

٤٩ أَنْضَرَتْ أَيْكَتِي عَطَايَاكَ حَتَّى صَارَ سَاقًا عُودِي وَكَانَ قَضِيبَا

٥٠ مُمْطِرًا لِي بِالْجَاهِ وَالْمَالِ ، مَا أَلْقَاكَ إِلاَّ مُسْتَوْهِبًا أَوْ وَهُوبَا

٥١ فَإِذَا مَا أَرَدْتُ كُنْتَ رِشَاءً وَإِذَا مَا أَرَدْتُ كُنْتَ قَلِيبَا

٥٢ بَاسِطًا بِالنَّدَى سَحَائِبَ كَفٍّ بِنَدَاهَا أَمْسَى حَبِيبٌ حَبِيبَا

---

(٤٦) الضواحى : جمع ضاحية ، وهى خارج البلد ، وهى أيضا التى اشتد فيها الشرك ، وكثب : جمع كثبة – بوزن مدية ومدى بضم أوله – والكثبة : القليل المجتمع من اللبن ، وهى أيضا مقدار الحلبة ، والرائب : الخاثر من اللبن أى الثخين المشتد ، والحليب : اللبن الذى لم يتغير

(٤٧) خرسا : جمع أخرس ، والكظم : تقرأ بضم الكاف والظاء جميعا فهو جمع كظوم بوزن صبور وصبر ، وتقرأ بضم الكاف وتشديد الظاء مفتوحة فهو جمع كاظم بوزن راكع وركع ، والكاظم والكظوم : الذى يسكت على غيظ ، والضمير المستتر فى « قام » يعود إلى « يوم فتح » فى البيت السابق

(٤٩) الأيكة : الشجر الملتف ، وأنضرت : صيرتها نضرة خضرة ، والساق : يختص بالأخضر الناضر ، فأما القضيب فيختص بما قطع من الأغصان فيبس وجف

(٥٠) يقول : بذلت لى المال وأعليت بين الناس ذكرى فكان ذلك لى جاها ، فأنا لا أراك إلا وأنت تهب لى أو تستوهب غيرك لى

(٥١) أصل الرشاء – بكسر الراء ، بزنة الكتاب – الحبل الذى ينزع به الدلو من البئر ، والقليب : البئر ، وقد أطلق ذلك مثلا للمعنى الذى أراده من البيت السابق ، يقول : أنت تعطينى مرة ، وتعرضنى لمن يعطينى مرة أخرى

(٥٢) كلمة حبيب الأولى : علم ، وهو اسم الشاعر (أبى تمام) وحبيب الثانى : وصف بمعنى محبوب ، يقول : أنت تعطينى العطاء الجزيل فأنا أنفق منه وأعطى الناس فيحبوننى ، ويصح أن يكون حبيب الثانى هو الأول نفسه ، والمعنى – على ذلك – أن الناس لم يعرفونى ولم يشتهر اسمى بينهم إلا بسبب عطائك .

٥٣ فإذا نِعْمَةُ امْرِىءٍ فَرِكَتْهُ فَاهْتَصِرْهَا إِلَيْكَ بِكْرًا عَرُوبَا

٥٤ وَإِذَا الصُّنْعُ كَانَ وَحْشًا فَمُلِّيـت بِرَغْمِ الزَّمَانِ صُنْعًا رَبِيبَا

٥٥ فَبَقَاءٌ حَتَّى يَفُوتَ أَبُو يَعْقُوبَ فِي سِنِّهِ أَبَا يَعْقُوبَا

* * *

(١٢)

وقال فى أبى سعيد أيضاً :

١ إِنِّى أَتَتْنِي مِنْ لَدُنْكَ صَحِيفَةٌ غَلَبَتْ هُمُومَ النَّفْسِ وَهْيَ غَوَالِبُ

---

(٥٣) فركه — من باب علم ، وربما جاء من باب نصر — فركا بوزن النصر ، وفروكا بوزن القعود : أى أبغضه ، ويقال : الفرك خاص ببغض المرأة زوجها ، واهتصرها : أى اجذبها واعطفها إليك ، وقوله « بكرا عروبا » روى « ولهى عروبا » والعروب — بفتح العين — المرأة المتحببة إلى زوجها .

(٥٤) وحشا : نافرا ، وربيبا : مربوبا عندك ، وأراد به الأليف . يقول : إذا كان صنع الله عند قوم وحشا نافرا فملاك الله صنعا أليفا لك

(٥٥) بقاء : معطوف على « صنعا ربيبا » فى البيت السابق ، ويفوت : يزيد ، وأبو يعقوب الأول : كنية ابن الممدوح ، وأبو يعقوب الثانى : كنية والد الممدوح يقول : متعك الله بالبقاء حتى يزيد عمر ابنك على عمر أبيك

* * *

(١٢)

وردت هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ١٣ تالية للقصيدة السابقة ، وصدر لها بقوله « وقال يمدحه » ووردت فى مطبوعة مصر ١٢٩٢ ومطبوعة بيروت غير المؤرخة كذلك تالية للقصيدة قبلها لكن يكون رقمها فيهما ١٦

(١) « هموم النفس » ورد فى شرح التبريزى «هموم الصدر» ، يقول : وردتنى صحيفتك فأزاحت عنى الهموم التى أثقلتنى

٢ وَطَلَبْتَ وُدِّي والتَّنَائِفُ بَيْنَنَا فَنَدَاكَ مَطْلُوبٌ وَمَجْدُكَ طَالِبُ

٣ فَلَتَلْقَيَنَّكَ حَيْثُ كُنْتَ قَصَائِدٌ فِيهَا لأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ مَآرِبُ

٤ فَكَأَنَّمَا هِيَ فِي السَّمَاعِ جَنَادِلٌ وَكَأَنَّمَا هِيَ فِي الْقُلُوبِ كَوَاكِبُ

٥ وَغَرَائِبٌ تَأْتِيكَ إِلاَّ أَنَّهَا لِصَنِيعِكَ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ أَقَارِبُ

٦ نِعَمٌ إِذَا رُعِيَتْ بِشُكْرٍ لَمْ تَزَلْ نِعَمًا، وإِنْ لَمْ تُرْعَ فَهْيَ مَصَائِبُ

٧ كَبُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى بِنَدَاكَ وَهْوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبُ

٨ وَتَتَابَعَتْ أَيَّامُهُ وَشُهُورُهُ عُصَبًا يُغِرْنَ كَأَنَّهُنَّ مَقَانِبُ

---

(٢) التنائف : جمع تنوفة ، بوزن ركوبة وركائب ، والتنوفة : الأرض القفر (الصحراء) والندى : الجودوالعطاء ، يقول : رغبت فى مودتى وطلبتها فى رسالتك ، وعطاؤك مطلوب لى ، وكريم صفاتك طالبة منى أن أؤدى حقها من المديح

(٣) مآرب : جمع مأرب ، وهو كالمطلب وزنا ومعنى

(٤) يروى « فى العيون كواكب » ويروى «فى القلوب كواعب» والكواعب : جمع كاعب ، وهى الفتاة التى كعب ثديها : أى نهد وبرز

(٥) غرائب : جمع غريبة ، ويريد بها قصائده ، يقول : إن قصائدى فى مديحك غرائب ؛ لأنها ليست كالذى عهده الناس من الشعراء ، ولكنها إذا قرنت بصنائعك وجدت أقارب لها ، لأن صنيعك نادر غريب عن صنائع الممدوحين ، فقرابتهما من تماثلهما فى هذه الجهة

(٦) يروى « رعيت بشكرك » وأراد من شكر الممدوح قبولها والإثابة عليها .

(٧) روى الصولى هذا البيت هكذا :

كثرت خطايا الدهر فى ، وإنما بنداك أضحى وهو منها تائب

(٨) العصب : جمع عصبة وهى الجماعة ، والمقانب : جمع مقنب ــ بوزن منبر ومنابر ــ وهو الجماعة من الخيل والفرسان ، وقال لبيد بن ربيعة :

وإذا تواكلت المقانب لم يزل بالثغر منا منسر معلوم

٩ مِنْ نَكْبَةٍ مَحْفُوفَةٍ بِمُصِيبَةٍ جُبَّ السَّنَامُ لَهَا وَجُذَّ الْغَارِبُ
١٠ أَوْ لَوْعَةٍ مَنْتُوجَةٍ مِنْ فُرْقَةٍ حَقُّ الدُّمُوعِ عَلَيَّ فِيهَا وَاجِبُ
١١ وَوَلِهْتُ مُذْ زُمَّتْ رِكَابُكَ لِلنَّوَى
فَكَأَنَّنِي مُذْ غِبْتَ عَنِّي غَائِبُ

* * *

(١٣)

وقال يمدح خالد بن يَزِيدَ [بن مَزْيد] الشيبانى :

١ لَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ دَارِ مَاوِيَّةَ الْحُقْبُ
أَنُحْلُ الْمَغَانِي لِلْبِلَى هِيَ أَمْ نَهْبُ

(٩) محفوفة : محوطة ، جب السنام : قطع ، وفى التبريزى « جذ السنام » بالذال معجمة ، والكثير الاستعمال فى كلام العرب هو « جب السنام » وقد استعمله النابغة فى الظهر ، وذلك فى قوله :

ونمسك بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام

(١٠) تقول : نتجت الناقة ــ بالبناء للمجهول ــ وتقول : نتج القوم الناقة ، فتبنيه حينئذ للمعلوم . يقول : إن مصائب الدهر ونوائبه تتوالى على يتبع بعضها بعضا فلا أجد متنفسا لى إلا البكاء ، فكأنه حق يجب على أداؤه .

(١١) ولهت ــ من باب فرح ــ أى ذهب عقلى وتحير فكرى ، وزمت ركابك: وضع الزمام لها ، والمراد الاستعداد للرحيل ، والنوى : الفراق ، يقول : لما علمت بأنك تستعد للرحيل ذهب عنى عقلى وطار لبى جزعا لفراقك .

* * *

(١٣)

فى جميع النسخ وقعت هذه القصيدة تالية للتى قبلها .

(١) ماوية : هو اسم من أسماء النساء ، منقول من قولهم للمرآة ماوية ، والحقب: برهة من الزمان طويلة لاحد لها ، والنحل ــ بضم فسكون ــ العطية ، والنهب : المنهوب ، أى المأخوذ على رغم صاحبه . يقول : هل صارت المغانى عطية للبلى أم نهبا ؟ فنحل : خبر مقدم ، والمغانى : مبتدأ مؤخر ، وقد كان يجب أن ينون نحلا ، لكنه أسقط التنوين .

٢ وَعَهْدِى بِهَا إِذْ نَاقِضُ الْعَهْدِ بَدْرُهَا مُرَاحُ الْهَوَى فِيهَا وَمَسْرَحُهُ الْخِصْبُ

٣ مُؤَزَّرَةً مِنْ صَنْعَةِ الْوَبْلِ وَالنَّدَى بِوَشْيٍ وَلَا وَشْيٌ وَعَصْبٍ وَلَا عَصْبُ

٤ تَحَيَّرَ فِى آرَامِهَا الْحُسْنُ فَاغْتَدَتْ قَرَارَةَ مَنْ يُصْبِي وَنُجْعَةَ مَنْ يَصْبُو

٥ سَوَاكِنُ فِى بِرٍّ كَمَا سَكَنَ الدُّمَى نَوَافِرُ مِنْ سُوءٍ كَمَا نَفَرَ السِّرْبُ

---

(٢) ناقض العهد : أراد به حبيبه الذى غدر بحقوق المحبة ، وهو مبتدأ خبره قوله « بدر ها » اى الذى يملأها نورا وبهجة ، يقول : لقد عهدت هذه الدار فى الوقت الذى كان هذا الحبيب الناقض لعهد الوداد بدرا يضىء نواحى الديار ، وأصل المسرح – بفتح الميم – مصدرقولهم « سرح الرجل ماشيته » إذا أخرجها إلى المرعى وقت الغداة ، والمراح – بضم الميم – أن يردها فى العشية ، وهم يطلقون ذلك ويريدون الدلالة على الوقت ، ومن ذلك قول النابغة :

وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

ومراح الهوى : مبتدأ ، ومسرحه : معطوف عليه ، و « فيها » خبر المبتدأ ، وهذه الجملة خبر المبتدأ الأول الذى هو « عهدى » أو تكون هذه الجملة ابتدائية ، ويكون خبر المبتدأ الأول محذوفا .

(٣) مؤزرة : هذه الكلمة تحتمل معنيين ، الأول أن تكون اسم مفعول من قولهم « أزرت الجارية » أى ألبستها الإزار ، والثانى أن تكون اسم مفعول من قولهم « أزر المطر النبات فتأزر » إذا التف واشتد وقوى ، ومنه قول الشاعر :

تأزر فيه النبت حتى تخايلت رباه ، وحتى ماترى الشاء نوما

والوبل : المطر الشديد الوقع ، ويروى « من صنعة الطل » وهو المطر الخفيف ، والوشى : نقش الثوب ، والعصب : ضرب من الثياب اليمانية ذو نقوش . يقول : لها إزار من الروض وضروب من النبات تشبه الوشى والعصب .

(٤) الآرام : جمع رئم ، وهو الظبى الخالص البياض ، وأراد النساء على التشبيه ومعنى « تحير الحسن فيهن » أنه لزمهن ولم يفارقهن ، والنجعة – بضم النون – طلب الكلأ فى مواضعه . يقول : كانت هذه الديار مساكن الفاتنات من النساء والموضع الذى يرتاده أهل الصبوة من العشاق

(٥) الدمى : جمع دمية ، وهى الصورة من عاج ، وتشبه بها النساء ، والسرب –

٦ كَوَاعِبُ أَتْرَابٌ لِغَيْدَاء أَصْبَحَتْ
وَلَيْسَ لَهَا فِى الْحُسْنِ شِكْلٌ وَلاَ تِرْبُ

٧ لهَا مَنْظَرٌ قَيْدُ النَّوَاظِرِلَمْ يَزَلْ يَرُوحُ وَيَغْدُو فِى خِفَارَتِهِ الْحُبُّ

٨ يَظَلُّ سَرَاةُ الْقَوْمِ مَثْنَى وَمَوْحَدًا
نَشَاوَى بِعَيْنَيْهَا كَأَنَّهُمُ شَرْبُ

٩ إِلَى خَالِدٍ رَاحَتْ بِنَا أَرْحَبِيَّةٌ مَرَافِقُهَا مِنْ عَنْ كَرَاكِرِهَا نُكْبُ

١٠ جَرَى النَّجَدُ الأَحْوَى عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ
مِنَ السَّيْرِ وُرْقًا وَهْىَ فِى نَجْرِهَا صُهْبُ

= بكسر السين ـ الجماعة من الظباء ونحوها . وقد قابل بين البر والسوء ، وبين السواكن والنوافر

(٦) الكواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية التى كعب ثديها ونهد ، والأتراب : جمع ترب ـ بكسر التاء ـ وهى اللدة : أى المساوية فى السن ، والغيداء : الناعمة ، وصف المؤنث من الغيد ـ بفتح الغين والياء ـ وهو النعمة والتثنى

(٧) قيد النواظر : أراد أن من ينظر إليها لم يستطع أن يحول نظره عنها ، وأصل هذه الكلمة من قول امرىء القيس :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

والخفارة ـ بكسر الخاء ، أو ضمها ، أو فتحها ـ الحماية والذمام

(٨) سراة القوم : خيارهم وأماثلهم ، ومثنى وموحدا : أراد مجتمعين أو منفردين وقد صرف « موحدا » ومن حقه المنع من الصرف للعلمية والعدل ، والنشاوى : جمع نشوان ، وهو من كان فى أول السكر ، والشرب : جمع شارب ، ونظيره راكب وركب .

(٩) أرحبية : نوق ، منسوبة إلى أرحب ، وهم قوم من همدان تنسب إليهم نجائب الإبل ، والكراكر : جمع كركرة ـ بكسر الكافين وسكون الراء بينهما ـ وهى رحى زور البعير والناقة ، ونكب : جمع أنكب ، وهو المائل ، ومن صفات الإبل المستحسنة أن تكون مرافقها مفتولة

(١٠) النجد ـ بفتح النون والجيم جميعا ـ العرق ، والأحوى : الأسود ، والورق : جمع أورق أو ورقاء ، وهى التى لونها الورقة ، وأصل ذلك أن يكون اللون يشبه =

١١ إلى مَلِكٍ لَوْلاَ سِجَالُ نَوَالِهِ
لَمَا كانَ لِلْمَعْرُوفِ نِقْيٌ وَلاَ شَخْبُ

١٢ مِنَ البِيضِ مَحْجُوبٌ عَنِ السُّوءِ وَالْخَنَا
وَلاَ تَحجُبُ الأنْوَاءَ مِنْ كَفِّهِ الْحُجْبُ

١٣ مَصُونُ الْمَعَالِي ، لاَ يَزِيدُ أَذَالَهُ ،
وَلاَ مَزْيَدٌ ، وَلاَ شَرِيكٌ ، وَلاَ الصُّلْبُ

١٤ ولا مُرَّتَا ذُهْلٍ ولا الْحُصْن غَالَهَ وَلَا كَفَّ شَأْوَيْهِ عَلِيٌّ وَلاَ الصَّعْبُ

١٥ وَأَشْبَاهُ بَكْرُ المجد بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ
وَقَاسِطُ عَدْنَانٍ وَأَنْجَبَهُ هِنْبُ

= ورق الشجر ، والصهب : جمع أصهب أوصهباء ، وصف من الصهبة ، وهي الحمرة أو الشقرة . يقول : جرى عليها العرق الأسود من التعب فصارت كأنها ورق ربد ، وهي في أصلها صهب ، والورق من بطاء الإبل ؛ والصهب معدودة من أكرمها ، ويروى « وهي في لونها »

(١١) السجال : جمع سجل ، وهي الدلو المملوءة ماء ، والنوال : العطاء ، ويروى «سجال يمينه» والنقي ـ بكسر النون وسكون القاف ـ المخ ، والشخب ـ أصله صوت خروج اللبن من الضرع ، وقد يسمى اللبن نفسه شخبا

(١٣) يزيد ، وشريك ، والصلب : كل هذه أسماء لآباء الممدوح ، ويروى « أذالها » فيعود الضمير إلى المعالي . يقول : لم يدخل عليه من آبائه ولا من ذوى قرابته ومن ينتسب إليه نقص ؛ فمعاليه مصونة

(١٤) مرتا ذهل : تثنية مرة ، وللممدوح جدان كل واحد منها يسمى مرة ، والحصن وعلى والصعب : من أسماء جدوده أيضا ، و « شأويه » مثنى شأو ، وأصل الشأو الطلق فى الجرى ، وقد تسمى الغاية التي يجرى إليها شأوا ، وغاله : أخذه من حيث لايعلم ، يقول : لم يعقه عن بلوغ أعلى درجات المجد أصله ، فهو ينتمى إلى آباء أمجاد وأصول كرام

(١٥) أشباه : أى كفاه ، ومنه قول ذى الإصبع العدانى :

وهم من ولدوا أشبوا بسر الحسب المحض

ويأتى « أشباه » بمعنى أشفق عليه ، و«بكر المجد» فاعل أشبى ، و« بكر بن =

١٦ مَضَوْا وَهُمُ أَوْتَادُ نَجْدٍ وَأَرْضِهَا يُرَوْنَ عِظَاماً كُلَّمَا عَظُمَ الْخَطْبُ
١٧ وَمَا كَانَ بَيْنَ الْهَضْبِ فَرْقٌ وَبَيْنَهُمْ سِوَى أَنَّهُمْ زَالُوا وَلَمْ يَزُلِ الْهَضْبُ
١٨ لهم نَسَبٌ كَالْفَجْرِ مَا فِيهِ مَسْلَكٌ خَفِيٌّ ، وَلَا وَادٍ عَنُودٌ ، ولا شِعْبُ
١٩ هُوَ الإِضْحِيَانُ الطَّلْقُ رَفَّتْ فُرُوعُهُ وَطَابَ الثَّرَى مِنْ تَحْتِهِ ، وَزَكَا التُّرْبُ
٢٠ يَذُمُّ سَنِيدُ الْقَوْمِ ضِيقَ مَحَلِّهِ عَلَى الْعِلْمِ مِنْهُ أَنَّهُ الْوَاسِعُ الرَّحْبُ
٢١ رَأَى شَرَفاً مِمَّنْ يُرِيدُ اخْتِلَاسَهُ بَعِيدَ المَدَى فِيهِ عَلَى أَهْلِهِ قُرْبُ

= وائل» بدل منه ، وقاسط عدنان: جد تغلب وبكر فإنهما ابنا وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى ، ومنه تعرف معنى قوله « وأنجبه هنب »

(١٦) أوتاد : جمع وتد ، والمراد أنهم الذين يثبتون نجدا ويرسونها، وأصل هذه العبارة قوله تعالى (ألم نجعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا)

(١٧) يقول : لقد كان هؤلاء القوم أمثال الجبال التى أرسى الله بها الأرض ، لكنهم زالوا وبقيت الجبال مكانها

(١٨) عنود : أى مخالف مائل ، يقول : إن نسب هؤلاء القوم ناصع واضح كأنه الفجر ، ومافيه خفاء ، ولا يختلف بعضه عن بعض

(١٩) الإضحيان : المضىء ، من قولهم « ليلة إضحيانة » أى مضيئة ، والطلق : المعتدل الذى لا حر فيه ولا برد ، ورفت فروعه : أى اهتزت لنعمته وطراوته

(٢٠) سنيد القوم : رئيسهم الذى تسند أمورهم إليه ، والضمير فى «محله» يعود إلى سنيد القوم . يعنى أن من رأى من رؤساء الناس محل هذا الممدوح وما ينزله من وفود القاصدين صغر عنده محل نفسه مع أنه فسيح واسع رحب ، ويطلق « سنيد القوم » على الدعى اللصيق بهم ، فلو أريد هذا المعنى فى هذا البيت كان الضمير فى « محله » عائدا إلى الممدوح ، ويكون المعنى : إن حاسد هذا الممدوح – وهو دعى لصيق – يزعم أن محل هذا الممدوح ضيق مع أنه يعلم فى قرارة نفسه أنه رحب فسيح يتسع لكل راغبيه ، وهذا المعنى أقرب إلى معنى البيت الذى يليه .

٢٢ فيا وَشَلَ الدُّنيا بِشَيْبانَ لا تَغِضْ ... ويا كَوْكَبَ الدُّنيا بِشَيْبانَ لا تَخِبْ

٢٣ فما دَبَّ إلاَّ في بُيُوتِهِم النَّدَى ... ولَمْ تَرْبُ إلاَّ في حُجُورِهِمُ الحَرْبُ

٢٤ أُولاكَ بَنُو الأَحْسابِ لَوْلاَ فَعالُهُمْ ... دَرَجْنَ فلم يُوجَدْ لِمَكْرُمَةٍ عَقْبُ

٢٥ لَهُمْ يَوْمُ ذِى قارٍ مَضَى وهْوَ مُفْرَدٌ ... وَحِيدٌ مِنَ الأَشْباهِ لَيْسَ لَهُ صَحْبُ

٢٦ بِهِ عَلِمَتْ صُهْبُ الأَعاجِمِ أَنَّهُ ... بِهِ أَعْرَبَتْ عَنْ ذاتِ أَنْفُسِها العُرْبُ

٢٧ هُوَ المَشْهَدُ الفَصْلُ الذى ما نَجا بِهِ ... لِكِسْرَى بْنِ كِسْرَى لا سَنامٌ ولا صُلْبُ

(٢٢) أصل الوشل الماء القليل ، ولا يجوز أن يكون أراد تشبيههم به ، لأنه يرى أنه لاجود فى الدنيا إلا جودهم ، لكنه لما أراد أن يقول : إنه لم يبق من الكرام الذين كانوا كثيرى العدد إلا بنو شيبان عبر عنهم بالوشل ، وقد يكون أراد مجرد الماء من غير نظر إلى وصفه بالقلة ، وقد يكون استعمله فى الماء الكثير بعلاقة المضادة ، والوجه الأول أحسن هذه الوجوه .

(٢٣) يروى « فمارب » ويروى « ولم ترب إلا فى بيوتهم »

(٢٤) الأحساب : جمع حسب ، وهو مآثر الرجل ومآثر آبائه ، ومعنى «درجن» فنين ولم يبق لهن ولد .

(٢٥) يوم ذى قار : هو اليوم الذى ظفرت فيه بنو شيبان بجيوش كسرى ، ويروى « وحيد من الأيام »

(٢٦) صهب : جمع أصهب ، وهو الأشقر شعر الرأس ، وإضافة صهب إلى الأعاجم من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وشقرة شعر الرأس تغلب على الأعاجم لذلك يوصفون به ، ويروى « أنها به أعربت » ومعنى أعربت أظهرت وبينت ، والمعنى أن الأعاجم علمت فى يوم ذى قار ما كانت تنطوى عليه أنفس العرب من تطلبهم فرصة سانحه للوثوب عليهم

(٢٧) المشهد : أراد موقعة الحرب التى شهدها الفريقان ، والفصل : مصدر يراد به اسم الفاعل : أى الفاصل ، وأصل السنام ـ بفتح السين ـ المكان العالى المحدودب =

٢٨ أَقُولُ لأَهْلِ الثَّغْرِ قَدْ رُئِبَ الثَّأَى	وَأُسْبِغَتِ النَّعْماءُ وَالْتَأَمَ الشَّعْبُ
٢٩ فَسِيحُوا بِأَطْرافِ الْبِلَادِ وَأَرْتِعُوا	فَمَا خَالِدٍ مِنْ غَيْرِ دَرْبٍ لَكُمْ دَرْبُ
٣٠ فَتًى عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ وَشَرُّهُ	وَمِنْهُ الإِبَاءُ المِلْحُ وَالْكَرَمُ الْعَذْبُ
٣١ أَشَمُّ شَرِيكِيٌّ يَسِيرُ أَمَامَهُ	مَسِيرَةَ شَهْرٍ فِي كَتَائِبِهِ الرُّعْبُ
٣٢ وَلَمَّا رَأَى تَوفِيلُ رَايَاتِكَ الَّتِي	إِذَا مَا اسْتَقَامَتْ لا يُقَاوِمُهَا الصُّلْبُ
٣٣ تَوَلَّى وَلَمْ يَأْلُ الرَّدَى فِي اتِّبَاعِهِ	كَأَنَّ الرَّدَى فِي قَصْدِهِ هَائِمٌ صَبُّ

= من الجمل ، والصلب ــ بضم الصاد وسكون اللام ــ من الكاهل إلى عجب الذنب ، وأراد بالسنام والصلب رؤساء القوم وأهل الشوكة منهم . يقول : إن يوم ذى قار كان هو الموقعة الفاصلة التى استأصلت شأفة العجم فلم تبق منهم باقية

(٢٨) رئب ــ بالبناء للمجهول ــ أصلح ، والثأى ــ بوزن الفتى ــ الإفساد ، وأصله أن ينكسر الإناء فتخرزه فتلأمه ، وأسبغت النعماء : أضفيت ووسعت

(٢٩) سيحوا بأطراف البلاد : أراد سيروا متفرقين بنواحى البلاد لأنه لاخوف على أحدكم إذا سار إذ لم تبق جماعة تستطيع أن تغير ، وإن لكم من رماح خالد الحصن الحصين الذى يدفع عنكم، ويروى « بأطراف الفضاء »

(٣٠) ويروى « ومنه الإباء المر » والإباء : الامتناع ، وأراد أنه يأبى الضيم والهضيمة ، يقول : إن عند خالد الثواب الجزيل للمحسن والعقاب الأليم للمسىء .

(٣١) الأشم : المرتفع قصبة الأنف ، والعرب تجعل ذلك علامة الكرم ، وشريكى : منسوب إلى شريك ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الجيش ، ويروى « فى صوائفه » ، وأخذ هذا البيت من معنى الحديث « نصرت بالرعب مسيرة شهر » .

(٣٢) توفيل : طاغية الروم الذى حاربه العرب ، وروى « إذا ما اتلأبت » وهو بمعنى استقام . تقول « اتلأب الطريق » : أى استقام

(٣٣) تولى : أراد فر وهرب ورجع ، وهو جواب « لما » فى البيت السابق ولم يأل : لم يقصر ولم يتمهل ، والردى : الهلاك ، والهائم الصب : العاشق المغلوب على نفسه . يقول : إنه لما رأى الرايات وعلم بمن يسير تحتها من الأبطال فر مذعورا ، ولكن الهلاك كان يطارده ويلاحقه ، وجعل الردى هائما صبابه لذلك .

٣٤ كَأَنَّ بِلَادَ الرُّومِ عُمَّتْ بِصَيْحَةٍ
فَضَمَّتْ حَشَاهَا أَوْرَغَا وَسْطَهَا السَّقْبُ

٣٥ بِصَاغِرَةَ الْقُصْوَى وَطِمِّيْنِ وَاقْـتَرَى
بِـــلَادَ قَرَنْطَاوُسَ وَابِلُكَ السَّـكْبُ

٣٦ غَدَا خَائِفًا يَسْتَنْجِدُ الْـكُتْبَ مُذْعِنًا
عَلَيْكَ ، فَلَا رُسْـلٌ تَنَنْكَ وَلَا كُـتْبُ

٣٧ وَمَا الْأَسَدُ الضِّرْغَامُ يَوْمًا بِعَاكِسٍ
صَرِيمَتَهُ إِنْ أَنَّ أَوْ بَصْبَصَ الْـكَلْبُ

٣٨ فَمَرَّ وَنَارُ الْحَرْبِ تَلْفَحُ قَلْبَهُ وَمَا الرَّوْحُ إِلَّا أَنْ يُخَامِرَهُ الْـكَرْبُ

---

(٣٤) عمت بصيحة : يشير إلى قوله تعالى (وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين) من الآية ٩٤ من سورة هود ، والسقب — بفتح فسكون — أصله الذكر من النوق ، والأنثى حائل ، ويريد بالسقب ولد ناقة صالح التي عقرها شقي ثمود ، فكانت سبب هلاكهم ، قالوا : لما عقروا الناقة رغاسقبها ثلاثة ، ثم أهلكوا .

(٣٥) صاغرة القصوى : بلد ، ويروى « بصاغرة الوسطى » ويروى « بصارخة » وطمين : بلد أخرى ، ويروى « وزمين » ومعنى اقترى تتبع ويروى في مكانه « والقرى » ويروى « بلادقرنطاوس » ويروى أيضا « بلادقريطاميس »

(٣٦) غدا : يرجع الضمير المستتر فيه إلى توفيل ، يستنجد الكتب : أرادالرسائل والرسل التي كان يبعث بها إليه استدرارا لعطفه وطلباً لرأفته ، ومذعنا : مطيعاصاغرا خاضعا ، ولارسل ثنتك : يعني لم تعطفه عليه الرسل .

(٣٧) عاكس : أصل العكس القلب ، والصريمة : أراد مايمضيه من عزمه ، وأن : من الأنين ، ومعنى « بصبص الكلب » حرك ذنبه تقربا للانسان ومداراة له ، يقول : إن الأسد الضاري لا يغير ماعقد عليه عزمه إذا أن الكلب أو حرك ذنبه مداراة له ، ويروى « بعاطف صريمته » ويروى « بعاكم صريمته » .

(٣٨) نار الحرب : روى التبريزي « نار الكرب » وهي أقرب إلى صنعة =

٣٩ مَضَى مُدْبِراً شَطْرَ الدَّبُورِ وَنَفْسُهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ سُوءِ ظَنٍّ بِهَا أَلْبُ

٤٠ جَفَا الشَّرْقَ حَتَّى ظَنَّ مَنْ كَانَ جَاهِلاً بِدِينِ النَّصَارَى أَنَّ قِبْلَتَهُ الغَرْبُ

٤١ رَدَدْتَ أَدِيمَ الْغَزْوِ أَمْلَسَ بَعْدَمَا غَدَا وَلَيَالِيهِ وَأَيَّامُهُ جُرْبُ

٤٢ بِكُلِّ فَتًى ضَرْبٍ يُعَرِّضُ لِلْقَنَا مُحَيًّا مُحَلَّى حَلْيُهُ الطَّعْنُ وَالضَّرْبُ

٤٣ كُمَاةٌ إِذَا تُدْعَى نَزَالِ لَدَى الْوَغَى رَأَيْتَهُمُ رَجْلَى كَأَنَّهُمُ رَكْبُ

٤٤ مِنَ الْمَطَرِيِّينَ الْأُولَى لَيْسَ يَنْجَلِي بِغَيْرِهِمِ لِلدَّهْرِ صَرْفٌ وَلاَ لَزْبُ

= أبى تمام . وتلفح قلبه : تحرقه ، ويروى «تلفح وجهه» والروح - بفتح الراء وسكون الواو - النعيم والفرح ، ويخامره : يخالطه . يقول : ليس الفرح للمسلمين إلا أن ينزل الكرب بهذا العدو .

(٣٩) مدبرا شطر الدبور: نحو مهب الدبور ، وتقول :هؤلاء القوم ألب عليك - بفتح الهمزة وسكون اللام ، أو بكسر الهمزة - تريد أنهم تجمعوا وتألبوا عليك .

(٤١) أراد من قوله «رددت أديم الغزو أملس» أنه صيره لاعيب فيه ، ويروى « رددت أديم الدين » يريد نفيت عنه كل ما كان يخالطه ويلابسه من الشرك حتى كأنه كان أجرب فصيرته أملس .

(٤٢) فتى ضرب - بفتح الضاد وسكون الراء- خفيف الجسم واللحم ، والمحيا : الوجه ، وأصله اسم المفعول من « حييته » بالتضعيف - أى قابلته بالتحية .

(٤٣) الكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع الذى يتكمى بسلاحه : أى يتغطى به ، و « نزال » يجوز أن يكون اسم فعل بمعنى أنزل مثل ضراب وكتاب - بفتح أولهما وبنائهما على الكسر - بمعنى اضرب واكتب ، ويجوز أن يكون « نزال » اسما للحرب مثل حذام وقطام ورقاش ، وإنما سموا الحرب نزال لأنهم كانو إذا التقوا صاحوا « نزال » أى انزلوا عن أفراسكم لنتقاتل ونحن رجالة ، وقال زهير :

ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج فى الذعر

ورجلى: جمع رجلان ، ونظيره عطشان وعطشى وجوعان وجوعى وغرثان وغرثى ، ويروى « رجلا » وهو جمع راجل مثل راكب وركب وصاحب وصحب .

(٤٤) المطريين : المنسوبين إلى مطر ، وهو أحد جدودهم ، واللزب : جمع لزبة ، وهى الشدة ، ويروى « صرف ولا كرب » .

٤٥ وَلاَ اجْتُلِيَتْ بِكْرٌ مِنَ الْحَرْبِ نَاهِدٌ
وَلاَ ثَيِّبٌ إِلاَّ وَمِنْهُمْ لَهَا خِطْبُ

٤٦ جُعِلْتَ نِظَامَ الْمَكْرُمَاتِ فَلَمْ تَدُرْ
رَحَا سُؤْدَدٍ إِلاَّ وأَنْتَ لَهَا قُطْبُ

٤٧ إِذَا افْتَخَرَتْ يَوْماً رَبِيعَةُ أَقْبَلَتْ مُجَنِّبَتَىْ مَجْدٍ وَأَنْتَ لَهَا قَلْبُ

٤٨ يَجِفُّ الثَّرَى مِنْهَا وَتُرْبُكَ أَيِّنٌ وَيَنْبُو بِهَا مَاءُ الْغَمَامِ ومَا تَنْبُو

٤٩ بِجُودِكَ تَبْيَضُّ الْخُطُوبُ إِذَا دَجَتْ
وَتَرْجِعُ عَنْ أَلْوَانِهَا الْحِجَجُ الشُّهْبُ

(٤٥) أصل الناهد التى نهد ثديها ونهض ، وقد استعار البكر والناهد للحرب التى لم يسبق فيها قتال ، والثيب للحرب التى سبق فيها قتال ، وقوله «اجتليت» أصله من جلوة العروس ، فاستعارها لخوض معمعة الحرب ، وخطب المرأة ــ بكسر الخاء وسكون الطاء ــ الذى يخطبها . يريد أنهم يرغبون فى الحرب ويخوضون المعارك على كل صفة ، سواء أكانت حرباً لم يقاتل فيها من قبل أم كانت قد قوتل فيها .

(٤٦) قطب الرحى : العمود الذى فى وسطها يمنعها أن تخرج عن دائرة دورانها ، شبهه به .

(٤٧) أراد بالمجنبتين ميمنة الجيش وميسرته ، ومن عادتهم فى ترتيب الجيوش أن يجعلوا عميد الجيش والصناديد من أبطال المواقع فى القلب ، كنى بكونه قلب جيش المجد عن كونه زعيمه وعميده .

(٤٨) يقول : إذا يبس ثرى ربيعة فأجدبوا وجدوا تربك ثريا فرتعوا فيه وأخصبوا ، وإن أخلفهم المطر لم تخلفهم أنت ، قال الصولى « يجوز أن تكون الهاء فى منها للمكرمات ، والاختيار عندى أن تكون راجعة على ربيعة » اهـ .

(٤٩) الخطوب : جمع خطب ، وهو الحادثة من حادثات الدهر ، ودجب : أظلمت ، والحجج : جمع حجة ــ بكسر الحاء ــ وهى السنة ، والشهب : جمع شهباء وهى القليلة المطر ، وإنما قيل لها شهباء لأن أرضها لا تخضر بالنبات وتكون بيضاء ، يقول : إن بجود خالد تنكشف صروف الدهر ، وتعود سنو القحط وهى سنوات خصب ونماء . ويروى عجز البيت « وتسود من إدراره الحجج الشهب » والخضرة الشديدة عندهم سواد .

٥٠ هُوَ المَرْكَبُ المُدْنِي إلى كُلِّ سُؤْدُدٍ وَعَلْياء إلاَّ أنَّهُ المَرْكَبُ الصَّعْبُ

٥١ إذَا سَبَبٌ أمْسَى كَهاماً لَدَى امْرِئٍ
أجابَ رَجائِي عِنْدَكَ السَّبَبُ العَضْبُ

٥٢ وَسَيَّارَةٍ فِي الأرْضِ لَيسَ بِنازِحٍ عَلَى وَخْدِها حَزْنٌ سَحِيقٌ ولاَ سَهْبُ

٥٣ تَذُرُّ ذُرُورَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَتُمْسِي جَمُوحًا ما يُرَدُّ لَها غَرْبُ

٥٤ عَذَارَى قَوافٍ كُنْتَ غَيْرَ مُدافَعٍ أبا عُذْرِها لاَ ظُلْمَ ذَاكَ ولاَ غَصْبُ

٥٥ إذَا أُنْشِدَتْ فِي القَوْمِ ظَلَّتْ كأنَّها مُسِرَّةُ كِبْرٍ أوْ تَدَاخَلَها عُجْبُ

٥٦ مُفَصَّلَةً باللُّؤْلُؤِ المُنْتَقَى لَها مِنَ الشِّعْرِ إلاَّ أنَّهُ اللُّؤْلُؤُ الرَّطْبُ

* * *

(٥٠) هو : أى الجود يقول : إن الجود يقرب كل من ركبه إلى السؤدد والعلياء ، إلا أنه مركب صعب لا يستطيعه إلا كرام الناس .

(٥١) أصل الكهام ـ بوزن السحاب ـ السيف غير القاطع ، وأصل العضب السيف القاطع ، يقول : إذا كانت الأسباب عند الناس جميعا وضعفت ولم تكن موصلة إلى الغايات كانت أسبابى منك نافذة موصلة إلى كل رجاء لى .

(٥٢) أراد بالسيارة قصيدة من قصائده ، والوخد : ضرب من السير ، والحزن : ما ارتفع وغلظ من الأرض ، والسحيق : البعيد ، والسهب : الفضاء الواسع ، يريد أن قصيدته تأخذ بألباب الناس فيحملونها إلى كل مكان ولا يبعد عليها حزن ولا سهب

(٥٣) تذر ذرور الشمس : تطلع مثل طلوع الشمس ، وجموحا : أى لا يردها شىء ، وغرب كل شىء : حده .

(٥٤) العذارى : جمع عذراء ، وأصله المرأة البكر التى لم يقربها أحد ، وأراد أنها مما لا يقدر عليها أحد ، وتقول « فلان أبو عذر هذا الشىء ، وأبو عذرته » تريد أنه الذى ابتكره وسبق إليه ، ويروى « لا ظلم منه ولا غصب » .

(٥٥و٥٦) يؤكد فى هذين البيتين أن قوافيه مما أحدثه وابتكره ، وأنه لم يسبق إلى مثلها ، ويروى «إلا أنها لؤلؤ رطب» بالتنكير ، يعنى أنه كثير الصفاء نقى الماء ، وكذلك تكون اللؤلؤة أول ما تنشق عنها الصدفة .

* * *

(١٤)

وقال يمدح الحسن بن وهب ويذكر خِلْعَةً خَلَعَها عليه :

١ الحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ كَالغَيْثِ فِي انْسِكَابِهْ

٢ فِي الشَّرْخِ مِنْ حِجَاهُ وَالشَّرْخِ مِنْ شَبَابِهْ

٣ والخِصْبِ مِنْ نَدَاهُ والخِصْبِ مِنْ جَنَابِهْ

٤ وَمَنْصِبٍ نَمَاهُ وَوَالِدٍ سَمَا بِهْ

(١٤)

تقع هذه الكلمة فى شرح التبريزى برقم ٦ وهى فى مطبوعتى بيروت تلى القصيدة السابقة ، وقال التبريزى فى وزن هذه القطعة «هذا الوزن لم يذكره الخليل فيما ذكر ، وإذا حمل على قياس ما قال فأشبه الأشياء به أن يكون من المنسرح ، ويكون الضرب الثالث الذى هو :

* وَيْلُمِّ سَعْدٍ سَعْدَا *

مشطور هذا الوزن ، وقد يجوز أن يحمل على أنه من الرجز ، ومن السريع ، ولا يوجد مثله فى الشعر القديم ، وقد قالت مثله الشعراء فى زمان بنى العباس ، كقول القائل .

إبريقنا مصل يركع فى صلاته

وأقول : إن وزن هذه القطعة موافق تمام الموافقة للرجز ، فلا محل لادعاء أنه مما لم يذكره الخليل .

ويروى فى تقديم هذه القصيدة « ويذكر حلة خلعها عليه » .

(١) الغيث : المطر ، وانسكابه : نزوله وهطلانه .

(٢) شرخ الشباب : عنفوانه واقتباله ، والحجى : العقل ، واستعارة الشرخ للحجى ليست بذاك ، ويروى « فى الشرخ من نداه » .

(٣) الخصب ــ بكسر الخاء وسكون الصاد ــ السعة وضد القحط ، والندى : العطاء ومن روى فى البيت الثانى « فى الشرخ من نداه » روى هنا «والخصب من حجاه» والجناب ــ بوزن السحاب ــ ساحة الدار وما قرب من منازل القوم .

(٤) المنصب : الأصل والمرجع ، ونماه : أنشأه ونسبه إليه ، وسما به : ارتفع به. =

٥ نُطْنِبُ كيفَ شِئْنَا فِيهِ وَلَمْ نُحَابِهْ

٦ وَحُلَّةٍ كَسَاهَا كَالْحَلْيِ فِي الْتِهَابِهْ

٧ فَاسْتَنْبَطَتْ مَدِيحاً كَالأَرْيِ فِي نِصَابِهْ

٨ فَرَاحَ فِي ثَنَائِي وَرُحْتُ فِي ثِيَابِهْ

* * *

(١٥)

وقال يمدحه أيضاً :

أمَّا وَقَدْ أَلْحَقْتَنِي بِالْمَوْكِبِ وَمَدَدْتَ مِنْ ضَبْعِي إِلَيْكَ وَمَنْكِبِي

يقول : إنه نشأ فى أكرم أصل ، وشب فى طلال والد رفع قدره وأعلى مقامه .

(٥) نطنب : نبالغ فى وصفه ، ولم نحابه : ولم نقل كلاما بقصد إرضائه مداهنة له ، لأن كل مانقوله فهو متصف به وبأكثر منه .

(٦) الحلة ــ بضم الحاء ــ إنما تكون من ثوبين . أو من ثوب له ظهارة وبطانة والحلى ــ بفتح فسكون هنا ــ الزينة من مصوغ الذهب ونحوه ، والتهابه : بريقه ولمعانه

٧ ــ استنبطت : أخرجت ، والأرى ــ بفتح فسكون ــ العسل ، واللصاب : جمع لصب ــ بكسر اللام وسكون الصاد ــ وهو الشعب الصغير فى الجبل .

(٨) يريد أنه ذهب بما قال فيه من الشعر المشتمل على مديحه وإنى رجعت بما منحنى من الثياب .

* * *

(١٥)

وقعت هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ١٩ وهى فى المصرية ومطبوعتى بيروت تالية للكلمة السابقة .

(١) الموكب : جماعة الناس : وأراد خلصان الممدوح وذوى المنزلة عنده ، والضبع ــ بفتح فسكون ــ العضد ، وهو مابين المرفق إلى الكتف ، والكثير فى الاستعمال « مددت ضبعى » بغير حرف الجر ، ولكنهم قد يقولون ذلك كما يقولون « رفع فلان قدر فلان ، ورفع من قدره » ووقع فى نسخة « وملأت من ضبعى » وفى أخرى « وجذبت من ضبعى » والمنكب : المفصل الذى يجمع رأس العضد والكتف .

٢ فَلأُعْرِضَنَّ عَنِ الْخُطُوبِ وَجَوْرِهَا وَلأَصْفَحَنَّ عَنِ الزَّمَانِ الْمُذْنِبِ
٣ وَلاَ لْبِسَنَّكَ كلَّ بَيْتٍ مُعْلَمٍ يُسْدَى وَيُلْحَمُ بِالثَّنَاءِ الْمُعْجِبِ
٤ مِنْ بِزَّةِ الْمَدْحِ الَّذِي مَشْهُورُهُ مُتَمَكِّنٌ فِي كلِّ قَلْبٍ قُلَّبِ
٥ نَوَّارُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ الْغَضُّ الَّذِي يَجْنُونَهُ ، رَيْحَانُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ
٦ أَبْدَيْتَ لِي عَنْ صَفْحَةِ الْمَاءِ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَعْهَدُهُ كَثِيرَ الطُّحْلُبِ
٧ وَوَرَدْتَ بِي بُحْبُوحَةَ الْوَادِي ، وَلَوْ خَلَّفْتَنِي لَوَقَفْتُ عِنْــــــدَ الْمِذْنَبِ

---

(٢) يقول : إنى إذ تيقنت أنى قد صرت من خاصتك ، وإذ قد أرغدت عيشى ، فإنى سأعرض عن أحداث الدهر فلا أباليها ، وسأتجاوز عن جور الزمان ، وأصفح عنه ، وأترك الذنوب التى جناها فلا أعدها عليه .

(٣) فى نسخة « كل يوم معلم » والثوب المعلم ـ بزنة المفعول ـ الذى عليه علم من طراز ونحوه ، وأصل يسدى مأخوذ من سدى الثوب ـ بضم السين بوزن هدى ـ وهو خيوطه الممتدة طولا ، ويلحم : من لحمة الثوب ـ بضم اللام وسكون الحاء ـ وهى خيوطه الممتدة عرضا ، والثناء : الحمد ، والمعجب : أى الذى يعجب الناس .

(٤) رواية التبريزى « من بزة المدح التى مشهورها » والبزة ـ بكسر الباء ـ الثياب ، وهو أيضاً الهيئة ، وهو من قولهم « فلان حسن البزة » ، والقلب ـ بوزن سكر ـ الذى قلب الأمور وعرف وجوهها .

(٥) النوار ـ بفتح النون وتشديد الواو ـ الزهر الأبيض ، والغض . الناعم الطرى ، والريحان : نبت طيب الريح .

(٦) أبديت لى : أظهرت ، والمعنى أنه كشف له عن صفحة الماء وأظهر رونقه وصفاءه ، بعدما كان يعلوه الطحلب ، ومراده أنه أراه العطاء الجزيل الذى لم يكدره من ولم يشبه تكدير ، وعند التبريزى « أبديت لى عن جلدة الماء » وفى نسخة « قد كنت أعرفه » .

(٧) بحبوحة الوادى ـ بضم الباء وسكون الحاء ـ وسطه ومعظمه ، والمذنب بوزن المنبر ـ الساقية ، ويروى « ولو خليتنى » وفى نسخة « ولو طاوعتنى » .

٨ وَبَرَقْتَ لِي بَرْقَ الْيَقِينِ . وَطَالَمَا أَمْسَيْتُ مُرْتَقِبًا لِبَرْقِ الْخُلَّبِ
٩ وَجَعَلْتَ لِي مَنْدُوحَةً مِنْ بَعْدِمَا أَكْدَى عَلَى تَصَرُّفِي وَتَقَلُّبِي
١٠ وَالْحُرُّ يَسْلُبُهُ جَمِيلَ عَزَائِهِ ضِيقُ الْمَحَلِّ فَكَيْفَ ضِيقُ الْمَذْهَبِ
١١ هَيْهَاتَ يَأْبَى أَنْ يَضِلَّ بِيَ السُّرَى فِي بَلْدَةٍ وَسَنَاكَ فِيهَا كَوْكَبِي
١٢ وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ تَكُونَ غَنِيمَتِي حَرُّ الزَّمَانِ بِهَا وَبَرْدُ الْمَطْلَبِ
١٣ أَمَّا وَأَنْتَ وَرَاءَ ظَهْرِي مَعْقِلٌ فَلَأَنْهَضَنْ بِفَقَارِ صُلْبٍ صُلَّبِ

---

(٨) الخلب من البرق – بوزن السكر – الذى يصوت ولا يمطر ، ويروى « أمسيت مرتفعا » وفى نسخة « لبرق خلب » وبرق الخلب يضرب به المثل فى كل شىء يطمع ولا يكون وراءه نفع .

(٩) المندوحة : السبب والمذهب والسعة ، وأكدى : أصله أن يحفر الإنسان ليجد ماء فتعرض له كدية . أى صخرة ، ويضرب مثلا لمن يخيب سعيه ، يقول : جعلت لى سببا وطريقا إلى الغنى بعد ما كنت خائبا فى كل متصرفاتى وتقلبى فى الأمور .

(١٠) يروى « ضيق الفناء » والمحل : مكان الحلول وهو المنزل ، والفناء – بوزن الكتاب – الساحة فى وسط الدار أو بجانبها ، يقول : إن الحر ليذهب عزاؤه ويفقد حسن صبره إن ضاق به المنزل ، فكيف إذا ضاق مطلبه ولم يجد مذهبا ؟ .

(١١) السرى – بضم السين مقصورا ، بوزن الهدى – السير ليلا ، والسنا – بفتح أوله بوزن الفتى – الضوء ، يقول : بعيد جدا أن أضل فى سراى وأنت تضىء لى فأهتدى بنورك .

(١٢) « بها » الضمير يعود إلى البلدة المذكورة فى البيت السابق ، قالوا : إنه يريد بها سرى من رأى ، وأراد بحر الزمان شدة الحر فى هذه البلد ، وأراد ببرد المطلب عدم حصوله على مطالبه إلا بمشقة وعسر . يقول : إنى خفت أن يجتمع على فى هذه البلدة وهج حرها وتعسر الوصول إلى ما أبتغى .

(١٣) المعقل – بفتح الميم وكسر القاف – الحصن ، والفقار : جمع فقارة ، وهى الواحدة من عظام سلسلة الظهر ، وعددها فى ظهر الإنسان اثنتا عشرة فقارة ، والصلب الصلب – بوزن السكر – الشديد الصلابة ، يقول : إنى إذا جعلتك معتمدى وسندى اشتدت عزيمتى وقويت بعد ضعف .

١٤ وَلِذَاكَ كَانُوا لاَ يَحُشُّونَ الْوَغَى   إلاَّ وَقَدْ عَرَفُوا طَرِيقَ الْمَهْرَبِ

* * *

(١٦)

وقال يمدح سليمان بن وَهْب :

١ أَيُّ مَرْعَى عِينٍ وَوَادِي نَسِيبِ   لَحَبَتْهُ الأَيَّامُ فى مَلْحُوبِ

---

(١٤) الوغى : الحرب ، ويحشونها : يوقدون نارها ، وفى القرآن الكريم (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) يقول : إن المحاربين قد كان من عادتهم ألا يشهروا حربا إلا إذا عرفوا طريق النصر ، وعرفوا ـ مع ذلك ـ طريق الفرار منها إذا لم يواتهم النصر ، وإنى لكذلك لم أشهر على الدهر حربا إلا وقد أيقنت بأنى منتصر عليه بك أو هارب منه إليك تحميني وتحصنني منه .

* * *

(١٦)

وردت هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ٨ وهى فى المصرية ونسختى بيروت تلى القصيدة السابقة .

(١) مرعى : مكان الرعى ، والعين ـ بكسر العين فى الرواية المشهورة ـ بقر الوحش ، واحدها عيناء ، سميت بذلك لسعة عيونها ، ووادى نسيب : أراد أنه واد يسكنه قوم فيهم من يستحق أن يقال فيه النسيب من الحسان ، وروى « أى مرعى عين » بفتح العين على أنها العين الباصرة ، والمراد أى مكان يصلح أن يكون مرعى للعيون لما فيه من خرائد النساء ، وجعل النظر إلى وجوه الحسان واجتلاء حسنهن رعيا . وقوله « لحبته » يروى بتشديد الحاء ، ويروى بتخفيفها مفتوحة ، فأما من شدد فقد أخذه من قولهم « لحبت القتيل » إذا صرعته ، أو إذا قطعته ، وأما من خفف فقد أخذه من قولهم « لحب اللحم » إذا قشره ، وملحوب : اسم مكان فيه المرعى والوادى ، وروى «من ملحوب» فيكون هو المرعى والوادى على التجريد .

٢ مَلَّكَتْهُ الصَّبَا الوَلُوعُ فألْفَتْـــهُ قَعُودَ الْبِلَى وَسُؤْرَ الْخُطُوبِ
٣ نَدَّ عَنْكَ الْعَزَاءُ فِيـــهِ فَقَادَ الدَّمْعَ مِنْ مُقْلَتَيْكَ قَوْدَ الْجَنِيبِ
٤ صَحِبَتْ وَجْـدَكَ الْمَدَامِـعُ فِيه بِنَجِيـعٍ بِعَـبْرَةٍ مَصْحُوبِ
٥ بِمُلِثٍّ عَلَى الْفِرَاقِ مُرِبٍّ وَلشأْوِ الْهَوَى الْبَعِيدِ طَلُوبِ
٦ أَخْلَبَتْ بَعْدَهُ بُرُوقٌ مِنَ اللَّهْـــوِ وَجَفَّتْ غُدْرٌ مِنَ التَّشْبِيبِ

(٢) يروى « ألفته الصبا الولوع فأبقته » وضبط « ملـكته » بتخفيف اللام مبنيا للمعلوم فتـكون « الصبا » فاعله ، ويضبط « ملـكته » بتشديد اللام مبنيا للمعلوم . فيكون الصبا مفعولا ثا نيا ، والفاعل حينئذ ضمير مستتر يعود إلى الأيام فى البيت السابق ، ويضبط « ملـكته » بتشديد اللام مبنيا للمجهول فيكون الصبا نائب فاعله ، والصبا ــ بفتح الصاد ــ ريح تهب من ناحية المشرق ، وأصل القعود ــ بفتح القاف ــ الفتى من الإبل ، ومعنى سؤر الخطوب بقيتها ، يقول : ألفت هذا المـكان ريح الصبا ــ أو ملـكت الأيام ريح الصبا هذا المـكان ــ فما زالت تعصف فيه حتى طمست آ ثاره ومحت معالمه وتركته مركبا للبلى وبقية مما تركت الخطوب والأحداث .

(٣) ند : شرد وذهب ، والعزاء : التصبر والتجلد ، والجنيب : أصله البعير يجنبه الرا كب إلى بعيره ليركبه إذا تعب بعيره .

(٤) الوجد : الشوق الشديد ، والنجيع الدم ، يقول : ساعدت المدامع وجدك فجرى بدمع يخالطه الدم .

(٥) الملث : اسم الفاعل من قولهم « ألث المطر » إذا دام أياما لايقلع ، ويقال « لث المطر » بدون همزة أيضاً ، والمرب : اسم الفاعل من قولهم « أربت الريح » بتشديد الباء ــ أى دامت ، وقولهم « أربت السحابة » أى دام مطرها .وقالوا أيضاً « رب الرجل بالمـكان ، وأرب به » إذا لزمه وأقام به فلم يبرحه ، وقوله « بملث » يتعلق بقوله « صحبت » فى البيت السابق . يقول : صحبته بدمع ملث دائم على الفراق لا ينقطع ما دام الفراق ، ولا يزال جاريا فى أثر الهوى طالبا لشأوه .

(٦) تقول « أخلب البرق » إذا صوت ولم يكن معه مطر ، ويروى « أخلفت بعده » ويروى « كذبت » والغدر : جمع غدير وهو قطعة من الماء يغادرها السيل أى يتركها ، وأصل الجمع بضم الغين والدال جميعا ، ولـكنه سكن الدال للتخفيف ولإقامة الوزن ، والتشبيب : ذكر محاسن النساء ووصف الصبابة بهن ، وهو بهذا =

٧ رُبَّمَا قَدْ أراهُ رَيَّانَ مَكْسُوَّ الْمَغَانى مِنْ كلِّ حُسْنٍ وَطِيبِ
٨ بِسَقِيمِ الْجُفُونِ غَيْرِ سَقِيمٍ وَمُرِيبِ الأَلحَاظِ غَيْرِ مُرِيبِ
٩ فِي أَوَانٍ مِنَ الرَّبِيعِ كَرِيمٍ وَزَمَانٍ مِنَ الْخَرِيفِ حَسِيبِ
١٠ فَعَلَيْهِ السَّلاَمُ ، لاَ أُشْرِكُ الأَطْـ ـلاَلَ فِي عَبْرَتِي وَلاَ فِي نَحِيبِي
١١ فَسَوَاءٌ إِجَابَتِي غَيْرَ دَاعٍ وَدُعَائِي بِالْقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبِ
١٢ رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ السُّرَى ، وَغَنَاءٍ مِنْ عَنَاءٍ ، وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ

= يرادف النسيب ، ومن العلماء من يخص النسيب بذكر مفاتنهن والتشبيب بذكر الصبابة بهن .

(٧) وقع فى رواية التبريزى « وبما قد أراه » وكذلك وقع فى إحدى نسختى بيروت ، والباء فى « بما » على هذه الرواية بمعنى الجزاء والمكافأة ، وذلك كما تقول لرجل صنع معك صنيعاً مشكوراً « خذ هذه الدنانير بما صنعت » ونظير ذلك قول الشاعر يصف الديار :

إن تكن نالت المواطن منها وعرتها نوائب وخطوب
فبما قد يحلها الأنف الشر ب ويجرى عليه كأس وكوب

(٩) جعل الربيع كريما لأن فيه يكثر النبت ويعم الخصب ، ويروى « وزمان من الخريف خصيب » وليس بذاك ، ووصف الخريف بالحسب مما يستثقل .

(١٠) الضمير فى «عليه» يعود على سقيم الجفون الذى ذكره فى البيت ٨ وربما صح عوده على الطلل .

(١١) ويروى « وسواء إجابتى غير داع » ويروى فى عجز البيت « ودعائى بالقاع » يقول : يستوى عندى فى عدم القبول أن أجيب من لا يدعونى وأن أدعو من لا يجيبنى .

(١٢) الخفض — بفتح فسكون — الدعة وطيب العيش ، والسرى : أصله السير ليلا ، وأراد منه هنا التعب والمشقة ، والغناء — بفتح الغين — النفع والفائدة ، والنضرة — بفتح النون — حسن الوجه وجمال البشرة ، والشحوب ضده .

١٣ فَسَلِ الْعِيسَ مَا لَدَيْهَا ، وَأَلِّفْ بَيْنَ أَشْخَاصِهَا وَبَيْنَ السُّهُوبِ

١٤ لاَ تُذِيلَنْ صَغِيرَ هَمِّكَ ، وَانْظُرْ كَمْ بِذِى الأَثْلِ دَوْحَةٍ مِنْ قَضِيبِ

١٥ مَا عَلَى الوُسَّجِ الرَّوَاتِكِ مِنْ عَتْـــبٍ إِذَا مَا أَتَتْ أَبَا أَيُّوبِ

١٦ حُوَّلٌ لاَ فِعَالُهُ مَرْتَـــعُ الذَّمِّ وَلاَ عِرْضُهُ مُرَاحُ الْعُيُوبِ

١٧ سُرُحٌ قَوْلُهُ إِذَا مَا اسْتَمَرَّتْ عُقْدَةُ الْعِيِّ فِى لِسَانِ الْخَطِيبِ

١٨ وَمُصِيبٌ شَوَاكِلَ الأَمْرِ ، فِيهِ مُشْـكِلاَتٌ يَلْـكُنَّ لُبَّ اللَّبِيبِ

---

(١٣) العيس : جمع أعيس أو عيساء ، والمراد الإبل ، وما لديها : يريد ما عندها من السير ، والأشخاص : جمع شخص ، ويروى « بين أشباحها » جمع شبح والسهوب : جمع سهب ، وهو الأرض الواسعة البعيدة .

(١٤) لا تذيلن : أراد لا تهينن ، والهم : الهمة ، وبعيد أن يراد به واحد الهموم التى هى الأحزان ، وذو الأثل : مكان ، والدوحة : الشجرة العظيمة ، والقضيب : العود ، يريد أن عظيم الأشياء يبدأ صغيرا ، وقد فصل بين « كم » وتمييزها الذى هو قوله « دوحة » وأصل الكلام . كم دوحة نتجت من قضيب بذى الأثل .

(١٥) الوسج : جمع واسج ، والواسج : فاعل من الوسيج ، وهو ضرب من السير ، وأكثر ما يستعمل فى الإبل والنعام ، والرواتك : جمع راتك وهو اسم الفاعل من الرتك بفتح الراء والتاء جميعا أو بفتح فسكون — وهو ضرب من سير الإبل أيضاً .

(١٦) حول — بوزن سكر — مرفوع على تقدير هو حول ، والحول : الخبير بأحوال الزمان البصير بما يصنع لها ، والمرتع أصله المكان الذى ترتع فيه الماشية ، والعرض : موضع المدح والذم من الإنسان ، والمراح : الموضع الذى ترجع إليه الماشية ليلا ، وأراد من المرتع والمراح مجرد المكان ، يقول : إن هذا الممدوح بصير بأحوال الدهر وماينبغى لكل حال منها ، وليست أفعاله موطنا لذم أحد ؛ لأنه لا يأتى مايذم عليه ، ولا عرضه محلا للعيب لأنه لاعيب فيه .

(١٧) سرح قوله — بضم السين والراء جميعا — يريد أنه منطلق اللسان طلقه فصيح البيان عن مراده .

(١٨) شواكل : جمع شاكلة ، ولها معنيان ، أولهما الطريقة ، ومنه قوله تعالى =

١٩ لاَ مُعَنًّى بِكلِّ شَىْء ، وَلاَ كُلُّ عَجِيبٍ فِى عَيْنِه بِعَجِيبِ

٢٠ سَدِكُ الكفِّ بِالنَّدَى ، عائرُ السَّمعِ إلى حَيْثُ دَعْوَةُ المَكْرُوبِ

٢١ لَيْسَ يَعْرَى عَنْ حُلَّةٍ مِنْ طِرازِ المدْحِ مِنْ تَاجِرٍ بِهَا مُسْتَثِيبِ

= (قل كل يعمل على شاكلته) والثانى خاصرة الحيوان ، ومن هذا قالوا : أصاب الرامى شاكلة المرمى ، يريدون أنه أعجزه عن الامتناع والفرار ، وأنه قد تمكن منه ، ثم نقلوا هذا إلى غير الحيوان ، فقالوا « أصاب فلان شاكلة الصواب » وقالوا « فلان لا تعجزه شاكلة أمر » يريدون أنه يعرف وجه الحق فى كل أمر . وقوله « يلكن » يروى بفتح ياء المضاوعة وضم اللام بعدها ، على أنه مضارع من اللوك بمعنى المضغ ، تقول « لاك فلان اللقمة يلوكها » أى مضغها ، ويروى « يلكن » بضم حرف المضارعة وسكون اللام وتشديد النون فى آخره على أنه مضارع مسند لنون النسوة ماضية قولهم « ألكن فلانا فلانا » إذا جعله ألكن لا يبين عن مراده ، ويروى « يأكلن » والجملة — على كل حال — صفة لمشكلات ، يريد أنها مشكلات فادحة لا ينهض بها اللبيب ، لكن هذا الممدوح يصيب فى كل مشكلة وجه الصواب

(١٩) لامعنى بكل شىء : أى لا يتعب نفسه بكل أمر ، فإن من الأمور ما لا يحتاج إلى مثل همته فهو يترك مثل هذه لغيره من الناس ، والعجيب : الغريب النادر ، يريد أن كثيرا من الأمور العجيبة الغريبة فى أعين للناس ليست غريبة ولا نادرة فى عينه لأنه قد خبر الأمور وجربها وعرفها فلم تصر غريبة عليه .

(٢٠) السدك — بفتح السين وكسر الدال — الوصف من السدك — بفتح السين والدال جميعاً — وهو لزوم الشىء ، والندى : الجود والعطاء ، يريد أن يده مولعة بالجود ملازمة له لا تفارقه ، و « عائر السمع » مأخوذ من قولهم « عار الفرس » إذا ذهب فى الأرض ، و « عار السهم » إذا أبعد ، يقول : هو بعيد السمع يتناهى سمعه إلى موضع الصارخ المستغيث فيجيبه وينصره .

(٢١) يعرى : يخلو ، وماضيه عرى ، ووزانه رضى يرضى ، وأراد بالحلة التى من طراز المدح القصيدة التى يحوكها الشاعر ، وأراد بالتاجر الشاعر ، والمستثيب : طالب الثواب ، وهو هنا الجائزة التى يمنحها الممدوح للشاعر ، ووقع فى المصرية « من راجز بهم مستثيب » .

٢٢ فَإِذَا مَرَّ لاَ بِسَ الْحَمْدِ قَالَ الْـــقَوْمُ مَنْ صَاحِبُ الرداء القَشِيبِ
٢٣ وَإِذَا كَفُّ رَاغِبٍ سَلَبَتْهُ رَاحَ طَلْقاً كَالْكَوْكَبِ الْمَشْبُوبِ
٢٤ ما مَهَاةُ الْحِجَالِ مَسْلُوبَةً أَظْـــرَفَ حُسْناً مِنْ ماجِدٍ مَسْلُوبِ
٢٥ وَاجِدٌ بِالْخَلِيلِ مِنْ بُرَحاءِ الشَّـــوْقِ وِجْدَانَ غَيْرِهِ بِالْحَبِيبِ
٢٦ آمِنُ الْجَيْبِ وَالضُّلُوعِ إِذَا ما أَصْبَحَ الغِشُّ وَهْوَ دِرْعُ الْقُلُوبِ

---

(٢٢) لا بس الحمد : يروى بالرفع على أنه فاعل « مر » وهو حينئذ من باب الإظهار فى مقام الإضمار ، ويروى بالنصب على أنه حال ، وفاعل « مر » حينئذ ضمير مستتر يعود إلى الممدوح ، ويروى « قال الناس » والرداء القشيب : الثوب الجديد ، وعنى به القصيدة التى مدح بها ، وجدتها أنها رائعة جيدة السبك ، أو أنها اشتملت على معان لم يسبق قائلها إليها أحد .

(٢٣) يروى « وإذا كف آمل » ويروى « سألته » مكان سلبته ، وطلق ــ بفتح فسكون ــ من قولهم « فلان طلق الوجه » يريدون أنه ضاحك السن مستبشر ، والكوكب المشبوب : المتقد ، يريد أنه يفرح بسؤال من يسأله ، ويهش له ، ويحسن لقاءه :

(٢٤) أصل المهاة البقرة الوحشية ، وتشبه بها المرأة ، والحجال : جمع حجلة ــ بفتح الحاء والجيم جميعا ــ وهى بيت صغير يكون فى البيت الكبير ، ومن بيوت الأعراب ، وربما فسروا الحجلة بالخدر ، يقول : ليست المرأة الحسناء أظرف فى حسنها إذا سلبت من الرجل الماجد الذى يسلبه ماله السائل المستثيب ، ويروى « أطرف » بالطاء المهملة .

(٢٥) الخليل : يحتمل معنيين ، أحدهما أن يريد به الفقر المحتاج ، مأخوذ من الخلة ــ بفتح الخاء ــ وهى الحاجة ، والثانى أن يريد به الصديق ، مأخوذ من الخلة ــ بضم الخاء ــ وهى الصداقة ، وبرحاء الشوق ــ بضم الباء وفتح الراء ــ تباريحه ومشاقه . يقول : إنه يحب أصدقاءه ــ أو يحب الفقراء المحتاجين ، وهذا أبلغ فى المدح ، والأول أنسب بما بعده ــ حباً شديداً ، ويجد فى هذا الحب من تأريق الجفن واللهفة إلى اللقاء وبرح الوجد مثل الذى يجده المحب نحو حبيبه .

(٢٦) آمن الجيب والضلوع : يعنى أنه مأمون الظاهر والباطن ، لا تنطوى =

٢٧ لاَ كَمُصْفِيهِمُ إِذا حَضَرُوا الوُدَّ وَلاَحٍ قُضبانَهُمْ بِالْمَغِيبِ
٢٨ فَهْوَ يُؤْوِي خِلاَّنَهُ فِي حَوَاشِي خُلُقٍ حِينَ يُجْدِبُونَ خَصِيبِ
٢٩ يَتَغَطَّى عَنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُ تَنْصُلُ أَخْلاَقُهُ نُصُولَ الْمَشِيبِ

= ضلوعه على غش ولا خديعة إذا ما تدرعت قلوب الناس بالغش والنفاق والخب والخديعة . وزعم المرزوقى أن العبارة قد تصحفت وأن أصلها « ردع القلوب » بتقديم الراء المفتوحة على الدال ، وللردع معنيان أحدهما النكس ، وهو العود إلى المرض بعد أن ظن البرء ، فيكون المراد هنا المرض ، يعنى أصبح الغش وهو مرض القلوب ، والمعنى الثانى للردع التلطخ بالزعفران والطيب ، وعلى هذا يكون المعنى أصبح الغش وهو الطلاء الذى يطلى الناس به قلوبهم ، ولا داعى لهذا الذى زعمه المرزوقى ، فإن المعنى مستقيم على رواية غيره ، وهو لا يخرج عما ذكره ، ووقع فى المصرية « وهر ردع الجيوب » .

(٢٧) مصفيهم : اسم فاعل فعله « أصفى فلان وده » إذا لم يكدره بشىء ، ولاح قضبانهم : أصل هذه العبارة قولهم « لحا العود يلحوه » إذا قشره ، وقالوا « لحيت الرجل » إذا لمته وعتبت عليه ، فكأن العتب واللوم قشر للوداد ، وكأن الوداد عود ، وقشر العود يضعفه ، فكذلك العتب بإزاء الوداد ، يقول : إن هذا الممدوح ليس كقوم يظهرون المودة فى حضور أودائهم ، ويميلون باللوم والعتب عليهم إذا غابوا .

(٢٨) سقط هذا البيت من نسخة التبريزى ، وهو ثابت فى المصرية وفى مطبوعتى بيروت ، ويؤوى : أى ينزل ، وحرفيته يجعل لهم مأوى ، وخلانه : أصدقاءه ، والحواشى : الأطراف ، واحده حاشية ، والخلق الخصيب : أراد به سعة صدره ، وكثره احتماله هفواتهم ، وعفوه عن مسيئهم . يقول : إذا حدث من خلانه ما يعكر صفو الوداد من وحشة وجفاء وصد وإعراض فإنه لا يعاملهم بمثل ما يعاملونه به ، ولكنه يلطف بهم ويحلم عليهم ، وما يزال يتأنى لهم حتى يعيدهم إلى مشرع الود الصافى .

(٢٩) هذا البيت يتعلق بقوله « لا كمصفيهم إذا حضروا الود » يريد أن هذا الذى يصفى إخوانه الوداد فى الظاهر يغطى نفسه بالخديعة والخب ؛ فلا يلبث أن تظهر حقيقته ، وضرب نصول المشيب وظهوره بعد أن كتموه بالصبغ مثلا لذلك .

٣٠ كلُّ شِعْبٍ كُنْتُمْ بِهِ آلَ وَهْبٍ فَهْوَ شِعْبِي وَشِعْبُ كلِّ أَدِيبِ
٣١ لَمْ أَزَلْ بَارِدَ الْجَوَانِحِ مُذْ جَضْخَضْتُ دَلْوِي فِي ماءِ ذاكَ الْقَلِيبِ
٣٢ بِنْتُمُ بِالْمَكْرُوهِ دُونِي فَأَضْحَتْ الشَّرِيكَ الْمُخْتَارَ فِي الْمَحْبُوبِ
٣٣ ثُمَّ لَمْ أُدْعَ مِنْ بَعِيدٍ لَدَى الْإِذْنِ ، وَلَمْ أُثْنَ عَنْكُمُ مِنْ قَرِيبِ
٣٤ كلَّ يَوْمٍ تُزَخْرِفُونَ فِنَائِي بِحِبَاءٍ فَرْدٍ وَبِرٍّ غَرِيبِ
٣٥ إِنَّ قَلْبِي لَكُمْ لَكَالْكَبِدِ الْحَرَّى ، وَقَلْبِي لِغَيْرِكُمْ كَالْقُلُوبِ

(٣٠) أراد من الشعب ـ بكسر الشين ـ الموضع . يقول : كل مكان تكونون يا آل وهب فيه فإنه المكان الذى يطيب لى النزول فيه ويطيب لكل أديب ، وذلك أنكم الناس الذين يستظل بظلكم وتحلو الإقامة فى ذراكم ، ولأنى لا أحب غيركم من الناس مثل محبتى إياكم ، وقد أخذ معناه من الحديث « لو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الانصار » .

(٣١) بارد الجوانح : هذه الكلمة كناية عن سكون العطش وفتور حرارته ، وخضخضت : أى حركت ، والقليب : البئر ، وضرب هذا الكلام مثلا ، وعنى بدلوه رجاءه الذى وجهه نحو الممدوح ، وأراد بالقليب جود الممدوح .

(٣٢) بنتم : فارقتم ، أو انفردتم ، ويروى « بؤتم » يريد لقد احتملتم المكاره والمشاق ، ولم تحملونى شيئاً من ذلك إشفاقاً على ، ورأفة بى ، وأشركتمونى فى المحاب .

(٣٣) لم أدع من بعيد : لأن مكانى قريب من مكانكم ومجلسى دان من مجالسكم ، وأثن : مبنى للمجهول ، ومعناه أحجب وأصرف . يقول : عندما يؤذن بالدخول عليكم أكون أقرب الداخلين وأولهم .

(٣٤) تزخرفون : أى تزينون وتجددون ، والفناء — بزنة الكتاب — أصله الساحة أمام الدور ، ويروى «تزخرفون ثنائى» ويروى « تزخرفون بنائى » والحباء — بزنة الكتاب : العطاء ، والفرد : المتفرد الذى لا مثيل له .

(٣٥) الكبد الحرى : المتلظية بفرط الشوق وتباريح الهوى . لأنى أحبكم وأهيم بودادكم ، فكبدى لكم ككبد العشاق ، وقلبى لغيركم كقلوب سائر الناس لا يجد لوعة ولا تبريحا .

٣٦ لَسْتُ أُدْلِي بِحُرْمَةٍ مُسْتَزِيداً فِي وِدَادٍ مِنْكُمْ وَلاَ فِي نَصِيبِ
٣٧ لاَتُصِيبُ الصَّدِيقَ قَارِعَةُ التأ نِيبِ إلاَّ مَنَ الصَّدِيقِ الرَّغِيبِ
٣٨ غَيْرَ أَنَّ العَلِيلَ لَيْسَ بِمَذْمُومٍ عَلَى شَرْحِ ما بِهِ لِلطَّبِيبِ
٣٩ لَوْ رَأَيْنَا التَّوْكِيدَ خُطَّةَ عجْز ماشَفَعْنَا الأَذَانَ بِالتَّثْوِيبِ

* * *

(١٧)

وقال يمدح الحسن بن وهب ، ويصف غلاما أهداه إليه :

١ لَمَكَاسِرُ الحَسَنَ بْنِ وَهْبٍ أَطْيَبُ
وَأَمَرُّ فِي حَنَكِ الحَسُودِ وَأَصْعَبُ

---

(٣٦) أدلى : أتقرب وأتوسل .

(٣٧) الرغيب: الكثير الرغبة فيما عندصاحبه ، يريد به الصديق الكثير الطمع ، يقول : لا يوبخ الصديق على تقصير حدث منه إلا من كان وداده لطمع فيما عند صديقه ، لا لمحبة صادرة عن قلبه ، وهذا كالاعتذار عما فى البيت السابق .

(٣٩) شفعنا : أتبعنا ، أو ثنينا ، والتثويب : التكرار ، وأراد به التكرار الحادث فى الأذان الواحد ، وأصل التثويب أن الرجل كان إذا نزل به خطب أو ألمت به ملمة أشار لأصحابه بثوبه ولوح لهم من بعيد ليدركوه ويغيثوه ، ثم سموا كل دعاء تثويبا وإن لم يكن ثمة ثوب .

* * *

(١٧)

تتفق جميع النسخ فى رواية هذه القصيدة تالية للقصيدة السابقة ، وهى فى شرح التبريزى برقم ٩ .

(١) المكاسر : جمع مكسر ، وهو الأصل ، يقولون « فلان طيب المكسر » إذا كان حسن الخلق لين الطباع ، ويقولون « فلان خبيث المكسر » إذا كان سيء =

٢ وَلَهُ إِذَا خَلُقَ التخلُّقُ أَوْ نَبَـا
خُلُقٌ كَرَوْضِ الحَزْنِ أَوْ هُوَ أَخْصَبُ

٣ ضَرَبَتْ بِهِ أُفُقَ الثَّنَاءِ ضَرَائِبٌ
كَالْمِسْـكِ يُفْتَقُ بِالنَّدَى وَيُطَيَّبُ

= الخلق ردىء الطوية ، ويقولون « فلان هش المـكسر » إذا كان جواداً لا يتعب سائله ، أو إذا كان خواراً لا يصلب على أعدائه ، ومن هذا قول الحجاج فى خطبته « فوجدنى أمرها عوداً وأصلبها مكسراً فرما كم بى » ورواية التبريزى والصولى « وأمر فى حنك الحسوذ وأعذب » وذكر التبريزى أنه يحتمل وجهين : الأول أن يكون « وأعذب » فى آخر البيت معطوفاً على « أطيب » فى آخر الشطر الأول ، وكأنه قدقال « لمـكاسر الحسن بن وهب أطيب وأعذب » والثانى أن يكون معطوفاً على « أمر » وعلى هذا يكون هذا اللفظ مأخوذاً من قولهم « ماء عذب » بفتح العين والذال جميعا ــ أى أنه كثير القذى والطحلب ، وفى اللسان : العذبة ــ بفتح العين والذال أو سكونها ــ الطحلب نفسه والدمن يعلو الماء ، وماء عذب ــ بفتح فـكسر ــ ودو عذب ــ بفتح العين والذال ــ كثير القذى والطحلب ، وأعذب الرجل الحوض: أى نزع ما فيه من القذى والطحلب وكشفه عنه ، ا هـ باختصار .

(٢) خلق ــ من باب كرم ــ خلوقة : أى قدم ورث ، أو نبا : أراد به قل خيره حتى نفر من صحبة الناس ونفر الناس من صحبته ، والحزن : أصله ما غلظ وارتفع من الأرض ، وروضه أحسن الرياض وأجودها لـكونه لا يمسك الماء ولأنه أبعد عن وطء الراعية ، وزعم التبريزى أنه أراد بالحزن مكانا بعينه فى نجد ، وليس بسديد . يقول : إذا بليت أخـلاق الناس وتغيرت وقل الخير فإن خلق هـذا الممدوح طيب رضى كروض الحزن أو هو أخصب وأكثر نفعا من روض الحزن ، ويروى « أو هو أطيب » .

(٣) الضرائب : جمع ضريبة ، وهى الخليقة والطبيعة ، ويفتق ــ بالبناء للمجهول ــ أى يخلط ، وقال الراعى :

لها فأرة ذفراء كل عشية كما فتق الـكافور بالمسك فاتقه

٤ يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُهَا
أَرَجًا ، وتُؤْكَلُ بِالضَّمِيرِ وَتُشْرَبُ

٥ ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ ؛ فَالْتَوَتْ
فِيهِ الظُّنُونُ أَمَذْهَبٌ أَمْ مُذْهَبُ

٦ وَرَأَيْتُ غُرَّتَهُ صَبِيحَةَ نَكْبَةٍ
جَلَلٍ فَقُلْتُ : أَبَارِقٌ أَمْ كَوْكَبُ

٧ مَتَعَتْ كَمَا مَتَعَ الضُّحَى فِي حَادِثٍ
دَاجٍ كَأَنَّ الصُّبْحَ فِيهِ مَغْرِبُ

---

(٤) يستنبط : أى يستخرج ، والأصل فيه استخراج الماء من جوف الأرض ، والروح اللطيف : مفعول يستنبط ، ونسيمها : فاعله ، والضمير يعود إلى الضرائب المذكورة فى البيت السابق . والأرج ـ طيب الرائحة .

(٥) مذهبه : تقرأ بفتح الميم ، والمراد حينئذ طريقته . والمعنى عليه أن السماحة غلبت عليه وتمكنت منه ، وتقرأ بضم الميم ، والمراد حينئذ ثيابه المذهبة : أى المزركشة بخيوط الذهب ، والمعنى على هذا أن السماحة والكرم ذهبا بثيابه المذهبة لأنه منحها قاصديه ، وقوله « التوت فيه الظنون » تحيرت ولم يثبت لها الوجه الصحيح ، وقوله « أمذهب أم مذهب » أهو طريقة له وخلق من أخلاقه التى طبع عليها أم هو لحاجة صادرة عن نسيان مافعله من قبل .

(٦) صبيحة نكبة : كانت أصابته نكبة فى ليلة فلما أصبحت لم أجد فى طلعته أثرا لهذه النكبة ، بل قلت فى نفسى : أهذه الطلعة شعاع برق أم هى ضوء كوكب ، يريد أنه جلد قوى الاحتمال لاتزعزعه الحوادث وإن عظمت .

(٧) متعت : ارتفعت ، وفيه ضمير مستتر يعود إلى غرته ، وداج : مظلم ، ويروى « كأن الشرق فيه مغرب » ويروى « كان الصبح فيه غيهب » يقول : إن غرته ترى عند اشتداد الخطوب مضيئة مشرقة كما يشرق الضحى عند إلباس سحاب شديد السواد .

٨ يَفْـــدِيهِ قَوْمٌ أُحْضِرَتْ أَعْرَاضُهُمْ
سُـــوءَ الْمَعَايِبِ وَالنَّوَالُ مُغَيَّبُ

٩ مِنْ كُلِّ مُهْرَاقِ الْحَيَـــاءِ كَأَنَّمَا
غَطَّى غَدِيرَىْ وَجْنَتَيْهِ الطُّحْلُبُ

١٠ مُتَــدَسِّمِ الثَّوْبَيْنِ يَنْظُرُ زَادَهُ
نَظَرٌ يُحَدِّقُهُ وَوَجْـــهٌ صُلَّبُ

١١ فَإِذَا طَلَبْتُ لَدَيْهِمُ مَا لَمْ أَنَلْ
أَدْرَكْتُ مِنْ جَدْوَاهُ مَالاَ أَطْلُبُ

---

(٨) يروى « أحضرت أعراضهم » بالبناء للمعلوم وبالبناء للمجهول ، فإن قرأتها بالبناء للمعلوم فأعراضهم فاعل ، وسوء المعايب مفعول به ، وإن قرأتها بالبناء للمجهول فأعراضهم نائب فاعل وهو المفعول الأول ، وسوء المعايب مفعول ثان ، ويروى الشطر الثانى « ريب الحوادث والفعال مغيب » والمعنى : يكون فداءه قوم تنزل بهم النوائب فلايقابلونها بأفعال حسنة يدفعونها بها عن أنفسهم كما يفعل هذا الممدوح .

(٩) تقول : أراق فلان الماء ، وتقـول : هراق فلان الماء ، بإبدال الهمزة هاء ، وتقول : أهراق فلان الماء ، بزيادة هاء بعد الهمزة تعويضاً عن حركة الياء التى انقلبت ألفا ، والمعنى أساله وصبه ، ومهراق الحياء : كناية عن زوال حيائه ، وغديرى وجنتيه : أراد عينيه ، والطحلب : ما يعلو وجه الماء الراكد المزمن من الخضرة ، يقول : من كل رجل قد ذهب حياؤه فصار صفيق الوجه ذا قحة كأنما قد غطى على عينيه .

(١٠) متدسم الثوبين : أصل هذه العبارة أن يأكل الإنسان طعاماً دسماً فيصيب ثوبه شىء منه فلايتعهده بالغسل ، ثم كنوا عن الغادر البخيل بها ، والتحديق : النظر الشديد ، وخد صلب : ذو صلابة .

(١١) جدواه : عطاؤه .

١٢ ضَمَّ الْفَتَاءَ إِلَى الْفُتُــوَّةِ بُرْدُهُ
وَسَــقَاهُ وَسْمِيُّ الشَّبَابِ الصَّيِّبُ

١٣ وَصَفَا كَمَا يَصْفُو الشَّبَابُ ، وَإِنَّهُ
فِي ذَاكَ مِنْ صِبْغِ الحَيَاءِ لَمُشْرَبُ

١٤ تَلْقَى السُّعُودَ بِوَجْهِهِ ، وَتَحِيئُـــهُ
وَعَلَيْكَ مَسْحَــةُ بِغْضَةٍ فَتُحَبَّبُ

١٥ إِنَّ الإِخَاءَ وِلَادَةٌ وَأَنَا امْرُؤٌ
مِمَّنْ أُوَاخِي حَيْثُ مِلْتُ فَأُنْجِبُ

---

(١٢) الفتاء ــ بفتح الفاء ــ طراءة السن ، وقال الربيع بن ضبع الفزارى أحد المعمرين :

إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذادة والفتاء

والفتاء يكون فى السن ، والفتوة تكون فى الأخلاق ، وضمهما برده : كناية عن ثبوت هاتين الصفتين له ، كما تقول : المجدبين برديه ، والسؤدد بين عطفيه ، والوسمى : أصله مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات ، والصيب ــ بتشديد الياء مكسورة ــ المطر النازل المنهمر .

(١٣) يروى « وصفا كما اعتدل الشهاب » ويروى « كما اعتدل الشباب » ويروى « كما نصع الشهاب » والمعنى أنه جمع بين الصفاء والحياء .

(١٤) يريد أنك إذا رأيته سعدت برؤيته وأحببته ، وأنك إن كنت قبل أن تراه مبغضا إلى الناس مكروها منهم صرت محبوبا عندهم بيمن رؤيته وبحسن إقباله عليك .

(١٥) الإخاء : المواخاة واتخاذ الإخوان ، وأراد أن يقول : إن مواخاة الإخوان مثل ولادة الغلمان ، وكما يجب على الرجل أن يتخير لأولاده الحسيبات الطيبات من الأمهات يجب عليه أن يتخير لأخوته النجباء من الإخوان ، وأنه عندما واخى المدوح استقصى الإخوان فوجده أولاهم بأخوته وأجدرهم بمودته .

١٦ وَإذَا الرِّجَالُ تَساَجَلُوا فِي مَشْهَدٍ فَمُرِيحُ رَأيٍ مِنْهُمُ أوْ مُعْزِبُ

١٧ أَحْرَزْتَ خَصْلَيْهِ إلَيْكَ ، وَأَقْبَلَتْ آراء قَوْمٍ خَلْفَ رَأيِكَ تُجْنَبُ

١٨ وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ وَالْكَلامُ لَآلِئٌ تُومٌ ؛ فَبِكْرٌ فِي النِّظَامِ وَثَيِّبُ

١٩ فكأنَّ قُسًّا فِي عُكَاظٍ يَخْطُبُ وكأنَّ لَيْلَى الأخيلية تَنْدُبُ

٢٠ وكُثَيِّرَ عَزَّةَ يَوْمَ بَيْنٍ يَنْسُبُ وَابْنَ الْمُقَفَّعِ فِي الْيَتِيمَةِ يُسْهِبُ

---

(١٦) أصل معنى « تساجلوا » تناوبوا فى ملء السجال من البئر فكان لهذا سجل ولآخر سجل ، وهكذا ، والسجل : الدلو ، ثم استعيرت هذه العبارة للمفاخرة ومنه قول اللهبى :

من يساجلنى يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب

وقوله « فمريح رأى منهم أو معزب » فبعضهم مصيب آخذ بالرأى الجيد ، وبعضهم مخطىء أخذ بأبعد الآراء عن الجادة ، ويروى « أو مغرب » .

(١٧) خصليه : مثنى خصل — بفتح الخاء وسكون الصاد — وأصله مايخرجه أحد المتناضلين أو المتسابقين ليأخذه من يغلب منهما .

(١٨) لآلىء توم : عظيمة ، وأراد بالبكر مايبتدعه من الكلام ويجىء به مما لم يسبق إليه ، وبالثيب ماسبقه غيره بمثله من المعانى ، ويروى « ولقدرأيتك » ويروى « ولقد سمعتك » فالمراد وصف كلام الممدوح .

(١٩ و ٢٠) قس : هو قس بن ساعدة الإيادى ، أحد خطباء العرب وحكمائهم وزهادهم ، وليلى الأخيلية صاحبة توبة بن الحمير التى يقول فيها :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت على ، ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة ، أوزقا إليها صدى من جانب القبر صائح

وكانت ترثى توبة فيستجاد رثاؤها ويحكم لها بالسبق فيه والتبريز على نظيراتها ، وكثير : هو كثير بن عبد الرحمن المشهور بكثير عزة ، وقد جاء به هنا بالتكبير ، =

٢١ تَكْسُو الوَقَارَ ، وَتَسْتَخِفُّ مُوَقَّراً
طَوْراً ، وتُبْكِى السَّامِعِينَ وَتُطْرِبُ

٢٢ قَدْ جَاءنَا الرَّشَأُ الَّذِى أَهْدَيْتَهُ
خَرِقاً وَلَوْ شِئْنَا لَقُلْنَا المَرْكَبُ

٢٣ لَدْنُ البَنَانِ لَهُ لِسَانٌ أَعْجَمٌ
خُرْسٌ مَعَانِيهِ وَوَجْهٌ مُعْرِبُ

٢٤ يَرْنُو فَيَثْلِمُ فِى القُلُوبِ بِطَرْفِهِ
وَيَعِنُّ لِلنَّظَرِ الحَرُونِ فَيُصْحِبُ

=وهو إنما سمى بالمصغر ، وانظر البيت ١٦ من القطعة ١١ ، ويوم بين : أراد يوم الفراق ، وابن المقفع : هو عبد الله بن المقفع الكاتب الذى لا يشق غباره ، وهو الذى ترجم كتاب كليلة ودمنة عن اللغة الفهلوية ، وله كتاب « اليتيمة » صاغه فى أسلوب رصين وعبارة متسقة .

(٢١) يريد أن الممدوح يكسو الوقار غير الوقور إذا سمع كلامه الرصين ، ويستخف الوقور لما يأخذه من البهر عند سماع بديع كلامه ، ويبكى سامعيه إذا وعظ ، ويطربهم إذا وصف ، مثلا .

(٢٢) الرشأ : أراد به الغلام الذى أهداه إليه ، شبهه بالرشأ وهو ولد الظبية ، والخرق ـ بوزن فرح ـ الذى قد دهش وتحير ، ويراد به الفتى الكريم الحسن الخلقة ، وأصل الخرق ـ بفتح الخاء والراء جميعاً ـ ضعف القوائم من النعمة .

(٢٣) لدن القوام : لين القامة ، ولسان أعجم : لا يبين عن مراده ولا يوقف على معانيه ، ووجه معرب : دال على جماله وحسنه ، وداع إلى حبه ، كأنه يتحدث

(٢٤) يرنو : ينظر ، ويثلم فى القلوب : أراد يجرحها ، ويعن : يعترض ، ويروى « ويرن » ومعناه يصوت ، والنظر الحرون : الشامس الذى لا ينقاد ، ويصحب ـ بضم حرف المضارعة ـ أى يسلس وينقاد ، والمعنى : أن هذا الرشأ ينظر فتجرح نظراته القلوب ، ويعترض للأنظار التى لم يكن ليصرفها شىء إلى ما يستحسن فتصبح منقادة طيعة .

٢٥ قَدْ صَرَّفَ الرَّانُونَ حُمْرَةَ خَدِّهِ وَأَظُنُّهَا بِالرِّيقِ مِنْهُ سَتُقْطَبُ
٢٦ حَمْدٌ حُبِيتَ بِهِ وَأَجْرٌ حَلَّقَتْ مِنْ دُونِهِ عَنْقَاءُ لَيْلٍ مُغْرِبُ
٢٧ خُذْهُ وَإِنْ لَمْ يَرْتَجِعْ مَعْرُوفَهُ مَحْضٌ إِذَا غَلِثَ الرِّجَالُ مُهَذَّبُ
٢٨ وانْفَحْ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيمِكَ نَفْحَةً
إِنْ كَانَتِ الأَخْلَاقُ مِمَّا يُوهَبُ

* * *

(٢٥) الرانون : جمع ران ، وهو اسم الفاعل من «رنا يرنو» أى نظر ، وحمرة خده : من إضافة المشبه به إلى المشبه ، شبه خده بالخمر فى لونها وهو الحمرة ، والمراد أنه قد خجل من كثرة ما نظر إليه الناظرون فاحمر وجهه ، وتقطب : أى تمزج .

(٢٦) حمد : ثناء ، وحبيت به : منحته وأعطيته ، وحلقت : طارت ، يعنى أن لك على هذه الهدية ثناء ، وحمدا ، ولكن الأجر الذى يعطاه الواهب ليس لك منه نصيب لأنه قد طارت به العنقاء .

(٢٧ و ٢٨) يروى « إذا عد الرجال » ويروى « إذا غلث الرجال » ويروى « إذا مزج الرجال » ويروى « إذا خلط الرجال » ويروى « إذا عيب الرجال » والمعنى : خذ هذا العبد إليك ، وأعطنى من أخلاقك ما هو أحسن منه . والخيم ــ بكسر الخاء ــ السجايا والطباع .

* * *

(١٨)

وقال يمدح أبا دُلَفَ القاسمَ بن عيسى العِجْلِيَّ :

١ عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلاَعِبِ
أُذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ

٢ أَقُولُ لِقُرْحَانٍ مِنَ البَيْنِ لَمْ يُضِفْ
رَسِيسَ الْهَوَى بَيْنَ الْحَشَا وَالتَّرَائِبِ

١٨

وردت هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ١٥ غير متصلة بالقصيدة السابقة ، وهى فى المصرية وفى مطبوعتى بيروت تالية للقصيدة السابقة .

(١) الأربع : جمع ربع ، وأصله المكان ينزله القوم فى زمن الربيع ، ثم استعمل فى المكان ينزله القوم مطلقاً ، والملاعب : جمع ملعب ، وهو مكان اللعب ، وجعله الشراح ملاعب الرياح فى هبوبها ، ونرى أنه يريد ملاعب سكان الأربع ، وأذيلت : حقرت ، والمصونات : جمع مصون ، وهو اسم المفعول من « صانه يصونه » إذا حافظ عليه ولم يتركه هملا ، والسواكب : جمع ساكب ، وهو النازل المنهمر ، وقد تكلم قوم فى هذا البيت فقالوا : كيف تهان الدموع المصونة ؟ وليس هذا الكلام بسديد ، فإن الدموع كانت مصونة ، فلما رأت ما حل بهذه الأربع وهذه الملاعب أهينت وأذريت وذرفت .

(٢) القرحان : السالم ، والبين : الفراق ، ولم يضف : أى لم ينزله ضيفا عنده ، ويروى « لم يصف » بالصاد المهملة ــ أى لم يعرف البين حتى يصفه ، ولم تظهر آثاره عليه حتى تكون كالوصف له ، ورسيس الهوى : الثابت منه ، والحشا : كل ما انضمت عليه الضلوع كالقلب ، والترائب : جمع تريبة ، وهى عظام أعلى الصدر ، ومقول القول هو البيت الثالث .

٣ أَعِنِّى أُفَرِّقْ شَمْلَ دَمْعِي؛ فَإِنَّنِي أَرَى الشَّمْلَ مِنْهُمْ لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ

٤ فَمَا صَارَ فِي ذَا الْيَوْمِ عَذْلُكَ كُلُّه عَدُوِّيَ حَتَّى صَارَ جَهْلُكَ صَاحِبِي

٥ وَمَا بِكَ إِرْكَابِي مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَباً أَلاَ إِنَّمَا حَاوَلْتَ رُشْدَ الرَّكَائِبِ

٦ فَكِلْنِي إِلَى شَوْقِي وَسِرْ يَسِرِ الْهَوَى إِلَى حُرُقَاتِي بِالدُّمُوعِ السَّوَارِبِ

٧ أَمَيْدَانَ لَهْوِي مَنْ أَتَاحَ لَكَ الْبِلَى فَأَصْبَحْتَ مَيْدَانَ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ

٨ أَصَابَتْكَ أَبْكَارُ الْخُطُوبِ فَشَتَّتَتْ هَوَايَ بِأَبْكَارِ الظِّبَاءِ الْكَوَاعِبِ

---

(٣) أعنى : ساعدنى وكن معيناً لى ، يقول : إنه توسل إلى الخلى من الهوى الذى لم يحل العشق بقلبه والذى أنكر عليه أن يبكى مادرس من أطلال أحبته بأن يترك العذل ويعاونه على سكب دموعه على منازل أودائه التى فارقوها .

(٤) جعل عذل الخالى من الحب عدواً له ؛ لأنه كان يلومه على الوقوف بهذه الديار ، وكان هو لايستجيب للومه ، ثم جعل جهله بالهوى وما يستوجبه المرور بديار الأحبة من البكاء صاحبه لأنه اضطر لمصاحبة هذا اللائم .

(٥) يريد أنك لا تريد بعذلك أن أتبع نصحك ؛ فأنت تعلم أننى لن أتبعه ، وإنما أردت أن ترشد الركائب التى لا تزال تتابع السير .

(٦) كلنى : اتركنى ، وحرقاتى : جمع حرقة ــ بضم الحاء المهملة ــ والمراد بها لواعج الهوى وتباريحه ، والدموع السوارب : السوائل ، يقول : دعنى وشوقى وسر أنت حتى يسير الهوى إلى قلبى فيبرح به .

(٧) أتاح : هيأ ، ويروى « من أناخ » بالنون والخاء ، والبلى : يروى فى مكانه « الردى » ويروى « النوى » والصبا ــ بفتح الصاد ــ ريح تهب من الشرق ، والجنائب : جمع جنوب ، وهى ريح تهب من ناحية الجنوب .

(٨) أبكار الخطوب : أراد التى لم يصب بمثلها أحد قبله ، وشتت هواى : فرقته ، وأبكار الظباء : جمع بكر ، وهى من النساء التى لم يمسسها أحد ، وذكر الظباء استعارة ، والكواعب : جمع كاعب وهى الناهدة الثدى .

٩ وَرَكْبٍ يُسَاقُونَ الرِّكَابَ زُجَاجَةً مِنَ السَّيْرِ لَمْ تَقْصِدْ لَهَا كَفُّ قَاطِبِ

١٠ فَقَدْ أَكَلُوا مِنْهَا الْغَوَارِبَ بِالسُّرَى وَصَارَتْ لَهَا أَشْبَاحُهُمْ كَالْغَوَارِبِ

١١ يُصَرِّفُ مَسْرَاهَا جُذَيْلُ مَشَارِقٍ إِذَا آبَهُ هَمٌّ عُذَيْقُ مَغَارِبِ

١٢ يَرَى بِالْكِعَابِ الرُّودِ طَلْعَةَ ثَائِرٍ وَبِالْعِرْمِسِ الْوَجْنَاءِ غُرَّةَ آيِبِ

---

(٩) الركب : ركاب الإبل خاصة ، والركاب ــ ومثله الركائب ــ أى الإبل ، يريد أنهم يسكرون المطى بالتعب والكلال ، فجعل السير خمرا ، والقاطب : الذى يمزج الخمر بالماء .

(١٠) الغوارب : جمع غارب ، وهو الكاهل ، والسرى : سير الليل خاصة ، والأشباح : جمع شبح ، يقول : لقد أتعبوا مطيهم حتى ذابت أسنمتها ، وصاروا هم فوقها كأنهم الأسنمة ، وهذا البيت من قول ذى الرمة :

طوى النحز والأجراز ما فى غروضها وما بقيت إلا الضلوع الجراشع

(١١) أخذ ألفاظ هذا البيت من قول الحباب بن المنذر يوم السقيفة « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » والجذيل : تصغير جذل ، وهو خشبة تنصب لتحتك بها الإبل الجربى فتشتفى ، والعذيق : تصغير عذق ، وكانوا يبنون تحت النخلة الكريمة شبه دكان يخافون عليها أن تميل ، ويراد بالجذيل المحكك الذى جرب الأمور وخبرها ، ويروى صدر البيت « يقود نواصيها جذيل مشارق » ويروى « يقود نواصيهم » ويروى « يسود نواصيهم » وآبه : حزبه ونزل به .

(١٢) الكعاب ــ بفتح الكاف ــ البارزة النهدين ، والرود : الناعمة ، وثائر : طالب ثأر ، والعرمس : الناقة الشديدة ، والوجناء : القوية على السير ، والآيب : الراجع من السفر ، يقول : إن هذا الرجل ــ لكونه محبا لمتابعة الأسفار فى طلب المعالى ــ إذا رأى كاعبا حسناء لم ينظر إليها إلا كما ينظر إلى ثائر جاء يأخذ بثأر له عنده فهو يبغضه ويتجهمه ، وإذا رأى ناقة صلبة قوية على احتمال مشاق السفر نظر إليها كما ينظر إلى طلعة محبوب قادم عليه بعد طول غيبة ، فهو يتهلل لمرآه .

١٣ كأنَّ بهِ ضِغْناً عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الأرضِ أوْشَوْقاً إلى كُلِّ جَانِبِ

١٤ إذا العِيسُ لاَقَتْ بِي أَبَا دُلَفٍ فَقَدْ تَقَطَّعَ ما بيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ

١٥ هُنَالِكَ تَلْقَى المَجْدَ حَيْثُ تَقَطَّعَتْ تَمَائِمُهُ والجُودَ مُرْخَى الذَّوَائِبِ

١٦ تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا إذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِنَغْمَةِ طَالِبِ

١٧ إذَا حَرَّكَتْهُ هِزَّةُ المَجْدِ غَيَّرَتْ عَطَايَاهُ أَسْمَاءَ الأَمَانِي الكَوَاذِبِ

---

(١٣) الضغن : الحقد الذى يستوجب أشد الكراهية . يقول : إن حبه للأسفار قد جعله يكره كل مكان يكون فيه ؛ لأنه لايريد أن يبقى به ، وجعله ـ مع ذلك ـ شديد الشوق إلى كل مكان لا يكون فيه حتى يذهب إليه .

(١٤) العيس : الإبل ، واحدها أعيس أو عيساء ، ويروى « وافت بى » مكان « لاقت بى » .

(١٥) التمائم : جمع تميمة ، وهى العوذة تعلق على الصبيان لتحميهم العين فيما زعموا ، ومن عادتهم أن تقطع هذه التمائم إذا كبر الصبى ، وأراد أنك تلقى الجود فى المكان الذى نشأ وترعرع فيه ، وأخذ هذا من قول الأسدى :

أحب بلاد الله مابين منعج إلى وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها حل الشباب تمائمى وأول أرض مس جلدى ترابها

(١٦) يجن جنونها : هذا مبالغة ، أن يسند الفعل إلى مصدره ، كما يقولون : جد جده ، وجاع جوعه ، ونظيره أن يصفوا الشىء بما يشتق منه أو من أصله ، نحو قولهم : شعر شاعر ، وليلة ليلاء ، ويوم أيوم ، ونهار أنهر ، ودهر داهر ، وساعة سوعاء . يقول : إن عطايا هذا الممدوح لو لم تجد سائلا فإنه يفسد عقلها ، ولا تزال كذلك حتى تسمع صوت طالب .

(١٧) يروى « إذا أخذته هزة المجد » والأمانى : جمع أمنية ، وأصل الياء فى الجمع مشددة ، والأمنية : مايتمناه الإنسان ويرجو تحققه ، وكذب الأمانى : بعدها حتى يتوهم أنها لاتتحقق ، فتغيير أسمائها أن يجعلها محققة رابحة فائزة ، بعد أن كانت بعيدة خائبة كاذبة مستحيلة .

١٨ تَكادُ مَغَانِيهِ تَهَشُّ عِرَاصُها فتركَبُ مِنْ شَوْقٍ إلى كلِّ رَاكبِ
١٩ إذَا ما غدَا أغْدَى كَرِيمَةَ مالِهِ هَدِيًّا وَلَوْ زُفَّتْ لِأَلْأَمِ خَاطِبِ
٢٠ يَرَى أقبحَ الأشياءِ أوْبَةَ آمِلٍ كَسَتْهُ يَدُ المأمولِ حُلَّةَ خَائِبِ
٢١ وأحْسَنُ مِنْ نَوْرٍ تُفَتِّحُهُ الصَّبا بَيَاضُ العَطَايَا فِي سَوَادِ المَطَالِبِ
٢٢ إذَا أَلْجَمَتْ يَوْماً لُجَيْمٌ وَحَوْلَهَا
بَنُو الحِصْنِ نَجْلُ المُحْصَنَاتِ النَّجَائِبِ
٢٣ فَإِنَّ المَنَايَا وَالصَّوَارِمَ وَالقَنَا أقَارِبُهُمْ فِي الرَّوْعِ دُونَ الأقَارِبِ

---

(١٨) مغانيه : جمع مغنى : وأصله اسم مكان من قولهم « غنى فلان بمكان كذا » إذا أقام به ، والمراد منازله ، والعراص : جمع عرصة ، وهى ساحة الدار ، وقد جعلها ترتاح للوافدين وتهش فى وجوههم ، على سبيل الاستعارة .

(١٩) تقول : غدا الشىء يغدو غدوا — بوزن سما يسمو سموا — وتقول : أغدى فلان الشىء يغديه إغداء — فتعدى اللازم بالهمزة قياسا وإن لم يسمع عن العرب ، والهدى : العروس . يريد أن الممدوح لو جاءه رجل دنىء يطلب نواله لم تمنعه دناءته ولؤمه من أن يعطيه مايريد .

(٢٠) يروى « أوبة آيب » والأوبة ـ بفتح الهمزة وسكون الواو ـ الرجوع .

(٢١) يروى « يفتحه الندى » والندى ـ بفتح النون مقصورا بوزن الفتى ـ المطر ، أو هو مايسقط فى آخر الليل .

(٢٢) ألجمت : أراد ألجمت الخيل استعدادا للقتال ، ولجيم : هم قوم أبى دلف ، لأنه من بنى عجل بن لجيم ، والمحصنات : العفيفات ، والواحدة محصنة ـ بفتح الصاد ـ ونجل المحصنات : ولدها ، والنجائب ، هنا : جمع نجيبة ، وأراد التى تلد النجب .

(٢٣) يروى « أقاربكم » والمنايا : جمع مبنة ، وهى الموت ، والصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع .

٢٤ جَحَافِلُ لَا يَتْرُكْنَ ذَا جَبَرِيَّةٍ سَلِيماً وَلاَ يَحْرُبْنَ مَنْ لَمْ يُحَارِبِ

٢٥ يَمُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ

٢٦ إِذَا الْخَيْلُ جَابَتْ قَسْطَلَ الْحَرْبِ صَدَّعُوا
صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكَتَائِبِ

٢٧ إِذَا افْتَخَرَتْ يَوْماً تَمِيمٌ بِقَوْسِهَا وَزَادَتْ عَلَى مَاوَطَّدَتْ مِنْ مَنَاقِبِ

٢٨ فَأَنْتُمْ بِذِي قَارٍ أَمَالَتْ سُيُوفُكُمْ
عُرُوشَ الَّذِينَ اسْتَرْهَنُوا قَوْسَ حَاجِبِ

---

(٢٤) الجحافل : جمع جحفل ــ بوزن جعفر ــ وهو الجيش ، والجبرية ــ بفتح الجيم والباء ــ الكبرياء .

(٢٥) يروى « من أيد طوال » ويروى « تسور بأسنان » ويروى «تطول» وعواص : جمع عاصية اسم فاعل فعله « عصاه » ومعناه لم يطعه فمضارعه يعصيه بوزن رماه يرميه ، أو معناه ضربه فمضارعه يعصوه كدعاه يدعوه ، وعواصم : جمع عاصمة ، يعنى أنها تعصم من يلجأ إليها وتحميه ، يريد أنهم يمدون أياديهم التى تعصى العاذلين فى الجود — أو التى تضرب الأعداء بالسيوف — وتعصم المستغيثين الخائفين .

(٢٦) القسطل : الغبار ، وصدعوا : كسروا ، والعوالى : جمع عالية ، وأراد عالية الرمح ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الجيش .

(٢٧و٢٨) ويروى « فخارا على ماوطدت » وذو قار : يوم من أيام العرب ، كان لهم على الفرس ، وكان بنو عجل قوم أبى دلف مع شيبان ، وفيه حمل حنظلة العجلى على فارس من فرسان الفرس فقتله ثم حرض العرب عليهم فظفروا بهم ، وحاجب : هو ابن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وكان قد اتخذ هو وأهله دورا فى أرض العراق ، فأنكر ذلك عليهم والى الحيرة من قبل كسرى ، فكتب بذلك إلى كسرى ، فكتب كسرى له يقول : ليقدم علينا وفدهم ، وليعطونا رهائن منهم ، فقدم عليه حاجب بن زرارة ، فلما وقفه على مايريد طلب منه الرهائن ،=

٢٩ مَحَاسِنُ مِنْ مَجْدٍ مَتَى تَقْرُنُوا بِهَا ... مَحَاسِنَ أَقْوَامٍ تَكُنْ كَالْمَعَايِبِ

٣٠ مَعَالٍ تَمَادَتْ فِي الْعُلُوِّ كَأَنَّمَا ... تُحَاوِلُ ثَأْراً عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ

٣١ وَقَدْ عَلِمَ الأَفْشِينُ وَهْوَ الَّذِي بِهِ ... يُصَانُ رِدَاءُ الْمُلْكِ عَنْ كُلِّ جَاذِبِ

٣٢ بِأَنَّكَ لَمَّا اسْتَخْذَلَ النَّصْرُ وَاكْتَسَى ... أَهَابِيَّ تَسْفِي فِي وُجُوهِ التَّجَارِبِ

٣٣ تَجَلَّلْتَهُ بِالرَّأْيِ حَتَّى أَرَيْتَهُ ... بِهِ مِلْءَ عَيْنَيْهِ مَكَانَ الْعَوَاقِبِ

٣٤ بِأَرْشَقَ إِذْ سَالَتْ عَلَيْهِمْ غَمَامَةٌ ... جَرَتْ بِالْعَوَالِي وَالْعِتَاقِ الشَّوَازِبِ

= فقال حاجب: ليس معى غير قوسى هذه فخذها، فضحك منه أصحاب كسرى ، فقال لهم كسرى : خذوها منه فإنه لن يسلمها ، فاسترهنوا منه القوس ، وذهب حاجب فوفى لهم بما كان وافقهم عليه ، فصار ذلك معدودا فى مناقب بنى تميم .

(٣٠) ويروى « مكارم لجت فى العلو » ويروى « معال تعالت » ويروى « كأنها » بدل « كأنما » .

(٣١) الأفشين : عبد من عبيد المعتصم ، كان قد اصطنعه ورفع من شأنه ، ثم قتله بعد ذلك .

(٣٢) روى « اسحنكك الأمر » والأصل فى « اسحنكك » أنك تقوله مسندا إلى الليل ، ومعناه أظلم ، ويروى « استخذل الأمر » ويروى « استخذل النصر » كما فى الأصل ، والأهابى : جمع إهباء ، وهو الغبار ، وتسفى : تثير التراب ، وكنى بقوله « تسفى فى وجوه التجارب » أن التجربة لاتنفع معها ولا تفيد .

(٣٣) تجللته بالرأى : أى علوته به ، ويروى « تحليته » بالحاء المهملة ، ويروى « تخليته » بالخاء المعجمة ـ أى خلصت إليه برأيك وهزمته . يقول : لما أظلم الرأى أريته إياه وكشفته له حتى صار كأنه ينظر إلى عواقبه .

(٣٤) أرشق : اسم موضع ، والعوالى : الرماح ، والعتاق الشوازب : الخيل الضامرة ، يعنى أنك مددته بالرأى والتدبير فى هذا المكان ، وقد سالت عليه غمامة برماح وخيل ضامرة .

٣٥ سَلَلْتَ لَهُمْ سَيْفَيْنِ رَأْياً وَمُنْصُلاً وَكُلٌّ كَنَجْمٍ فِي الدُّجُنَّةِ ثَاقِبِ

٣٦ وكُنْتَ مَتَى تُهْزَزْ لِخَطْبٍ تُغَشِّهِ ضَرَائِبَ أَمْضَى مِنْ رِقَاقِ الْمَضَارِبِ

٣٧ فَذِكْرُكَ فِي قَلْبِ الْخَلِيفَةِ بَعْدَهَا خَلِيفَتُكَ الْمُقْفَى بِأَعْلَى الْمَرَاتِبِ

٣٨ فَإِنْ تَنْسَ يَذْكُرْ ، أَوْ يَقُلْ فِيكَ حَاسِدٌ يَفِلْ قَوْلُه ، أَوْ تَنْأَ دَارٌ يُصَاقِبِ

٣٩ فَأَنْتَ لَدَيْهِ حَاضِرٌ غَيْرُ حَاضِرٍ بِذِكْرٍ ، وَعَنْهُ غَائِبٌ غَيْرُ غَائِبِ

٤٠ إِلَيْكَ أَرَحْنَا عَازِبَ الشِّعْرِ بَعْدَمَا تَمَهَّلَ فِي رَوْضِ الْمَعَانِي الْعَجَائِبِ

---

(٣٥) يروى « نضوت » وهو بمعنى سللت ، والمنصل — بضم الميم والصاد جميعا — السيف ، والدجنة ـ بضم الدال والجيم وتشديد النون ، بوزن حزقة ـ الظلام الشديد .

(٣٦) ويروى « متى تهزز لخطب فريته » والضرائب : جمع ضريبة ، وأراد بها هنا الخليقة والسجية ، ومنه قالوا « فلان كريم الضريبة » والمضارب : السيوف .

(٣٧) الضمير فى « بعدها » يعود إلى الفعلة التى فعلها ، والتى يدل عليها سابق الكلام ، والمقفى ـ بوزن اسم المفعول ـ أى الذى يؤثر ويخص بما يذكر .

(٣٨) يروى « فإن تنس يذكر » ببناء الفعلين للمعلوم : أى إذا نسيت أنت ماصنعت يذكره الخليفة ، ويروى ببنائهما للمجهول ، وفال رأى فلان يفيل : بطل ولم ينجح ، ونأت دار فلان : بعدت ، وقوله « تصاقب » معناه تدنو وتجاور .

(٣٩) معنى هذا البيت أنك حاضر عند الخليفة فى كل حال ، سواء أكنت حاضراً أم كنت غائباً ، لأن ذكرك لايغيب عن باله ، ويروى « غيرحاضر جميعاً » وهى رواية التبريزى ، ويروى « غير حاضر * لديه » .

(٤٠) أرحنا : أراد صرفنا ، وحولنا ، وعازب الشعر : بعيده ، وأصل ذلك أنهم يقولون « أراح فلان إبله » إذا جعلها ترعى قريباً من منازلهم ، أو إذا أعادها إلى البيت ، من قول النابغة الذبيانى :

وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

٤١ غَرَائِبُ لاَقَتْ فِي فِنَائِكَ أُنْسَهَا مِنَ المَجْدِ فَهِيَ الآنَ غَيْرُ غَرَائِبِ
٤٢ وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشِّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قَرَتْ حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي العُصُورِ الذَّوَاهِبِ
٤٣ وَلَكِنَّهُ صَوْبُ العُقُولِ إِذَا انْجَلَتْ سَحَائِبُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ
٤٤ أَقُولُ لِأَصْحَابِي هُوَ القَاسِمُ الَّذِي بِهِ شَرَحَ الجُودُ الْتِبَاسَ الْمَذَاهِبِ
٤٥ وَإِنِّي لَأَرْجُو عَاجِلاً أَنْ تَرُدَّنِي مَوَاهِبُهُ بَحْرًا تُرَجَّى مَوَاهِبِي

* * *

(٤١) غرائب : جمع غريبة ، يريد أن هذه المعانى التى تضمنها هذا الشعر غريبة عن أذهان الناس لا يفهمونها ، فلن يفهمها أحد سواك ، ويروى « من اليوم » فى مكان « من المجد » .

(٤٢) قرت حياضك : أصله قولهم « قرى فلان الماء فى الحوض » أى جمعه ، ويقع فى نسخة « فى القصور » وأظنه تحريفاً . يقول : لقد مدح الشعراء آباءك فى قديم الزمان بشعر كثير ، فلو أن الشعر يفنى لكان فيما اجتمع لديكم من مدائح الشعراء ما يفنيه .

(٤٣) صوب العقول : أصل الصوب نزول المطر ، تقول « صاب المطر يصوب صوباً ، وانصاب » تريد هطل وانصب . يقول : إن الشعر مما تهطل به عقول الشعراء ، فلذلك لا يفنى ، لأن سحائب عقولهم التى تجود به كسحب المطر كلما تجلت سحابة وانكشفت أعقبتها سحائب كثيرة .

(٤٤ و ٤٥) القاسم : اسم أبى دلف ، والتباس المذاهب : اشتباهها . يقول : فى الناس أهل جود وسماح ، ولكل منهم مذهب فى جوده وسماحه ، وفى مذهب كل منهم نقص وضعف يعتريه ، فأما أبو دلف فليس يدخل على مذهبه فى الجود نقص ، ومذهبه هو المذهب الذى أوضح ما التبس على الناس من مذاهب غيره حتى ظنوها جوداً ، وإنى لراج أن يدركنى اليسار والغنى من عطاياه حتى أكون مقصوداً ويؤمل الناس جودى .

* * *

(١٩)

وقال يمدح أبا العباس عبدَ الله بن طاهر بن الحسين بن مُصْعَب :

١ أَهُنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهْ   فَعَزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهْ

٢ إِذَا المَرْءُ لَمْ تَسْتَخْلِصِ الحَزْمَ نَفْسُهُ   فَذِرْوَتُهُ لِلْحَادِثَاتِ وَغَارِبُهْ

---

(١٩)

وقعت هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ١٦ تالية للقصيدة السابقة ، وهى فى المصرية وفى مطبوعتى بيروت تالية أيضاً للقصيدة السابقة .

(١) فى شرح التبريزى « هن » بغيرالهمزة ، ويروى « لهن » بلام الابتداء ، ويروى « أدرك الثأر » و« أدرك النأى » وعوادى : جمع عادية ، وهواسم الفاعل المؤنث من قولهم : « عدانى عما أريد » أى صرفنى ، والمصروف عنه غير مذكور فى الـكلام ، فيجوز أن يكون المراد أنهن صرفنه عن التقى حتى هم بالميل إليهن ، وعزما : مفعول مطلق عامله محذوف وجوباً ، والتقدير : فاعزم عزماً ، أى اقصد ألا تميل إليهن ولا تخالف هذا القصد ، وقد عد الآمدى هذا المطلع من ردىء ابتداءات أبى تمام ، وله العذر فى ذلك فالبيت غيرجيد الوزن عند من حذف الهمزة ، وليس تام اللفظ لحذف المصروف عنه ، وقد صرف « يوسف » ثم إن عجزه ردىء لعدم وثاقة الارتباط بين بعض ألفاظه وبعضها الآخر .

(٢) يروى «إذا المرء لم تستخلص الحزم نفسه» وهى ما ورد فى أصلنا ، ويروى « إذا المرء لم تستدرك الحزم نفسه » ويروى « إذا المرء لم تستحلس الحزم نفسه » وعلى هذه الروايات يكون الحزم مفعولا به ، ونفسه فاعلا ، ويروى « إذا المرء لم يستخلص الحزم نفسه » فيـكون الحزم فاعلا ، وذروة كل شىء : أعلاه ، وغاربه : أصله ما بين سنام البعير وعنقه ، والمعنى : إذا حاول المرء أمراً من الأمور ولم يجعل الحزم رائده والعزم قائده ، وهاله مايعترضه من الصعاب ، أو أطاع من لا رأى له ، فإنه لا يصل إلى ما يريد .

٣ أَعَاذِلَتِي مَا أَحْسَنَ اللَّيْلَ مَرْكَبًا ... وَأَخْشَنُ مِنْهُ فِي الْمُلِمَّاتِ رَاكِبُهْ

٤ ذَرِينِي وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ أُقَانِهَا ... فَأَهْوَالُهُ الْعُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهْ

٥ أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الزِّمَاعَ عَلَى السُّرَى ... أَخُو النُّجْحِ عِنْدَ الْحَادِثَاتِ وَصَاحِبُهْ

٦ دَعِينِي عَلَى أَخْلَاقِيَ الصُّمِّ لِلَّتِي ... هِيَ الْوَفْرُ أَوْسِرْبٌ تَرِنُّ نَوَادِبُهْ

٧ فَإِنَّ الْحُسَامَ الْهُنْدُوَانِيَّ إِنَّمَا ... خُشُونَتُهُ مَا لَمْ تُفَلَّلْ مَضَارِبُهْ

---

(٣) العاذلة : اللائمة ، وأراد التى تلومه على ركوب المشاق واحتمال مصاعب السفر . يقول : إن الليل مظلم يصعب السير فيه ، ولكن السارى فيه أصعب منه ، فليس يطيق السير فيه غير القوى الجلد .

(٤) ذرينى : اتركينى ، ويروى « دعينى » ويروى « كلينى » والمعنى واحد ، وأهوال الزمان : جمع هول ـ بفتح الهاء وسكون الواو ـ وهو كل ما يهولك ويفزعك منه ، ويروى « وأحوال الزمان » وهوجمع حال ، وأفانها : تروى بالفاء وتروى بالقاف ، فمن رواه بالفاء فمعناه أفنيها وتفنينى، أو أنزل بفنائها وتنزل بفنائى، ومن رواه بالقاف فمعناه أخالطها وأداريها ، ويروى « أقاسها » ويروى « أعانها » والرغائب : جمع رغيبة ، وهى كل ما ترغب النفس فيه .

(٥) الزماع : الأخذ فى الأمر والمضاء عليه ، والنجح ـ بضم النون وسكون الجيم ـ نوال الطلبة ، ويروى « أخو النجح عند النائبات » .

(٦) دعينى على أخلاق : أى اتركينى إليها ، ويروى « كلينى إلى أخلاق » والصم : جمع أصم ، يريد أنه لايسمع لعذل العاذلين ، ويروى «الصمل التى» وهى الشديدة ، ويروى «الغر للتى» وأراد بالتى هي الوفر الرحلة ، وأنها إما أن توفى به على الوفر ، وهو الغنى ، أو على الموت ، والسرب : أراد به هنا جماعة النساء ، وأصله جماعة القطا والظباء ، ونحوها ، وترن : تصوت .

(٧) الحسام : السيف ، والهندوانى : المنسوب للهند ، وكانت السيوف تردهم منها ، ويروى « خشوبته » والسيف الخشيب : الصقيل ، وقد يطلق على مابدئ =

٨ وَقَلْقَلَ نَأْيٌ مِنْ خُرَاسَانَ جَأْشَهَا ... فَقُلْتُ: اطْمَئِنِّي أَنْضَرُ الرَّوْضِ عَازِبُهْ
٩ وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا ... عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ
١٠ لأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ ... وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ
١١ عَلَى كُلِّ مَوَّارِ الْمِلاَطِ تَهَدَّمَتْ ... عَرِيكَتُهُ الْعَلْيَاءُ وَانْضَمَّ حَالِبُهْ
١٢ رَعَتْهُ الْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً ... رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ

= في طبعه ، يقول : إنى لا أصير مجرباً مالم أبتذل نفسى فى الأسفار واحتمال الأهوال وركوب الأخطار .

(٨) قلقل : حرك ، والنأى : البعد ، ويروى « نأيى » والجأش : القلب ، أو الصدر ، وأنضر الروض عازبه : أى بعيده عن متناول الأيدى ، وقد عابه فى ذلك عبد الله بن طاهر فقال : جعلتنى عازباً وأنا أدعى فى كل وقت ، وفى نسخة « وقلقل ناس » ولا ثقة لنا بها .

(٩ — ١١) يروى « وركب كأمثال الأسنة » شبه الركب بالأسنة فى المضاء والنفاذ ، وعرسوا : نزلوا ليلا ، والضمير قوله « على مثلها » يجوز أن يعود على الأسنة فيكون المعنى أنهم نزلوا فى مكان صعب فكأنهم على الأسنة قلقاً واضطراباً وسوء مقام ، ويجوز أن يعود على الإبل فيكون المعنى أنهم باتوا على ظهور إبل مهازيل لأن السفر أثر فيها ، ويروى « على كل رواد الملاط » والملاط — بكسر الميم بوزن الكتاب — رأس الكتف ، ومواره : من قولهم « ماريمور » إذا ذهب وجاء ، والعريكة : السنام ، والحالب : عرق يتصل بأسفل البطن ، يريد أنه قد ضمر وهزل ، وقد أخذ أبو تمام معنى هذه الأبيات من قول بعض العرب ، وأنشده أبو محلم :

غلام وغى تقحمها فأبلى ... فخان بلاءه الزمن الخؤون
وكان على الفتى الإقدام فيها ... وليس عليه ما جنت المنون

(١٢) الفيافى : جمع فيفاة ، وهى المكان الخالى ، والمعنى : أنه أولع بالسير فى الأماكن الخالية القفرة فأثرت فيه حتى أهزلته فكأنها رعته من قبل أن يرعى نبتها .

١٣ فَأَضْحَى الْفَلاَ قَدْ جَدَّ فِي بَرْيِ نَحْضِهِ
وَكَانَ زَمَانًا قَبْلَ ذَاكَ يُلاَعِبُــــهْ

١٤ فَــكَمْ جِزْعِ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غَارِبٍ
وَبِالْأَمْسِ كَانَتْ أَتْمَــكَتْهُ مَذَانِبُهْ

١٥ إِلَيْكَ جَزَعْنَا مَغْرِبَ الشَّمْسِ كُلَّمَا
هَبَطْنَا مَلاً صَلَّتْ عَلَيْكَ سَبَاسِبُهْ

١٦ فَلَوْ أَنَّ سَيْرًا رُمْنَهُ فَاسْتَطَعْنَهُ لَصَاحَبْنَنَا شَوْقًا إِلَيْكَ مَغَارِبُهْ

---

(١٣) الفلا : اسم جنس جمعى واحده فلاة ، وهى الأرض القفرة ، و «برى» مصدر « بريت العود والقلم ونحوها ، أبريه » مثل رميته أرميه ، والنحض — بفتح النون وسكون الحاء — اللحم ، ويقولون « قد برى السفر فلاناً » كأنه قد أخذ من لحمه مثل الذى يأخذه البرى من القلم ، يقول : جد الفلا فى برى هـذا المركوب لأنا قد جددنا فى السير ، وكان قبل ذلك كأنه يلاعبه .

(١٤) جزع الوادى — بكسر الجيم وسكون الزاى — منعطفه ، وجب : قطع واستأصل ، وذروة كل شىء : أعلاه ، وقد يسمى السنام ذروة لأنه أعلى البعير ، والغارب : ما بين السنام والعنق ، وأتمــكته : أسمنته وأطالته ، والمذانب : مسايل الماء فى الأودية ، ويروى « وكانت قديماً أتمــكته » .

(١٥) جزعنا : الأصل فى هذا قولهم « جزعت الوادى» أى قطعته من جانب إلى جانب ، ومغرب الشمس : أراد به الشــام ، ويروى « مغرب الملك » والملا — بوزن الفتى — الأرض الواسعة ، وهبطنا ، هنا : معناه حللنا ، ويروى : « وسطنا فلا » والسباسب : جمع سبسب وهو المفازة والقفر .

(١٦) يروى « فلو أن شرقا رمنه فاستطعنه » ونون النسوة فى هذا وفى قوله « لصاحبننا » تعود إلى السباسب فى البيت السابق ، وفى المصرية « رمتــه فاستطعته لصاحبنا» بتاء المتــكلم ، ولها وجه ، ولـكنه دون صنعة أبى تمام ، ويجوز أن تــكون نون النسوة حرفاً دالا على أن الفاعل جمع مؤنث ، ويكون الفاعل هو « مغاربه » ولهذا نظائر كثيرة جداً فى شعر القدامى والمحدثين ، ومن ذلك قول الفرزدق : =

١٧ إلى مَلِكٍ لَمْ يُلْقِ كَلْكَلَ بَأْسِهِ عَلَى مَلِكٍ إلاَّ وَلِلذُّلِّ جَانِبُهْ
١٨ إلى سَالِبِ الجَبَّارِ بَيْضَةَ مُلْكِهِ وَآمِلُهُ غَادٍ عَلَيْهِ فَسَالِبُهْ
١٩ وَأَيُّ مَرَامٍ عَنْهُ يَعْدُو نِيَاطُهُ
عَدًا أَوْ تُكِلُّ النَّاعِجَاتِ أَخَاشِبُهْ
٢٠ وَقَدْ قَرَّبَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ رَجَاؤُهُ
وَسَهَّلَتِ الْأَرْضَ الْعَزَازَ كَتَائِبُهْ

= ولكن ديافى أبوه وأمه بحوران يعصرن السليط أقاربه

ومن ذلك قول العتبى :

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى فأعرضن عنى بالخدود النواضر

ومن ذلك قول أبى فراس الحمدانى :

تتج الربيع محاسنا ألقحنها غر السحائب

(١٧) أصل الكلكل صدر البعير ونحوه ، فاستعاره للبأس ، يعنى أنه لم يقصد ملكا بحرب إلا أخضعه وأذله وأذهب ريحه ، ويروى « على ناكث » .

(١٨) بيضة ملكه : حقيقته وأكرمه ومعظمه ، يعنى أنه يسلب الملوك ملكهم ولكن من يؤمله ويرجوه يسلبه ماله .

(١٩) يروى « وأى مرام عنه يعدوه شأوه * مدى » ويروى « يبعد شأوه مدى» والاستفهام إنكارى ، والمرام : المطلب، ويعدو : مضارع «عداه عن كذا» أى صرفه عنه ، والنياط ـ بكسر النون ، بوزن الكتاب ـ أصله من قولهم « ناط هذا الشىء بكذا » أى علقه به ، وقالوا « قطعت نياط المهمه » أى ما اتصل به من الأرض ، يريد أنه لا يصرفه عن قصد الممدوح ولا تعوقه العوائق التى من شأنها أن تصرف الناس عن مقاصدهم ، وتفل : تكسر ، ويروى « تكل » كما فى أصلنا أى تعيى وتتعب وهذا الفعل معطوف على « تعدو » والناعجات : الإبل السراع ، وهو مفعول تفل أو تكل ، وأخاشبه : فاعله .

(٢٠) العزاز ـ بفتح العين ، بوزن السحاب ـ الأرض الصلبة .

٢١ إِذَا أَنْتَ وَجَّهْتَ الرِّكَابَ لِقَصْدِهِ
تَبَيَّنْتَ طَعْـــمَ الْمَاءِ ذُو أَنْتَ شَارِبُهْ

٢٢ جَدِيرٌ بِأَنْ يَسْتَحْـيِيَ اللهَ بَادِياً
بِهِ ، ثُمَّ يَسْتَحْـيِي النَّدَى وَيُرَاقِبُهْ

٢٣ سَمَا لِلْعُلَى مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا
سُمُوَّ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهْ

---

(٢١) ذو ، ههنا : اسم موصول بمعنى الذى ، وهذه لغـــة طيء ، وهم قوم أبى تمام ، ونظيره قول سنان بن الفحل الطائى :

فإن المـــاء ماء أبى وجدى   وبئرى ذو حفرت وذو طويت

يريد وبئرى التى حفرتها والتى طويتها ، ونظيره قول قوال الطائى :

فقولا لهذا المرء ذوجاء ساعياً   هلم فإن المشرفى الفرائض
أظنك دون المال ذوجئت طالباً   ستلقاك بيض للنفوس قوابض

يريد فى البيت الأول : لهذا المرء الذى جاء ساعياً ، أى جابياً للصدقات ، وفى الثانى : المال الذى جئت طالبه ، و « ذو » الطائية هذه تستعمل للمذكر والمؤنث وللمفرد والمثنى والجمع، وفى موضع الرفع والنصب والجر بلفظ واحد . يقول أبو تمام : إنك إذا سرت نحو هذا الممدوح تبينت اليمن والتيسير فى مسيرك ، فكأنك — قبل الورد — تجد طعم الماء الذى ترده بعد ذلك وتعلم أنه غاية فى العذوبة .

(٢٢) جدير : مستحق وخليق ، وباديا به : يحتمل وجهين ، الأول أن يكون معناه ظاهراً به ، فالفعل بدا يبدو ، أى ظهر ، والثانى أن يكون معناه مبتدئاً به ، فالفعل بدأ يبدأ — مهموزاً — والندى : الجود والكرم ، والمعنى أنه يبعثه على الكرم ويثيره إلى الإنفاق الحياء من الله عندما يترك البذل و يتعلل بالمعاذير ، والحياء من السخاء نفسه ومراقبة خلال المروءة .

(٢٣) يروى « سمو عباب البحر » وعباب البحر : أمواجه ، وعباب المـــاء : معظمه ، وجاشت : تحركت وعلت ، وغواربه : أعلى أمواجه .

٢٤ فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحَارِبُهْ

٢٥ وَذُو يَقَظَاتٍ مُسْتَمِرٍّ مَرِيرُهَا إِذَا الْخَطْبُ لَاقَاهُ اضْمَحَلَّتْ نَوَائِبُهْ

٢٦ وَأَيْنَ بِوَجْهِ الْحَزْمِ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا مَرَائِي الأُمُورِ الْمُشْكِلَاتِ تَجَارِبُهْ

٢٧ أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ النَّدَى بَعْدَ مَا عَفَتْ مَهَايِعُهُ الْمُثْلَى وَمَحَّتْ لَوَاحِبُهْ

٢٨ فَفِي كُلِّ نَجْدٍ فِي الْبِلَادِ وَغَائِرٍ مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهْيَ مَوَاهِبُهْ

٢٩ لِتُحْدِثَ لَهُ الأَيَّامُ شُكْرَ شَفَاعَةٍ تَطِيبُ صَبَا نَجْدٍ بِهِ وَجَنَائِبُهْ

٣٠ فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يُلْبِسِ الدَّهْرَ فِعْلَهُ لَأَفْسَدَتِ الْمَاءَ الْقَرَاحَ مَعَائِبُهْ

---

(٢٤) نول : أعطى ، يريد أنه أعطى حتى لم يبق محتاج ، وحارب حتى انقاد له الناس جميعاً ، فلم يبق من يستحق أن يحاربه .

(٢٥) مستمر مريرها : تقول « استمر مرير فلان » أى أنه استحكم وقويت شكيمته ، والمعنى أنه لا يمكن الأيام أن تأخذه على غرة .

(٢٦) المرائى – ويروى المرايا – جمع مرآة ، والتجارب : جمع تجربة ، يعنى أن تجاربه تريه وجوه المشكلات وتكشف له عن حلها ، فلا يغيب عنه وجه السداد .

(٢٧) أرى الناس : بين لهم ، وعفت : درست وامحت ، والمهايع : جمع مهيع ، وهو الطريق ، واللواحب : جمع لاحب ، وهو الطريق أيضاً ، ويراد به هنا الطريق الواضح .

(٢٨) النجد – بفتح فسكون – ما ارتفع وعلا من الأرض ، والغائر : ما انخفض منها ، والمراد أن له مواهب فى كل مكان ، وروى صدر هذا البيت «ففى كل شرق فى البلاد ومغرب » .

(٢٩) يروى « لتشكر له الأيام » ويروى « شكر ضراعة » ومعناه كمعنى ما فى الأصل ، أى شكراً صادراً عن ذلة ، والجنائب : جمع جنوب ، وهى الريح التى تقابل ريح الصبا .

(٣٠) يروى « فأقسم لو لم » ويروى « شكره » فى مكان « فعله » والماء القراح : الذى لم يخالطه شىء ، والمعنى : لو لم يلابس الدهر بعدله لفسد كل صالح .

٣١ وَيا أيُّها السَّارِى أسْرِ غَيْرَ مُحاذِرٍ
جَنانَ ظَلاَمٍ أوْ رَدًى أنْتَ هَائِبُهْ

٣٢ فَقَدْ بَثَّ عَبْدُ اللهِ خَوْفَ انْتِقَامِهِ
عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى ما تَدِبُّ عَقَارِبُهْ

٣٣ يَقُولُونَ إنَّ اللَّيْثَ لَيْثُ خَفِيَّةٍ
نَوَاجِــــذُهُ مَطْرُورَةٌ وَمَخَالِبُهْ

٣٤ وَمَا اللَّيْثُ كُلُّ اللَّيْثِ إلاَّ ابْنُ عَثْرَةٍ
يَعِيشُ فُوَاقَ نَاقَةٍ وهْوَ رَاهِبُــهْ

---

(٣١) السارى : السائر ليلا ، وجنان ظلام : ماستر من ظلمته ، وقال خفاف ابن ندبة :

ولولا جنــان الليــل أدرك خيلنا
بذى الرمث والأرطى عياض بن ناشب

وقال سلامة بن جندل :

ولولا جنان الليل ما آب عامر إلى جعفر سرباله لم يمزق

(٣٢) يريد أن من كان لا يسرى خوفا أو رهبة أو فزعاً قد أمن فليسر ؛ فإن عبد الله قد منع الدهر أن يمتد لأحد بأذى .

(٣٣) خفية : اسم موضع تنسب إليه الأسود ، ونواجذه : أراد أسنانه ، ومطرورة : محددة .

(٣٤) ابن عثرة : صاحب زلة ، كما قالوا « أخو كرم » و « أخو عزمات » أى صاحب ذلك ، وفواق الناقة — بضم الفاء ، بزنة غراب — مقدار مابين الحلبتين ، يعنى أن الليث الكاسر ليس هو هذا الحيوان المعروف بالافتراس المحدد الأنياب والمخالب ، ولكن الليث على الحقيقة هو رجل اقترف زلة ثم عاش برهة من الزمن قصيرةوهو يعرف بأس هذا الممدوح ويخافه ، يريد أن الخوف منه يذهب بحياة من يخافه من فور خيفته .

٣٥ وَيَوْمٍ أَمَامَ الْمَوْتِ دَحْضٍ وَقَفْتَهُ
وَلَوْ خَرَّ فِيهِ الدِّينُ لَانْهَالَ كَاثِبُهْ

٣٦ جَلَوْتَ بِهِ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ وَالْقَنَا
قَدِ اتَّسَعَتْ بَيْنَ الضُّلُوعِ مَذَاهِبُهْ

٣٧ سَقَيْتَ صَدَاهُ والصَّفِيحَ مِنَ الطُّلَى
رِوَاءً نَوَاحِيهِ عِذَابٌ مَشَارِبُهْ

٣٨ لَيَالِيَ لَمْ يَقْعُدْ بِسَيْفِكَ أَنْ يُرَى
هُوَ الْمَوْتَ إِلاَّ أَنَّ عَفْوَكَ غَالِبُهْ

٣٩ فَلَوْ نَطَقَتْ حَرْبٌ لَقَالَتْ مُحِقَّةً
أَلاَ هَكَذَا فَلْيَكْسِبِ الْمَجْدَ كَاسِبُهْ

٤٠ لِيُعْلَمَ أَنَّ الغُرَّ مِنْ آلِ مُصْعَبٍ غَدَاةَ الْوَغَى آلُ الوغى وَأَقَارِبُهْ

٤١ كَوَاكِبُ مَجْدٍ يَعْلَمُ اللَّيْلُ أَنَّهَا إِذَا نَجَمَتْ بَاءَتْ بِصُغْرٍ كَوَاكِبُهْ

٤٢ وَيَا أَيُّهَا السَّاعِي لِيُدْرِكَ شَأْوَهُ تَزَحْزَحْ قَصِيًّا أَسْوَأُ الظَّنِّ كَاذِبُهْ

---

(٣٥) ويروى « لا نهد كاثبه » وروى التبريزى « لانزال كاثبه » والمكان الدحض — بفتح الدال وسكون الحاء — الذى تزل فيه الأقدام ، وكاثبه : مجتمعه .

(٣٧) يروى « نقعت صداه » ويروى « سقيت صداه » كما فى أصلنا ، ويروى « رميت صداه» ويروى «رضيت جداه» والصفيح : جمع صفيحة ، وهى السيف ، والطلى : جمع طلية — بوزن مدية ومدى — وهى صفحة العنق .

(٣٨) يروى عجز هذا البيت « يبيد العدى والعفو عندك غالبه » يريد أنه لما قدر عفا ؛ فغلب عفوه سيفه .

(٤٠) يروى عجز هذا البيت « أسود الوغى أصهاره وأقاربه » .

(٤١) يروى « إذا أنجحت » مكان « إذا نجمت » ويروى « باءت بذل » أى رجعت به .

٤٣ فَحَسْبُكَ مِنْ نَيْلِ المَرَاتِبِ أَنْ تُرَى عَلِيماً بِأَنْ لَيْسَتْ تُنَالُ مَنَاقِبُهْ

٤٤ إِذَا مَا امْرُؤٌ أَلْقَى بِرَبْعِكَ رَحْلَهُ فَقَدْ طَالَبَتْهُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبُهْ

* * *

(٢٠)

وقال يمدح أبا جعفر محمدَ بنَ عبدِ الملكِ بن أبى مروان الزيات :

١ قَدْ نَابَتِ الجِزْعَ مِنْ أَرْوِيَّةَ النُّوَبُ وَاسْتَحْقَبَتْ جِدَّةً مِنْ دَارِهَا الحِقَبُ

٢ أَلْوَى بِصَبْرِكَ إِخْلَاقُ اللِّوَى، وَهَفَا بِلُبِّكَ الشَّوْقُ لَمَّا أَقْفَرَ اللَّبَبُ

---

(٤٣) روى التبريزى « بحسبك من نيل المناقب » والمناقب : جمع منقبة ، وهى المكرمة .

* * *

(٢٠)

وردت هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ١٨ مفصولة من القصيدة السابقة ؛ بالقصيدة التى يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب التى أولها * قل للأمير الذى قد نال ماطلبا * ووردت فى المصرية ومطبوعتى بيروت تالية للقصيدة السابقة .

(١) أروية، هنا : اسم امرأة ، وأصلها اسم لأنثى الوعول، وقوله «من أروية» على تقدير مضاف ، أى من منازل أروية ، والنوب : النائبات ، وأصل « استحقبت» جعلته فى حقيبتها ، والحقيبة : ما يكون وراء رحل الراكب يجعل فيه متاعه ، وإنما يفعل الراكب ذلك إذا كان مسافرا ، والمعنى أن الحقب قد وضعت جدة ربع أروية فى حقائبها وذهبت بها ، يريد أن هذه المنازل صارت دارسة .

(٢) ألوى بصبرك : ذهب به ، واللوى : مسترق الرمل ، وإخلاقه : انطماس آثاره وذهاب معالمه ، وهفا : طار ، واللب : العقل ، واللبب — بالتحريك — مثل اللوى .

٣ خَفَّتْ دُمُوعُكَ فِي إِثْرِ الْحَبِيبِ لَدُنْ
خَفَّتْ مِنَ الْكُثُبِ الْقُضْبَانُ وَالْكُثُبُ

٤ مِنْ كُلِّ مَمْكُورَةٍ ذَابَ النَّعِيمُ لَهَا
ذَوْبَ الْغَمَامِ ، فَمُنْهَلٌّ وَمُنْسَكِبُ

٥ أَطَاعَهَا الْحُسْنُ ، وَانْحَطَّ الشَّبَابُ عَلَى
فُؤَادِهَا ، وَجَرَتْ فِي وَصْفِهَا النِّسَبُ

٦ لَمْ أَنْسَهَا وَصُرُوفُ الْبَيْنِ تَظْلِمُهَا وَلاَ مُعَوَّلَ إِلاَّ الْوَاكِفُ السَّرِبُ

٧ أَدْنَتْ نِقَاباً عَلَى الْخَدَّيْنِ وَانْتَسَبَتْ
لِلنَّاظِرِينَ بِقَدٍّ لَيْسَ يَنْتَسِبُ

---

(٣) خفت دموعك : أسرعت فى الانهمار ، ويروى « جفت دموعك » بالجيم ، والأولى أشبه بصنعة أبى تمام ، ويروى « فى إثر الخليط » وخفت القضبان : أراد ارتحال الأحبة ، والكثب ، الأولى : جمع كثيب ، وهو : ما اجتمع وتراكم من الرمل ، يعنى بها أماكن خيام الأحبة ، والقضبان : جمع قضيب ، وأراد بها قدود الحسان وقاماتهن ، على التشبيه بقضيب الشجرة ، فى الاستواء والاعتدال ، والكثب ، الثانية : جمع كثيب ، وأراد به أرداف النساء على التشبيه بها فى الضخامة والامتلاء ، ويروى « الكثبان والقضب » .

(٤) ممكورة : مدمجة الخلق ، أو ناعمة ، ويروى « حيث الغمام » .

(٥) انحط الشباب على فؤادها : أراد أنها حية الفؤاد ، كما يقال : فلان شاب القلب ، ويروى « على قوامها » والنسب : جمع نسبة — بكسر النون — وأراد النسيب ، ويروى « فى روحها النسب » كأن يقال : هى خفيفة الروح ، أو هى عذبة الروح ، وما يشاكل هذا .

(٦) ولا معول : أى لا معتمد ولا مستند ، والوا كف السرب : أراد به الدمع ، يقول : ليس لهذه الظاعنة تعويل إلا على دمعها تسكبه فيسيل على خديها .

(٧) أدنت : قربت ، وأرادت وضعت ، والنقاب — بكسر النون — ماتستربه =

٨ وَلَوْ تَبَسَّمُ عُجْنَا الطَّرْفَ فِي بَرَدٍ وَفِي أَقَاحٍ سَقَتْهَا الْخَمْرُ وَالضَّرَبُ

٩ مِنْ شَكْلِهِ الدُّرُّ فِي رَصْفِ النِّظَامِ ، وَمِنْ صِفَاتِهِ الْفِتْنَتَانِ الظَّلْمُ وَالشَّنَبُ

١٠ كَانَتْ لَنَا مَلْعَبًا نَلْهُو بِزُخْرُفِهِ وَقَدْ يُنَفِّسُ عَنْ جِدِّ الْفَتَى اللَّعِبُ

١١ وَعَاذِلٍ هَاجَ لِي بِاللَّوْمِ مَأْرُبَةً بَاتَتْ عَلَيْهَا هُمُومُ النَّفْسِ تَصْطَخِبُ

١٢ لَمَّا أَطَالَ ارْتِجَالَ الْعَذْلِ قُلْتُ لَهُ : الْحَزْمُ يَثْنِي خُطُوبَ الدَّهْرِ لاَ الْخُطَبُ

= المرأة وجهها، ويروى «وانتصبت» فى مكان « انتسبت » والقد : القامة ، وقوله « ليس ينتسب » أراد أنه لا يحتاج إلى الانتساب إلى الرمح ولا إلى الغصن ولا إلى القضيب ، لأنه معروف مشهور ، والمعنى أنها استترت بالنقاب لتخفى نفسها عن الناس ، ولكنهم عندما رأوا قامتها عرفوها ، وذلك لأنها معروفة بحسن القوام واعتداله ، ويروى « ليس ينتقب » .

(٨) تبسم : أصله تتبسم ، فحذف إحدى التاءين ، وعجنا الطرف : رددناه وكررناه ، والبرد : حب الغمام ، والأقاح : جمع أقحوانة ، والأسنان تشبه بالبرد فى بياضها وصغرها واتساقها ، وتشبه بنور الأقاحى فى بياضه ولطافته ومائه .

(٩) يروى « فى نظم الجمان » ويروى « ومن صفاته الأطيبان » والظلم ــ بفتح الظاء وسكون اللام ــ الريق ، والشنب : برد وعذوبة فى الأسنان .

(١٠) الزخرف : ما كان حسن الظاهر ، وقد أخذوا منه فعلا فقالوا « زخرف الشىء » أى حسنه ، ويقال للذهب أيضاً : زخرف ، ويقال لغرور الدنيا وخديعتها: زخرف ، يريد أن هذه الدار كانت لنا مكان لهو ولعب .

(١١) العاذل : اللائم ، وهاج : أثار ، والمأربة ــ بضم الراء ، أو فتحها ، أو كسرها ــ الحاجة ، ويروى « هموم الصدر » .

(١٢) ارتجال العذل : أصله قولهم « ارتجل فلان الكلام ارتجالا » إذا قاله من غير تفكير ولا ترو ، ويثنى خطوب الدهر : يردها ويدفعها ، والخطب : جمع خطبة ، وأراد الكلام .

١٣ لَمْ يَجْتَمِعْ قَطُّ فِي مِصْرٍ وَلاَ طَرَفٍ
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مَرْوَانَ وَالنُّــــــوَبُ

١٤ لِي مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ آخِيَّةٌ سَبَبٌ
إِنْ تَبْقَ يُطْلَبْ إِلَى مَعْرُوفِيَ السَّبَبُ

١٥ صَحَّتْ فَمَا يَتَمَارَى مَنْ تَأَمَّلَهَا ـ مِنْ فَرْطِ نَائِلِهِ ـ فِي أَنَّهَا نَسَبُ

١٦ أَمَّتْ نَدَاهُ بِيَ الْعِيسُ الَّتِي شَهِدَتْ لَهَا السُّرَى وَالْفَيَافِي أَنَّهَا نُجُبُ

١٧ هَمٌّ سَرَى ، ثُمَّ أَضْحَى هِمَّةً أَمَمًا أَضْحَتْ رَجَاءً وَأَمْسَتْ وَهْيَ لِي نَشَبُ

---

(١٣) يروى « فى مصر ولا بلد » والنوب : جمع نائبة ، وهى النازلة من نوازل الدهر ، يريد أنه يدفع عمن يلوذ بجواره نوائب الدهر فلا توجد حيث يوجد .

(١٤) أصل الآخية أن يدفن حبل فى التراب ثم تخرج منه عروة يشد فيها الفرس فتمسكه أن يتفلت ، ثم قالوا : لفلان عند فلان آخية ، يريدون أن له عنده سببا يستند إليه ويعتمد عليه من قرابة أو مودة أو خدمة ، يقول : إن لى عند هذا الممدوح سببا يصل حبل ودادى به ، ولئن بقى هذا السبب فإنه يغنينى حتى يحتاج الناس إلى معروفى فيتوسلوا إلى بوسائل .

(١٥) يتمارى : يشك ، ويروى « من وجه نائله » وروى التبريزى « من نحو نائله » ويروى « من فيض نائله » ويروى « من نجح تأميله » ويروى « من نحو تأميله » . يقول : لايشك أحد تأمل ما أنال من رفده أن بينى وبينه نسبا .

(١٦) أمت : قصدت ، ونداه : جوده ، والعيس : الإبل ، والسرى : السير ليلا ، والفيافى : الصحارى ، ونجب : جمع نجيب ، وهو القوى الصلب من الجمال

(١٧) أمما : قريبة دانية ، يقول : بت فى هم ، ثم صار همى همة ، وأصبحت هذه الهمة رجاء وأمست مالا ، ويروى « راحت رجاء وأمست وهى لى نشب » وتفصيله كنت فى الليل مهتما كئيبا ، ففكرت فيما أزيل به هذا الهم ، فأسريت إلى هذا الممدوح ، فأصبحت فى ذراه وقد صار همى همة ، ثم أضحيت وقد صارت الهمة رجاء ، ثم لقيته فأمسيت وقد صار الرجاء مالا نالنى منه .

١٨ أَعْطَى وَنُطْفَهُ وَجْهِي فِي قَرَارَتِهَا تَصُونُهَا الوَجَنَاتُ الغَضَّةُ القُشُبُ

١٩ لاَ يَـكْرُمُ الظَّفَرُ المُعْطِي ـ وَإِنْ أُخِذَتْ
بِهِ الرَّغَائِبُ ـ حَتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ

٢٠ إِذَا تَبَاعَدَتِ الدُّنْيَا فَمَطْلَبُهَا إِذَا تَوَرَّدْتَهُ مِنْ شِعْبِهِ كَثَبُ

٢١ رِدْءُ الخِلاَفَةِ فِي الجُلَّى إِذَا نَزَلَتْ
وَقَيِّمُ الدِّينِ ، لاَ الْوَانِي ، وَلاَ الوَصِبُ

٢٢ جَفْنٌ يَعَافُ لَذِيذَ النَّوْمِ نَاظِرُهُ شَجًى عَلَيْهَا وَقَلْبٌ حَوْلَهَا يَجِبُ

٢٣ طَلِيعَـــةٌ رَأْيُهُ مِنْ دُونِ بَيْضَتِهَا
كَمَا انْتَمَى رَابِئٌ فِي الْغَزْوِ مُنْتَصِبُ

---

(١٨) النطفة — بضم النون وسكون الطاء — الماء القليل ، وأصل القرارة المطمئن من الأرض ، والوجنات : جمع وجنة ، وهى العظم الذى تحت الصدغ ، يريد أنه أعطاه قبل أن يسأله فلم يخلق وجهه بسؤال فوجهه غض جديد .

(١٩) يقول : إنما يكون المعروف كريما والنوال شريفا إذا لم يبتذل طلب الطالبين بالمطل ولم يهن بالتسويف .

(١٠) شعبه : أراد من جهته ، والضمير يعود إلى الممدوح ، وكثب : قريب ، يقول : إذا تباعدت عنك الدنيا وجفتك وكنت تريد أن تظفر بها فاطلبها من مظانها وأما كنها التى تعلم أنها مستقرة فيها ، وإن مطلبها من الممدوح لقريب دان .

(٢١) ردء الخلافة : عونها ، والجلى : الأمر العظيم ، والوانى : المقصر ، والوصب : التعب ، يقول : إنه يقوم بعظائم الأمور فيؤديها على أحسن وجوهها فلا تتعبه لحزمه وجودة رأيه .

(٢٢) الضمير فى « عليها » وفى « حولها » يعود إلى الخلافة ، ويعاف لذيذ النوم : يريد أنه لايقربه ، وشجى عليها : حزنا ، يقول : هو شديد الشفقة على الخلافة ، فهو يسهد جفنه فى تدبير سياستها وإصلاح شؤونها ، ويروى « شحاعليها » بالحاء المهملة ـ أى بخلا بها .

(٢٣) الرابىء : أصله الرجل يعلو مكانا عالياً ليعرف ماحوله فيخبر قومه بمايراه ليتحرزوا من المخاوف ، وانتمى : أى أشرف .

٢٤ حَتَّى إِذَا مَا انْتَضَى التَّدْبِيرَ ثَابَ لَهُ
جَيْشٌ يُصَارِعُ عَنْـــهُ مَالَهُ لَجَبُ

٢٥ شِعَارُهَا اسْمُكَ إِنْ عُدَّتْ مَحَاسِنُهَا إِذَا اسْمُ حَاسِدِكَ الْأَدْنَى لَهَا لَقَبُ

٢٦ وَزِيرُ حَقٍّ ، وَوَالِي شُرْطَةٍ ، وَرَجَا
دِيوَانِ مُلْكٍ ، وشِيعِيٌّ ، وَمُحْتَسِبُ

٢٧ كَالْأَرْحَبِيِّ الْمُذَكِّي سَــيْرُهُ الْمَرَطَى
وَالْوَخْدُ ، وَالْمَلْعُ ، وَالتَّقْرِيبُ ، وَالْخَبَبُ

٢٨ عَوْدٌ تُسَاجِلُهُ أَيَّامُهُ فِيهَا مِنْ مَسِّهِ وَبِهِ مِنْ مَسِّهَا جُلَبُ

---

(٢٤) جعل التدبير كأنه سيف ينتضيه ، وثاب له : رجع ، والضمير يعود إلى التدبير ، ويجوز أن يعود إلى الممدوح ، يعنى أنه إذا أعمل فكره فى أمر من الأمور انهالت عليه وجوه الرأى ؛ فاختار أدناها من الحزم ، وأقربها إلى النجح .

(٢٥) الشعار — بكسر الشين — مايدعى به القوم فى الحرب ليتميزوا عن أعدائهم يعنى أن اسمه هو شعار الخلافة ، وكان العرب لايستعملون الألقاب إلا فى الذم ، وعلى هذا جاء قوله « إذا اسم حاسدك — إلخ » يعنى أن الخلافة تحب اسمه لذلك تتسمى باسمه عند تعداد محاسنها ، فتذكر أنه وزيرها ، وتجعل هذا لقبا لغيره .

(٢٦و٢٧) الأرحبي : النجيب من الإبل ، منسوب إلى أرحب وهم حى من همدان ، والمذكى : الذى تمت سنه ، والمرطى — بفتحات — نوع من العدو سهل ، وأكثر استعماله فى سير الخيل ، والوخد ومابعده منها مايستعمل كثيرا فى سير الإبل ، فالوخد : أن ترمى بقوائمها مثل سير النعام ، والملع : السير الخفيف السريع . يعنى أن هذا الممدوح يجمع صفات إصلاح الملك كما أن الأرحبي المذكى من الإبل يجمع هذه الأنواع من السير .

(٢٨) العود — بفتح فسكون — أصله المسن من الإبل ، والمراد هنا الرجل المجرب للأمور ، والجلب : جمع جلبة — بضم الجيم — وهى مايكون من الأثر فى ظهر البعير وغيره من أثر حمل . يقول : قد جرب الممدوح الأمور خيرها وشرها ، وإن الدهر ليكون مرة معه ومرة عليه كأنما يساجله .

٢٩ ثَبْتُ الْخِطَابِ إِذَا اصْطَكَّتْ بِمُظْلِمَةٍ
فِي رَحْلِهِ أَلْسُنُ الْأَقْوَامِ وَالرُّكَبُ

٣٠ لاَ الْمَنْطِقُ اللَّغْوُ يَزْكُو فِي مَقَاوِمِهِ
يَوْماً ، وَلاَ حُجَّةُ الْمَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ

٣١ كَأَنَّمَا هُوَ فِي نَادِي قَبِيلَتِهِ
لاَ الْقَلْبُ يَهْفُو وَلاَ الأَحْشَاءُ تَضْطَرِبُ

٣٢ وَتَحْتَ ذَاكَ قَضَاءٌ حَزُّ شَفْرَتِهِ كَمَا يَعَضُّ بِأَعْلَى الغَارِبِ القَتَبُ

---

(٢٩) ثبت الخطاب : يروى فى مكانه «ثبت الجنان» وهو القلب ، واصطكت : اضطربت ، ومظلمة : تروى بضم الميم اسم فاعل مؤنث فعله « أظلم » أى بحادثة مظلمة لايعرف فيها وجه الصواب إلا الثاقب الرأى ، ويروى « مظلمة » بفتح الميم اسم مكان من الظلم . يعنى إذا حدثت حادثة وخفى وجه الصواب فيها ، فكثرت فيها أقوال الناس وتزاحموا فضربت ركب بعضهم ركب بعض جاء هذا الممدوح بالقول الثبت .

(٣٠) المنطق اللغو : الكلام الذى يستحق الإهمال لأنه هذر غير محتاج إليه ، ويزكو : أراد يروج ، والمقاوم : جمع مقام .

(٣١) لاالقلب يهفو : يريد أنه لايزيغ عن مقصده ، مأخوذ من قولهم « هفا فلان يهفو » أى عثر ، ونادى القوم : مجلسهم الذى يجتمعون فيه ، وقد يطلق على القوم المجتمعين ، وفى الكتاب العزيز (فليدع ناديه) والمعنى أنه إذا جلس للمظالم يراه من كان حاضرا كأنما هو فى نادى قبيلته ، وكأنهم أهله وذووه .

(٣٢) حز شفرته : أصله قولهم فى المثل « لم أجد لشفرتى محزا » والشفرة ـ بفتح الشين ـ السكين ، والمحز : موضع الحز ، أى لم أجد لى حيلة فى هذا الأمر ، وقال القتال :

كلانا عدو لم يجد فى عدوه محزا ، وكل فى العداوة مجمل

وقد استعار أبو تمام حز الشفرة للقضاء ، ومراده أن هذا الممدوح يقضى قضاء لايراعى فيه أحدا ولا يحابيه وإن شق أمره ، وأصل عض القتب بالغارب أن يكون =

٣٣ لاَ سَوْرَةٌ تُتَّقَى مِنْهُ وَلاَ بَلَهٌ وَلاَ يَحِيفُ رِضًى مِنْهُ وَلاَ غَضَبُ

٣٤ أَلْقَى إِلَيْكَ عُرَى الْأَمْرِ الْإِمَامُ فَقَدْ شُدَّ الْعِنَاجُ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْكَرَبُ

٣٥ يَعْشُو إِلَيْكَ وَضَوْءُ الرَّأْيِ قَائِدُهُ خَلِيفَةٌ إِنَّمَا آرَاؤُهُ شُهُبُ

٣٦ إِنْ تَمْتَنِعْ مِنْكَ فِي الْأَوْقَاتِ رُؤْيَتُهُ فَكُلُّ لَيْثٍ هَصُورٍ غِيلُهُ أَشِبُ

= فى البعير ، وذلك أن القتب إذا عض غاربه لحقته من ذلك مشقة ، والغارب : أعلى البعير ، وأراد هنا سنامه ، والقتب : مايوضع فوق البعير ليقتعده الراكب مثل السرج للحصان .

(٣٣) سورة الغضب : حدته ، والبله — بالباء — الغفلة ، ويروى « ولا تله » بالتاء — والتله : الحيرة ، ولا يحيف : أى لايجور ، يعنى أنه لايحمله الغضب على الظلم ، فهو عدل منصف فى غضبه وفى رضاه .

(٣٤) العناج — بكسر العين — حبل يشد فى أسفل الدلو ثم يوصل بعراقيها وكربها ، والكرب — بفتح الكاف والراء — الحبل الذى يشد على عراقى الدلو ثم يثنى ثم يثلث ، والسلطان،هنا : العز والقوة ، ويكنون بشد العناج والكرب عن توثق الأمر ، قال الحطيئة :

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج ، وشدوا فوقه الكربا

فإذا أرادوا الكناية عن أن الأمر صدر بغير روية ولا تدبير قالوا : هذا أمر لاعناج له ، قال قيس بن الخطيم :

وبعض القول ليس له عناج كسيل الماء ليس له إتاء

(٣٥) يعشو إليك : يقصدك ، ويروى « عشا إليك » أى قصدك ، يريد أن الخليفة طلب من يصلح لتقلد وزارته ، وتدبير مملكته ، وكان الذى بعثه على ذلك رأيه الثاقب ، فلم يجد مثلك ، فقلدك أمر المملكة .

(٣٦) إن تمتنع منك : روى التبريزى « إن تمتنع منه » والليث : الأسد ، والهصور : المفترس ،والغيل — بكسر الغين — مأوى السباع ، وأشب — بفتح الهمزة وكسر الشين — ملتف الأشجار ، يقول : إن كان يحتجب فكذلك الليث ، وقد كان السلطان حجبه فشق ذلك عليه ، فأخذ أبو تمام يسليه .

٣٧ أَوْ تُلْقَ مِنْ دُونِهِ حُجْبٌ مُكَرَّمَةٌ
يَوْماً فَقَدْ أُلْقِيَتْ مِنْ دُونِكَ الْحُجُبُ

٣٨ والصُّبْحُ يَخْلُفُ نُورُ الشَّمْسِ غُرَّتَهُ
وَقَرْنُهَا مِنْ وَرَاءِ الأُفْقِ مُحْتَجِبُ

٣٩ أَمَّا الثَّوَافِي فَقَدْ حَصَّنْتَ غُرَّتَهَا فَمَا يُصَابُ دَمٌ مِنْهَا وَلاَ سَلَبُ

٤٠ مَنَعْتَ إِلاَّ مِنَ الأَكْفَاءِ نَاكِحَهَا
وَكَانَ مِنْكَ عَلَيْهَا الْعَطْفُ وَالْحَدَبُ

٤١ وَلَوْ عَضَلْتَ عَنِ الأَكْفَاءِ أَيِّمَهَا وَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِي إِظْهَارِهَا أَرَبُ

---

(٣٧) يروى « فقد كشفت » مكان « فقد ألقيت » ويروى « من خلفك » مكان « من دونك » يقول : إن احتجب عنك الخليفة أحيانا فلا يحزنك ذلك ، لأنه ليس صادرا منه عن تغير مكانة ولا تحول عهد ولا انحطاط منزلة ، بل صدر عنه كما يصدر عنك أنت أن تحجب غيرك ممن يريد الوصول إليك فلا يصل إليك ، وإن احتجب عنك فقد قربك إلى أدنى حجاب منه ، وأبعد غيرك بما ألقى من الستور والحجب بينه وبينه .

(٣٨) يروى « وقرنها من وراء الأرض » وضرب هذا الكلام مثلا يقوى به معنى البيت السابق .

(٣٩) يروى قوله « فقد حصنت غرتها » بكسر العين ، وبضم الغين ، ويروى « عذرتها » أى بكارتها .

(٤٠) يقرأ « منعت » بضم التاء على أنها للمتكلم ، وبفتحها على أنها تاء المخاطب ، ويروى « الإخوان » مكان « الأكفاء » والحدب ـ بفتح الحاء والدال جميعاً ـ الإشفاق والعطف ، وفعله من باب فرح .

(٤١) عضلت : يروى «ولو منعت» والمعنى واحد ، والأيم : المرأة التى لازوج لها ، والأرب : الحاجة .

٤٢ كَانَتْ بَنَاتِ نُصَيْبٍ حِينَ ضَنَّ بِهَا
عَلَى الْمَوَالِي وَلَمْ تَحْفِلْ بِهَا الْعَرَبُ

٤٣ أَمَّا وَحَوْضُكَ مملوء فَلاَ سُقِيَتْ خَوَامِسِي إِنْ كَفَى أَرْسَالَهَا الْغَرَبُ

٤٤ لَوْ أَنَّ دِجْلَةَ لَمْ تَحُوجْ وَأَنْجَدَهَا مَاءُ الْعِرَاقَيْنِ لَمْ تُحْفَرْ بِهَا الْقُلُبُ

٤٥ لَمْ يَنْتَدِبْ عُمَرٌ لِلإِبْلِ يَجْعَلُ مِنْ جُلُودِهَا النَّقْدَ حِينَ عَزَّهُ الذَّهَبُ

---

(٤٢) نصيب : شاعر من موالى آل مروان ، وكان أسود ، وولد له بنات ، فكان لايرضى الموالى أزواجا لهن ، وكانت العرب تأبى أن تتزوجهن .

(٤٣) الخوامس : الإبل التى ترد الماء يوما ثم تذهب للرعى ثلاثة أيام ثم ترد ثانية فى اليوم الخامس ، والأرسال : جمع رسل ــ بوزن سبب وأسباب ــ وهى هنا الجماعات ، قال امرؤ القيس :

إذ هن أرسال كرجل الدبا أو كقطا كاظمة الناهل

والغرب ــ بفتح الغين والراء جميعا ــ الماء الجارى بين البئر والحوض . يقول : إذا وجدتك راغبا فى شعرى وقد أعددت لى الثواب عليه ، فلاسقى الله إبلى إن عدلت عن حوضك المملوء واكتفيت بسقيها من الماء الجارى بين البئر والحوض ، يريد أنه لايعدل عن مدحه إلى مدح غيره ممن لايثيب مثل ثوابه .

(٤٤) يروى «وصاحبها » أراد به الفرات ، وقد فصل ــ على هذه الرواية ــ بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله «لم تحوج» ويروى «لم تحوج صواحبها أرض العراقين» ويروى «لو أن دجلة لم تحوج وأنجدها ماء الفراتين» ويروى « لم تمرع وساح لها » والقلب : جمع قليب ــ بوزن غدير وغدر ــ يقول : لولا حاجتى لكنت لا أتبذل بمدح الأوساط ، لكن دواعى الحاجة هى التى بعثتنى على ذلك ، كما أن أهل العراقين لو كفاهم دجلة والفرات على فيضهما وغزارة مائهما لما احتفروا الآبار .

(٤٥) عمر : أراد به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، يروى أنه رضى الله عنه أراد أن يقطع جلود الإبل قطعا على مقدار الدرهم ويجعل الناس يتعاملون بها لقلة الذهب والفضة ، ويروى « لم يبتدر عمر » وعزه : غلبه واضطره ، يقول : إن الإنسان ليفعل الشىء وهو عالم أن غيره خير منه حين تلجئه الضرورة إلى ذلك .

٤٦ لاَ شَرْبَ أَجْهَلُ مِنْ شَرْبٍ إِذَا وَجَدُوا
هَذَا اللُّجَيْنَ فَدَارَتْ فِيهِمُ الْعُلَبُ

٤٧ إِنَّ الإِسِنَّـــةَ وَالْمَاذِىَّ مُذْ كَثُرَا
فَلاَ الصَّيَاصِى لَهَا قَدْرٌ وَلاَ اليَلَبُ

٤٨ لاَ نَجْــمَ مِنْ مَعْشَرٍ إِلاَّ وَهِمَّتُهُ
عَلَيْــكَ دَائِرَةٌ يَا أَيُّهَا القُطُبُ

٤٩ وَمَا ضَمِيرِىَ فِي ذِكْرَاكَ مُشْتَرَكٌ
وَلاَ طَرِيقِى إِلَى جَدْوَاكَ مُنْشَعِبُ

(٤٦) الشرب : جمع شارب ، ونظيره صحب وصاحب وتجر وتاجر ، واللجين : الفضة ، والعلب : جمع علبة ، وهى وعاء من جلد : يحلب فيه الأعراب ، ويشربون منه ، وقال جرير :

لم تتلفع بفضل مئزرها دعد ، ولم تسق دعد بالعلب

ويزعم الأطباء أن الشرب فى الذهب والفضة فضيلة . يقول : إن أجهل الشاربين وأبعدهم عن المحجة قوم وجدوا آنية الفضة يشربون فيها فعدلوا إلى الشرب فى العلب ، وضرب هذا مثلا .

(٤٧) الأسنة : جمع سنان ، والماذى : الدروع ، وهم يقولون « درع ماذية » يريدون أنها سهلة لينة ، أو أنها بيضاء ، والصياصى : القرون ، واليلب : شىء يتخذ من الجلد على هيأة الدرع ، وكانوا إذا لم يجدوا الأسنة اتخذا القرون أداة للقتال ، وإذا لم يجدوا الدروع المتخذة من الحديد اتخذوا اليلب .

(٤٨) أصل القطب — بضم القاف أو كسرها أو فتحها مع سكون الطاء فيهن ، أو بضم القاف والطاء جميعا بوزن عنق — الحديدة المركبة فى وسط حجر الرحى السفلى لتدور عليها الحجر السفلى ، وهو أيضا مدار الفلك ، أو هو كوكب بين صغير أبيض لايبرح مكانه يدور عليه الفلك ، وشبهوه بقطب الرحى . والمعشر : الجماعة ، يقول : إن الناس جميعا يجعلونك إمامالهم لأنك الذى تمنعهم من الاضطراب .

(٤٩) يقول : إنى لاأذكر أحدا سواك لأن ضميرى ليس فيه غيرك ، والجدوى : العطاء ، يعنى أنه لايقصد غيره لطلب العطاء منه ، لأن من عداه لايعطون مثل عطائه

٥٠ لِى حُرْمَةٌ بِكَ لَوْلاَ مَارَعَيْتَ وَمَا
أَوْجَبْتَ مِنْ حِفْظِها مَاخِلْتُهَا تَجِبُ

٥١ بَلَى لَقَدْ سَلَفَتْ فِى جَاهِلِيَّتِهِمْ
لِلْحَقِّ - لَيْسَ كَحَقٍّ - نُصْرَةٌ عَجَبُ

٥٢ أَنْ تَعْلَقَ الدَّلْوُ بِالدَّلْوِ الْغَرِيبَةِ أَوْ
يُلاَبِسَ الطُّنُبَ الْمُسْتَحْصِدَ الطُّنُبُ

---

(٥٠) الحرمة - بضم الحاء وسكون الراء - هى الذمة والعهد وما يصل سبب الرجل بالرجل ، ومنه قالوا : تحرم فلان من فلان بحرمة ، إذا احتمى وتمنع به ، وقالوا : أحرم الرجل ، إذا دخل فى حرمة لاتهتك ، وقال خداش بن زهير :

إذا شربوا بالغيث لم يرع غيثهم من الناس إلا محرم أو مكافل

يريد إذا مانزل الغيث بلادهم فأعشبت لم يرع هذا العشب أحد إلا أن تكون له ذمة عندهم أو يكون حليفا ، ومعنى بيت أبى تمام إن لى بك حرمة ليست بوكيدة، لكنك وصلتها وأوجبت على نفسك أكثر من مقدارها .

(٥١) سلفت : سبقت ومضت ، وفى جاهليتهم : يريد فى زمن جاهلية العرب ، أى أن ذلك فى أصل خلقهم وعادتهم ، ونصرة عجب : فاعل سلفت ، وقوله « ليس كحق » جملة فى موضع النصب على الحال .

(٥٢) « أن تعلق » فى تأويل مصدر أجاز فيه التبريزى أن يكون مجرورا على البدل من الحق فى قوله «للحق » وأن يكون مرفوعا بتقدير مبتدأ ، ولا يمتنع عندى أن يكون هذا المصدر مرفوعا على أنه بدل من قوله « نصرة عجب » ومن أخبار الجاهلية أن عياض بن الديهث أراد أن يتحرم بالحارث بن ظالم المرى ، فجاء بدلوه فأعلقها بدلاء الحارث التى يستقى بها رعاؤه ، ثم ادعى أنه فى جوار الحارث ، فقيل له : إنا لا نعلم أن بينكما جوارا ، فقال :

* علقت معالقها وصر الجندب *

ويلابس : يخالط ، وأراد يتصل ويجاور ، والطنب - بضم الطاء والنون جميعا -=

٥٣ إنَّ الخَلِيفَةَ قَدْ عَزَّتْ بِدَوْلَتِهِ دَعَائِمُ المُلْكِ فَلْيَعْزِزْ بِكَ الأَدَبُ

٥٤ مَالِي أَرَى جَلَباً فَعْماً ولَسْتُ أَرَى
سَوْقاً ، وَمَالِى أرَى سُوقاً وَلاَ جَلَبُ ؟

٥٥ أَرْضٌ بِهاَ عُشُبٌ جَرْفٌ وَلَيْسَ بِهاَ
مَاءٌ ، وَأُخْــــرَى بِهاَ مَاءٌ وَلاَ عُشُبٌ

٥٦ خُذْهاَ مُغَرِّبَةً فِي الأَرْضِ آنِسَةً
بِكُلِّ فَهْمٍ غَرِيبٍ حِينَ تَغْتَرِبُ

٥٧ مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ فِيهاَ إِذَا اجْتُنِيَتْ
مِنْ كُلِّ مَا يَشْتَهِيهِ المُدْنَفُ الوَصِبُ

= حبل الخيمة ، والمستحصد : الذى أحكم فتله ، وكان من أمرهم أنه إذا نزل الرجل مع الرجل فاتصلت أطناب بيت الآخر بأطناب بيته كان ذلك حرمة له ووسيلة توجب عليه نصرته .

(٥٣) يروى « دعائم الدين » وعزت : قويت واشتدت .

(٥٤) فعما ـ بفتح الفاء وسكون العين ـ أى كثيرا ، و « سوقا » تروى بفتح السين على أن أصله مصدر « ساقه يسوقه » وتروى بضم السين ، وهذا الكلام ضربه مثلا ، يقول : مالى أرى مدائحى كثيرة متواترة ولاأرى من يسرنى أن تقدم إليه ممن يريدها ويأخذها بما تستحقه ، وأرى طالبين لها راغبين فيها ولكنها لا تقدم إليهم .

(٥٥) وضرب هذا مثلا آخر يتمم به معنى المثل الوارد فى البيت السابق ، يقول : من يريد شعرى لاتنبسط يده ، ومن يقدر على المكافأة لايفعله .

(٥٦) مغربة : أصله الاغتراب ، والمعنى أن هذه القصيدة قد اغتربت وهى على غربتها تأنس بكل فهم غريب : أى لانظير له فى جودته ودقته ومعرفته بما يستحق التقديم .

(٥٧) يروى « من كل مايجتنيه » .

٥٨ الجِدُّ وَالهَزْلُ فِي تَوْشِيعِ لُحمَتِهَا
وَالنُّبْلُ وَالسُّخْفُ وَالأَشْجَانُ وَالطَّرَبُ

٥٩ لا يُسْتَقَى مِنْ حَفِيرِ الكُتْبِ رَوْنَقُهَا
وَلَمْ تَزَلْ تَسْتَقِي مِنْ بَحْرِهَا الكُتُبُ

٦٠ حَسِيبَةٌ فِي صَمِيمِ المَدْحِ مَنْصِبُهَا
إِذْ أَكْثَرُ الشِّعْرِ مُلْقًى مَالَهُ حَسَبُ

* * *

(٥٨) توشيع : مصدر « وشعت الثوب » إذا جعلت فيه ألوانا ، والأشجان : جمع شجن ، ويروى « والأحزان » وهما بمعنى واحد ، والطرب : خفة تعترى الإنسان من سرور أو حزن ، يقول : لقد تصرفت فى هذه القصيدة وتفننت فى أساليبها ومعانيها ، فجئت فيها بالجد وبالهزل ، وبالنبل وبالسخف ، وبالحزن وبالسرور ، وقد انتقده الآمدى فى هذا فقال : هذا بيت فى غاية الحمق ، ومن يمدح وزيرا فلم يضمن قصيدته الهزل والسخف ؟ وإن كان هناك مايدل على هذا فلم نبه عليه واعترف به ؟ ولعمرى إن قوله فيها :

وزير حق ، ووالى شرطة ، ورحى ديوان ملك ، وشيعى ، ومحتسب

سخف يزيد على كل سخف .

(٥٩) لايستقى : يروى هذا الفعل بالبناء للمعلوم ، ويروى بالبناء للمجهول ، والأول أجود ، والجفير يروى بالجيم ، وهى رواية رديئة ، وذلك لأن الجفير أصله للسهام ، وذلك أن تنقر خشبة ويجعل فيها النبل ، ولـكنه لايريد هذا إنما يريد البئر يقال له الجفر ، والجفر – بفتح الجيم وسكون الفاء – البئر إذا كانت قليلة الماء ولاطى لها ، ومنه قولهم « جفر الهباءة » ويروى « من حفير » بالحاء المهملة – على أنه فعيل بمعنى مفعول ، والبئر يقال لها « حفير » لأنها محفورة ، يريد أن هذه القصيدة لم تؤخذ أبياتها مما يحفظ ويكتب من كلام الشعراء ، وإنما هى مما جادت به قريحتى ، وستظل أبياتها – لجودتها ونصاعة عبارتها – موردا عذبا تستقى منه الشعراء .

(٦٠) « ملقى » تروى هذه الـكلمة بالقاف ، وتروى بالفاء .

* * *

(٢١)

وقال يمدح أبا الحسن مُحمدَ بنَ عبدِ الملكِ بن صالح الهاشمى :

١ إنَّ بُكَاءً فِي الرَّبْعِ مِنْ أَرَبِهْ
فَشَايِعَا مُغْـــرَمًا عَلَى طَرَبِهْ

---

(٢١)

وقعت هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ٢٠ وقد فصلت بين القصيدة السابقة وبين هذه ـ القصيدة رقم ١٥ فى نسختنا هذه ، ووردت فى المصرية ومطبوعى بيروت تالية للقصيدة الماضية بغير فصل ، وقد وقع فى شرح التبريزى « وقال يمدح محمد بن عبد الملك ـ إلخ » بإسقاط الكنية ، وهذه القصيدة من بحر المنسرح .

(١) يروى التبريزى « إن بكاء فى الدار » ويروى «إن بكى فى الديار» ويروى « إن بكاء الديار » والأرب : المطلب والحاجة . وشايعا : أى تابعا ، وهذه ألف الاثنين ، وجرى على عادة الشعراء فى خطاب الاثنين كقول امرىء القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقوله أيضا :

خليلى مرا بى على أم جندب لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

وقول عمر بن أبى ربيعة :

خليلى عوجا بنا ساعـــة نحى الرسوم ونؤى الطلل

وقوله أيضا :

سائلا الربع بالبلى وقولا : هجت شوقا لنا الغداة طويلا

يقول أبو تمام : إننى أريد أن أبكى فى ديار أحبتى التى كنت ألقاهم بها فأعينانى على ذلك وتابعانى فيما أريد .

٢ مَا سَجْسَجُ الشَّوْقِ مِثْلُ جَاحِمِهِ
وَلاَ صَرِيحُ الْهَوَى كَمُؤْتَشِبِهْ

٣ جِيدَتْ بِدَانِي الأَكْنَافِ سَاحَتُهَا
نائِي الْمَدَى وَاكِفِ الْجَــدَى سَرِبِهْ

٤ مُزْن إِذَا مَا اسْتَطَــارَ بارِقُهُ
أَعْطَى البِلاَدَ الأَمَانَ مِنْ كَذِبِهْ

٥ يَرْجِـعُ حَرَّى التِّلاَعِ مُتْرَعَةً
رِيًّا ، وَيَثْنِي الزَّمَانَ عَنْ نُوَبِهْ

---

(٢) تقول : هذا هواء سجسج ، تريد أنه لاشديد الحرارة ولا شديد البرودة ، والجاحم : الحار ، وجاحم النار : معظمها ، وفي الحديث «هواء أهل الجنة سجسج » وصريح الهوى : خالصه ، ومؤتشبه : الذي خولط بغيره .

(٣) يروى هذا البيت على وجه آخر ، وهو :

جيدت بداني الأكناف داني الذرى واهي الـكلى واكف الجدى سربه

ويروى « بداني الرباب » والبيت دعاء لدار أحبته ، وجيدت : فعل ماض مبني للمجهول ، وأصله « جادها المطر يجودها » وداني : أي قريب ، والأكناف : جمع كنف ، وهو الناحية ، وإنما طلب أن يكون المطر الذي يجودها قريب النواحي لئلا تبقى بقعة لم ينزل بها ، وواهي : أي ضعيف ، والـكلى : جمع كلية ، وهي رقعة تـكون في القربة ، وكنى بكون المطر واهي الـكلى عن كونه ينهمر بالماء ، والجدى – بوزن الفتى – المطر العام ، والسرب – بوزن كتف – السائل .

(٤) المزن – بضم الميم وسكون الزاي – السحاب عامة ، وقيل : السحاب الأبيض ، وقيل : السحاب ذو الماء ، واستطار : تفرق وانتشر ، والبارق هنا : البرق ، يعني أنه إذا تفرق وانتشر البرق فإنه برق صادق يعقبه المطر ، وليس ببرق خلب ، ويروى « أعطى الأمان من كلبه » .

(٥) يرجع: يرد ، وحرى التلاع : أي العطاش منها ، ويروى « حرى البلاد» =

٦ مَتَى يُضِفْ بَلْدَةً فقد قُرِيَتْ
بِمُسْتَهِلِّ الشُّؤْبُوبِ مُنْسَكِبِهْ

٧ لاَ تُسْلَبُ الأرْضُ بَعْدَ فُرْقَتِهِ
عَهْدَ مَتَابِيعِهِ ولا سُلُبِهْ

٨ مُزْمَجِرُ المَنْكِبَيْنِ صَهْصَلِقٌ
يُطْرِقُ أزْلُ الزمَانِ مِنْ صَخَبِهْ

= وبروى «ترجع عنه التلاع مترعة» ويروى «وإن يرد التلاع مترعة» والتلاع : جمع تلعة ــ بوزن جفنةوجفان ــ وهى ماارتفع من الأرض ، وهى أيضا ماانخفض منها ، ضد ، ومترعة : أراد مرتوية ، ويثنى الزمان عن نوبه : أى يرده عن أن تنوب نوائبه .

(٦) يضف : ينزل ، وحرفيته يكون ضيفا ، وقوله « قريت » مأخوذ من قولهم « قرى الضيف يقريه » إذا قدم له القرى ، ويروى « فقد رويت » والشؤبوب ــ بوزن العصفور ــ الدفعة من المطر ، ومستهله : الذى فيه رعد ، والمنسكب : المتدفق

(٧) أصل المتابيع : جمع متبع ، وهى الناقة التى يتبعها ولدها ، والسلب ــ بضم السين واللام جميعا ــ جمع سليب وهى التى أخذ ولدها بذبح أو موت ، وقد استعار المتابيع والسلب للسحاب ، وليس ذلك ببدع فإن العرب تشبه السحاب بالإبل كثيرا ، ومن ذلك قول الشاعر :

كأن هزيزه بوراء غيب عشار وله لاقت عشارا

يقول أبو تمام : إذا فارق السحاب الأرض بقى أثره فيها .

(٨) مزمجر : مصوت ، وهو اسم فاعل من الزمجرة وهى الصوت يخرج من الجوف ، وصهصلق : شديد الصوت ، ويطرق : يطأطىء رأسه ، ويروى «يسكت» وأزل الزمان : ضيقه وحبسه ، ويروى « يطرد أزل الأيام فى صخبه » يقول : إذا صوت هذا السحاب ونزل المطر أروى الأرض فسكت أزل الزمان .

٩ غَارَتْ صُدُوعُ الْمَلاَ بِهِ ؛ فَلَقَدْ
صَحَّ أَدِيمُ الْفَضَاءِ مِنْ جُلَبِهْ

١٠ قَدْ جَلَبَتْهُ الْجَنُوبُ فَالدِّينُ وَالدُّ
نْيَا وَصَافِي الْحَيَاةِ مِنْ جَلَبِهِ

١١ وَحَرَشَتْهُ الدَّبُورُ وَاجْتَذَبَتْ
رِيحُ الْقَبُولِ الْهُبُوبَ مِنْ رَهَبِهْ

١٢ وَتَارَكَتْ وَجْهَهُ الشَّمَالُ فَقُلْ
لاَ فِي نَزُورِ النَّدَى وَلاَ حَقِبِهْ

---

(٩) الصدوع : جمع صدع وهو الشق ، ويروى « صح أديم الزمان » والجلب : جمع جلبة — بوزن غرفة وغرف — وهى آثار تظهر فى ظهر البعير . يقول : عم هذا المطر البلاد ، فصارت كلها ماء ، فظهر النبت فليس فى الأرض بقعة تخلو منه ، فجعل هذا صحتها ، وجعل ما كانت عليه من الجدب كأنه جلب فى وجه الأرض .

(١٠) يروى « قد حلبته » بالحاء المهملة ، وآخر البيت على هذا « فى حلبه » وهم يصفون ريح الصبا وريح الجنوب بأنهما تلقحان السحاب وتمريانه : أى تحلبانه ، وقال :

زهته الصبا ومرته الجنو ب وانتجفته الشمال انتجافا

وروى التبريزى « قد سلبته الجنوب — إلخ » .

(١١) حرشته الدبور : أغرته بالمطر ودفعته إليه ، والقبول : هى ريح الصبا ، والدبور : التى تقابل الصبا ، ومن رهبه : أى من خيفته ، وقال الآمدى : هذا ليس بجيد ، لأن الدبور ليست من رياح المطر ، ولا يكاد يكون لها فيه صنع ، ولكن ما جاء به أبو تمام هو ما كان يراه الهذليون ، فقد كانوا لا يجعلون لشىء من الرياح عملا فى المطر غير الجنوب ، وانظر إلى قول أبى ذؤيب الهذلى :

مرته النعامى فلم يعترف خلاف النعامى من الشام ريحا

والنعامى — بضم النون — ريح الجنوب

(١٢) ويروى « وغادرت وجهه » ومعنى العبارة أن ريح الشمال تركته فبقى =

١٣ دَعْ عَنْكَ هٰذَا إِذَا انْتَقَلْتَ إِلَى الْـ
مَدْحِ وَشُبْ سَهْلَهُ بِمُقْتَضَبِهْ

١٤ إِنِّي لَذُو مِيسَمٍ يَلُوحُ عَلَى
صُعُودِ هٰذَا الْكَلَامِ أَوْ صَبَبِهْ

١٥ لَسْتُ مِنَ الْعِيسِ أَوْ أُكَلِّفُهَا
وَخْدًا يُدَاوِي الْمَرِيضَ مِنْ وَصَبِهْ

١٦ إِلَى الْمُصَفَّى مَجْدًا أَبِي الْحَسَنِ انْـ صَعْنَ انْصِيَاعَ الْكُدْرِيِّ فِي قَرَبِهْ

= ودام ، لأنها إذا هبت فرقته ، ومن أجل هذا سمت العرب ريح الشمال « محوة » لأنها تمحو السحاب ، وقوله « فقل لا فى نزور الندى » ويروى أيضاً « فقل لا فى حصور الندى» والنزور : القليل ، والحقب — بفتح الحاء وكسر القاف — البطىء ، ومنه قولهم « أحقب عامنا » أى تأخر مطره .

(١٣) ويروى « دع عنك برها » أى اترك الشوق إلى هذه الديار والدعاء لها بالسقيا إذا أردت المدح ، وشب : أى اخلط ، قال التبريزى : وأراد بسهله ما صنعه من الشعر بالفكر والروية ، وبمقتضبه : ما اخترعه وما قاله مما لم يسبق إليه وقال الآمدى : السهل ما يأتيه به خاطره عفواً من غير فكر ولا طلب ، والمقتضب ما يقتطعه خاطره اقتطاعاً بالفكر والنصب .

(١٤) الميسم : العلامة ، وهو من الوسم ، وأراد بصعود الكلام ماشق على الناس فلم يستطيعوا الإتيان به من غرابته عليهم ، وأراد بصببه ما سهل منه وتيسر .

(١٥) يروى « لست امرأ القيس » والعيس : الإبل ، يريد لست صاحب العيس ، وهذه كناية عن أنه ليس ببدوى ، والوخد : السير السريع ، والوصب — بفتح الواو والصاد جميعاً — الوجع .

(١٦) المصفى — بتضعيف الفاء ، بزنة المفعول — أى المهذب الذى نقى من العيوب لمجده وشرفه ، وانصعن: انقذنله وأخذن فى ناحيته مع سرعة ، والكدرى: ضرب من القطا غبر الألوان رقش الظهور والبطون صغر الحلوق ، وليلة القرب — بفتح القاف والراء جميعاً — هى ليلة ورود الماء .

١٧ تَرْمِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ

١٨ نَجْمُ بَنِي صَالِحٍ وَهُمْ أَنْجُمُ الْعَالَمِ مِنْ عُجْمِهِ وَمِنْ عَرَبِهْ

١٩ رَهْطِ النَّبِيِّ الَّذِي تَقَطَّعُ أَسْبَابُ الْبَرَايَا غَدًا سِوَى سَبَبِهْ

٢٠ مُهَذَّبٍ قُدَّتِ النُّبُوَّةُ وَالْإِسْلَامُ قَدَّ الشِّرَاكِ مِنْ نَسَبِهْ

٢١ لَهُ جَلَالٌ إِذَا تَسَرْبَلَهُ
أَكْسَبَهُ الْبَأْوَ غَيْرَ مُكْتَسِبِهْ

٢٢ وَالْحَظُّ يُعْطَاهُ غَيْرُ طَالِبِهِ
وَيُحْرِزُ الدَّرَّ غَيْرُ مُحْتَلِبِهْ

---

(١٧) أشباحنا : أشخاصنا ، وواحده شبح .

(١٩) أخذ هذا البيت من الحديث المرفوع « كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي » .

(٢٠) يروى « قد الأديم » والأديم : الجلد ، ويروى « من حسبه » .

(٢١) الأكثر في العربية أن تقول « كسبته مالا » فتعديه إلى مفعولين بغير همزة ، وقول الشاعر :

يعاتبني في الدين قومي ، وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

يروى بفتح تاء المضارعة من « تكسبهم » فيكون من الثلاثي ، ويروى بضم التاء فيكون من ذي الهمزة ، ويروى في بيت أبي تمام « ألبسه البأو » والبأو : الكبر ، يقول : من جلاله يرى الناس له كبراً ، وليس بذي كبر ولا يستعمله هو في نفسه .

(٢٢) تقول « أحرز فلان كذا » تريد أنه حصل عليه وكان عنده ، والدر — بفتح الدال — اللبن . يقول : قد يظفر بالحظ من لا يطلبه ويحصل على اللبن من لا يحلبه . ضرب هذا مثلا يقوى به معنى البيت السابق ، وفي نسخة « ويحرز الدر غير مجتلبه » بالجيم .

٢٣ كَمْ أَعْطَبَتْ رَاحَتَاهُ مِنْ نَشَبٍ   سَلاَمَةُ الْمُعْتَفِينَ فِي عَطَبِهْ

٢٤ أَيُّ مُدَاوٍ لِلْمَحْـلِ نائِلُهُ   وَهَانِىءٍ لِلزَّمَانِ مِنْ جَـرَبِهْ

٢٥ مُشَمِّرٌ مَا يَكِلُّ فى طَلَبِ الْعَليـاءِ ، وَالْحَاسِدُونَ فى طَلَبِهِ

٢٦ أَعْـلاَهُمُ دُونَهُ وَأَسْبَقُهُمْ   إِلى النَّـدَى وَاطِىءٌ عَلَى عَقِبِهْ

٢٧ يُرِيحُ قَوْمٌ وَالْجُودُ وَالْحَقُّ وَالْـحَاجَاتُ مَشْدُودَةٌ إِلى طُنُبِهْ

(٢٣) أعطبت : أهلكت ، وراحتاه : مثنى راحة ، وهى اليد ، والنشب : المال ، والمعتفين : السائلين . يقول : إن يدى هذا الممدوح لتهلكان كثيراً من المال ، وإن سلامة الذين يسألونه وبلوغهم آمالهم فى هلاك هذا المال لأنه يصلهم به .

(٢٤) المحل : الجدب ، والنائل : العطاء ، والهانىء : الذى يطلى الإبل الجربى بالهناء لتصح ، والهناء — بكسر الهاء بوزن الكتاب — القطران ، وقال دريد بن الصمة :

متبذلا تبدو محاسنه   يضع الهناء مواضع النقب

(٢٥) ويروى هذا البيت على وجه آخر ، وهو :

مشمر ما يكل فى طلب الـ   ـمجد وآل العباس فى طلبه

ويروى « لا يزال فى طلب المجد » .

(٢٦) أعلاهم دونه : أى أرفعهم أقل منه شأناً ، ويروى « أعلاهم ذروة » وهذه الرواية أنسب بقوله «وأسبقهم إلى العلى » وفى أصلنا « وأسبقهم إلى الندى » ومعنى قوله « واطىء على عقبه » يعنى أنه يأتى وراءه ومتأخراً عنه فيسير على مواطن سيره .

(٢٧) يريح قوم : مأخوذ من الراحة ، أى يستريحون ، ويجوز أن يكون « يريح » مأخوذاً من « أراح الراعى المال » أى جاء به فى وقت الرواح ، ويروى « يروح قدما » والطنب — بوزن عنق — حبل الخيمة ، يعنى أن هذه الصفات ـ وهى الجود والحق وحاجات الناس ـ لازمة له لاتفارقه فى وقت ما ، فى حين أن كثيراً من الناس تذهب عنهم هذه الصفات ثم تعود إليهم .

٢٨ وَهَلْ يُبَالِي إِقْضَاضَ مَضْجَعِهِ   مَنْ رَاحَةُ المَكْرُمَاتِ فِي تَعَبِهْ
٢٩ تِلْكَ بَنَاتُ المَخَاضِ رَاتِعَةٌ   وَالْعَوْدُ فِي كُورِهِ وَفِي قَتَبِهْ
٣٠ مَنْ ذَا كَعَبَّاسِهِ إِذَا اصْطَكَّتِ الـ
أَحْسَابُ أَمْ مَنْ كَعَبْدِ مُطَّلِبِهْ ؟
٣١ هَيْهَاتَ أَبْدَى الْيَقِينُ صَفْحَتَهُ   وَبَانَ نَبْعُ الْفَخَارِ مِنْ غَرَبِهْ
٣٢ عَبْدُ الْمَلِيكِ بْنُ صَالِحِ بْنِ عَلِيِّ   بْنِ قَسِيمِ النَّبِيِّ فِي حَسَبِهْ
٣٣ أَلْبَسَهُ الْمَجْدَ لاَ يُرِيدُ بِهِ   بُرْداً ، وَصَاغَ السَّمَاحَ مِنْهُ وَبِهْ

---

(٢٨) يقال « أقض مضجع فلان » إذا أصابه الأرق والسهر فلم ينم ، والأصل فيه أن يكون فى مكان نومه قضة ــ بكسر القاف وتشديد الضاد ــ وهى صغار الحصى ومن كان فى فراشه حصى لاينام ، ثم قيل لكل من لا ينام ولو كان وطىء الفراش : قد أقض مضجعه ، وأراد براحة المكرمات وصولها إلى من يستحقها .

(٢٩) بنات المخاض : النوق ، والعود ــ بفتح العين وسكون الواو ــ الجمل المسن ، وضرب بنات المخاض مثلا للأغرار الذين لم يجربوا الأمور ، وضرب العود مثلا لذوى الحنكة والتجربة . يقول : من كان غراً لاتجربة له لا يعنى بالمكارم ولا يحمل نفسه على فعلها فهو مستريح كبنات المخاض ، ومن كان قد صقلته الحنكة وأحكمته التجارب يتحمل المشاق ويتكبد الأهوال فى سبيل المكرمات .

(٣٠) يروى « من ذا لعباسه » و « لعبد مطلبه » باللام مكان الكاف ، ويروى « اصطكت الأنساب » والمعنى : من يفاخره بشرف الحسب ، أو بشرف النسب ؟ والاستفهام هنا بمعنى النفى : أى لا يستطيع أحد أن يفاخره بذلك .

(٣١) النبع ــ بفتح النون وسكون الباء ــ شجر تعمل منه القسى ، والغرب ــ بفتح الغين والراء جميعاً ــ شجر ضعيف ، ويروى « وبان نبع النجار » بكسر النون ، بوزن الكتاب ــ وهو الأصل ، يريد ظهر الكريم من اللئيم .

(٣٢) عبدالمليك : اسمه عبد الملك ، لكنه أشبع كسرة اللام فتولدت ياء ، ويروى آخر البيت « فى نسبه » .

(٣٣) يروى « وصبح السماح منه وبه » .

٣٤ لُقْمَانُ صَمْتاً وَحِكْمَةً ؛ فَإِذَا قَالَ لَقَطْنَا اليَاقُوتَ مِنْ خُطَبِهْ

٣٥ إِنْ جَدَّ رَدَّ الْخُطُوبَ تَدْمَى ، وَإِنْ يَلْعَبْ فَجِدُّ الْعَطَاءِ فِي لَعِبِهْ

٣٦ يَتْلُو رِضَاهُ الْغِنَى بِأَجْمَعِهِ وَتُحْذَرُ الْحَادِثَاتُ فِي غَضَبِهْ

٣٧ تَزِلُّ عَنْ عِرْضِهِ الْعُيُوبُ ، وَقَدْ تَنْشَبُ كَفُّ الْغَبِيِّ فِي نَشَبِهْ

٣٨ تَأْتِيهِ فُرَّاطُنَا فَتَحْكُمُ فِي لُجَيْنِهِ تَارَةً وَفِي ذَهَبِهْ

٣٩ بِأَيِّ سَهْمٍ رَمَيْتَ فِي نَصْلِهِ الْـ مَاضِي وَفِي رِيشِهِ وَفِي عَقِبِهْ

٤٠ لاَ يُكْمِنُ الْغَدْرَ لِلصَّدِيقِ وَلاَ يُخْطِي اسْمَ ذِي وُدِّهِ إِلَى لَقَبِهْ

٤١ أَهْدَى دَيَابِيجَهُ إِلَيْكَ فَتًى أَضَافَ بِالْمَدْحِ مُجْتَبَى كُتُبِهْ

٤٢ يَأْبِرُ غَرْسَ الْكَلاَمِ مِنْكَ ، فَخُذْ وَاجْتَنِ مِنْ زَهْوِهِ وَمِنْ رُطَبِهْ

---

(٣٤) لقمان : يريد لقمان الحكيم الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم ، شبهه به ويروى « لفطنا المرجان »

(٣٥) الضمير المستتر فى « جد » يعود إلى العطاء ، بدليل قوله « فجد العطاء فى لعبه » وجد العطاء : فيضه وكثرته وتوجهه إلى العافين ، ويروى « وإن يمزح »

(٣٧) يروى « تزل عن عرضه يداه » ويروى « وقد تنشب كف الثناء » وتنشب : أى تعلق ، يعنى أن عرضه أملس لا يعلق به الذم ، فأما ماله فإن المدح والثناء يأخذان منه ، ولو كان المادح له غير حاذق ولا حصيف .

(٣٨) الفراط : جمع فارط ، وهو المتقدم ، واللجين : الفضة ، ويروى « فى لجينه وفى نشبه » .

(٤٠) لا يكمن : لا يخفى ولا يستر ، ويروى « لا يضمر » والمعنى واحد ، ولا يخطى : أى لايتعدى ، يعنى أنه لا يغدر بصديقه ولا يعيبه ، ولايذمه ، والتلقيب كان أولا يقصد به الذم .

(٤١) سقط هذا البيت من نسخة التبريزى .

(٤٢) يأبر : أصل هذه الكلمة قولهم « أبر النخلة يأبرها » من باب ضرب ، =

٤٣ أَمَا تَرَى الشُّكْرَ مِنْ رَبَائِطِهِ جَاءَ وَسَرْحَ الْمَدِيحِ مِنْ جَلَبِهْ

* * *

(٢٢)

وقال يُخَاطب على بن مُرّ ، ويَسْتَهْدِيه فَرْواً :

١ دَنَا سَفَرٌ وَالدَّارُ تُنْئِي وَتُصْقِبُ
وَيَنْسَى سُرَاه مَنْ يُعَافَى وَيُصْحَبُ

= و «أبرها تأبيرا» إذا ألقحها ، والزهو ــ بفتح الزاى أو ضمها ــ البسر من البلح إذا بدت فيه حمرة أو صفرة ، ويروى « من زهره » ولا يتسق مع أول الكلام ولا آخره .

(٤٣) ربائط : جمع ربيط بمعنى مربوط ، ويروى « فيك » فى مكان « جاء » وأصل السرح ــ بفتح السين وسكون الراء ــ المال السائم : أى الراعى مثل الغنم والإبل، والجلب ــ بفتح الجيم واللام جميعاً ــ المال الذى تسوقه من مكان إلى مكان، يقول : هو يرتبط لك الشكر ، ويجلب إليك سرح المديح فيبيعه منك .

* * *

(٢٢)

هذه القصيدة تقع فى جميع النسخ تالية للقصيدة السابقة ، وهى فى نسخة التبريزى برقم ٢١ .

(١) تنئى : تبعد ، وتصقب : تقرب ، والفعلان ــ على هذه الرواية ــ من ذى الهمز : أنأى ، وأصقب ، ويروى « تنأى وتقرب » ويروى « تنأى وتصقب » من الثلاثى : نأى بمعنى بعد ، وقرب بمعنى دنا ، أو صقب ــ من باب فرح ــ بمعنى قرب ، وسراه : سيره ، وأراد ما كان من تعب ومشقة بسبب السير ، ويروى « وينسى صباه من يقيم » .

٢ وَأَيَّامُنَا خُزْرُ العُيونِ عَوَابِسٌ إِذَا لَمْ يَخُضْهَا الحَازِمُ المُتَلَبِّبُ

٣ وَلاَ بُدَّ مِنْ فَرْوٍ إِذَا اجْتَابَهُ امْـرُؤٌ
غَدَا وَهْوَ سَـامٍ فِي الصَّنَابِرِ أَغْلَبُ

٤ أَمِينِ القُوَى لم تَحْصُصِ الحَرْبُ رَأْسَهُ
وَلَمْ يَنْضُ عُمْراً وَهْوَ أَشْمَطُ أَشْيَبُ

٥ يَسُرُّكَ بَأْسـًا وَهْوَ غِرٌّ مُغَمَّرٌ
وَيُعْتَدُّ لِلأَيَّامِ حِـينَ يُجَرَّبُ

٦ تَظَلُّ البِـلاَدُ تَرْتَمِي بِضَرِيبِهَا
وَتُشْمَلُ مِنْ أَقْطَارِهَا وَهْـوَ يُجْنَبُ

(٢) الخزر : جمع أخزر ، وهو الضيق العين ، أو الذى ينظر من ناحية عينه التى تلى الأنف ، والحازم : الذى صفته الحزم ، ويروى « العابس » والمتلبب : المتكلف للب وهو العقل .

(٣) غدا : يروى فى مكانه « كفى » والصنابر : جمع صنبر - بكسر الصاد وفتح النون مشددة - وهو شدة البرد ، واجتابه : لبسه ، والضمير يعود إلى الفرو .

(٤) لم تحصص : مضارع من الحص وهو حلق الشعر وذهابه ، ويروى فى مكانه « لم تحصد » ولم ينض عمرا : لم يخلع عمره ، يريد أنه فتى السن ، وقوله « وهو أشمط أشيب » عنى لونه ، يريد أن الفرو من سمور أشهب فكأنه شاب وما طال عمره .

(٥) يريد أن يقول : ابعث لى هذا الفرو جديدا لم يتحات وبره ولم يرق جلده ولم يضعف خرزه ، وكنى بهذه العبارات عن أنه لم يلبس من قبل ، ويروى « وهو غير معمر » ويروى « وهو غر مهذب » ويروى « ويعور للأيام » وهو مضارع أصله قولهم « أعور الفارس » أى ظهرت منه مواضع الطعن والضرب .

(٦) الضريب : الثلج ، وتشمل : أى تصاب بريح الشمال وهى باردة ، ويجنب : يرمى بريح الجنوب وهى دافئة ، يقول : إذا اشتد البرد وترامت الأرض بالصقيع وهبت الريح شمالا فى نواحى البلاد فإن لابس هذا الفرو يكون دفآن كأنه فى ريح الجنوب .

٧ إِذَا ٱلْبَدَنُ ٱلْمَقْرُورُ أُلْبِسَهُ غَدَا
لَهُ رَاشِحٌ مِنْ تَحْتِهِ يَتَصَبَّبُ

٨ إِذَا عَدَّ ذَنْبًا ثِقْلَهُ مَنْكِبُ ٱمْرِئٍ
يَقُولُ ٱلْحَشَا : إِحْسَانُهُ حِينَ يُذْنِبُ

٩ أَثِيثٌ إِذَا ٱسْتَعْتَبْتُ مُعْصِفَةً بِهِ
تَمَلَّأْتُ عِلْمًا أَنَّهَا سَوْفَ تُعْتِبُ

١٠ يَرَاهُ ٱلشَّفِيفُ ٱلْمُرْثَعِنُّ فَيَنْثَنِي
حَسِيرًا ، وَتَغْشَاهُ ٱلصَّبَا فَتَنَكَّبُ

---

(٧) المقرور : الذى أصابه القر وهو البرد الشديد ، والراشح : الجسد المتصبب بالعرق ، يريد أن هذا الفرو او لبسه إنسان مقرور دفىء حتى عرق فرشح جسده .

(٨) ذنباً : مفعول ثان لعد ، وثقله : مفعول أول ، ومنكب : فاعل عد . والمنكب : الكتف ، يقول : إذا استثقل منكب الرجل حمل هذ الفرو فعد هذا الثقل ذنباً فإن أحشاءه تقول : إن إحسان هذا الفرو ناشىء عن ثقله ، أى كلما ثقل على المنكب أحسن إلى الحشا بسبب أنه يبعث إليها الدفء والحرارة .

(٩) أثيث : أى كثير الصوف ، واستعتبت : طلبت رفع العتب والملامة ، والمعصفة: الريح الشديدة ، ومثلها العاصف ، ويروى « مصقعة » من الصقيع ، وهو مايسقط على الأرض فى الشتاء من الندى ، وأراد من قوله « تملأت علما » ازددت يقينا و « تعتب » تزيل كل ما تلومها من أجله ، يعنى أنك إذا وجهت إلى البرد الشديد عتبا ، وكان هذا الفرو وسيلتك فى هذا العتب ، فأنت على ثقة من أنه يسترضيك ويذل لك .

(١٠) الشفيف : شدة البرد مع مطر ، والمرثعن : أصل معناه المسترخى ، وأراد هذا المنكب ، وينثنى : يرجع ، وحسيرا : كليلا متعبا ، وتغشاه : تنزل به ، والصبا : ريح الباردة ، وتنكب : تميل وتعدل عنه ، وأصله «تتنكب» فحذف إحدى التاءين .

١١ إِذَا مَا أَسَاءَتْ بِالثِّيَابِ فَقَوْلُهُ
لَهَا كُلَّمَا لَاقَتْهُ : أَهْلٌ وَمَرْحَبُ

١٢ إِذَا الْيَوْمُ أَمْسَى وَهْوَ غَضْبَانُ لَمْ يَكُنْ
طَوِيلَ مُبَالَاةٍ بِهِ حِينَ يَغْضَبُ

١٣ كَأَنَّ حَوَاشِيهِ الْعُلَى وَخُصُورَهُ
وَمَا انْحَطَّ مِنْهُ جَمْرَةٌ تَتَلَهَّبُ

١٤ فَهَلْ أَنْتَ مُهْدِيهِ بِمِثْلِ شَكِيرِهِ
مِنْ الشُّكْرِ يَغْلُو مُصْعِدًا وَيُصَوِّبُ

١٥ لَهُ زِئْبِرٌ يَحْمِي مِنَ الذَّمِّ كُلَّمَا
تَجَلْبَبَهُ فِي مَحْفِلٍ مُتَجَلْبِبُ

---

(١١) الضمير المستتر فى « أساءت » يعود إلى الصبا ، يريد أن هذه الريح التى لا يمنع تأثيرها فى الأجسام كل ما يلبسه المرء من ثياب ـ إذا جاءته فإنه لا يباليها ولا يكترث لها ، وضرب قوله لها « أهل ومرحب » مثلا لذلك .

(١٢) استعار الغضب لليوم ، وإنما أراد شدة البرد .

(١٣) حواشيه : أطرافه ، والعلى : جمع العليا، وخصوره : أوساطه ، ومما انحط منه : ماتدلى منه ، يريد الفرو كله ، وأنه تنبعث منه حرارة تدفىء الجسم كله ، وأنها تشبه الحرارة المتلهبة ، وسكن ياء « حواشيه » والفصيح نصبها ، لأن الفتحة لا تثقل على الياء كما تثقل الضمة والكسرة ، وقد جاء لهذا نظائر فى كلام العرب المحتج بهم .

(١٤) الشكير : أصله صغار الريش ، وأراد هنا الوبر ، يقول : هل أنت مهد إلى هذا الفرو ولك عندى شكر يكثر مثل كثرة وبره .

(١٥) أصل الزئبر مايظهر من درز الثوب ، واستعاره للشكر ، ويدفى : أصله يدفىء ـ بالهمز ـ خففه بإبدالها ياء لانكسار ماقبلها ، وتجلببه : لبسه ، يعنى أن ثوب المدح له زئبر وأن من لبسه احتمى به من الذم كما أن لابس الفرو يحتمى به من البرد .

١٦ فأنْتَ الْعَلِيمُ الطَّبُّ أيَّ وَصِيَّةٍ
بِهَا كَانَ أوْصَى فِي الثِّيَابِ الْمُهَلَّبُ

* * *

(٢٣)

وقال يمدح أبا الحسين محمد بن الهَيْثَم بن شبانَةَ من أهل مَرْوَ ، وكَتَبَ بها إليه مُعَرِّضاً بهجاء أبي صالح بن يَزْدادَ الكاتب :

١ سَلامُ اللهِ عِدَّةَ رَمْلِ خَبْتٍ عَلَى ابْنِ الهَيْثَمِ المَلِكِ اللُّبَابِ
٢ ذَكَرْتُكَ ذِكْرَةً جَذَبَتْ فُؤَادِي
إلَيْكَ كَأنَّهَا ذِكْرَى التَّصَابِي

---

(١٦) الطب ـ بفتح الطاء ـ الحاذق ، والمهلب : أراد به المهلب بن أبي صفرة ، وكان يقول : ما رأيت أحداً قط بين يدى إلا أحببت أن أرى ثيابى عليه ، فاعلموا يا بنى أن ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم .

* * *

(٢٣)

اتفقت جميع النسخ على إيراد هذه القصيدة تالية للتى قبلها ، وهى فى شرح التبريزى برقم ٢٢ ، ووقع فى المصرية « محمد بن الهيثم بن شبابة » وتبعتها إحدى مطبوعتى بيروت .

(١) أصل الخبت الموضع المطمئن فى سهولة ، والمراد هنا موضع بعينه ، واللباب : الخالص ، ويراد به الكريم الأصل الشريف النسب .

(٢) يروى « جذبت ضلوعى » والمراد فى هذه الرواية من الضلوع ما بينها وهو القلب ، والتصابى : الميل إلى الصبوة ، وهى هنا العشق .

٣ فَلَا تُغِبْ مَحَلَّكَ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْأَنْوَاءِ أَلْطَافُ السَّحَابِ
٤ سَقَتْ جُوداً تَوَالَى مِنْكَ جَوْداً وَرَبْعاً غَيْرَ مُجْتَنَبِ الْجَنَابِ
٥ فَثَمَّ الْجُودُ مَشْدُودَ الْأَوَاخِي وَثَمَّ الْمَجْدُ مَضْرُوبَ الْقِبَابِ
٦ وَأَخْلَاقٌ كَأَنَّ الْمِسْكَ فِيهَا وَصَفْوَ الرَّاحِ بِالنُّطَفِ الْعِذَابِ
٧ فَكَمْ أَحْيَيْتَ مِنْ ظَنٍّ رُفَاتٍ بِهَا وَعَمَرْتَ مِنْ أَمَلٍ خَرَابِ

---

(٣) تغب : أصل معناه أن تجيء يوما وتتأخر يوما ، وألطاف : جمع لطف — بفتح اللام والطاء جميعاً — وهو فى الأصل كل ما ألطفت به أخاك ليعرف أنك باربه ، ويروى « أنطاف السحاب » وهو جمع نطفة — بضم النون وسكون الطاء — وهى الماء الصافى قل أو كثر ، وقد يكون نطفة — بفتح النون والطاء جميعاً — وهى اللؤلؤة الصغيرة ، على تشبيه ماء السحاب به . يدعو له أن تكون سقياه كل يوم وأنها لا تجيئه يوماً وتتخلف عنه يوماً .

(٤) الضمير المستتر فى « سقت » يعود إلى ألطاف السحاب ، وجوداً الأول — بضم الجيم — مفعول أول ، وتوالى : أى تتابع ، والجملة نعت لجود ، وجودا الثانى — بفتح الجيم — أى مطراً غزيراً كثيراً ، وهو مفعول ثان لسقى ، ورواه التبريزى « سقت جوداً نوالا منك جوداً » والربع : المنزل مطلقاً ، وأصله منزل القوم فى أيام الربيع ، وغير مجتنب الجناب : يريد أنه مأنوس لا يجتنبه أحد .

(٥) ثم — بفتح الثاء — أى هناك ، والأواخى : جمع آخية — بمد الهمزة أو قصرها وبتشديد الياء أو تخفيفها — وأصله عروة تربط إلى وتد مدقوق وتشد فيها الدابة ، وتطلق على الحرمة والذمة ، فيقال : لفلان أواخى وأسباب ترعى ، ويكنون بشد الأواخى عن توثق الأمر ، والقباب : جمع قبة .

(٦) النطف : جمع نطفة ، وتقدم بيانها فى البيت ٣ ، ويروى التبريزى الشطر الثانى « بصفو الراح والنطف العذاب » .

(٧) أصل الرفات العظام البالية ، تقول : رفتها البلى رفتا ، ورفت الأسد الفريسة — من بابى ضرب ونصر — إذا فتها وكسرها ، وفى القرآن الكريم (أئذا كنا عظاماً ورفاتا) ويقولون : أعاد فلان المكارم ، وأحيا رفاتها ، وأنشر أمواتها .

٨ يَمِينُ محمــدٍ بَحْرٌ خِضَمٌّ طَمُوحُ الْمَوْجِ مَجْنُونُ الْعُبَابِ

٩ تَفِيضُ سَمَاحَةً وَالْمُزْنُ مُكْدٍ وَتَقْطَعُ وَالْحُسَامُ الْعَضْبُ نَابِ

١٠ فَدَاكَ ـ أَبَا الْحُسَيْنِ ـ مِنَ الرَّزَايَا
وَمِنْ دَاجِى حَوَادِثِهَا الْغِضَابِ

١١ حَسُودٌ قَصَّرَتْ كَفَّاهُ عَنْــهُ وَكَفُّكَ لِلنَّوَالِ وَلِلضِّرَابِ

١٢ وَيَحْسُبُ مَا يُفِيدُ بِلاَ عَطَاءٍ وَتُعْطِى مَا تُفِيدُ بِلاَ حِسَابِ

١٣ وَيَغْــدُو يَسْتَثِيبُ بِلاَ نَوَالٍ
وَأَنْتَ فَقَدْ تُنِيــلُ بِلاَ ثَوَابِ

---

(٨) خضم ـ بكسر الخاء وفتح الضاد ـ أراد به كثير الماء، على التشبيه ، وأصل العباب ـ بوزن الغراب ـ أرفع مواضع الماء ، وهو أيضاً الموج ، يشير بجنونه إلى اهتياج البحر واضطراب الماء وارتفاع الأمواج .

(٩) المزن : السحاب ، ومكد : يريد لا مطر فيه ، والحسام : السيف القاطع ، وناب : اسم الفاعل من « نبا السيف ينبو » إذا لم يقطع فى ضريبته ، والضمير المستتر فى « تفيض » يعود إلى يمين محمد فى البيت السابق ، يقول : إن يمينه لتسيل بالجود فى حين أن السحاب لا يأتى بالمطر ، وتقطع كل خطب بما تسطر من المنح أو بما تعمل بالسيف فى حين أن السيوف تنبو عن ضرائبها .

(١٠) يروى « حوادثها الصعاب » جمع صعبة مثل ضخمة وضخام .

(١١) يعنى بالحسود أبا صالح ، والضمير فى « عنه » يعود إليه ، يقول : قصرت كفاه عن أن يجود على نفسه فكيف يجود على غيره ؟ وقصرت كفاه أيضاً عن أن يحمى نفسه فكيف يحمى غيره ؟ والنوال : العطاء ، ويروى « وكفك للطعان والضراب » .

(١٢) يروى « ما يفيد بلا نوال » .

(١٣) روى التبريزى الشطر الثانى « ونيلك كله لا للثواب » وذكر أنه يروى « وأكثر ما تنيل بلا ثواب » .

١٤ ذَكَرْتُ صَنِيعَةً لكَ أَلْبَسَتْنِي أَثِيثَ الْمَالِ والنِّعَمِ الرِّغَابِ
١٥ تُجَدَّدُ كُلَّمَا لُبِسَتْ ، وتَبْقَى إِذَا ابْتُذِلَتْ، وَتُخْلَقُ فِي الْحِجَابِ
١٦ إِذَا مَا أُبْرِزَتْ زَادَتْ ضِيَاءً وَتَشْحُبُ وَجْنَتَاهَا فِي النِّقَابِ
١٧ ولَيْسَتْ بِالْعَوَانِ الْعَنْسِ عِنْدِي
وَلاَ هِيَ مِنْكَ بِالْبِكْرِ الْكَعَابِ
١٨ فَلاَ يَبْعَدْ زَمَانٌ مِنْكَ عِشْنَا بِنَضْرَتِهِ وَرَوْنَقِهِ الْعُجَابِ
١٩ كَأَنَّ الْعَنْبَرَ الْعَدَنِيَّ فِيهِ وَفَأْرَ الْمِسْكِ مَفْضُوضَ الرُّضَابِ
٢٠ لَيَالِيهِ لَيَالِي الْوَصْلِ تَمَّتْ بِأَيَّامٍ كَأَيَّامِ الشَّبَابِ

---

(١٤) مال أثيث : كثير عظيم ، والنعم : جمع نعمة ، بكسر نونهما ، والرغاب : جمع رغيب — مثل كريم وكرام — والرغيب : فعيل بمعنى مفعول أى مرغوب فيه ، ويقولون « فلان وهوب للرغائب » أى لنفائس الأموال .

(١٥) يقول : إن هذه النعم التى لك عندى كلما أظهرت تجدد ذكرها و استتبعت أمثالها ، فإذا سترت وحجبت أخلقت وذهب ذكرها .

(١٦) هذا البيت تأكيد لمعنى البيت السابق ، وأبرزت : أزيل عنها الحجاب ، بدليل مقابله ، والنقاب ــ بكسر النون ــ ما يستتر به النساء .

(١٧) العوان : التى ولدت بطنين أو أكثر ، يكون فى النساء والنوق ، والعنس : الناقة المسنة الشديدة ، والكعاب : الفتاة التى كعب ثديها ونهد . يقول ليست صنيعتك عندى مثل الناقة المسنة إذ كنت تجددها لى فى كل حين ، ولا هى مثل الكعاب من النساء ، يريد أنها ليست أولى صنائعه ؛ لأنها مسبوقة بأمثالها .

(١٨) العجاب ــ بضم العين ــ العجيب ، وهو أبلغ فى الوصف من العجيب .

(١٩) الرضاب ــ بضم الراء ــ هنا : ما فى داخل فأرة المسك من المسك ، ويقال : هو الدقاق المنتشر ، ومعنى مفضوض مفكوك مشقوق ، ويروى « كأن العنبر الهندى » .

(٢٠) يروى « لياليه ليالى الحب » .

٢١ أقولُ بِبَعْضِ مَا أَسْدَيْتَ عِنْدِى وَمَا أَطْلَبْتَنِي قَبْلَ الطِّلَابِ

٢٢ وَلَوْ أَنِّى اسْتَطَعْتُ لَقَامَ عَنِّى بِشُكْرِكَ مَنْ مَشَى فَوْقَ التُّرَابِ

٢٣ إِذَنْ شَكَرَتْكَ مَذْحِجُ حَيْثُ كَانَتْ بَنُو دَيَّانِهَا وَبَنُو الضِّبَابِ

٢٤ وَجِئْتُكَ فِي قُضَاعَةَ قَدْ أَطَافَتْ بِرُكْنَىْ عَامِرٍ وَبَنِي جَنَابِ

٢٥ وَلَاسْتَنْجَدْتُ حَنْظَلَةً وَعَمْراً وَلَمْ أَعْدِلْ بِسَعْدٍ وَالرِّبَابِ

٢٦ وَلَاسْتَرْدَفْتُ مِنْ قَيْسٍ ذُرَاهَا بَنِي بَدْرٍ وَصِيدَ بَنِي كِلَابِ

٢٧ وَلَاحْتَفَلَتْ رَبِيعَةُ لِي جَمِيعاً بِأَيَّامٍ كَأَيَّامِ الكُلَابِ

٢٨ فَأَشْفِي مِنْ صَمِيمِ الشُّكْرِ نَفْسِي وَتَرْكُ الشُّكْرِ أَثْقَلُ لِلرِّقَابِ

---

(٢١) أسديت : أعطيت ومنحت ، وأطلبتنى : يطلق على أحد معنيين ، يقال « أطلبت الرجل » إذا أبلغته مناه ومطلبه ، ويقال « أطلبت الرجل » إذا أحرجته إلى أن يطلب منك ، ومن هذا المعنى الثانى قالوا : ماء مطلب ، وكلأ مُطلب ، يريدون أنه بعيد يحتاج إلى الطلب ، وكأن الشاعر يريد أنه كان يتمنى شيئاً ويطلبه فى نفسه من غير أن يصرح به ، فبلغه الممدوح ذلك من قبل أن يذكر له حاجته ، ويروى « وما أعطيتنى قبل اطلابى » بتشديد التاء مكسورة .

(٢٢) يروى الشطر الثانى « بشكرك عظم من فوق التراب » .

(٢٣) مذحج : لقب امرأة من ولدها طيء لكنهم لم ينسبوا إليها ، وإنما نسبوا إلى أبيهم ، ونسب إليها إخوة طيء .

(٢٥-٢٧) قضاعة، وعامر، وبنوجناب ، وحنظلة ، وعمرو، وسعد ، والرباب، وما بعدهن كل هذه أسماء قبائل ، والكلاب – بضم الكاف ، بزنة الغراب – من أيام العرب ، وهما كلابان : الكلاب الأول ، والكلام الثانى ، وهما يومان مشهوران كانا بين ملوك كندة وبنى تميم .

(٢٨) يروى « أثقل فى الرقاب » .

٢٩ إِلَيْكَ أَثَرْتُ مِنْ تَحْتِ التَّرَاقِي
قَوَافِيَ تَسْتَدِرُّ بِلَا عِصَابِ

٣٠ هِيَ الْقُرْطَاتُ فِي الْآذَانِ تَبْقَى
بَقَاءَ الْوَحْيِ فِي الصُّمِّ الصِّلَابِ

٣١ عِرَاضُ الْجَاهِ تَجْزَعُ كُلَّ وَادٍ
مُكَرَّمَةً وَتَفْتَحُ كُلَّ بَابِ

٣٢ مُضَمَّنَةً كَلَالَ الرَّكْبِ تُغْنِي غَنَاءَ الزَّادِ عَنْهُمْ وَالرِّكَابِ

٣٣ إِذَا عَارَضْتَهَا فِي يَوْمِ فَخْرٍ مَسَحْتَ خُدُودَ سَابِقَةٍ عِرَابِ

(٢٩) إليك أثرت : يريد أثرتها من قلبي ونطق بها لساني ، وقوله «بلاعصاب» يريد جاءت سهلة من غير تكلف لها ولا معاناة ، وأصل العصاب : أن يعصب فخذ الناقة إذا لم تثبت للحالب .

(٣٠) القرطات : تروى هذه الكلمة بكسر القاف وفتح الراء على أنها جمع قرطة الذى هو جمع قرط فيكون جمع الجمع ، وتروى بضم القاف وسكون الراء أو بضم القاف والراء جميعاً على أنه جمع قرطا جمع مؤنث سالما ، وأبقى سكون الراء أو أتبع الراء للقاف كما تقول غرفة وغرفات فتتبع الراء فى الجمع للغين فتضمهما جميعاً ، والوحى : الكتاب ، والصم الصلاب : أراد بها الصخر ؛ لأنهم كانوا ينقرون فيها كتابتهم .

(٣١) تجزع كل واد : تقطعه وتجوبه ، يريد أنها تذيع ويعلم أمرها كل أحد .

(٣٢) كلال الركب : تعبهم وعناءهم ، وأراد أنها تتضمن إزالة كلال الركب ، فحذف لفظ « إزالة » وهو يريده ارتكانا على انفهام المعنى ، يعنى أن المسافرين يستغنون بإنشاد هذه القوافى عن الزاد والركاب ، ويتعللون بها فى الإدلاج والسير ؛ فترفه عنهم وينسون مايلاقونه من المشاق .

(٣٣) عارضتها : يروى « وإن أجريتها » يريد إذا فاخرت بها فى يوم فخر فزت .

٣٤ تَصِيرُ بِهَا وِهَادُ الأَرْضِ هَضْبًا
وَأَعْـــلاَمًا ، وَتَثْلِمُ فِي الرَّوَابِي

٣٥ كَتَبْتُ وَلَوْ قَدَرْتُ هَوًى وَشَوْقًا
إِلَيْكَ لَـكُنْتُ سَطْرًا فِي الـكِتَابِ

* * *

(٢٤)

وقال يمدح محمد بن عبد الملك الزيات :

١ دِيمَةٌ سَمْحَةُ القِيَادِ سَـكُوبُ مُسْتَغِيثٌ بِهَا الثَّرَى الْمَـكْرُوبُ

---

(٣٤) وهاد الأرض : جمع وهد ــ بفتح الواو وسكون الهاء ــ وهو ماانخفض من الأرض ، والهضب : ماارتفع منها ، وتثلم : تقطع ، والروابى : جمع رابية وهى التل المرتفع . يقول : إن المسافر يقطع بإنشادها الوهاد الخيفة من غير صعوبة . كما يقطع الهضاب والروابى الصعبة التى ليس بها طرق معبدة مسلوكه كأنما ثلم فيها طريقاً واسعاً سهلا ، وهذا البيت تأكيد لمعنى البيت ٣٢ .

(٣٥) يروى « جوى وشوقا » ويروى « سطراً فى كتاب » ويروى البيت كله هكذا :

ولو أنى قدرت هوى وشوقاً لكنت إليك سطراً فى كتابى

* * *

٢٤

اتفقت النسخ كلها على رواية هذه القصيدة تالية للقصيدة السابقة ، وهى فى رواية التبريزى برقم ٢٣ ، وسقطت من إحدى النسخ التى اعتمدها ناشر شرح التبريزى ، وفى إحداها أن هذه الأبيات فى أبى جعفر محمد بن آدم الرازى .

(١) الديمة : المطر الدائم من غير رعد ولا برق ، وسمحة القياد : سلسة الانقياد متتابعة، وسكوب : كثيرة الانسكاب شديدة الهطلان ، والثرى : التراب ، ويروى فى مكانه « البرى » بالباء ، والمكروب : أراد الشديد الجفاف من شدة الحر .

٢ لَوْ سَعَتْ بُقْعَةٌ لإِعْظَامِ نُعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ

٣ لَذَّ شُؤْبُوبُهَا وَطَابَ فَلَوْ تَسْـ ـطِيعُ قَامَتْ فَعَانَقَتْهَا الْقُلُوبُ

٤ فَهْيَ مَاءٌ يَجْرِي، وَمَاءٌ يَلِيهِ وَعَزَالٍ تُنْشَى، وَأُخْرَى تَذُوبُ

٥ كَشَفَ الرَّوْضُ رَأْسَهُ وَاسْتَسَرَّ الْـ

مَحْلُ مِنْهَا كَمَا اسْتَسَرَّ الْمُرِيبُ

٦ فَإِذَا الرِّيُّ بَعْدَ مَحْلٍ، وَجُرْجَا نُ لَدَيْهَا يَبْرِينُ أَوْ مَلْحُوبُ

٧ أَيُّهَا الْغَيْثُ حَيِّ أَهْلاً بِمَغْدَا كَ وَعِنْدَ السُّرَى وَحِينَ تَؤُوبُ

٨ لأَبِي جَعْفَرٍ خَلاَئِقُ تَحْكِيهِـ ـنَّ، قَدْ يُشْبِهُ النَّجِيبَ النَّجِيبُ

٩ أَنْتَ فِينَا فِي ذَا الْأَوَانِ غَرِيبٌ

وَهْوَ فِينَا فِي كُلِّ وَقْتٍ غَرِيبُ

---

(٣) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، ويروى « وطابت » فيعود الضمير المستتر على الديمة .

(٤) العزالى : جمع عزلاء ـ مثل صحراء وصحارى وعذراء وعذارى ـ والعزلاء : مصب الماء من الراوية ، ويقولون « أنزلت السماء عزاليها » يريدون شدة وقوع المطر .

(٥) استسر المحل : اختبأ الجدب ، والمريب : المتهم الظنين ، وفي أمثالهم « كاد المريب يقول خذني » .

(٦) جرجان : جعله مثلا للمكان المعروف بالجدب والقحط ، ويبرين وملحوب : جعلهما مثلا للمكان الذي يعمه النماء والرخاء والخصب .

(٧) يروى « حي أهلا بيغداد » ومغداك : وقت غدوك ، والسرى : السير ليلا ، وتؤوب : ترجع ، يريد بلغهم التحية ، أو اقرأها عليهم ، في كل وقت .

(٨) تحكيهن : أي أنت تحكي بفعلك خلائق أبي جعفر .

(٩) هذا البيت من تتمة خطاب الغيث الذي بدأه في البيت السابق ، والغريب : الذي لا نظير له ولا شبيه ، وقد فضل أبا جعفر على الغيث ؛ فجعله عديم النظير في جميع الأوقات في حين أن الغيث عديم النظير في هذا الوقت وحده .

١٠ ضَاحِكٌ فِي نَوَائِبِ الدَّهْرِ طَلْقٌ وَمُلُوكٌ يَبْـكُونَ حِينَ تَنُـوبُ

١١ فَإِذَا الخَطْبُ طَالَ نَالَ النَّدَى وَالْـ ـبَذْلُ مِنْهُ مَالاَ تَنَالُ الخُطُوبُ

١٢ خُلُقٌ مُشْرِقٌ ، وَرَأْيٌ حُسَامٌ وَوِدَادٌ عَذْبٌ ، وَرِيحٌ جَنُوبُ

١٣ كُلَّ يَوْمٍ لَهُ وَكُلَّ أَوَانٍ خُلُقٌ ضَاحِكٌ وَمَالٌ كَئِيبُ

١٤ إِنْ تُقَارِبْهُ أَوْ تُبَاعِدْهُ ـ مَا لَمْ تَأْتِ فَحْشَاءَ ـ فَهْوَ مِنْكَ قَرِيبُ

١٥ مَا الْتَقَى وَفْرُهُ وَنَائِلُهُ مُذْ كَانَ إِلاَّ وَوَفْرُهُ الْمَـغْلُوبُ

---

(١٠) يروى « في نوائب الخطب » ووقع في شرح التبريزي «وملوك يبكين حين تنوب » وليست بشيء ، يقول : إنه لا يحفظ المال ، ولكنه يتركه نهباً للعطاء والبذل حين تنزل النوائب ، على غير عادة الملوك الذين يضجون ويفزعون إذا حلت بساحتهم الخطوب النازلة بالناس ، وطلبوا منهم تفريجها عنهم .

(١١) يروى « فإذا الخطب راث » أي أبطأ ، والندى : الجود والعطاء، يقول: إذا طال الخطب وبلغ المدى ، جاء بذله وعطاؤه من ورائه فأزاله

(١٢) ضرب ريح الجنوب مثلا ، يريد أنه يكون سداداً لعوز المحتاجين، وسبباً لبلوغ النعمة إليهم ، كما أن الجنوب تأتي بالغيث وبسببها يكون الخصب ، وقد أخذ هذا المثل من قول الشاعر :

ليالي إذ سمع الغواني وطرفها إلى، وإذ ريحي لهن جنوب

يريد أنه يجمعهن بحسنه وشبابه كما أن الجنوب تجمع الغيم والسحاب

(١٣) لمح أبو تمام في هذا البيت صدر قول أبي نواس :

تبكي البدور لضحكه والسيف يضحك إن عبس

والبدور في بيت أبي نواس : جمع بدرة ـ بعد حذف تائه ـ وهي مقدار من المال معلوم ، وقد ذكروا أنه عشرة آلاف درهم

(١٤ ـ ١٥) تقاربه : تكون قريباً منه بودك ، وتباعده ضده ، والوفر : ماله الكثير .

١٦ فَهْوَ مُدْنٍ لِلْجُودِ وَهْوَ بَغِيضٌ وَهْوَ مُقْصٍ لِلْمَالِ وَهْوَ حَبِيبُ

١٧ يَأْخُذُ الْمُعْتَفِينَ قَسْرًا ، وَلَوْ كَفَّ دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَادٍ خَصِيبُ

١٨ غَيْرَ أَنَّ الرَّامِي الْمُسَدَّدَ يَحْتَاطُ مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهُ سَيُصِيبُ

* * *

(٢٥)

وقال أيضا يعوده فى علته :

١ لاَ عَيْشَ أَوْ يَتَحَامَى جِسْمَكَ الْوَصَبُ
فَتَنْجَلِي بِكَ عَنْ خُلْصَانِكَ الْكُرَبُ

---

(١٦) مدن : مقرب ، ومقص : مبعد ، يقول : إنه يدنى الجود من نفسه إكراماً له ، وهو بغيض عند غيره ، وإنه يبعد المال من نفسه وهو حبيب إلى جميع الناس

(١٧) يروى «يأخذ الزائرين» ويروى فى آخر البيت «دعاهم إليه جزع خصيب» وكف : امتنع

(١٨) المعنى أنه يأخذ الزائرين قسرا ولو أنه امتنع لجاؤه ، فهو مثل الرامى الحاذق : يعلم أنه سيصيب على كل حال ، ولكنه يحتاط ويقدر لنفسه فيصنع أجود الصنع

* * *

(٢٥)

اتفقت جميع النسخ على رواية هذه الأبيات بعد القصيدة السابقة ، وهى فى شرح التبريزى برقم ٢٤ ووقع فيه تقديمها بقوله « وقال يعود محمد بن عبد الملك الزيات فى علته » هـ . وعند الصولى « وقيل : هى فى غيره » هـ

(١) الوصب : المرض الدائم ، ويروى « فتنجلى بك عن إخوانك الكرب » والخلصان ــ بضم الخاء وسكون اللام ــ الخالص من الإخوان ، وهى مما يستوى فيه الواحد والجمع ، تقول : هو خلصانى ، وهم خلصانى ، والكرب : جمع كربة ــ بضم الكاف ــ وهى الشدة

٣ لَعًا أبَا جَعْفَرٍ وَأَسْلَمْ فَقَدْ سَلِمَتْ بِكَ الْمُرُوءَةُ وَاشْتَغَلَى بِكَ الْحَسَبُ
٣ إِنَّا جَهِلْنَا فَخِلْنَاكَ اعْتَلَلْتَ، وَلاَ وَاللهِ مَا اعْتَلَّ إِلاَّ الْمُلْكُ وَالْأَدَبُ

* * *

(٢٦)

وقال أيضاً :

١ يَا مَغْرِسَ الظَّرْفِ وَفَرْعَ الْحَسَبْ وَمَنْ بِهِ طَالَ لِسَانُ الْأَدَبْ
٢ إِنَّا عَهِدْنَاكَ أَخَا عِلَّةٍ بِالْأَمْسِ نَالَتْكَ بِبَعْضِ الْوَصَبْ
٣ فَكَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ وَلاَ زِلْتَ فِي عَافِيَةٍ أَذْيَالُهَا تَنْسَحِبْ

* * *

---

(٢) لعا : كلمة تقال للعاثر ، ومعناه انتعش من عثرتك ، وقد استعارها أبو تمام للمرض

(٣) يروى « ما اعتل إلا الظرف والأدب » وهى أليق

* * *

(٢٦)

اتفقت جميع النسخ على إيراد هذه الأبيات تالية للأبيات السابقة ، وهى فى شرح التبريزى برقم ٢٥ وفيه فى تقديمها « وقال فيه أيضاً » يعنى فى محمد بن عبد الملك الزيات

(١) يروى « ومن به طال لسان العرب »

(٢) انظر شرح البيت الأول من القطعة السابقة

(٣) أذيالها تنسحب : كناية عن كونها سابغة تغطى جميع جسمه ، وكسرة الحاء فى « تنسحب » يعدها الخليل عيباً من عيوب القافية ، ويسمى السناد، فأما الأخفش فلا يعد مثل ذلك سناداً

* * *

(٢٧)

وقال أيضاً يمدحه :

١ أَبَا جَعْفَرٍ أَضْحَى بِكَ الظَّنُّ مُمْرِعًا
فَمِلْ بِرَوَاعِيهِ عَنِ الأَمَلِ الجَدْبِ

٢ فَوَاللهِ مَاشَيْءٌ سِوَى الْوُدِّ وَحْدَهُ بِأَعْلَى مَحَلاًّ مِنْ رَجَائِكَ فِي قَلْبِي

* * *

---

(٢٧)

سقط هذان البيتان من نسخة بيروت المطبوعة فى سنة ١٩٢٨ فى مطابع قوزما، وقد اتفقت بقية النسخ على إيراد هذين البيتين تاليين للأبيات السابقة ، وهما فى شرح التبريزى برقم ٢٦ ، ولم يزد فى تقديمهما عن قوله « وقال » .

(١) ممرعا : اسم الفاعل من قولك « أمرع المكان ، أو الوادى » أى أخصب وكثر كلؤه ، ورواعيه : جمع راعية ، وهى اسم الفاعل المؤنث من قولك « رعى فلان النبت » وقال التبريزى « رواعيه أوائله ومباديه » وهو سهو عن قول الشاعر « ممرعاً » وقوله بعد ذلك « الأمل الجدب »

(٢) يروى « سوى الحب وحده » ويروى « سوى أن تعيش لى »

* * *

حرف التاء

(٢٨)

وقال يَمْدَحُ حُبَيْشَ بن المعافى قاضى نَصِيبِينَ ورأس الْعَيْنِ :

١ نُسَائِلُهَا أَىَّ الْمَوَاطِنِ حَلَّتِ وَعَنْ أَىِّ دَارٍ أَوْطَنَتْهَا وَأَيَّتِ

٢ وَمَاذَا عَلَيْهَا لَوْ أَشَارَتْ فَوَدَّعَتْ إِلَيْنَا بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ وَأَوْمَتِ

٣ وَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ تَوَلَّتْ بِهَا النَّوَى فَوَلَّى عَزَاءُ الْقَلْبِ لَمَّا تَوَلَّتِ

---

(٢٨)

اتفقت جميع النسخ على إيراد هذه القصيدة أول التائيات من باب المديح،وهى فى شرح التبريزى برقم ٢٧

(١) هذه الرواية أقرب الروايات فى هذا البيت إلى العربية ، وقد روى التبريزى « وأى ديار أوطنتها » فيسأل فى روايته عن السر فى كسر التاء قوله « وأيت» مع أن المعطوف عليه منصوب فى قوله « وأى ديار » وروى الآمدى « وأية دار أوطنتها » ويبقى السؤال أيضاً ، وقد تكلف له الشراح بما جعلنا نفضل الرواية التى أثبتناها ، ومنهم من جعل « أيت » فعلا ماضيا متصلا بتاء التأنيث بمعنى تأيت ،وهما بمعنى أقامت ، ومنهم من ينكر مجىء أيا ــ بتشديد الياء ــ بمعنى أقام ، ويذكر أن المستعمل هو تأيا .

(٢) إلينا : متعلق بأشارت ، وقد فصل بينهما بقوله « فودعت » . وقوله « بأطراف البنان » متعلق أيضا بأشارت ، وأما قوله « أومت» فأصله « أومأت » ــ فسهل الهمزة بقلبها ألفاً لانفتاحها وانفتاح ماقبلها ، ثم عامل الألف المبدلة من الهمزة معاملة الألف الأصلية فى نحو أخفت وأهدت وأرضت ، وقد ورد نظير ذلك فى قول العرجى :

أومت بعينيها من الهودج لولاك فى ذا العام لم أحجج

٤ فأَمَّا عُيُونُ العَاشِقِينَ فأُسْخِنَتْ وَأَمَّا عُيُونُ الكَاشِحِينَ فَقَرَّتِ

٥ وَلَمَّا دَعَانِى البَيْنُ وَلَّيْتُ إذْ دَعَا وَلَمَّا دَعَاهَا طَاوَعَتْهُ وَلَبَّتِ

٦ فَلَمْ أَرَ مِثْلِى كَانَ أَوْفَى بِعَهْدِهَا وَلاَ مِثْلَهَا لَمْ تَرْعَ عَهْدِى وَذِمَّتِى

٧ مَشُوقٌ رَمَتْهُ أَسْهُمُ البَيْنِ فَانْثَنَى صَرِيعًا لَهَا لمّا رَمَتْهُ فَأَصْمَتِ

٨ وَلَوْ أَنَّهَا غَيْرُ النَّوَى فَوَّقَتْ له بأَسْهُمِهَا لَمْ تُصْمِ فِيهِ وَأَشْوَتِ

٩ كأَنَّ عَلَيْهَا الدَّمْعَ ضَرْبَةَ لاَزِبٍ إذَا مَا حَمَامُ الأيْكِ فِى الأيْكِ غَنَّتِ

---

(٤) أسخنت : أسخنها البعد والفراق ، وقرت : بردت ، أبردتها الشماتة ، ومن عاداتهم أن يصفوا العين بالسخونة فى مقام الحزن ، لأنها حينئذ تذرف دموعها ، ويعبرون عن الحزن به فيقولون « سخنت عينه » ويقولون « أسخن الله عينه » إذا دعوا عليه بالحزن ، كما أن من عادتهم أن يصفوها بالبرودة فى مقام السرور ويعبرون به عنه .

(٧) مشوق : اسم مفعول من الشوق ، تقول شاقه يشوقه ، تريد بعث الشوق إلى قلبه ، والبين: الفراق، وأصمت : أى أصابت مقتله ، تقول : أصمى الرامى رميته ، تريد ضربها فقتلها فى مكانها ، وتقول : أنمى الرامى رميته ، إذا رماها فلم يصب منها مقتلا فتحاملت بسهمه فغابت عنه ، وفى الحديث « كل ما أصميت ودع ما أنميت »

(٨) يروى « ولو أنه غير النوى » ويروى بنصب غير على أنه بدل من اسم إن وبرفع غير على أنه مبتدأ ، والضمير الواقع اسما لأن ضمير الشأن أو القصة ، وفوقت: سددت ، ولم تصم : تقدم بيان معناه فى البيت ٧ ، ومعنى « أشوت » أصابت شواه وأخطأت مقاتله ، والشوى – بفتح الشين بوزن الفتى – الأطراف كاليدين والرجلين

(٩) يروى « ضربة لازم » وكلاهما يقال ، ومعنى « ضربة لازب » لابد منه ، والأيك : الشجر الملتف ، واحده أيكة ، والأكثر فيما يفرق بينه وبين واحده بالتاء أن يسند إليه الفعل بغير علامة التأنيث ، نحو قوله تعالى (إن البقر تشابه علينا) والوجهان جائزان ، وقد أنث أبو تمام الفعل فى قوله « غنت » .

١٠ لَئِنْ ظَمِئَتْ أَجْفَانُ عَيْنٍ إِلَى الْبُكَى
لَقَدْ شَرِبَتْ عَيْنِي دَمًا فَتَرَوَّتِ
١١ عَلَيْهَا سَلَامُ اللهِ أَنَّى اسْتَقَلَّتِ وَأَنَّى اسْتَقَرَّتْ دَارُهَا وَاطْمَأَنَّتِ
١٢ وَمَجْهُولَةِ الأَعْلَامِ طَامِسَةِ الصُّوَى
إِذَا اعْتَسَفَتْهَا العِيسُ بِالرَّكْبِ ضَلَّتِ
١٣ إِذَا مَا تَنَادَى الرَّكْبُ فِي فَلَوَاتِهَا
أَجَابَتْ نِدَاءَ الرَّكْبِ مِنْهَا فَأَصْدَتِ
١٤ تَعَسَّفْتُهَا وَاللَّيْلُ مُلْقٍ جِرَانَهُ وَجَوْزَاؤُهُ فِي الأُفْقِ لَمَّا اسْتَقَلَّتِ

---

(١٢) الأعلام: جمع علم ــ بوزن جبل وأجبال ــ وهو كل مايهتدى به فى الطريق كالجبل ، وطامسة : خافية، والصوى : جمع صوة ــ بوزن قوة وقوى ــ وهى حجارة تنصب فى الطريق ليهتدى بها مثل علامات الأميال ، وفى الحديث « إن للدين صوى ومناراً كمنار الطريق » واعتسفتها : سلكتها ، والعيس : الإبل ، واحدها أعيس أو عيساء ، ويروى « اعتسفتها الريح » وأنكر أبو العلاء هذه الرواية ، لأن قوله « بالركب » يدل على أنه قال « اعتسفتها العيس »

(١٣) أصدت : أصل وزنه أفعلت ، من الصدى ، ونظيره : أبقت ، وأهدت ، وأنقت ، والصدى ــ بفتح الصاد ، بوزن الفتى ــ يطلق على طائر يصر بالليل يقفز قفزا ، ويطلق أيضا على ماتسمعه ترديدا لصوتك فى الفلوات والأمكنة المهجورة .

(١٤) تعسفتها : سلكتها ، وأصل الجران ــ بكسر الجيم ، بوزن الكتاب ــ مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره ، وإنما يلقيه البعير إلى الأرض إذا أناخ لينام ، والجوزاء : برج فى السماء ، وهو يريد طول الليل وشدة ظلامه ، وأصل هذا المعنى من قول امرىء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل :
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح ، وما الإصباح منك بأمثل

١٥ مُفَعْمَةِ الأَنْسَاعِ مُؤْجَـدَةِ القَرَى
أَمُونِ السُّرَى تَنْجُو إِذَا العِيسُ كَلَّتِ

١٦ طَمُوحٍ بِأَثْنَاءِ الزِّمَامِ كَأَنَّمَا تَخَالُ بِهَا مِنْ عَدْوِهَا طَيْفَ جِنَّةِ

١٧ إِلَى حَيْثُ يُلْفَى الجودُ سَهْلاً مَنَالُهُ
وَخَيْرِ امْرِىءٍ شُدَّتْ إِلَيْهِ وَحُطَّتِ

١٨ إِلَى خَيْرِ مَنْ سَاسَ البَرِيَّةَ عَدْلُه وَوَطَّدَ أَعْلَامَ الهُدَى فَاسْتَقَرَّتِ

١٩ حُبَيْش حُبَيْش بْنِ المُعَافَى الَّذِي بِهِ
أُمِرَّتْ حِبَالُ الدِّينِ حَتَّى اسْتَمَرَّتِ

---

(١٥) مفعمة ـ بوزن المفعول من الرباعى ـ أى مملوءة ، والأنساع : جمع نسع ـ بكسر النون وسكون السين ـ وهو سير مضفور ، يريد أنها تملأ الحبال والأنساع لأنها ممتلئة الجسم ، والمراد ناقة ، والمؤجدة : اسم مفعول فعله « آجده الله » أى قواه ، والقرا ـ بفتح القاف ، بوزن الفتى ـ الظهر ، وأراد من قوله « أمون السرى » أنه يؤمن عثارها عند السير فى الليل ولا يخف كلالها .

(١٦) أثناء : جمع ثنى ـ بكسر الثاء وسكون النون ـ كل طاق من كل شىء يثنى بعضه على بعض أطواقا ، والزمام ـ بكسر الزاى ، بوزن الكتاب ـ ماتقاد به الدابة ، والعدو : السير السريع ، يريد أن هذه الناقة نشيطة سريعة السير .

(١٧) يلفى : يوجد ، وقوله « وخير امرىء » معطوف على المجرور بإلى فى أول البيت ، وقوله « وحطت » يروى بضم الحاء على أنه فعل مبنى للمجهول معناه أنيخت ، ويروى بفتح الحاء على أنه مبنى للمعلوم ، ومعناه حطت راكبها ، كأنه إذا نزل عنها فقد حطته .

(١٨ ـ ١٩) وطد الشىء : أرساه وثبته وقواه ، والأعلام : جمع علم ، وهو هنا كل شىء يدل على شىء ، وتقول « أمر فلان الحبل إمرارا » تريد أنه فتله فتلا شديدا ، وجعل الحبل للدين على سبيل التخييل ، ففى العبارة استعارة بالكناية ، واستمرت ، هنا : معناه رست وثبتت وقويت .

٢٠ وَلَوْلا أَبُو اللَّيْثِ الهُمَامُ لأَخْلَقَتْ ... مِنَ الدِّينِ أَسْبَابُ الهُدَى وَأَرَثَّتِ

٢١ أَقَرَّ عَمُودَ الدِّينِ فِي مُسْتَقَرِّهِ ... وَقَدْ نَهِلَتْ مِنْهُ اللَّيَالِي وَعَلَّتِ

٢٢ وَنَادَى المَعَالِي فَاسْتَجَابَتْ نِدَاءَهُ ... وَلَوْ غَيْرُهُ نَادَى المَعَالِي لَصَمَّتِ

٢٣ وَنِيطَتْ بِحَقْوَيْهِ الأُمُورُ ، فَأَصْبَحَتْ ... بِظِلٍّ جَنَاحَيْهِ الأُمُورُ اسْتَظَلَّتِ

٢٤ وَأَحْيَا سَبِيلَ العَدْلِ بَعْدَ دُثُورِهِ ... وَأَنْهَجَ سُبْلَ الجُودِ حِينَ تَعَفَّتِ

---

(٢٠) يقال « خلق الثوب يخلق خلوقا » بوزن خرج يخرج خروجا ، ويقال « أخلق الثوب إخلاقا » أى بلى ورث ، ويقال « أخلق فلان ثوبه » أى أبلاه ، فذو الهمز يأتى لازما ومتعديا ، ومن مجىء ذى الهمز لازما قول أبى الأسود الدؤلى :

نظرت إلى عنوانه فنبذته ... كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

ومن مجيئه متعديا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم خالد « أبلى وأخلقى » إلا أنه حذف المفعول ، ويقال أيضا : رث الثوب يرث ــ بوزن خف يخف ــ إذا بلى ، ويقال : أرث الثوب ، لازما ، وأرث فلان ثوبه ، متعديا ، إلا أن الأكثر فى لسانهم « رث الثوب » وكان الأصمعى ينكر « أرث الثوب » ومن مجيئه بالهمز لازما قول دريد بن الصمة :

أرث جديد الحبل من أم معبد ... بعاقبة ، وأخلفت كل موعد

(٢١) رواية المصرية « فقد نهلت » ويقال : نهل ينهل نهلا ــ من باب فرح ــ إذا شرب أولا ، والعلل ــ بوزن الفرح ــ الشرب بعد الشرب ، والمراد من هذه العبارة أن الأحداث والصروف تكررت عليه حتى نالت منه منالا عظيما .

(٢٢) عامل المنقوص ــ وهو قوله « المعالى » فى حالة النصب كما يعامله فى حالة الرفع والجر ، وكان من حق العربية عليه أن يظهر الفتحة على الياء ، وصمت : أراد لم تجب نداءه .

(٢٣) نيطت : علقت ، والحقو ــ بفتح الحاء ــ الموضع الذى يعقد فيه الإزار ، وهذه العبارة كناية عن أنها ألقيت عليه فقام بأعبائها .

(٢٤) يروى « وأنهج سبل الجور حتى تعفت » . وأنهج : أى أوضح ، =

٢٥ وَيُلْوِى بِأَحْدَاثِ الزَّمَانِ انْتِقَامُهُ
إِذَا مَا خُطُوبُ الدَّهْرِ بِالنَّاسِ أَلْوَتِ

٢٦ وَيَجْزِيكَ بِالْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا
وَيَغْتَفِرُ العُظْمَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

٢٧ يَلُمُّ اخْتِلَالَ الْمُعْتَفِينَ نَوَالُهُ إِذَا مَا مُلِمَّاتُ الزَّمَانِ أَلَمَّتِ

٢٨ إِذَا ظُلُمَاتُ الرَّأْيِ أَسْدَلَ ثَوْبَهَا تَطَلَّعَ فِيهَا فَجْرُهُ فَتَجَلَّتِ

٢٩ هُمَامٌ وَرِىُّ الزَّنْدِ مُسْتَحْصِدُ الْقُوَى
إِذَا مَا الأُمُورُ الْمُشْكِلَاتُ أَظَلَّتِ

٣٠ بِهِ انْكَشَفَتْ عَنَّا الْغَيَايَةُ وَانْفَرَتْ
جَلَابِيبُ جَوْرٍ عَمَّنَا وَاضْمَحَلَّتِ

= و« سبل » هنا بسكون الباء للتخفيف ، وأصله بضم الباء ، جمع سبيل ، وهو الطريق وزنا ومعنى وجمعا ، والدثور : الذهاب والهلاك ، وتعفت : طمست معالمها .

(٢٥) يلوى : مضارع ألوى ، ومعناه هنا أنه يذهب بأحداث الزمان عن وجهها فلا تصيب أحدا ، وألوى الدهر بالناس : أهلكهم .

(٢٦) « إذا النعل زلت » كناية عن الخطيئة والذنب ، أو عن نزول كارثة ، وليس هناك نعل ولا زلل ، على الحقيقة .

(٢٧) يروى « يلم اختلال المعتفين بجوده » والمعتفين : الطالبين ، ومعنى هذه العبارة أنه يصلح ما أفسد الدهر من أحوالهم ، والملمات : جمع ملمة ، وهى النازلة من نوازل الدهر ، وألمت : نزلت .

(٢٨و٢٩) روى التبريزى ثانى هذين البيتين قبل أولهما ، وتقول : سدل فلان ثوبه ، وأسدله ، والأول أكثر استعمالا ، ومعناه أرخاه ، وتجلت : انكشفت وزالت ، وأراد أنه يوضح لهم حقائق الأمور ويذهب عنهم لبسها . وتقول « ورى الزند يرى فهو وار ووری » أى خرجت منه النار ، وتقول : أحصدت الحبل ، تريد أحكمت فتله ، فاستحصد هو ، والمراد بالعبارتين وصفه بالقوة والصلابة .

(٣٠) الغياية كالغمامة وزنا ومعنى ، وانفرت : تشققت ، واضمحلت : ضعفت وذهب أثرها .

٣١ أَغَرُّ رَبِيطُ الْجَأْشِ مَاضٍ جَنَانُهُ إِذَا مَا الْقُلُوبُ الْمَاضِيَاتُ ارْجَحَنَّتِ

٣٢ نَهُوضٌ بِثِقْلِ الْعِبْءِ مُضْطَلِعٌ بِهِ
وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْخُطُوبُ وَجَلَّتِ

٣٣ تَطُوعُ لَهُ الأَيَّامُ خَوْفَ انْتِقَامِهِ إِذَا امْتَنَعَتْ مِنْ غَيْرِهِ وَتَأَبَّتِ

٣٤ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ شَمْلُ مَجْدٍ مُؤَلَّفٌ وَشَمْلُ نَدًى بَيْنَ الْعُفَاةِ مُشَتَّتِ

٣٥ أَبَا اللَّيْثِ لَوْلاَ أَنْتَ لاَ نْصَرَمَ النَّدَى
وَأَدْرَكَتِ الْأَحْدَاثُ مَا قَدْ تَمَنَّتِ

٣٦ أَخَافَ فُؤَادَ الدَّهْرِ بَطْشُكَ ، فَانْطَوَتْ
عَلَى رُعُبٍ أَحْشَاؤُهُ وَأَجَنَّتِ

---

(٣١) أغر : أراد أبيض ، وهو مما يتمدح به العرب ، وربيط الجأش : ساكن القلب لا يعتريه خور ولا يهاب شيئا ، وماض : نافذ ، وارجحنت : ثقلت ، وأراد لم تستطع المضى فى الأمور التى تعرض لهم .

(٣٢) يروى « نهوض بثقل الخطب » والخطوب : جمع خطب ، ويطلق الخطب على الشأن ، وعلى النازلة العظيمة .

(٣٣) تطوع : الأصل أن يقال « أطاعه » بالهمز ، إلا أنهم قد يحذفون الهمزة ويعدونه باللام ، فيقولون « طاع له » ومنه قول الراجز :

فقلت للقلب : ذراتباعها ، فطاع لى ، وطالما أطاعها

(٣٤) الأصل أن يكون قوله « مؤلف » نعتا لشمل فيكون مرفوعا ، وكذلك « مشتت » إلا أنه جعلهما نعتين للمضاف إليه ، لأن المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة ، وقد يكون أتى بهما مجرورين على الجوار كما فعل امرؤ القيس فى قوله :

كأن ثبيرا فى عرانين وبله كبير أناس فى بجاد مزمل

فإن قوله « مزمل » نعت لكبير ، والمنعوت مرفوع لأنه خبر كأن ، والنعت مجرور لوقوعه بجانب المجرور .

(٣٥) انصرم الندى : أراد تفرق وتبدد وذهب .

(٣٦) يروى « أخاف جنان الدهر » والجنان ـ بفتح الجيم ـ القلب ، ووقع =

٣٧ حَلَلْتَ مِنَ الْعِزِّ الْمُنِيفِ مَحَلَّةً أَقَامَتْ بِفَوْدَيْهَا الْعُلَى فَأَبنَّتِ

٣٨ لِيَهْنِ تَنُوخَ أَنَّهُمْ خَيْرُ أُسْرَةٍ إِذَا أُحْصِيَتْ أُولَى الْبُيُوتِ وَعُدَّتِ

٣٩ وَأَنَّكَ مِنْهَا فِي اللُّبَابِ الَّذِي لَهُ تَطَأْطَأَتِ الأَحْيَاءُ صُغْراً وَذَلَّتِ

٤٠ بَنَى لِتَنُوخَ اللهُ مَجْداً مُؤَبَّدًا تَزِلُّ عَلَيْهِ وَطْأَةُ الْمُتَثَبِّتِ

٤١ إِذَا مَا حُلُومُ النَّاسِ حِلْمَكَ وَازَنَتْ رَجَحْتَ بِأَحْلَامِ الرِّجَالِ وَخَفَّتِ

٤٢ إِذَا مَا يَدُ الأَيَّامِ مَدَّتْ بَنَانَهَا إِلَيْكَ بِخَطْبٍ لَمْ تَنَلْكَ وَشَلَّتِ

٤٣ وَإِنْ أَزَمَاتُ الدَّهْرِ حَلَّتْ بِمَعْشَرٍ أَرَقْتَ دِمَاءَ الْمَحْلِ فِيهَا فَطُلَّتِ

٤٤ إِذَا مَا امْتَطَيْنَا الْعِيسَ نَحْوَكَ لَمْ نَخَفْ عِثَاراً وَلَمْ نَخْشَ اللُّتَيَّا وَلاَ الَّتِي

= فى المصرية « فانطوى على رعب » وأصل الرعب بضم الراء وسكون العين ، إلا أنه ضم العين إتباعا لضم الراء ، والرعب : الخوف ، وأجنت : أخفت وسترت .

(٣٧) المنيف : العالى ، وأبنت : أى ثبتت واستقرت.

(٣٨) فى رواية التبريزى « ليهنىء تنوخا » وتنوخ : اسم قبيلة فكان من حقه أن يمنعه الصرف للعلمية والتأنيث ، وأثبتنا ما فى المصرية لأنه أعلى فى العربية .

(٣٩) اللباب — بضم اللام — الخالص ، ويروى « تطأطأت الأحياء قسرا » .

(٤٠) وقع فى رواية التبريزى « عزا مؤبدا » ويروى « عزا مؤيدا » ويروى « عزا موطدا » .

(٤١) الحلوم ، هنا : العقول .

(٤٣) المحل : الجدب والقحط ، وأرقت : أى أسلت ، جعل للجدب دما ، وجعل الممدوح يقتله فيريق دمه ، وطلت — بالبناء للمجهول — ذهبت هدرا فلم يؤخذ لها بثأر .

(٤٤) اللتيا : تصغير التى ، على غير قياس ، ويراد بها ماصغر من الأحداث ، =

(٢٩)

وقال يمدح مالك بن طَوْق :

١ أقولُ لِمُرْتَادِ النَّدَى عِندَ مالِكٍ: تَعَوَّذْ بِجَدْوَى مَالِكٍ وَصِلاَتِهِ

٢ فَتًى جَعَلَ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ سَرِيعًا إلَى الْمُمْتَاحِ قَبْـلَ عِدَاتِهِ

٣ وَلَوْ قَصَّرَتْ أَمْوالُهُ عَنْ سَمَاحِهِ لَقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطْرَ حَيَاتِهِ

٤ وَلَوْ لَمْ يَجِدْ فِي قِسْمَةِ الْعُمْرِ حِيلَةً وَجَازَ له الإِعْطَاء مِنْ حَسَنَاتِهِ

٥ لَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ لِرَبِّهِ وَوَاسَاهُمُ مِنْ صَوْمِهِ وَصَلاَتِهِ

= ويريدون بالتى ما عظم منها ، ولا يكادون يستعملون « اللتيا » إلا مع التى، ومنه قول الراجز :

بعد اللتيا واللتيا والتى إذا علتها أنفس تردت

* * *

(٢٩)

وقعت هذه الكلمة فى شرح التبريزى برقم ٢٨ تالية للكلمة السابقة ، وكذلك وقعت فى سائر النسخ .

(١) المرتاد : أصله طالب الكلأ ، ويقال « رائد » أيضا ، ومنه المثل « إن الرائد لا يكذب أهله » والجدوى : العطية والجود ، والصلات ـ بكسر الصاد ـ جمع صلة ، وهى مفسرة للجدوى .

(٢) أصل « الممتاح » الرجل ينزل إلى أسفل البئر ليخرج منها الماء ، ثم استعمل فى الرجل يطلب ما عند الرجل من نيل وعطاء ، والعدات : جمع عدة ـ بكسر العين ـ وهى الوعد ، يعنى أنه يعطى قبل الوعد .

(٣ ـ ٥) السماح : الجود والكرم ، وشطر حياته : نصفها ، وقد وقع فى المصرية « وواساهم » على أنه من المواساة ، وخير منها «وآساهم» بالهمز كما عند=

.. ..

= التبريزى ، أى جعلهم أسوته ، يعنى مثله ، جعل بذل الممدوح لعطاياه على ثلاث درجات ، الأولى : أن يعطى راجيه عطاء موفورا من غير أن يعده بالعطاء ، والثانية : أن يجد أمواله لا تفى بما يريد أن يعطيه لقاصديه ، وفى هذه الحالة يقاسمهم حياته فيهبهم نصفها ، والحالة الثانية : أن تقصر حيلته عن هبة شطر حياته ، وفى هذه الحالة ينظر ، فإن وجد أنه يجوز له أن يهب بعض ماله من الحسنات من غير أن يكون فى ذلك جحود لفضل الله ومنته عليه ، فإنه يهبهم بعض ماله من حسنات استحقها بصلاته وصيامه ونحوها .

* * *

حرف الثاء المثلثة

(٣٠)

وقال أيضاً يمدحه :

١ قِفْ بِالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ عُلَاثَا أَضْحَتْ حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَاثَا

٢ قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدَبُورِهَا أَثْلَاثَا

---

(٣٠)

* وقعت هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ٢٩ تالية للأبيات السابقة ، وأول حرف الثاء ، وكذلك وقعت فى سائر النسخ

(١) الطلول : جمع طلل ، وهو مابقى من آثار الديار شاخصا مرتفعا عن وجه الأرض ، والدارسات : جمع دارسة ، وهى التى ذهبت معالمها ، ويروى « قف بالديار » والحبال : جمع حبل ، والمراد به عهد المودة ، والقطين : السكان المقيمون بها ، والرثاث : جمع رث ، وهو الخلق البالى ، ويروى « أمست حبال قطينهن »

(٢) أطال النقاد فى الكلام على هذا البيت ، وعابوه من عدة وجوه ، منها أن الرياح التى ذكرها ليست مختلفة ؛ لأن القبول ـ بفتح القاف ـ هى نفس الصبا ، ومنها أنه أضاف القبول والدبور إلى ضمير الصبا ، إذ لا مرجع له سواه فى البيت ، واعتذر النضر بن شميل عن الأول بأن القبول ليست هى الصبا ، وإنما هى ريح بين الصبا والجنوب ، ولم يرتض ابن المستوفى هذا الاعتذار ، فقال : الصحيح أن الصبا هى القبول ، وما الذى منع أبا تمام أن يجعل موضع قبولها « جنوبها » فكان يسلم من هذا التشنيع عليه ، ولكن ابن الأعرابى يقول : القبول كل ريح لينة طيبة المستقبلها النفس ، ولا وجه ـ بعد هذا ـ للرد على أبى تمام ، فأما الوجه الثانى من وجوه الطعن على هذا البيت فيمكن الرد عليه بأن الضمير يعود إلى الرياح وإن لم يجر ذكرها فى البيت ، لأن ذكر الصبا يشير إليها ويدل عليها ، وذلك من سنن العرب فى كلامها : أن يجيئوا بضمير الغائب من غير أن يتقدم مرجعه لكونه منساقا إلى الذهن ، وقد وقع فى القرآن الكريم (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) وهذا أول السورة ، والضمير عائد إلى القرآن ولم يجر ذكره .

٣ فَتَأَبَّدَتْ مِنْ كُلِّ مُخْطَفَةِ الْحَشَا ... غَيْدَاءَ تُكْسَى يَارَقًا وَرِعَاثَا
٤ كَالظَّبْيَةِ الأَدْمَاءِ صَافَتْ فَارْتَعَتْ ... زَهَرَ الْعَرَارِ الْغَضَّ وَالْجَثْجَاثَا
٥ حَتَّى إِذَا ضَرَبَ الْخَرِيفُ رِوَاقَهُ ... سَافَتْ بَرِيرَ أَرَاكَةٍ وَكَبَاثَا
٦ سَيَّافَةُ اللَّحَظَاتِ يَغْدُو طَرْفُهَا ... بِالسِّحْرِ فِي عُقَدِ النُّهَى نَفَّاثَا
٧ زَالَتْ بِعَيْنَيْكَ الْحُمُولُ كَأَنَّهَا ... نَخْلٌ مَوَاقِرُ مِنْ نَخِيلِ جُوَاثَا
٨ يَوْمَ الثُّلاثَا لَنْ أَزَالَ لِبَيْنِهِمْ ... كَدِرَ الْفُؤَادِ لِكُلِّ يَوْمٍ ثُلاثَا

---

(٣) تأبدت : توحشت ، أى خلت وسكنها الوحش لأن أهلها فارقوها ونزحوا عنها ، ومخطفة الحشا : ضامرة البطن ، والغيداء : الناعمة ــ أو الطويلة العنق ، واليارق ــ بفتح الراء ــ ضرب من الحلى ، وهو أعجمى الأصل ، والرعاث : جمع رعث أو رعثة ــ بفتح الراء وسكون العين ــ وهو القرط ، سمى بذلك لتدليه.

(٤) الأدماء : التى يعلو بياضها سمرة من الظباء ، وصافت : جاء عليها الصيف ، وارتعت : رعت ، والعرار ــ بوزن السحاب ــ والجثجاث : نوعان من النبات موصوفان بطيب الرائحة .

(٥) أصل الرواق ما قدام البيت ، وقالوا « ضرب فلان رواقه فى مكان كذا » يريدون أنه أقام فيه ، يريد حتى إذا جاء الخريف ، وأصل معنى « سافت » شمت ، وأراد هنا أكلت ،لأن الظباء ونحوها تشم أول الأمر ثم تأكل ، والبرير والكباث: ضربان من ثمر الأراك .

(٦) سيافة اللحظات : أى أن لحظاتها تعمل ما تعمله السيوف ، ويروى « حسانة اللحظات » والعقد : جمع عقدة ، والنهى : جمع نهية وهى العقل ، وقد أخذ هذا من قوله تعالى (من شر النفاثات فى العقد) وكان من عادة الساحرة أن تأخذ خيطا ثم تعقد عقدة وتتفل بريقها .

(٧) الحمول : القوم المرتحلون ، وهى أيضا الإبل، ومواقر : مثقلات بالأحمال، وجواث : موضع معروف بكثرة النخيل ، ومن عادة الشعراء تشبيه الحمول بالنخل.

(٨) الأصل فى « الثلاث » أن يكون ممدودا فيقال « الثلاثاء » وقد قصره حين اضطر لإقامة الوزن ، ويروى عجز هذا البيت « أولى العداوة كل يوم ثلاثا » ويروى « أصفى العداوة ــ إلخ » .

٩ إِنَّ الهُمُومَ الطَّارِقَاتِكَ مَوْهِنًا ... مَنَعَتْ جُفُونَكَ أَنْ تَذُوقَ حِثَاثَا
١٠ وَرَأَيْتُ ضَيْفَ الهَمِّ لَا يَرْضَى قِرًى ... إِلَّا مُدَاخَلَةَ الفِقَارِ دِلَاثَا
١١ شَجْعَاءَ جِرَّتُهَا الذَّمِيلُ تَلُوكُهُ ... أُصُلًا إِذَا رَاحَ المَطِيُّ غِرَاثَا
١٢ أُجُدٍ إِذَا وَنَتِ المَهَارَى أَرْقَلَتْ ... رَقَلًا كَتَخْرِيقِ الغَضَا حَثْحَاثَا

---

(٩) الطارقاتك : أصل الطارق الذى يزور ليلا ، والموهن : القطعة من الليل ، والحثاث ـ بفتح الحاء أو كسرها ـ القليل من النوم ، ويقال : ماذقت غماضا ولا حثاثا ، أى ما نمت ، وإنما يستعملان فى النفى ، كما سمعت . يقول : إن الهموم التى زارتك ونزلت بك بعد انقضاء جزء من الليل قد سلبتك النوم وأطارت النعاس عن عينيك فلم يغمض لك جفن .

(١٠) ضيف الهم : من إضافة المشبه به للمشبه ، أى الهم الذى ينزل بى كما ينزل الضيف ، ويروى « لا يبغى قرى » أى لايطلب ، والقرى ـ بكسر القاف ـ ما يقدم للضيف ، وقد اقتفى أبو تمام قول الشاعر :

وإنى لأقرى الطارقات حزامة ... إذا كثرت للطارقات الوساوس

وقول الآخر :

وإنى لأقرى ضيف همى جسرة ... بدأيتهـا والقصريين علوب

ومداخلة الفقار : أراد ناقة هذه صفتها ، والفقار : خرز الظهر ، ويراد بهذه العبارة القوية الوثيقة الخلق ، والدلاث ـ بكسر الدال ـ الجريئة على السير . يريد أنه إذا نزل به الهم لم يجد لنفسه مخلصامنه إلا أن يقتعد غارب ناقة قوية سريعة ليسير بها إلى الممدوح .

(١١) شجعاء : أى طويلة ، والجرة ـ بكسر الجيم ـ ما تخرجه الناقة من جوفها إلى فمها فتجتر به ، والذميل : السريع من السير ، وتلوكه : تمضغه ، والأصل : جمع أصيل ، وهو الوقت عند اصفرار الشمس ، وغراث : جمع غرثى مؤنث غرثان ، وهو مثل جوعان وجوعى وجياع ، فى الوزن والمعنى ، ومثلهما ظمآن وظمأى وظماء ، وندمان وندمى وندام .

(١٢) تقول « ناقة أجد » بضم الهمزة والجيم جميعا ـ تريد أنها صلبة وثيقة ، وونت : فترت ، والمهارى : جمع مهرية منسوبة إلى مهرة ، وأرقلت : أسرعت ، =

١٣ طَلَبَتْ فَتَى جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ مَالِكاً ضِرْغَامَهَا وَهِزَبْرَهَا الدِّلْهَاثَا
١٤ مَلِكٌ إِذَا اسْتَسْقَيْتَ مُزْنَ بَنَانِهِ قَتَلَ الصَّدَى وَإِذَا اسْتُغِيثَ أَغَاثَا
١٥ قَدْ جَرَّبَتْهُ تَغْلِبُ ابْنَةَ وَائِلٍ لاَ خَاتِرًا غَدْرًا وَلاَ نَكَّاثَا
١٦ مِثْلُ السَّبِيكَةِ لَيْسَ عَنْ أَعْرَاضِهَا بِالْغَيْبِ لاَ نَدُسًا وَلاَ بَحَّاثَا
١٧ ضَرَحَ الْقَذَى عَنْهَا وَشَذَّبَ سَيْفُهُ عَنْ عِيصِهَا الْخُرَّابَ وَالْخُبَّاثَا
١٨ ضَاحِى الْمُحَيَّا لِلْهَجِيرِ وَلِلْقَنَا تَحْتَ الْعَجَاجِ تَخَالُه مِحْرَاثَا

= والرقل : اسم مصدر لأرقلت ، والغضا : شجر شديد الحريق ، والحثحاث : من وصف الرقل ، ومعناه السريع ، وهذا البيت تفسير وبيان للبيت الذى قبله .

(١٣) جشم بن بكر : بطن من بكر بن وائل إليه ينتمى المدوح ، والضرغام — بكسر الضاد — والهزبر — بوزن قمطر ، كلاهما من أسماء الأسد ، وتقول « أسد دلهاث — بكسر الدال ، ومثله الدلاهس بضم الدال — تريد أنه جرىء .

(١٤) المزن : السحاب ، وهو المطر أيضا ، والصدى : العطش ، وروى « وإذا استغثت أغاثا » .

(١٥) يروى « لا خاتلا عهدا » والخاتر مثل الغادر ، والغدر : مصدر منصوب على أنه مفعول لأجله ، ويضبطه قوم بضم الغين وفتح الدال ، وهذه الصيغة خاصة بالنداء ، والنكاث : صيغة مبالغة لناكث ، وهو الذى ينقض ما يبرم من العهود .

(١٦) شبهه بالسبيكة فى صفاء خلقه ونقاء عرضه ، والندس — بفتح النون وضم الدال — الكثير البحث عن أخبار الناس ، ويغلب استعماله فى البحث عن المثالب والمعايب .

(١٧) ضرح القذى : أزاله ونحاه ، وشذب ، هنا : فرق ، والخراب : جمع خارب ، وهو السارق ، وأصله الذى يسرق الإبل خاصة ، والخباث : أصله أن يكون جمع خابث ، والمستعمل « خبيث » وجمعه خبثاء ، فيجوز أن يكون قد بنى من الخبث على وزن فاعل للدلالة على النسب كتامر ولابن ، ثم جمعه على خباث .

(١٨) ضاحى : بارز ظاهر ، والهجير : حرارة الشمس ، والعجاج : ما ينعقد =

١٩ هُمْ مَزَّقُوا عَنْهُ سَبَائِبَ حِلْمِهِ وَإِذَا أَبُو الأَشْبَالِ أُحْرِجَ عَاثَا
٢٠ لَوْلاَ القَرَابَةُ جَاسَهُمْ بِوَقَائِعٍ تُنْسِى الكُلاَبَ وَمَلْهَماً وَبُعَاثَا
٢١ بِالخَيْلِ فَوْقَ مُتُونِهِنَّ فَوَارِسٌ مِثْلُ الصُّقُورِ إِذَا لَقِينَ بُغَاثَا
٢٢ لَكِنْ قَرَاكُمْ صَفْحَهُ مَنْ لَمْ يَزَلْ وَأَبُوهُ فِيكُمْ رَحْمَةً وَغِيَاثَا
٢٣ عَفُّ الإِزَارِ تَنَالُ جَارَةُ بَيْتِهِ أَرْفَادَهُ وَتُجَنَّبُ الأَرْفَاثَا

= من التراب فوق رؤوس المحاربين ، والمحراث : العود الذى تحرك به النار ، يريد أنه شجاع مفرط الشجاعة فهو يبرز فى شدة الحر ليقتحم غمرات الحرب ، وهو الذى يدير الحروب ويحركها .

(١٩) يروى « قد مزقوا - إلخ » والسبائب : جمع سبيبة ، وهى الشقة المستطيلة تقطع من ثوب ونحوه ، وأبو الأشبال : كنية من كنى الأسد ، وأحرج - بالبناء للمجهول - ضيق عليه ، وعاث : أفسد ، وكان الممدوح قد ولى أعمال نصيبين ، فخرج جماعة من بنى تغلب ، فأوقع بهم وقتل منهم جماعة .

(٢٠) جاسهم : يقال « جاس فلان البلاد ، وجاس القوم » إذا تخللهم وصار فى وسطهم ، وفى القرآن الكريم (بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار) ويروى « جاسهم بكتائب » جمع كتيبة ، وهى الفرقة من الجيش ، والكلاب بوزن الغراب وملهم وبعاث : أيام من أيام العرب ، احتدم فيها القتال وكثر الضحايا .

(٢١) بالخيل : يتعلق بقوله « جاسهم » فى البيت السابق ، والبغاث - بزنة الغراب أو السحاب أو الكتاب - طائر من ضعاف الطير ، وفيه ورد المثل « إن البغاث بأرضنا يستنسر » وورد فيه :

بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقلاة نزور

(٢٢) يروى « لكن قراكم عفوه » والصفح بوزنه ومعناه ، والغياث : أحد مصادر « غاثه يغوثه غوثا » وأصل معناه أنزل عليه الغيث وهو المطر ، ثم استعمل فى معنى أجاب غواثه : أى دعاءه ، والكثير فى هذا المعنى « أغاثه يغيثه » بزيادة الهمزة ، لكن المجرد مستعمل ، وعلى هذا يكون الغياث اسم مصدر بالنظر لأغاث .

(٢٣) عف الإزار : كناية عن العفة ، ويفسر بأن المراد ما تحت الإزار ، وقد جاء قول الشاعر : =

٢٤ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ بْنِ مَالِكٍ الَّذِى تَرَكَ الْعُلَى لِبَنِى أَبِيهِ تُرَاثَا
٢٥ رَدَعُوا الزَّمَانَ وَهُمْ كُهُولٌ جِلَّةٌ وَسَطَوْا عَلَى أَحْدَاثِهِ أَحْدَاثَا
٢٦ أَلْقَى عَلَيْهِ نِجَارُهُ فَأَتَى بِهِ يَقْظَانَ لَا وَرَعًا وَلَا مُلْتَاثَا
٢٧ تَزْكُو مَوَاعِدُهُ إِذَا وَعَدَ امْرَأً أَنْسَاكَ أَحْلَامَ الْكَرَى الْأَضْغَاثَا
٢٨ وَتَرَى تَسَحُّبَنَا عَلَيْهِ كَأَنَّنَا جِئْنَاهُ نَطْلُبُ عِنْدَهُ مِيرَاثَا
٢٩ كَمْ مُسْهِلٍ بِكَ لَوْ عَدَتْكَ قِلَاصُهُ تَبْغِى سِوَاكَ لَأَوْعَثَتْ إِيعَاثَا

= ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخى ثقة إزارى
والأرفاد : جمع رفد ــ بكسر الراء وسكون الفاء ــ وهو العطاء ، والأرفاث : جمع رفث ــ بوزن سبب وأسباب ، وهو الحديث عما يستقبح التصريح به .

(٢٤) يروى « جعل العلى » والتراث ــ بضم التاء ــ الميراث ، وأصله « وراث » فقلبت الواو تاء .

(٢٥) يروى « وزعوا الزمان » .

(٢٦) يروى « لا فزعا ولا ملتاثا » والنجار ــ بوزن الكتاب ــ الأصل ، وفى المثل « كل نجار إبل نجارها » والورع : الجبان أو الضعيف ، والملتاث : البطىء .

(٢٧) أضغاث الأحلام : المختلط منها المشتبه ، وأنساك : قيل أصله من النسيان ، والمراد أن مواعده تزيد وتنمو وتتحقق ، فى الوقت الذى تتخلف مواعد غيره تخلفا ينسيك تخلف أضغاث الأحلام لأنها فوق أضغاث الأحلام ، وزعم التبريزى أنه يروى «أمسى كأحلام الكرى أضغاثا » وقال ابن المستوفى : لم أجد رواية أمسى فى نسخة من النسخ .

(٢٨) تسحبنا : أى استطالتنا عليه ، ويروى « وترى تصخبنا » من الصخب بمعنى الجلبة والصياح ، وقال التبريزى : والتسحب : كلمة مبتذلة .

(٢٩) تقول « أسهل القوم » تريد أنهم نزلوا فى السهل ، و « أوعثوا » أى وقعوا فى الوعث ــ بفتح الواو وسكون العين ــ وهو الأرض التى تسوخ فيها القدم ، وقد استعار أبو تمام الإسهال لتسهل الحاجة وتيسر الوصول إليها ، كما أنه قد استعار الإيعاث لتعذر الحاجة وصعوبة الوصول إليها ، واشتق من هذا المستعار لفظ =

٣٠ خَوَّلْتَهُ عَيْشاً أغَنَّ ، وجَامِلاً دَثْراً ، وَمَالاً صَامِتاً ، وَأَثَاثَا

٣١ يَا مَالِكُ ابْنَ الْمَالِكِينَ أرَى الَّذِي كُنَّا نُؤَمِّــلُ مِنْ إيَابِكَ رَاثَا

٣٢ لَوْلاَ اعْتِمَادُكَ كُنْتُ فِي مَنْدُوحَةٍ عَنْ بَرْقَعِيــدَ وَأَرْضِ بَاعِينَاثَا

٣٣ وَالْكَامِخِيَّةُ لَمْ تَكُنْ لِي مَوْطِناً وَمَقَابِرُ اللَّذَّاتِ مِنْ قَبْرَاثَا

٣٤ لَمْ آتِهَا مِنْ أيِّ وَجْهٍ جِئْتُهَا إلاَّ حَسِبْتُ بُيُوتَهَا أجْدَاثَا

٣٥ بَلَدُ الْفِلاَحَةِ ، لَوْ أتَاهَا جَرْوَلٌ ـأعْنِي الْحُطَيْئَةَـ لاَغْتَدَى حَرَّاثَا

= « مسهل » بمعنى متمكن من قضاء حاجته ، ولفظ « أوعثت » بمعنى تعذر قضاؤها عليه « حتى عدتك » أى جاوزتك ، والقلاص : جمع قلوص ، وهى الناقة الفتية ، وكم : خبرية بمعنى كثير ، يقول : كثير من الناس أداهم قصدهم إياك إلى قضاء مآربهم وأغراضهم ، ولو أنهم قصدوا غيرك لما وصلوا إلى شىء .

(٣٠) خولته : ملكته ، ويروى « أعطيته » والعيش الأغن : الطيب الحسن الرغد ، ويروى « عيشا أغر » والجامل : جماعة الجمال ، والدثر : الكثير ، والمال الصامت : يراد به الذهب والفضة ، والأثاث : يراد به متاع الدور من بسط وفرش ونحو ذلك .

(٣١) إيابك: عودتك ورجوعك، ويروى « كنا نؤمل من عطائك » وراث: أبطأ .

(٣٢) لولا اعتمادك : أراد لولا قصدك ، ويروى « لولا رجاؤك » ويروى « لولا هواك لكنت ذا مندوحة » .

(٣٣) الكامخية : اسم بلد ، ويروى « والصالحية » ويروى أيضا « والمالكية » وقبراث : بفتح القاف فى قول الأكثرين ، ويقال : بضم القاف ، وهو اسم بلد أيضا .

(٣٤) يروى « لم آتها من أى قطر » والأجداث : جمع جدث ـ بفتح الجيم والدال ـ وهو القبر .

(٣٥) الحراث : صيغة النسب إلى الحراثة ، وهى فلاحة الأرض وزرعها ، =

٣٦ تَصْدَا بِهَا الأَفْهَامُ بَعْدَ صِقَالِهَا وَتَرُدُّ ذُكْرَانَ الْعُقُولِ إِنَاثَا

٣٧ أَرْضٌ خَلَعْتُ اللَّهْوَ خَلْعِيَ خَاتَمِي
فِيهَـا ، وَطَلَّقْتُ السُّرُورَ ثَلاَثَا

* * *

(٣١)

وقال يمدح أَبا الْمُغِيثِ موسى بن إبراهيم الرافقى :

١ صَرْفُ النَّوَى لَيْسَ بِالْمَـكِيثِ يَنْبِثُ مَا لَيْسَ بِالنَّبِيثِ

وإنما ذكر أبو تمام الحطيئة خاصة لأن الحطيئة وفد على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فشكا له الفقر والعيلة ، وكان مما قال له :

أشكو إليك ، فأشكنى ، ذرية لا يشبعون ، وأمهم لا تشبع
وجفاء مولاى الضنين بماله وولوع نفس همها بى موزع
والحرفة القدمى ، وأن عشيرتى زرعوا الحروث ، وأننى لا أزرع

(٣٦) تصدا : أصله تصدأ — بالهمز — من الصدأ ، فقلب الهمزة ألفا ؛ لانفتاح ما قبلها فصار مثل تسعى ، وأراد أنها محل غير مرغوب فيه ؛ لأن الأحوال فيه مليئة بالسوء .

* * *

(٣١)

وقعت هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ٣٠ تالية للقطعة السابقة ، وهى من مخلع البسيط .

(١) المكيث : معناه الماكث ، وفعل المكيث من باب شرف وكرم ، وفعل الماكث من باب خرج ، وينبث : أى يستخرج ، والمعنى أن صرف النوى — وهو البعد والفراق — ليس بمبطىء ، وأنه يستخرج من الوجد والقلق ما من شأنه ألا يخرج .

٢ هَبَّتْ لِأَحْبَابِنَا رِيَاحٌ غَيْرُ سَوَاهٍ وَلَا دُيُوثِ
٣ بُدُورُ لَيْلِ التَّمَامِ حُسْنًا ، عِينُ حُقُوفٍ ، ظِبَاهُ مِيثِ
٤ بَيْنَ الأَسَاوِرِ وَالْخَلَاخِيلِ وَالدَّمَالِيجِ وَالرُّعُوثِ
٥ مِنْ كُلِّ رُعْبُوبَةٍ تَرَدَّى بِثَوْبِ فَيْنَانِهَا الأَثِيثِ
٦ كَالرَّشَإِ الْعَوْهَجِ اطَّبَاهُ رَوْعٌ إِلَى مُغْزِلٍ رَغُوثِ
٧ رَعَتْ جَنَابَيْ عُوَيْرِضَاتٍ مِنْ خَزَمَاتٍ وَمِنْ شُثُوثِ

---

(٢) سواه : جمع ساهية ، وهى اللينة السهلة الهبوب ، وديوث : جمع ديث ـ بوزن بيت وبيوت وشيخ وشيوخ ـ وهو اللين . ويروى «ريوث» بالراء المهملة ، من الريث وهو التمهل والإبطاء ، والمعنى هبت لمن نحبهم رياح هذه صفتها فلم يقيموا على ودنا ، بل هجرونا وفارقونا .

(٣) العين ـ بكسر العين ـ جمع عيناء وهى الواسعة العين ، وأصله مما يوصف به بقر الوحش ، ثم يستعار للنساء ، والحقوف : جمع حقف ـ بكسر فسكون ـ وهو دعص من الرمل فيه انحناء ، والميث : جمع ميثاء وهى الأرض السهلة ، وربما قيل للسيل الأعظم فى الوادى : ميثاء .

(٤) الخلاخيل : جمع خلخال ، وهى حلية تلبسها النساء فى أرجلهن ، والأساور : جمع إسوار ، والدماليج : جمع دملوج ، وهما من حلى اليد ، والرعوث : القرطة وهى حلية الأذن ، ويقال فيها رعاث .

(٥) الرعبوبة : المرأة البيضاء الحلوة ، وتردى : أصله تتردى أى تجعله رداء ، فحذف إحدى التاءين ، والفينان : الطويل ، والأثيث : الكثير ، وأراد بالفينان الأثيث شعرها ، وصفه بالكثرة والطول وأنه يغطى جسدها كله فيصير لها كالرداء السابغ .

(٦) الرشأ : ولد الظبية ، والعوهج : الطويل العنق ، والأكثر استعماله فى وصف المذكر ، واطباه : دعاه ، والروع : الفزع ، والمغزل : الظبية معها غزال ، والرغوث : المرضعة .

(٧) عويرضات : موضع ، والخزمات : جمع خزمة ، وهى شجرة يفتل من لحائها الحبال ، والشثوث : جمع شث ، وهو نبت ترعاه الظباء .

٨ وَلاَحِبٍ مُشْكِلِ النَّواحى مُنْخَرِقِ السَّهْلِ وَالْوُعُوثِ
٩ لَمْ تزْجَرِ الْعِيسُ فِى قَرَاهُ مُذْ عَصْرِ نُوحٍ وَعَصْرِ شِيثِ
١٠ كَأَنَّ صَوْتَ النَّعامِ فيهِ إِذَا دَعَا صَوْتُ مُسْتَغِيثِ
١١ قَلَّصْتُهُ بِالْقِلاَصِ تَهْوِى بِالْوَخْدِ مِنْ سَيْرِهَا الْحَثِيثِ
١٢ مِنْ كُلِّ صُلْبِ الْقَرَى مَعُوجٍ وَكُلِّ عَيْرَانَةٍ دَلُوثِ
١٣ ذِى مَيْعَةٍ مشْبِهُ الدِّفَقَّى وَذَاتِ لَوْثٍ بِهَا مَلُوثِ
١٤ يَطْلُبْنَ مِنْ عَقْدِ وَعْدِ مُوسَى غَيْرَ سَحِيلٍ وَلاَ نَكِيثِ

---

(٨) اللاحب : الطريق المسلوك الذى تدوسه الإبل بأخفافها ، ومنخرق : واسع ، والوعوث : جمع وعث وهو ضد السهل .

(٩) العيس : الإبل ، واحدها أعيس أو عيساء ، وقراه — بفتح القاف — أعلاه .

(١٠) من عادة النعام ألا يقر ويسكن إلا فى الأماكن الموحشة القفرة التى لا أنيس بها ؛ فلهذا خصه بالذكر .

(١١) قلصته : جبته وقطعته ، وأصله قولهم « قلص فلان إزاره » إذا شمره ، وقالوا « قلص الظل » إذا قصر ، وتهوى : تنصب من أعلى إلى أسفل ، ويروى « سربته بالقلاص تترى » ومعنى تترى : يسير بعضها فى إثر بعض ، والوخد : نوع من السير السريع .

(١٢) القرا: الظهر ، والمعوج : الذى يسير سيرا سهلا ، والعيرانة : الناقة الصلبة ، والدلوث : الجريئة على السير ، والأكثر فى الاستعمال « دلاث » .

(١٣) الميعة : النشاط ، أو أوله ، والدفقى : مشى واسع الخطو كأن ماشيه يتدفق فيه ، وذات لوث : قوية ، وملوث : صفة للوث ، و « بها » يتعلق بملوث ، يريد أن القوة قد لبثت بها ، أو طويت عليها .

(١٤) يروى « يطلبن من عقد عهد موسى » والسحيل: ضد المبرم، والنكيث : المنكوث أى المنقوض .

١٥ بَنَانُ مُوسَى إِذَا اسْتَهَلَّتْ لِلنَّاسِ نَابَتْ عَنِ الْغُيُوثِ
١٦ حَيْثُ النَّدَى وَالسَّدَى جَمِيعاً وَمَلْجَأُ الْخَائِفِ الْكَرِيثِ
١٧ حَيْثُ لَبُونُ النَّوَالِ تَهْمِي غَيْرَ شَطُورٍ وَلاَ ثَلُوثِ
١٨ وَالْمَجْدُ مِنْ تَالِدٍ قَدِيمٍ ثَمَّ ، وَمِنْ طَارِفٍ حَدِيثِ
١٩ إِنْ تَسْتَبِثْهُ تَجِدْ عُرَاماً مِنْ مُسْتَبَاثٍ لِمُسْتَبِيثِ
٢٠ وَحَيَّةٌ أُفْعُوَانَ لِصْبٍ تَعِيثُ فِي مُهْجَةِ الْعُيُوثِ
٢١ تَغْدُو الْمَنَايَا مُسَخَّرَاتٍ وَقْفاً عَلَى سَمِّهِ النَّفِيثِ
٢٢ وَصَارِمَ الشَّفْرَتَيْنِ عَضْباً غَيْرَ دَدَانٍ وَلاَ أَنِيثِ

---

(١٥) استهلت : نزلت بالمطر ، وهم يقولون « استهل السحاب » و « استهلت السماء » إذا همت بالمطر ، والغيوث : جمع غيث وهو المطر .

(١٦) الكريث : الذى أثقله الهم ، والندى : الجود ، والسدى : المعروف .

(١٧) أصل اللبون ذات اللبن من النوق والشياه ، وتهمى : تسيل، والشطور : التى يبس شطر أخلافها أى نصفه ، والثلوث : التى يبس ثلاثة أخلاف من أربعتها ، يريد أنها ذات لبن تام كثير لأن جميع أخلافها موجود يدر باللبن .

(١٨) المجد التالد : الذى ورثته عن آبائك ، وثم — بفتح الثاء — أى هناك ، والطارف : ما أحدثته أنت ولم ترثه .

(١٩) تستبثه : تستخرج ما عنده ، والعرام — بضم العين — ما يظهر من شدة الرجل فى الحرب والخصومة ونحوها ، والمستباث : الذى يستخرج ما عنده ، والمستبيث : الذى يفعل ذلك .

(٢٠) من عادة الشعراء أن يعبروا عن الرجل الشديد بالحية ، والأفعوان : ذكر الحيات ، وأضيف إلى اللصب — وهو الشعب فى الجبل — لأن كونه فى هذا المكان أشد له ، ويعيث : يفسد .

(٢١) النفيث : المنفوث .

(٢٢) الصارم : أراد به السيف ، والعضب : القاطع ، والددان : الكهام غير القاطع ، والأنيث : المصنوع من حديد ردىء .

٢٣ لَيْثٌ وَلٰكِنَّهُ حِمَـــامٌ صُبَّ انْتِقَامًا عَلَى اللُّيُوثِ
٢٤ أَنْكِدْ بِأَرْىِ النَّوَالِ مَا لَمْ يَخْلُ مِنَ الْعُشْبِ وَاللَّوِيثِ
٢٥ مَا الْجُودُ بِالْجُودِ أَوْ تَرَاهُ لَيْسَ بِنَزْرٍ وَلاَ لَبِيثِ
٢٦ طَالَ الْمَدَى فَاعْتَرَاكَ عَتْبٌ مِنْ صَادِقِ الْوُدِّ مُتَرِيثِ
٢٧ خُذْهَا فَمَا نَالَهَا بِنَقْصٍ مَوْتُ جَرِيرٍ وَلاَ الْبَعِيثِ
٢٨ وَكُنْ كَرِيمًا تَجِدْ كَرِيمًا فِي مَدْحِهِ يَا أَبَا الْمُغِيثِ

* * *

(٢٣) الحمام ـ بكسر الحاء ـ الموت .

(٢٤) أنكد بأرى النوال : عبارة تعجب بمعنى ما أنكدها لأنها بلغت فوق الغاية من النكد ، وأصل الأرى العسل ، والنوال : العطاء ، واللويث : ما يحيط بالشيء وليس منه ، ويروى « ما لم يخل من العشب والجثوث » والجثوث : جمع جث ، وهو الشمع لاعسل فيه ومايموت من النحل ، شبه عطاء ذى العطاء بالعسل ، ثم ذكر أن هذا العسل إذا لم يخل من العشب والشمع الفارغ وميتة النحل يكون غير مرضى ولا محبوب ، وكذلك العطاء إذا لم يخل من شوائب المن ونحوه .

(٢٥) « أو » ههنا بمعنى إلا ، والنزر : القليل ، واللبيث : البطىء .

(٢٦) يروى « فاعتراك قول » ويروى « من عجل المدح » .

(٢٧) يريد أن هذه المدحة لا ينقصها موت المشهورين من الشعراء ، لأنى لا أقل عنهم قدرة على القول الجيد ، وما ذكر « البعيث » إلا لأن القافية اقتضته .

(٢٨) اعترض النقاد على هذا البيت ، وقالوا : إنه هجاء لا مديح ، وكيف يطلب منه أن يكون كريما ، وذلك يستدعى أنه ليس بكريم ، قالوا : ولو أراد أن يكون مصيبا لا اعتراض عليه لقال :

عجل بجود تجد عجولا بشكره ، يا أبا المغيث

* * *

حرف الجيم

(٣٢)

وقال يمدح أبا سَعِيدٍ محمدَ بنَ يوسفَ الثَّغْرِيَّ ، ويصف وَقْعته بالْخُرَّمِيَّة :

١ أَبَى فَلاَ شَنَبًا يَهْوَى وَلاَ فَلَجَا وَلاَ احْوِرَاراً يُرَاعِيهِ وَلاَ دَعَجَا

٢ كُفِّي فَقَدْ فَرَّجَتْ عَنْهُ عَزِيمَتُهُ ذَاكَ الْوُلُوعَ وَذَاكَ الشَّوْقَ فَانْفَرَجَا

٣ كَانَتْ حَوَادِثُ فِي مُوقَانَ مَا تَرَكَتْ لِلْخُرَّمِيَّةِ لاَ رَأْساً وَلاَ ثَبَجَا

---

(٣٢)

وردت هذه القصيدة فى شرح التبريزى برقم ٣١ أول حرف الجيم تالية للقصيدة السابقة ، كما هنا ، وكذلك وردت فى المصرية وفى مطبوعة بيروت ١٩٢٨ .

(١) أبى : أى امتنع ، وحذف مفعول أبى ، وتقديره : أبى العشق ، ونحوه ، والشنب : طيب ريح الفم ، والفلج : تباعد ما بين الأسنان ، وهو مما يتمدح به ، والاحورار : حور العين ، وهو أن يشتد بياض بياضها ويشتد سواد سوادها ، والدعج : سواد العين خلقة .

(٢) كفى : أراد اتركى ما توجهينه لى من الملام والعذل ، والولوع : شدة الحب ، بعد أن ذكر فى البيت الأول أنه ترك الصبوة والغرام بمن حسنت صورتها وجه الكلام إلى عاذلته فقال لها : اتركى لومك فإن عزيمتى قد طاوعتنى على السلو ، وإنى قد سلوت ، فلم يبق لك مجال للعذل واللوم .

(٣) ثبج كل شىء : معظمه ، والثبج : الظهر ، وموقان : اسم بلد ، والخرمية : أتباع بابك الخرمى ، كان رجلا إباحيا لا يرعى للدين حرمة ، لا يحظر على نفسه شيئا مما حرمه الشرع ، وقد تبعه على ذلك قوم من طغام الناس ، فاستأصلتهم جيوش محمد ابن يوسف الممدوح .

٤ تَهَضَّمَتْ كُلَّ قِرْمٍ كَانَ مُهْتَضِماً ... وَفَتَّحتْ كلَّ بابٍ كانَ مُرْتَتِجَا

٥ أَبْلِـغْ مُحَمَّداً المُلْقِي كَلاَ كِلَهُ ... بِأَرْضِ خشٍ أَمَامَ القَوْمِ قَدْ لُبِجَا

٦ مَا سَرَّ قَوْمَكَ أَنْ تَبْقَى لَهُمْ أَبَدًا ... وأَنَّ غَيْرَكَ كَانَ اسْتَنْزَلَ الـكَذَجَا

٧ لما قَرَا النَّاسُ ذَاكَ الفَتْحَ قُلْتُ لَهُمْ: ... وَقَائعٌ حَدِّثُوا عَنْهَا وَلاَ حَرَجَا

٨ أَضَاءَ سَيْفُكَ لمَّا اجْتُثَّ أَصْلُهُمُ ... مَا كَانَ مِنْ جَانِبَيْ تِلْكَ البِلاَدِ دَجَا

---

(٤) فى بعض النسخ « تهضمت كل قرن » وتهضمت : أراد أتت عليه ، وكان مهتضما : أى كان يهتضم الناس وينتقصهم ، والمرتتج : المغلق ، تقول : أرتجت الباب فارتتج .

(٥) الـكلـكل : الصدر ، وللانسان كلـكل واحد ، ولـكنه جمعه على أحد ثلاثة أوجه : إما لأنه جعل كل جزء من الـكلـكل كلـكلا ، وإما لأنه أراد الصدر وماحوله، وإمالأنه أراد أصحابه معه — ولـكل منهم كلـكل — لأنهم يأتون بمثل مايأتى به ويفعلون مثل فعله ، وخش : اسم موضع ، ويروى «أمام الموت» ولبج —بالبناء للمجهول — ألقى نفسه على الأرض من تعب أو مرض ، يروى أن محمد بن يوسف الممدوح كان العدو قد أوقد نارا فى طريقه ليصده بها عن السير إليهم، فلم يعقه شىء من ذلك ورمى بنفسه على النار — بعد أن لبس ثياب النفاطين — واستطاع الظفر بهم .

(٦) الـكذج : موضع بعينه ، يريد أن قوم الممدوح — مع حبهم له، ومع أنه فيهم بالمنزلة التى لايدانيه فيها أحد — لم يكن ليسرهم أن يعيش هو ويكون له الخلود بينهم وأن غيره قام بهذا الفتح .

(٧) قرا : أصله قرأ — بالهمزة — فقلب الهمزة ألفا لانفتاح ما قبلها ، و «حدثوا عنها ولاحرج » يريد أن كل ما قلتم فى شأن هذه الوقائع مقبول لا تزيد فيه، لأنه كان عجبا من العجب .

(٨) اجتث : استؤصل ، ودجا : أظلم ، يريد أن البلاد قد أنارت وذهبت ظلمتها بالفتح .

٩ مِنْ بَعْدِ مَا غُودِرَتْ أُسْدُ الْعَرِينِ بِهِ
يَذْبَحْنَ قَسْراً رَعَاعَ الْفِتْنَةِ الْهَمَجَا

١٠ لاَ تَعْدَمَنَّ بَنُو نَبْهَانَ قَاطِبَةً
مَشَاهِدًا لَكَ أَمْسَتْ فِي الْعُلاَ سُرُجَا

١١ إِنْ كَانَ يَأْرَجُ ذِكْرٌ مِنْ بَرَاعَتِهِ فَإِنَّ ذِكْرَكَ فِي الآفَاقِ قَدْ أَرِجَا

١٢ وَيَوْمَ أَرْشَقَ وَالآمَالُ مُرْشِقَةٌ إِلَيْكَ لاَ تَبْتَغِى عَنْكَ مُنْعَرَجَا

١٣ أَرْضَعْتَهُمْ خِلْفَ مَكْرُوهٍ فَطَمْتَ بِهِ
مَنْ كَانَ بِالْحَرْبِ مِنْهُمْ قَبْلَهُ لَهِجَا

١٤ لِلَّهِ أَيَّامُكَ اللاَّتِي أَغَرْتَ بِهَا
ضَفْرَ الْهُدَى ، وَقَدِيماً كَانَ قَدْ مَرِجَا

---

(٩) أصل العرين الشجر الملتف ، ويراد به مسكن الأسود ، وأصل الرعاع صغار الذباب والبعوض ، ويراد به من لاخير فيه من الناس ، وهو الذى يراد بالهمج أيضا ، ويروى « بها » .

(١٠) سرج : جمع سراج ، ووزنه كتاب وكتب .

(١١) يأرج : تضوع له ريح طيبة العرف .

(١٢) أرشق : اسم موضع بعينه ، والآمال مرشقة : تديم النظر والتطلع إلى العواقب ، وأصله قولهم « أرشقت المرأة » و « أرشقت الظبية » إذا أدامت النظر ومدت عنقها ، وقيل : إذا أحدت النظر ، والمنعرج : المنعطف .

(١٣) الخلف ــ بكسر الخاء ــ للناقة مثل الثدى للمرأة ، وقد استعاره للمكروه ، وفطم الطفل : قطع رضاعه ، يقول : إنه أثار عليهم حربا لما صلوها حلفوا لا يعودون لمثل أسبابها ؛ لأنهم لا قبل لهم بها .

(١٤) أغرت : أحكمت ، وأصله قولهم « أغار فلان الحبل » إذا أحكم فتله ، والضفر : مصدر ضفر الحبل يضفره ضفرا ، إذا فتله ، ومرج الأمر : اضطرب .

١٥ كَانَتْ عَلَى الدِّينِ كَالسَّاعَاتِ مِنْ قِصَرٍ
وَعَدَّهَا بَابَكٌ مِنْ طُولِهَا حِجَجَا

١٦ أَصْبَحْتَ تَدْلِفُ بِالأَرْضِ الفَضَاءِ لَهُ
نَصْبًا ، وَأَصْبَحَ فِي شِعْبَيْهِ قَدْ لَحِجَا

١٧ عَادَتْ كَتَائِبُهُ لَمَّا قَصَدْتَ لَهَا
ضَحَاضِحًا وَلَقَدْ كَانَتْ تُرَى لُجَجَا

١٨ لَمَّا أَبَوْا حُجَجَ القُرْآنِ وَاضِحَةً
كَانَتْ سُيُوفُكَ فِي هَامَاتِهِمْ حُجَجَا

١٩ أَقْبَلْتَهُ فَخْمَةً جَأْوَاءَ لَيْسَ تَرَى
فِي نَظْمِ فُرْسَانِهَا أَمْتًا وَلاَ عِوَجَا

---

(١٥) يريد أن هذه الأيام كانت قصيرة عند المسلمين لأنهم أحرزوا النصر والظفر ، وكانت طويلة على بابك لما وقع فيه من الهزيمة والقتل ، والحجج : جمع حجة ـ بكسر الحاء ـ وهى السنة .

(١٦) تدلف : تمشى مشيا رويدا ، ونصبا : يحتمل وجهين ، الأول : أن يكون من قولهم « نصب فلان لفلان نصبا » إذا عاداه ، ويكون حينئذ مفعولا لأجله ، والوجه الثانى : أن يكون من قولهم « نصب فلان لفلان » إذا قصده ، ويكون حينئذ مفعولا مطلقا ، ولحج : مأخوذ من قولهم « لحج فلان فى مكان ضيق » إذا نشب ، فيه ويروى « تدلف فى الأرض » .

(١٧) الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الفصيلة من الجيش ، ويروى « لما دلفت لها » والضحاضح : جمع ضحضاح ، وهو القليل من الماء ، واللجج : جمع لجة ، وهى الماء الكثير المستبحر .

(١٨) الحجج : جمع حجة ـ بضم الحاء ـ وهى الدليل ، يريد لما امتنعوا عن قبول أدلة القرآن جعلت الحجة عليهم السيوف تجز بها هاماتهم ، وسمى السيف حجة من باب المشاكلة .

(١٩) أقبلته : جعلت قبالته ، وأراد بالفخمة الكتيبة العظيمة ، والجأواء : أراد بها الكثيرة السلاح ، وأصله التى يعلوها صدأ الحديد ، والأمت : أن يكون فى الأرض ارتفاع وهبوط .

٢٠ إِذَا عَلاَ رَهَجٌ جَلَّتْ صَوَارِمُهَا وَالذُّبَّلُ السُّمْرُ مِنْهَا ذَلِكَ الرَّهَجَا

٢١ بِيضٌ وَسُمْرٌ إِذَا مَاغَمْرَةٌ زَخَرَتْ
لِلْمَوْتِ خُضْتُ بِهَا الأَرْوَاحَ وَالْمُهَجَا

٢٢ نَزَّالَةٌ نَفْسَ مَنْ لاَقَتْ، وَلاَ سِيَماَ
إِنْ صَادَفَتْ ثُغْرَةً، أَوْ صَادَفَتْ وَدَجَا

٢٣ رَأْىُ الْحُمَيْدَيْنِ أَلْقَحْتَ الأُمُورَ بِهِ
مَنْ أَلْقَحَ الرَّأْىَ فِي يَوْمِ الْوَغَى نَتَجَا

٢٤ لَوْ عَايَنَاكَ لَقَالاَ بَهْجَةً جَذَلاً :
أَبْرَحْتَ ، أَيْسَرُ مَا فِي الْعِرْقِ أَنْ يَشِجَا

---

(٢٠) الرهج : الغبار ، وجلت : كشفت ، والصوارم : السيوف ، والذبل : الرماح ، ويروى الزرق فى مكان « السمر » .

(٢١) أصل الغمرة الماء الكثير ، ثم استعمل فى كل شدة ، ومعنى زخرت ارتفعت .

(٢٢) يروى « نزاعة » ويروى « بزالة » ويروى « مسلوبة نفس من لاقت » والغرض وصف السيوف والرماح بأنها تنزع نفوس من تلاقيه أو تبزل دماهم أى تسيلها ، ولا سيما : بتخفيف الياء ، وهى لغة ، والثغرة : نقرة النحر .

(٢٣) الحميدين : مثنى حميد ــ بضم الحاء ــ وأراد حميدا الطوسى وحميد بن قحطبة ، وهما طائيان ، والإلقاح والنتاج أصلهما أن يستعملا فيما يلد من الحيوان ، فاستعملهما فى الرأى تجوزا ، كعادته فى الإغراب ، وأراد أن من ضم إلى رأيه رأى أهل السداد وصل إلى الصواب وأدرك ما يريد ، والوغى : الحرب ، وجعله ينتج لأن المحارب الظافر يغتم الغنائم .

(٢٤) عايناك :شاهداك ورأياك، والبهجة: الفرح ، والجذل ــ بفتح الجيم والذال ــ مثله ، ويروى « فرحة جذلا » ويروى « بهجة وهوى » ويروى « لهجة وهوى » أى لهجة بذكرك وهوى لك، وأبرحت : جئت بالعجب ، وأراد من العرق صلة ما بين الحميدين والممدوح ، ويشج : يتصل ، يقول : إذا كان للانسان قريب له خلق ممدوح فإن أيسر ما يناله منه أن يكون فيه بعض ما فيه من المادح .

٢٥ أَحَطْتَ بِالْحَزْمِ حَيْزُومًا أَخَاهُمُ
كَشَّافَ طَخْيَاءَ لاَ ضَيْقًا وَلاَ حَرِجَا

٢٦ سَمَّوْا حُسَامَكَ وَالْهَيْجَاءُ مُضْرَمَةٌ
كَرْبَ الْعُدَاةِ ، وَسَمَّوْا رأيَكَ الْفَرَجَا

٢٧ إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَصْرٍ فَعَنْ قَدَرٍ
تَنْجُو الرِّجَالُ ، وَلٰكِنْ سَلْهُ كَيْفَ نَجَا

٢٨ قَدْ حَلَّ فِي صَخْرَةٍ صَمَّاءَ مُمْنِقَةٍ فَانْحَتْ بِرأيِكَ فِي أَوْعَارِهَا دَرَجَا

٢٩ وَغَادِهِ بِسُيُوفٍ طَالَمَا شُهِرَتْ فَأَخْلَفَتْ مُتْرَفًا مَا كَانَ قَبْلُ رَجَا

(٢٥) الحيزوم : الصدر ، وأخاهم : وصف له ، وجعله التبريزى منادى معترضا به بين الموصوف وصفته ، وليس بذاك ، والطخياء : أصلها الليلة المظلمة ، وأراد به هنا الفتنة . ووقع فى رواية الصولى وحده بعد هذا البيت قوله :

فالثغر والساكنوه لا يؤودهم ما عشت فيهم أطار الدهر أم درجا

ولم يرد في المصرية ولا فى مطبوعة بيروت ، لذلك رأينا ألا نثبته فى الأصل، وأن نكتفى بالتنبيه عليه .

(٢٦) سموا : من التسمية ،وهى وضع اسم لمن تسميه ،يعنى أنهم قد وضعوا لسيفه اسماً وهو « كرب العداة » ووضعوا لرأيه اسماً وهو « الفرج » .

(٢٧) أبو نصر : يقال هو بابك ، ويقال هو أحد أتباعه ، ويروى بدل تنجو الرجال « ينجو العدو » ويروى « ينجى الرجال » وفى قوله « ولكن سله كيف نجا » إيماء إلى أنه كان فى شرحال .

(٢٨) صخرة صماء : يروى « فى صخرة شماء » ويروى « فى صخرة تبهاء » ومعنقة : أى عالية مرتفعة ، والأوعار : جمع وعر ــ بفتح الواو وسكون العين ــ وهو الذى يشق على سالكه ، والمراد من قوله « فانحت برأيك ــ إلخ » اجعل إليها سبيلا يسلكه من يريد الوصول إليها ، فإن رأيك السديد خليق بذلك .

(٢٩) غاده : اغد عليه ، من الغدو ، طالما شهرت : كثيرا ما شهرها أصحابها فكان من أثرها أن أخلفت رجاء العدو ، فلم تتركه ينال شيئاً من آماله ، والمترف : المنعم .

٣٠ وَشُزَّبٍ مُضْمَرَاتٍ طَالَمَا خَرَقَتْ
مِنَ الْقَتَامِ الَّذِى كَانَ الْوَغَى نَسَجَا
٣١ وَيُوسُفِيِّينَ يَوْمَ الرَّوْعِ تَحْسَبُهُمْ هُوجًا، وَمَا عَرَفُوا أَفْنًا وَلاَ هَوَجَا
٣٢ مِنْ كُلِّ قَرْمٍ يَرَى الْإِقْدَامَ مَأْدُبَةً
إِذَا خَدَا مُعْلِمًا بِالسَّيْفِ أَوْ وَسَجَا
٣٣ تَنْعَى مُحَمَّداً الثَّاوِى رِمَاحُهُمُ وَيَسْفَحُونَ عَلَيْهِ عَبْرَةً نَشَجَا

---

(٣٠) وشزب : أراد خيلا ، وهو معطوف على « سيوف » ومضمرات : أى ضامرات البطون ، وهو مما يمتدح فى الخيل،ويروى«ضمرات»والقتام : الغبار ، يريد أن الغبار إذا انعقد وتراكم فوق رؤوس المحاربين من آثار جولانهم فى المعركة اخترقت هذه الخيول الغبار ولم تحجم .

(٣١) يوسفيين : رجال منسوبين إلى يوسف ، وهو أبو الممدوح ، فإنه محمد ابن يوسف ، يعنى قوماً من رهطه ، والروع : الفزع والخوف ، وتحسبهم : تظنهم ، والهوج : جمع أهوج وهو الذى يركب رأسه ويمضى فى الأمور بغير روية ولاأناة ، والشجاعة الفائقة تظن هوجا ، يريد أن من رأى إقدامهم وجراءتهم ظنهم هوجا ، وإنما ذلك بسالة نادرة وشجاعة تفوق الحد .

(٣٢) القرم ــ بفتح القاف ــ أصله الفحل من فحولة الإبل ، ثم استعاروه لسيد القوم ورئيسهم ، والمأدبة : الطعام يدعى إليه ، وهو أيضاً الأدب الذى يحمل بالكرام اتباعه ، وخدا : أى وخد ، والوخد والوسج : ضربان من السير السريع ، وزنهما واحد ، ومعلما : جاعلا لنفسه علامة يعرف بها ، و « بالسيف » متعلق بقوله خدا ، ووسج : معطوف على خدا .

(٣٣) محمد : هو محمد بن حميد الطوسى ، وكان قد قتل فى معركة من المعارك فى حرب بابك ، والثاوى : أى المقيم فى مكانه لا يبرحه ، يريد الميت ، ويسفحون : يسكبون ويريقون ، والعبرة : الدمعة ، ونشج : مصدر نشج ينشج ــ من باب فرح ــ أى غص ببكائه ، وهو مفعول مطلق عامله يسفحون ، ويروى « نشجا » بضم النون والشين جميعاً ــ جمع ناشج ، فيكون حالا من واو الجماعة فى « يسفحون » .

٣٤ قَدْ كَانَ يَعْلَمُ إِذْ لاَقَى الحِمَامَ ضُحًى لاَ طَالِباً وَزَرًا مِنْهُ وَلاَ وَحَجَا

٣٥ أنْ سَوْفَ تُهْدِى إِلَى أَثْآرِهِ بُهَمًا
يُمْشِي الرَّدَى مُسْرِياً فِيهَا وَمُدَّلِجَا

٣٦ لَوْ لَمْ يَكُنْ هَـكَذَا هَذَا لَدَيْهِ إِذَنْ
مَامَاتَ مُسْتَبْشِراً بِالْمَوْتِ مُبْتَهِجـاَ

٣٧ لَوْ أَنَّ فِعْلَكَ أَمْسَى صُورَةً لَثَوَى
بَدْرُ الدُّجَى أَبَداً مِنْ حُسْنِهَا سَمِجَا

* * *

---

(٣٤) الحمام ـ بكسر الحاء ـ الموت ، والوزر : الملجأ ، والوحج مثله ، وأصله الوجح ـ بتقديم الجيم ـ فقلب الـكلمة قلباً مكانياً بتقديم بعض حروفها على بعض .

(٣٥) أثآره : جمع ثأر ، وهو الأخذ بدم القتيل ، والبهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع الذى ينبهم أمره على منازليه فلا يعرفون من أين يأتونه ، والإسراء : السير عامة الليل ، والمسرى: اسم الفاعل منه ، والادلاج : السير من آخر الليل ، يقول : كان يعلم أنك لابد آخذ بثأره .

(٣٦) هذا : اسم يكن ، وهكذا : خبر يكن تقدم على اسمه ، يريد أنه لو لم يكن يعلم أنك آخذ له بثأره على هذا الوجه ما أسلم نفسه إلى الموت ، لأنه كان قادراً على النجاة .

* * *

(٣٣)

وقال يمدح قومه :

١ أَأَطْلَالَ بِنْتِ الْعَامِرِيِّ بِمَنْبِجِ غَنَاؤُكِ مَحْظُورٌ عَلَى الدَّنِفِ الشَّجِي

٢ أَجِيبِي سُؤَالِي وَاعْرِفِي إِنْ عَرَفْتِهِ مَقَامِيَ عَنْ صَحْبِي وَحَقَّ تَعَرُّجِي

٣ وَمِنْ فَعَلَاتِ الدَّهْرِ تَوْقَافُ ذِي حِجًى عَلَى عَرَصَاتٍ كَالْكِتَابِ الْمُثَبَّجِ

---

(٣٣)

هذه القصيدة لم ترد فى شرح التبريزى ، ولا فى المطبوعة المصرية ، ولا فى مطبوعة بيروت بنظر الأستاذ محي الدين الخياط ، ووردت فى مطبوعة بيروت ١٩٢٨ .

(١) الأطلال : جمع طلل، وهو ماشخص وارتفع من آثار الديار ، ومنبج : بلد، والغناء ـ بفتح الغين ـ النفع ، ومحظور : ممنوع ، والدنف ـ بفتح الدال وكسر النون ـ الذى برح به الوجد فأشفى منه على الخطر ، والشجى : الحزين .

(٢) تعرجى : أى ميلى إليك عن الطريق المسلوك .

(٣) توقاف : أحد مصادر وقف ، ومثله تذراف وتسكاب وتوكاف فى ذرف وسكب ووكف ، ووقع فى مطبوعة بيروت « توقان » بالنون ـ محرفاً ، والحجى ـ بكسر الحاء ـ العقل ، والعرصات : جمع عرصة ، وهى كل بقعة بين الدور ليس فيها بناء ، والكتاب المثبج : الذى عمى كاتبه خطه ولم يبينه ، ومن عادة الشعراء أن يشبهوا الأطلال بالكتاب ، ومن ذلك قول امرىء القيس :

لمن طلل أبصرته فشجانى كخط زبور فى عسيب يمان

ومن ذلك قول الهذلى :

عرفت الديار كرسم الدوى يزبره الكاتب الحميرى

ومن ذلك قول امرىء القيس أيضا :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان وربع خلت آياته منذ أزمان

أتت حجج بعدى عليها فأصبحت كخط زبور فى مصاحف رهبان

٤ أَرَبَّتْ بِهَا الأَنْوَاءُ بَعْدَكَ، وَارْتَمَى ... بِهَا نَأَجَانُ الرِّيحِ مِنْ كُلِّ مَنْأَجِ

٥ فَلِلْعَيْنِ مِنْهَا أَنْ تَرَى سَحْقَ أَيْصَرٍ ... قِلَادَةَ مُلْقًى بِالْعَرَاءِ مُشَجَّجِ

٦ وَمَظْؤُورَةٍ مِنْ غَيْرِ كُرْهٍ وَلَا رِضًا ... عَلَى دَاثِرٍ بَالِي السَّمَادَةِ أَخْرَجِ

٧ وَهَلْ ذَاكَ أَوْسٌ مِنْ فَرِيقٍ عَهِدْتُهُ ... بِهَا وَالنَّوَى مُلْتَامَةٌ لَمْ تُحَلَّجِ

٨ لَهُمْ جَامِلٌ مِنْ رَائِحٍ وَمُعَزِّبٍ ... زُهَاءَ أَشَاءِ الْبَصْرَةِ الْمُتَنَجْنِجِ

---

(٤) أربت بها : لزمتها ولم تفارقها ، والأنواء : جمع نوء ، وأراد به هنا المطر ، ونأجان الريح : هبوبها ، ومنأج : مكان الهبوب ، يريد أن الأمطار والرياح أطالت ملازمة هذه الديار حتى عفت آثارها .

(٥) الأيصر : الحبل الذى يربط به الخباء ، وسحق أيصر : هو البالى منه ، وأراد بالمشجج الوتد لأنه يضرب ويدق ، يعنى أن العين ترى البالى من حبال أخبيتهم وهو ملفوف حول عنق الوتد .

(٦) أراد بالمظؤورة الأثافى ، وهى الحجارة التى كانوا ينصبونها ليضعوا قدورهم عليها ، والداثر : البالى ، وعنى ببالى السمادة الرماد الذى تخلف عن نارهم ، والأخرج الذى فى لونه بياض وحمرة .

(٧) الأوس : العطية ، تقول: آسه يؤوسه أوسا ، تريد أعطاه ، وملتامة : أصلها ملتئمة أى مجتمعة غير متفرقة ، فقلب الهمزة ياء لانكسارها ، ثم قلب الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، أو قلب الهمزة ألفاً من أول الأمر لانفتاح ما قبلها ، والأول أقعد فى العربية ، ولم تحلج : يريد لم تفرقنا ، ينكر أن تكون الآثار البالية ـ من الحبل الرث والوتد المشجج والأثافى ـ عوضاً عمن كان يألفهم فى هذه الديار .

(٨) الجامل : جماعة الإبل ، والرائح منها ما يروح إلى المراح ليلا ، والمعزب : ضده ، والأشاء : النخل ، والمتنجنج : الملتف الذى يضطرب إذا حركته الريح .

٩ أَفَانِينُ خِلاَّن لَهَا وَخَلاَئِل عَوَاسِرُ بِرٍّ فَارِكَاتُ التَّبَرُّجِ

١٠ يُطِفْنَ بِمِثْلِ الْبَدْرِ يَرْنُو إِذَا رَنَا بِعَيْنَيْ وِهَادِيٍّ الْمَرَاتِعِ بَحْزَجِ

١١ يَجُولُ وِشَاحَاهَا وَيَحْرَجُ حِجْلُهَا إِذَا مَا تَهَادَتْ فِي شَوَاهَا الْخَدَلَّجِ

١٢ وَتَقْدَحُ فِي قَلْبِ الْحَلِيمِ بِمُغْرِبٍ مُشَاكِلِ لَوْنِ الْأُقْحُوَانِ مُفَلَّجِ

١٣ غَذَاهَا حِفَاءُ الْوَالِدَيْنِ، وَأُسْعِفَتْ بِعَيْشٍ وَرِيقِ الْغُصْنِ غَيْرِ مُزَلَّجِ

١٤ غَبَرْتُ بِهَا الْأَيَّامَ لَمْ آتِ مَحْرَجًا وَلَمْ أَقْتَرِفْ فِيهَا اقْتِرَافًا فَأُحْرَجِ

١٥ وَلاَ دَاخِلٌ مَا كُنْتُ مِنْ بَابِ خُطَّةٍ غَبَاشٍ وَلَمَّا أَدْرِ مِنْ أَيْنَ مَخْرَجِي

---

(٩) أفانين : أى ضروب مختلفة ، والخلان : جمع خليل ، والخلائل : جمع خليلة ، وعواسر : جمع عاسرة ، وأراد أنها تمتنع بسبب ما عندها من الخير والبر عن التكسر والخلاعة ، وفاركات : جمع فارك ، وأصله المرأة التى تبغض زوجها وأراد هنا المبغضات من غير قيد ، والتبرج : التزين .

(١٠) يطعن : أراد يأنسن ، وقد يكون محرفاً عن « يطفن » ويرنو : ينظر ، والوهادى : المنسوب إلى الوهاد وهى الأرضون المطمئنة ، وأراه بالوهادى غزالا ، والبحزج : أصله ولدالبقرة الوحشية،وبهتشبه النساءفىحسن آعينهن وسعتها.

(١١) يجول : يتحرك ، والوشاح : حزام ينسج عريضاً من الجلد ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ، ويراد من جولان الوشاح أنها ضامرة البطن ، ويحرج حجلها : يضيق ، وهذه كناية عن امتلاء ساقيها وعبالتهما .

(١٢) يصف فى هذا البيت فمها ، والمغرب : الذى له غرب ، وهو أشر وتحديد فىالأسنان ، ومشاكل :مشابه، والأقحوان : زهرفيه احمرار تشبه به اللثة، والمفلج : الذى تباعدت أسنانه فلم تلتصق ولم يركب بعضها بعضا .

(١٣) حفاء الوالدين : تحفيهما بها وعطفهما عليها ،وغير مزلج : يريد أنه واسع رغيد غير قليل .

(١٤) محرجا : مصدر بمعنى الحرج ، وأراد به الإثم والذنب .

(١٥) خطة غباش : لا يدرى كيف يتوجه لها ولا يهتدى لطريق سلوكها ، والمخرج : المكان الذى يخرج منه .

١٦ وأعصمُ عِنْدَ المُشْكِلاَتِ بِمِـرَّةٍ وَرَأىٍ إذَا اسْتَنْجَحْتُه غَيْرِ مُخْدَجِ

١٧ وَطَالَ قَطُونِي أَرْضَ مِصْرَ لِحَاجَةٍ يُقَالُ لَهَا : أَقْبِـحْ بِهَاتِي وَأَسْمِجِ

١٨ أُقَلِّبُ فِي أَقْطَارِهَا الطَّرْفَ كَيْ أَرَى وَلَسْتُ بِرَاءٍ ذاكَ عِصْمَةَ مُلْتَجِ

١٩ فَقَنَّعَنِي يَأْسِي ، وَأَعْلَمُ أَنَّنِي مَقُودٌ بِحَبْلِ الْمَقَادِيرِ مُدْمَجِ

٢٠ وَنَحْنُ أُنَاسٌ نَذْخَرُ الصَّبْرَ لِلأَسَى وَنَهْتَاجُ لِلْيَوْمِ العَبُوسِ الْمُهَيِّجِ

٢١ عَهِدْنَا إلَى الْبِيضِ المَآثِيرِ لاَ تُرَى مُسَلَّلَةً إلاَّ لِضَرْبِ مُتَوَّجِ

٢٢ تَرَى النَّاسَ نَسْنَاسًا إذَا الحَرْبُ جُرِّبَتْ شَبَا طَيِّئٍ والأَشْعَرِينَ وَمَذْحِجِ

---

(١٦) المرة – بكسر الميم – العزيمة والقوة ، واستنجحته : طلبت منه نجاح ما اعتزمته وبلوغ ما أريد ، والمخدج : الناقص ، وأصله الولد الذى يولد لغير تمام .

(١٧) قطونى : إقامتى وسكنى .

(١٨) أقطارها : نواحيها ، وملتجى : أصله ملتجىء – بالهمز – خففه بتسهيل الهمزة المكسورة وقلبها ياء .

(١٩) قنعنى : ألزمنى القناعة ، يريد أنه لما يئس من بلوغ آماله وطن نفسه على القناعة ، والحبل المدمج : الشديد الفتل ؛ فهو قوى محكم .

(٢٠) نذخر الصبر : نجعله ذخيرة فنرجع إليه عند الحاجة، والأسى : الحزن .

(٢١) البيض : جمع أبيض ، وأراد به هنا السيف ، والمآثير : جمع مأثور ، وهو الذى يقال إنه من عمل الجن ، والمتوج : ذو التاج ، يعنى أنهم لا يقاتلون غير أكفائهم ، وما أكفاؤهم إلا أصحاب التيجان .

(٢٢) النسناس فيما يزعمون قوم ممسوخون لكل واحد منهم يد ورجل، وجربت الحرب : يريد اشتدت ، والشبا – بفتح الشين – الحد ، وطيىء والأشعرين ومذحج: قبائل ، وشبا طيىء – إلخ هو فاعل ترى ، يريد أن قومه من هذه القبائل يرون الناس كأنهم النسناس ؛ فلا يبالونهم ولا يحفلون بهم .

٢٣ كأُسْدِ الشَّرَى إلاَّ الْوُجُوهَ فإنَّهَا بُدُورٌ تَشُقُّ اللَّيْلَ عَنْ كُلِّ مُدَّجِ

٢٤ وَحَرْبٍ مَرَيْنَاهَا الدَّمَ الصِّرْفَ حِقْبَةً
قِلَى مَا أَنَالَتْ كُلَّ مَانٍ وَمُنْتِجِ

٢٥ جَلَبْنَا إِلَيْهَا الْمُقْرَبَاتِ كَأَنَّهَا
سِوَى الْحُسْنِ قُدَّتْ مِنْ سَرَاحِينِ مَنْعِجِ

٢٦ كَسَاهَا جَلاَبِيباً مِنَ الْعِتْقِ أَنَّهَا
سَلاَئِلُ مِنْ نَسْلِ الضُّبَيْبِ وأَعْوَجِ

٢٧ إذَا مَا تَلاَفَيْنَا بِهَا دَرْءَ مَعْشَرٍ أَقَمْنَاهُ تَقْوِيمَ الْمُبَيْطِرِ لِلْوَجِي

٢٨ بِمَأْدُبَةٍ مِنْ بَعْدِ أُخْرَى مُشَبَّهٍ
بِصَرْعَاهَا صَرْعَى الطريقِ الْمُحَرَّجِ

---

(٢٣) الشرى : طريق فى سلمى أحد جبلى طيىء مشهور بكثرة الأسود ، ومدج : أصله مدتج : أى ملتف بالدجى وهو الظلام ، فقلب التاء دالا ثم أدغمها فى الدال ، وصف طيئاً والقبائل التى ذكرها بأنهم يشبهون أسد الشرى ، لكن وجوههم بدور تكشف الظلماء .

(٢٤) مريناها : أصل معناه حلبناها ، وأراد أوقدنا نارها وسعرناها ، والمان فى الأصل : حديدة فى رأس خشبة تثار بها الأرض ، والمنتج : صاحب النتاج ، يقول : إننا أشعلنا نار الحرب كثيراً حتى أنالنا ذلك كراهية كل ذى زرع وكل ذى نتاج لأننا غنمنا ما زرعوه وما نتجوه وأصل نظام الكلام : أنالت قلى كل مان ومنتج .

(٢٥) المقربات : الخيل التى يعتنى بها ، والسراحين : جمع سرحان وهو الذئب ، شبه خيلهم بالذئاب فى مضائها وصبرها على احتمال المشاق وسرعة سيرها ، واستثنى من وجوه الشبه شكلها فجعل خيلهم ذوات حسن ، لأن الذئاب كريهة المنظر .

(٢٦) العتق : أصالة النجار ، والضبيب وأعوج : فحلان من فحولة الخيل مشهوران بالعتق وجودة النجار .

(٢٧) تلافينا : تداركنا ، ودرء معشر : اعوجاجهم ، والمبيطر : الذى يعالج الدواب ، والوجي – بكسر الجيم – وصف من الوجى – بفتح الجيم – وهو الحفاء أو شدته حتى ينشأ عنه ظلع .

(٢٨) المأدبة : الدعوة إلى الطعام ، يريد أنهم إذا أرادوا تقويم أعدائهم أعملوا =

٢٩ تُطِيفُ بِهِ غُبْرُ السِّبَاعِ ، وَتَنْبَرِى
لَهُ دَارِجَاتُ الطَّيْرِ مِنْ كلِّ مَدْرَجِ

٣٠ يُخَذْرِفْنَ هَامَاتٍ تَدَحْرَجُ مِثْلَمَا تَدَحْرَجَ بَالِى الْحَنْظَلِ الْمُتَدَحْرِجِ

٣١ بِيَوْمِ اعْـتِرَاكٍ صَادَفَتْ عَائِفَاتُهُ
مَعَ البَارِحَاتِ النُّـكْدِ أَشْأَمَ أَبْرُجِ

٣٢ نَرَى فِيهِ بَسْلاً أَنْ نَؤُوبَ بِخَيْلِنَا
وَرَايَاتُنَا فِيهِ سُـــدًى لَمْ تُضَرَّجِ

٣٣ نَرَى شَرَّ أَكْوَاسٍ مِنَ الخمرِ لم تُدَرْ
بِرِىٍّ ، وَلَمْ تُقْطَبْ بِمَاءٍ فَتُمْزَجِ

٣٤ إِذَا ذَاقَهَا الْوَضَّاحُ صَدَّ كَأَنَّمَا تَجَلْبَبَ ضَاحِى وَجْهِهِ بِالْأَرَنْدَجِ

= فيهم السيوف وجدلوهم وجعلوا لحومهم طعاما للوحوش ، فكأنهم دعوا الوحش لهذا الطعام ،وقد ارتكب شططا فإن الوصول إلى هذا المعنى من عبارته بعيد المنال .

(٢٩) تطيف به : تحيط ، وتنبرى له : تتعرض ، يريد أن السباع والطير يجتمعن عند هذه المعارك لتملأ أجوافها من أجساد أعدائنا .

(٣٠) أصل مأخذ « يخذرفن » الخذروف ، وهى لعبة للصبيان ، والمراد هنا أن سيوفهم تجتز رؤوس الأعداء وتطوح بها فتقع على الأرض ، والهامات :جمع هامة ، والمراد بها الرأس .

(٣١) يوم اعتراض : هو يوم الحرب ، والعائفات : جمع عائفة وهى التى تزجر الطير فتتيامن أو تتشاءم ، والنكد : جمع أنكد ، والأبرج : جمع برج واحد بروج السماء .

(٣٢) البسل : الحرام ، ونؤوب : نرجع ، وراياتنا سدى : يريد أنها أهملت ، ولم تضرج : لم تلطخ بالدم .

(٣٣) أكواس: جمع كأس، والمذكور فى كتب اللغة جمع الكأس على أكؤس وكؤوس وكاسات وكئاس .

(٣٤) أصل الوضاح صيغة مبالغة من الوضوح ، ويراد به الشديد البياض ، =

٣٥ وَذَلِكَ مَا أَوْصَى بِهِ أُدَدٌ ؛ فَلَمْ نَمِلْ عَنْ وَصَايَاهُ وَلَمْ نَتَضَجَّجِ

٣٦ لَنَا الْعَدَدُ الْجُمْهُورُ وَالْمَوْئِلُ الَّذِى
إِلَى كَنَفَيْهِ يَلْتَجِى كُلُّ مُلْتَجِ

٣٧ وَأَنْدِيَةٌ يَضْرَحْنَ كُلَّ قَبِيحَةٍ
وَيُزْعِجْنَ أَوْرَادَ الْخَنَا كُلَّ مُزْعَجِ

٣٨ كُهُولٌ وَشُبَّانٌ إِذَا قَامَ فِيهِمِ
خَطِيبٌ رَمَى عَنْ مَنْطِقٍ غَيْرِ مُجْلَجِ

٣٩ وَبِيدٍ تَرَامَى بِالْعَفَاءِ وُجُوهُهَا إِذَا مَعَجَتْ أَرْوَاحُهَا كُلَّ مَمْعَجِ

٤٠ كَأَنَّ قَفَا الْمِيلِ الْمَرَدَّى بِآلِهَا قَفَا رَاكِبٍ أَثْبَاجَ بَحْرٍ مُلَجَّجِ

= ويطلق على الفارس الشجاع الطلق الوجه ، وقد سموا بالوضاح ، وضاحى وجهه : بارزه وظاهره ، والأرندج : الجلد الأسود .

(٣٥) أدد : جد من أجداده الأعلين ، ولم نمل : لم نعدل ، ولم نتضجج : لم نتذمر ، وأصله الضجيج وهو رفع الصوت .

(٣٦) العدد الجمهور : الكثير ، وجمهور كل شىء : معظمه ، ويلتجى : أصله يلتجىء — بالهمز — فسهل الهمزة بقلبها ياء .

(٣٧) الأندية : المجالس ، واحدها ندى ، ويضرحن : يدفعن ، والأوراد : قد يكون جمع وارد كشاهد وأشهاد وصاحب وأصحاب ، وقد يكون جمع ورد كحمل وأحمال ، وأطلقه على القوم الواردين .

(٣٨) مجلج : أقرب ما نستطيع أن نقوله فى تفسير هذه الكلمة أن أصلها من الجلج — بفتح الجيم واللام بعدها — وهو القلق والاضطراب ، ولكنا لم نعثر على «أجلج» فى كتب اللغة التى بين أيدينا حتى يكون المجلج اسم مفعول مأخوذا من مصدره .

(٣٩) البيد : جمع بيداء وهى الصحراء ، والعفاء : انطماس المعالم وذهاب الآثار ، وقد يكون التراب ، ومعجت : هبت هبوبا شديدا ، والأرواح : جمع ريح .

(٤٠) المردى : أصله اللابس الرداء ، والآل : السراب ، وأثباج البحر : أعالى موجه واحدها ثبج .

٤١ دَأَبْتُ بِهَا السَّيْرَ الْحَثِيثَ بِجَسْرَةٍ
وَسُـوجٍ تَرَامَى فى قَرَائِنَ وُسَّجِ

٤٢ وَفِتْيَةِ صِدْقٍ وَاظَبُونِي فَوَاظَبُوا
بِمُسْرٍ عَلَى مَا خَيَّـلَ الدَّهْرُ مُدْلِـجِ

٤٣ غُـــــلَامُ سِفَارٍ غَيْرُ مُوكٍ شَعِيبَهُ
لِذُخْرٍ ، وَلاَ مُبْقٍ عَلَى الزَّادِ مُشْرِجِ

٤٤ فَأَوْرَدْتُهُمْ حِينَ انفَرَى اللَّيْلُ عَنْهُمُ
لأَزْهَرَ مِمَّا أَحْدَثَ الشَّوْقُ أَبْلَجِ

٤٥ ظُنُونًا جَرُوراً نَيْلُهَا حِينَ تُرْتَجَى
كَلَوْنِ الْهِنَـــا تَحْتَ الإِنَاءِ الْمُشَجَّجِ

٤٦ كَمَا فَرَّتِ الْكَفُّ الصَّنَاعُ وَمَزَّقَتْ
عَنِ السَّحْلِ لِفْقَيْ أَتْحَمِيٍّ مُفَرَّجِ

---

(٤١) دأبت بها السير : تابعته ، والحثيث : السريع ، والجسرة : الناقة القوية ، والوسوج : التى تسير سير السبيح ، وهو ضرب من سير الإبل .

(٤٢) مسر : اسم فاعل من الإسراء ، ومدلج : اسم فاعل من الإدلاج ، وقد فسرناهما قريبا ، وفتية صدق : معطوف على جسرة فى البيت السابق .

(٤٣) موك : اسم فاعل من أوكى القربة يوكيها ، إذا شد فمها ، والشعيب : القربة البالية ، والمشرج : اسم فاعل من الإشراج ، وهو شد الخريطة التى يكون فيها الطعام ونحوه ، يريد أنه لا يمنع ماءه ولا طعامه أحدا .

(٤٤) انفرى الليل : انجاب ظلامه ، والأزهر : الأبيض ، والأبلج مثله .

(٤٥) الظنون : البئر لايدرى أفيها ماء أم لا ، والجرور : البعيدة القعر ، وأراد بنيلها الماء ، والهنا : مقصور الهناء وهو القطران .

(٤٦) فرت : كشفت ، والكف الصناع : الحاذقة الماهرة الجيدة الصنعة ، والسحل ـ بفتح فسكون ـ ثوب أبيض ، أو من القطن ، أو ثوب لا يبرم غزله ،

٤٧ مُقَدَّدَةٌ مِنْ نَسْجِ خَرْقَاءَ لَمْ تُنِرْ
بِنِيرٍ وَلَمْ يُضْرَبْ عَلَيْهَا بِمِنْسَجِ

٤٨ فَمُجْنَا لَهَا حُدْبًا يُخَوِّنُ نَحْضَهَا تَوَاتُرُ أَكْوَارٍ عَلَيْهَا وَأَحْدُجِ

٤٩ فَنَالَتْ قَلِيلًا ثُمَّ جَمَّتْهُ وَاعْتَزَتْ
إِلَى سِرِّ مِرْقَالٍ عَلَى الأَيْنِ مُرْهِجِ

٥٠ كَأَنَّا عَلَى صُمِّ السَّنَابِكِ أَلَّفَتْ تِلَاعُ الرُّبَا أَزْوَاجَ فِلْوٍ مُسَحَّجِ

٥١ رَعَى المُسْبَكِرَّ المَادَ حَتَّى إِذَا ذَوَتْ
غَضَارَتُهُ وَاهْتَاجَ كُلَّ التَّهَيُّجِ

= واللفقان ـ بكسر اللام وسكون الفاء ـ شقتا الثوب ، والأتحمى : ضرب من الثياب الملونة ، يصف ماء البئر التى أوردهم إياها بأنه أبيض صاف ، وشبهه فى بياضه بالثوب الذى وصفه .

(٤٧) مقددة : مشققة ، والخرقاء : التى لا تحسن الصنعة ، ولم تنر : أى لم تتخذ لها نيرا ، والنير والمنسج : من آلات النسج ، يصف الأتحمى الذى ذكره فى البيت السابق بأنه من نسج خرقاء لم تتبع فيه أصول النسج .

(٤٨) مجنا : ملنا ، والحدب : جمع حدباء ، وهى المنحنية ، ويخون : ينقص ، والنحض : اللحم ، والأكوار : جمع كور ، وهو الرحل الذى يوضع على الناقة أو البعير ليركب عليه راكبه ، والأحدج: جمع حدج ـ بكسر فسكون ـ وهو مركب من مراكب النساء مثل المحفة، لكن المذكور فى كتب اللغة أنه يجمع على أحداج وحدوج .

(٤٩) واعتزت : أى انتسبت ، والإرقال : السير السريع ، وفعله أرقل ، وسر الشىء : خالصه ، والأين : الإعياء والتعب ، والمرهج : الذى يثير الغبار ، يريد أنها انتسبت إلى فحل سريع السير لا يضعفه التعب ، وأنه يثير الغبار فى مشيه .

(٥٠) صم السنابك : أراد بها عير الوحش وحمره ، وأراد تشبيه نوقه بها ، وألفت : جمعت ، والفلو : العير الوحشى ، يقول : كأننا نركب حمرا من حمر الوحش قد جمعت تلاع الربى أزواجا منها .

(٥١) المسبكر : الطويل الممتد ، والماد : الطرى الناعم ، وذوت : ذبلت .

٥٢ دَعَتْهُ دَوَاعِي ظِمْئِهِ وَأَثَارَهُ احْتِدَامُ النَّهَارِ وَاللَّظَى الْمُتَوَهِّجِ

٥٣ فَأَوْثَبَهَا مَزْؤُودَةً مِنْ شَذَاتِهِ وَأَوْفَى عَلَى أَكْتَادِ نَجْوَةِ مُنْتَجِ

٥٤ فَلَمَّا مَضَى حَدُّ النَّهَارِ نَجَا بِهَا مَفَاضَ مَعِينٍ لِلْعَوَازِبِ مُمْرَجِ

٥٥ لَهُ شَجَرَاتٌ قَدْ حَفَفْنَ بِضَابِئٍ تَوَغَّلَ مِنْهَا فِي أَرَاكٍ وَعَوْسَجِ

٥٦ فَلَمَّا رَآهَا قَالَ : بُشْرَايَ ، فُرْصَةٌ أَطَلَّتْ ، وَرِزْقٌ بَابُهُ غَيْرُ مُرْتَجِ

٥٧ وَحَاذَرَهُ حِينًا يَقُولُ لِنَفْسِهِ : حَذَارِ ، وَأَحْيَانًا يَقُولُ لَهَا : لِجِي

٥٨ فَلَمَّا قَلَا التَّطْوِيلَ وَابْتَزَّ رَأْيَهُ رَسِيسُ صَدًى فِي الْكَبْدِ بِالْوِرْدِ مُلْهَجِ

٥٩ تَقَحَّمَ مُرْتَادًا فَعَبَّ ، وَقَحَّمَتْ فَعَبَّتْ غِشَاشًا كُلُّ قَوْدَاءَ شَمْحَجِ

---

(٥٢) احتدام النهار : شدة حره ، واللظى : أصله النار المحرقة ، والمتوهج : المتقد.

(٥٣) أوثبها : حملها على الوثب والعدو ، والمزؤودة : الخائفة ، وشذاته : بأسه وشدته ، وأوفى : أشرف ، والأكتاد : جمع كتد ـ ووزنه كوزن سبب وأسباب ـ وهو أعلى الشيء ، ومنتج : اسم فاعل فعله «انتجى» أى ناجى نفسه .

(٥٤) نجابها : أسرع ، والمفاض : مكان فيض الماء ، والممرج : المهمل .

(٥٥) الضمير فى « له » يعود إلى المعين المذكور فى البيت السابق ، وحففن : معناه أحطن ، وأصل الضابئ اللاصق بالأرض ، وأراد به هنا الصياد لأنه هكذا يفعل ليستر نفسه ، وتوغل : تعمق فى الاختباء ، والأراك والعوسج : ضربان من الشجر ، والضمير فى « منها » يعود إلى شجرات .

(٥٦) غير مرتج : أى ليس موصدا ولا مغلقا .

(٥٧) لجى : فعل أمر مسند لياء المؤنثة المخاطبة وماضيه «ولج يلج» أى دخل .

(٥٨) ابتز رأيه : سلبه ، والرسيس : الأصل ، والصدى : العطش ، وملهج : مولع .

(٥٩) تقحم : أراد وقع فى الماء وهو لا يدرى أيسلم أم لا يسلم ، والمرتاد : الذى =

٦٠ فَمَارَاعَهُ إلاَّ حَفِيفُ مُذَلَّقٍ هَوَى عَنْ تِهَامِيٍّ الْأُسُونِ مُحَدْرَجِ

٦١ فحَاصَ وأَخْطَأَهَا وَمَرَّ يَشُلُّهُ نَجَاءٌ كَبَرْقِ الْعَارِضِ الْمُتَبَوِّجِ

٦٢ يَفوتُ عَقَابِيلَ الظُّنُونِ وَأَنْفَجَتْ لَهُ جَاثِمَاتُ الطَّيْرِ مِنْ كُلِّ مُنْفَجِ

٦٣ فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ الغُبَارُ كَمَا انْجَلَى عَنِ الْمُتَفَرِّي دَجْنُ وَطْفَاءَ زِبْرِجِ

٦٤ أَطَفْنَ بِهِ وَمَدَّ لِلرَّبْوِ هَادِيًا لِحَيًا كَهَادِي الْكَوْدَنِيِّ الْمُوَدَّجِ

٦٥ يَشُقُّ جَلاَدِيَّ الْفَلاَةِ بِمُصْمَتٍ أُعِينَ بِإِمْرَارِ الْوَظِيفِ الْمُحَمْلَجِ

* * *

= يسبق لطلب المرعى ، وعب: جرع الماء ، والغشاش ـ بكسر الغين ـ القليل ، يريد أن هذا العير سبق الأتن ليختبر لها المكان .

(٦٠) راعه: أفزعه ، والحفيف :الصوت، والمذلق: أصله النصل المحدد الطرف، وأراد به هنا السهم،والأسون : الأوتار ، والتهامى : المنسوب إلى تهامة ، ومحدرج : أى مفتول .

(٦١) حاص : صوت أو مال وحاد ، وأخطاها : أصله أخطأها ، ويشله : يطرده ، والنجاء ـ بفتح النون ـ السرعة ، وتقول « تبوج البرق » إذا لمع وخرج من السحاب .

(٦٢) أنفجت : انبرت ، وجاثمات الطير : الرابضة فى وكناتها ، والمنفج : اسم مكان .

(٦٣) انجلى : انكشف، والمتفرى: لابس الفرو، والدجن: إلباس السماء بالغيم، والوطفاء :السحابة المسترخية لكثرة مائها ، والزبرج : السحاب الرقيق فيه حمرة .

(٦٤) أطفن به : أحطن به وأحدقن ، والهادى : العنق ، والربو : البهر ، والكودنى : الفرس الهجين ، والفيل ، والبغل ، والبرذون . والمودج : الشديد الأوداج .

(٦٥) الجلادى : ما صلب من الأرض ، والفلاة : الصحراء ، وأراد بالمصمت حافره ، وأصل الإمرار شدة الفتل ، والوظيف : مابين الرسغ والركبة ، والمحملج : المفتول .

* * *

حرف الحاء المهملة

(٣٤)

قال يمدحه أيضاً :

١ قُلْ للأميرِ : لَقَدْ قَلَّدْتَنِي نِعَماً ، فُتَّ الثَّنَاءَ بِهَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ

٢ يَامَانِحِي الجاهَ إذْ ضَنَّ الجَوَادُ بِهِ شُكْرِيكَ مَا عِشْتُ للأَسْمَاعِ مَمْنُوحُ

٣ لَمْ يُلْبِسِ اللهُ نُوحًا فَضْلَ نِعْمَتِهِ إلاَّ لِمَا بَثَّهُ مِنْ شُكْرِهِ نُوحُ

٣٤

وقعت هذه القصيدة فيما عدا مطبوعة بيروت تالية للقصيدة التي يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى ويصف وقعته بالخرمية ، وهى — على كل حال — أول حرف الحاء من باب المديح فى جميع النسخ ، وأخذت فى شرح التبريزى رقم ٣٢ ، وقد اختلف الشراح فيمن قيلت فيه هذه القصيدة؛ فيتردد التبريزى بين أبى سعيد و نوح بن عمرو السكسكى ، وفى مطبوعة بيروت أنها قيلت فى نوح بن عمرو السكسكى ، الحمصى ، وفى المصرية أنها قيلت فى أبى سعيد .

(١) فت الثناء : جاوزت المقدار الذى يحيط بتقديره الثناء ، فلم يعد الثناء مستطيعا أن يؤدى حقك ، يلتمس لنفسه العذر إذا رأى الممدوح أنه لم يبلغ به حقه من المديح .

(٢) المانح : المعطى ، وشكريك : يريد شكرى إياك ، ووصل الضميرين — وهما ياء المتكلم وكاف المخاطب ، أى الإتيان بهما ضميرين من الضمائر المتصلة ، كما فعل أبو تمام — جائز ، لكنه أقل فى مثل هذه الحالة — وهى كون العامل فى الضميرين اسما — من فصل أحدهما ، ومن شواهد وصلهما قول الشاعر :

لئن كان حبك لى كاذبا لقد كان حبيك حقا يقينا

(٣) ورد فى القرآن الكريم فى شأن نوح عليه الصلاة والسلام (إنه كان عبداً =

٤ ذَمَّتْ سَمَاحَتُهُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ فَمَا يُمْسِى وَيُصْبِحُ إِلاَّ وَهْوَ مَمْدُوحُ

٥ وَلِلأُمُورِ إِذَا الآرَاءُ ضِقْنَ بِهَا يَوْمَ التَّجَادُلِ مِنْ آرَائِهِ فِيحُ

٦ لَمْ يُغْلِقِ اللهُ بَابَ الْعُرْفِ عَنْ أَحَدٍ بَابُ الأَمِـــيرِ لَهُ المأْلُوفُ مَفْتُوحُ

٧ لم يَعْدَمِ المجـــدَ مَنْ كَانَتْ أَوائِلُهُ مِنْ آلِ كِسْرَى الْبَهَالِيلُ الْمَرَاجِيحُ

٨ وَارِى الفُؤَادِ فَلَوْ كَانَتْ بِعِزْمَتِهِ تُذْكَى الْمَصَابِيحُ لَمْ تَخْبُ الْمَصَابِيحُ

= شكورا) وأبو تمـام يشير إلى أن نوحاً شكر ربه فألبسه فضل نعمته ، وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنـكم) .

(٤) يريد أن جود الممدوح قد بغض الدنيا إليه ، فلم يبق لها عنده قدر ، فهو من أجل ذلك لا يمسك يده عن عاف أو طالب حاجة ، ومن كان هذا طبعه انطلقت الألسنة بالثناء عليه وامتداح أياديه .

(٥) الآراء ضقن بها : أراد لم تجد لها حلا ، والفيح : جمع أفيح أو فيحاء — مثل بيض فى جمع أبيض أو بيضاء — تقول : هذا مكان أفيح ، أى واسع ، وتقول : هذه دار فيحاء ، تريد واسعة ، ويروى «وللتجادل من آرائه فيح» وفى ب «التجاول» .

(٦) العرف : المعروف ، و «باب الأمير مفتوح» جملة فى محل جر صفة لأحد ، يريد أن الله تعالى يوسع على كل من يدخل بيت الأمير ، وذلك بما يجرى على يدى الأمير من بره وصلته .

(٧) يروى « لن يعدم المجد » والبهاليل : جمع بهلول — بوزن عصفور وعصافير — وهو الضحاك ، والسيد الجامع لـكل خير ، والمراجيح : الثقال فى مجالسهم ، ويراد بهم ذوو الحلم ، وكأنه جمع مرجاح ، ولـكن هذا المفرد غير مستعمل .

(٨) يروى « مورى الفؤاد » ويروى « مذكى الفؤاد » وهذا كما يقولون : فلان متوقد الذهن ، وتذكى : تشعل وتضاء ، ولم تخب : لم تنطفىء ، يقول : إنه =

٩ كأنه في اجْتِمَاعِ الرُّوحِ فِيهِ لَهُ مِنْ كُلِّ جَارِحَةٍ فِي جِسْمِهِ رُوحُ

* * *

(٣٥)

وقال يمدح إسحاق بن إبراهيم :

وهذه قدَّمها قبل قصيدته « أصغى إلى البين مغترا فلا جَرَمَا » :

١ ألاَ يَا أيُّهَــــا المَلِكُ المعلَّى إِذَا بَعْضُ المُلُوكِ غَدَا مَنِيحَا

٢ أَعِرْشِعْرِي الإِصَاخَةَ مِنْكَ يَرْجِعْ طَوَالَ الدَّهْرِ بَارِحُــــهُ سَنِيحَا

= ملتهب الذهن متوقد الفكر، حتى لو كانت المصابيح تضاء بعزمه ما خبت ولا انطفأ نورها.

(٩) يروى « كأنه لاجتماع الروح فيه له » .

* * *

٣٥

اتفقت جميع النسخ على رواية هذه القصيدة بعد السابقة، وهي في رواية التبريزي برقم ٣٣

(١) المعلى والمنيح : أصلهما قدحان من قداح الميسر ، فأما المعلى فهو سابعها وهو أعظمها وأعلاها حظاً ، ويقولون : أحرز فلان قصب السبق في كذا ، ويقولون: لفلان القدح المعلى في المروءة ، وذلك إذا كان قد أوفى على الغاية وأدرك ما لم يدركه أحد ، وأما المنيح فسهم من سهام ثلاثة لا نصيب لها في الميسر ، وقد قال الشاعر :

لي سهام ليس فيهن ربيح هن وغد وسفيح ومنيح

(٢) الإصاخة : الاستماع ، والبارح والسنيح من الطير التي يزجرونها للتشاؤم وللتيامن ، والعرب يختلفون فمنهم من يتفاءل بالسنيح ويجعله دالا على اليمن ويتشاءم بالبارح ويجعله دليلا على الشؤم ، ومنهم من يعكس الأمر ، وعبارة أبي تمام تدل على أنه يرى التفاؤل بالسنيح، وكأنه قال: إذا أعرت شعري الاستماع له صار أشأمه أيمن .

٣ أُنِـلْهُ بِاشْتِمَاعِـكَهُ مَحَلاًّ يَفُوتُ عُلُوُّهُ الطَّرْفَ الطَّمُوحَا

٤ فَلَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيماً لِشِعْرِى وَلَـكِنِّى مَدَحْتُ بِكَ الْمَدِيحَا

* * *

(٣٦)

وقال يمدح الفَضْلَ بن صالح الهاشمى :

١ أَهْدَى الدُّمُوعَ إِلَى دَارٍ وَمَاصِحِهَا فَلِلْمَنَازِلِ سَهْمٌ مِنْ سَوَافِحِهَا

٢ أَشْلَى الزَّمَانُ عَلَيْهَا كُلَّ حَادِثَةٍ وَفُرْقَةٍ تُظْلِمُ الدُّنْيَا لِنَازِحِهَا

---

(٣) يروى « يفوت علوه الطرف الجموحا » .

(٤) روى التبريزى « تفخيما بشعرى » .

* * *

٣٦

اتفقت جميع النسخ على رواية هذه القصيدة تالية للأبيات السابقة،وهى فى شرح التبريزى برقم ٣٤ .

(١) أهدى : تروى هذه الـكلمة بصيغة الماضى بفتح الهمزة والدال ، وتروى بصيغة المضارع بضم الهمزة وكسر الدال ، وتروى « أهد » بصيغة الأمر ، وماصح الدار : الذى ذهبت آثاره ، وأصله قولهم « مصح الشىء » إذا ذهب وانقطع ، وتقول « مصح الثوب » إذا خلق ورث ، ويروى « فللمدامع سهم – إلخ » والسوافح : جمع سافح ، وهو اسم الفاعل من « سفح الدمع » فهو سافح ؛ إذا انهمر وصب ، وتقول أيضاً « سفح الباكى دمعه فالباكى سافح ودمعه مسفوح » .

(٢) أشلى الزمان كل حادثة : أى أغرى كل حادثة بهذه الديار حتى أتى عليها ، ومن مجىء أشلى بمعنى أغرى قول بلال بن جرير :

نزلنا بخلاد ، فأشلى كلابه علينا ، فـكدنا بين بيتيه نؤكل

ومن أهل اللغة من ينـكر مجىء أشلى بمعنى أغرى ، والحجة على هؤلاء بيت بلال ونحوه ، والنازح : المفارق .

٣ حَلَفْتُ حَقًّا لَقَدْ قَلَّتْ مَلاَحَتُهَا ... بِمَنْ تُخُرِّمَ عَنْهَا مِنْ مَلاَئِحِهَا

٤ إِنْ تَبْرَحَا وَتَبَارِيحِي عَلَى كَبِدٍ ... ما تَسْتَقِرُّ فَدَمْعِي غَيْرُ بَارِحِهَا

٥ دَارٌ أُجِــلُّ الْهَوَى عَنْ أُلِمَّ بِهَا ... فِي الرَّكْبِ إِلاَّ وَعَيْنِي مِنْ مَنَائِحِهَا

٦ إِذَا وَصَفْتُ لِنَفْسِي هَجْرَهَا جَنَحَتْ ... وَدَائِعُ الشَّوْقِ فِي أَقْصَى جَوَانِحِهَا

---

(٣) تخرم عنها : ورد فى التبريزى هذا الفعل بالخاء المعجمة مبينا للمجهول ، ومعناه زال عنها وتركها ، وهى كلمة سمجة غثة فى هذا الموضع ، فإن الأصل فيها أن تستعمل فى الموت ، تقول : اخترمت المنية فلانا ، أى أخذته ، واخترمت القوم ، وتخرمتهم ، أى استأصلتهم ، وقال أبو ذؤيب الهذلى :

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم ... فتخرموا ، ولـكل جنب مصرع

ووقع فى المصرية ومطبوعة بيروت «بمن تحرم منها» بالحاء المهملة مبنيا للمعلوم ، وفسرت بتمتع واحتمى بذمة أى حلف لا يرجع إليها . والملائح : جمع مليحة ، وأراد النساء المليحات اللاتى كن يسكنها .

(٤) برح المـكان يبرحه ـ بوزن علم يعلم ـ أى غادره وتركه . وتباريح الحب والشوق : لوعاته .

(٥) أجل الهوى : أكبره وأرفع قدره ، وألم بها : أزورها وأنزلها ، والمنائح جمع منيحة ، وأصلها اسم للناقة أو الشاة التى تمنحها غيرك ، يقول : إنى أعلى قدر الحب عن أن أنزل بهذه الدار فأرى ما صنعت بها الأيام ثم لم أبكها ، يريد أنه يبكى عليها بلوعة وحرقة .

(٦) « ودائع الشوق » وردت فى شرح التبريزى بالدال المهملة ، وهى جمع وديعة ، وهى ما استودعه الشوق فى قلبه من الأسى واللوعة ، ووردت فى مطبوعة بيروت « وذائع الشوق » بالذال المعجمة ، وفسرت على أنها جمع وذيعة ، وهى كل ماء جرى على صفاة ، وليس بذاك ، وإن صحت الرواية كانت «وذائع» كلمتين الواو وهى للحال ، والثانية « ذائع » وهو اسم فاعل فعله «ذاع يذيع »وإضافته إلى =

٧ وَإِنْ خَطَبْتُ إِلَيْهَا صَبْرَهَا جَعَلَتْ
جِرَاحَةُ الوَجْدِ تَدْمَي فِي جَوَارِحِهَا
٨ مَا لِلْفَيَافِي رَأَتْهَا العِيسُ قَدْ خُزِمَتْ
فَلَمْ تَظَلَّمْ إِلَيْهَا مِنْ صَحَاصِحِهَا
٩ قُتْلٌ إِذَا ابْتَكَرَ الغَادِي عَلَى أَمَلٍ
خَلَّفْنَهُ يَزْجُرُ الحَسْرَى بِرَائِحِهَا
١٠ تُصْغِي إِلَى الحَدْوِ إِصْغَاءَ القِيَانِ إِلَى
نَغْمٍ إِذَا اسْتَغْرَبَتْهُ مِنْ مُطَارِحِهَا
١١ حَتَّى تَؤُوبَ كَأَنَّ الطَّلْحَ مُعْتَرِضٌ بِشَوْكِهِ فِي المَآقِي مِنْ طَلَائِحِهَا

= الشوق من إضافة الصفة للموصوف، ويروى « دوافع الشوق » ولعلها تؤيد ما قلنا.

(٧) « خطبت إليها صبرها » الضمير المؤنث يعود إلى النفس، وأراد من قوله « جعلت جراحة الوجد تدمى » أن كل جارحة من جوارحه موهونة مجروحة فهى تثعب دما إن طلبت الصبر من نفسى .

(٨) الفيافى : الصحارى، ويروى « ماللفيافى وتلك العيس » ويجوز فى « وتلك العيس» على هذه الرواية : الجر بالعطف على الفيافى ، والنصب على أنه مفعول معه ، والرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده ، والصحاصح : جمع صحصح ، وهو ما استوى واتسع من الأرض ، وخزمت : جعلت الخزامة فى أنفها .

(٩) قتل : جمع أقتل أو قتلاء ، والمراد قتل المرافق ، أى مفتولها ، كناية عن القوة على متابعة السير ، والحسرى : جمع حسير ، وهو المعيي ، يريد أن الغادى يؤمل أو يقدر أن يبلغ بها مرحلة فتزيد على ظنه ، ونظيره قول الآخر :

إذا القوم قالوا : وردهن ضحى غد   تواهقن حتى وردهن مساء

ونظيره قول الحطيئة :

إذا قلت إنى آئب أهل بلدة   وضعت بها عنه الولية بالهجر

(١٠) الحدو والحداء واحد، والنغم — بفتح فسكون أو بفتحتين — ومطارحها : الذى يعلمها الغناء ويطارحها إياه .

(١١) تؤوب: ترجع، والطلح : شجر ذو شوك ، والمآقى: جمع مأقى العين ، =

١٢ هَشْمًا لِأَنْفِ المُسَامِي هَاشِماً أَبدًا
وَقَدْ رَأَى فَضْلَهَا مِنْهَا ابْنُ صَالِحِهَا

١٣ إِلَى الأَكَارِمِ أَفْعَالاً وَمُنْتَسَباً لَمْ يَرْتَعِ الذَّمُّ يَوْمًا فِي طَوَائِحِهَا

١٤ آسَاسُ مَكَّةَ وَالدُّنْيَا بِعُذْرَتِهَا لَمْ يَنْزِلِ الشَّيْبُ فِي مَثْنَى مَسَائِحِهَا

١٥ قَوْمٌ هُمُ أَمِنُوا قَبْلَ الْحَمَامِ بِهَا مِنْ بَيْنِ سَاجِعِهَا الْبَاكِي وَنَائِحِهَا

١٦ كَانُوا الْجِبَالَ لَهَا قَبْلَ الْجِبَالِ، وَهُمْ سَالُوا وَلَمْ يَكُ سَيْلٌ فِي أَبَاطِحِهَا

= وهو جانبها مما يلى الأنف ، والطلائح : جمع طليح ، وهى المعيية ، ومن عادتهم أن يصفوا الإبل إذا أعيت بأن دمع أعينها يسيل فكأنما أصابها شوك الطلح ، وقد جرى على طريقتهم أبو تمام .

(١٢) هذا البيت يقع متأخرا عند التبريزى ، فيكون عنده البيت ٢٣ ، وهشما : مصدر نائب عن فعله لقصد الدعاء ، وكأنه قال : هشم الله أنف من يسامى هاشما ، ووقع عند التبريزى « من يسامى حينه » .

(١٣) الأكارم : جمع الأكرم ، والمنتسَب : مصدر ميمى بمعنى الانتساب ، والطوائح : جمع طائحة ، والمراد بها الذاهبة ، ويروى « لم يرتع الذم فى أدنى مسارحها » .

(١٤) والدنيا بعذرتها : شبهها بفتاة عذراء لم تفتض ، وأراد والدنيا شابة فى مقتبل سنها ، ومسائح الرأس : جوانبه ، والمسائح أيضاً : الشعر الذى فى جوانب الرأس ، سمى بذلك لأنه يمسح فى الوضوء ونحوه .

(١٥) يروى « آمنوا قبل الحمام » بضم قبل ، وبنصب الحمام على أنه مفعول به لآمنوا ، ويروى « أمنوا قبل الحمام » بنصب قبل وإضافته إلى الحمام ، يعنى أنهم قد حدث لهم الأمن قبل أن يسكنها الحمام ، والساجع : الذى يرسل صوته على طريقة واحدة ، ولعله أراد الذى يغرد لطرب وسرور بدليل مقابلته بالنائح .

(١٦) كانوا الجبال لها : يريد أنهم كانوا الحافظين لها القائمين على حمايتها ، =

١٧ وَالْفَضْلُ إِنْ شَمِلَ الإِظْلَامُ سَاحَتَهَا مِصْبَاحُهَا الْمُتَجَلِّي مِنَ مَصَابِحِهَا

١٨ مِنْ خَيْرِهَا مَغْرِسًا فِيهَا، وَأَوْسَعِهَا شِعْبًا تُحَطُّ إِلَيْهِ عِيرُ مَادِحِهَا

١٩ لاَ تَفْتَ تُزْجِي فَتِيَّ الْعِيسِ سَاهِمَةً إِلَى فَتًى سِنُّهَا مِنْهَا وَقَارِحِهَا

٢٠ حَتَّى تُنَاوِلَ تِلْكَ الْقَوْسَ بَارِيَهَا حَقًّا، وَتُلْقِي زِنَادًا عِنْدَ قَادِحِهَا

٢١ كَأَنَّ صَاعِقَةً فِي جَوْفِ بَارِقَةٍ زَئِيرُهُ وَاغِلاً فِي أُذْنِ نَابِحِهَا

= وهم سالوا: يريد أنهم كانوا ربيع هذه البلد ومصدر نعمته ، والأباطح : جمع أبطح ، ويريد بها هنا بطاح مكة .

(١٧) الفضل : اسم الممدوح ، وهو مبتدأ خبره قوله « مصباحها » فى أول الشطر الثانى ،

(١٨) المغرس : المكان الذى تغرس فيه الأشجار ، والشعب ـ بكسر الشين ـ الطريق فى الجبل ، يريد أن الممدوح أشرف هذه القبيلة وأكرمها ، وهو الذى يقصده الناس بالمدائح لأنه أكثرهم عطاء وعارفة .

(١٩) لا تفت : أصله لا تفتأ ـ بالهمز ـ فقلب الهمزة ألفا لانفتاح ما قبلها ، ثم عامل هذه الألف معاملة الألف المعتلة أصالة فحذفها للجزم ، ومعنى « لا تفت » لا تزل وتزجى : تسوق ، والعيس : الإبل ، واحدها أعيس أو عيساء ، و « فتى سنها » الحديث السن ، وأراد به الممدوح ، والقارح من الإبل : الذى اكتمل سنه ، يريد أنه حديث السن ، ولكن عقله عقل الشيوخ ، وتجربته تجربة المحنكين الذين بلوا الدهر وخبروا أحواله .

(٢٠) أخذ هذا البيت من قولهم فى المثل « أعط القوس باريها » .

(٢١) واغلا : داخلا بغير إذن ، والنابح هو الكلب ، وصوته النباح ، جعل عدوه الذى يتكلم فيه مثل الكلب ، ونظيره فى ذلك قول الشاعر :

وهل كان الحطيئة غير كلب رماه الله أن نبح النجوما

٢٢ سِنَانُ مَوْتٍ ذُعَافٍ مِنْ أَسِنَّتِهَا ، صَفِيحَةٌ تُتَحَامَى مِنْ صَفَائِحِهَا

٢٣ ذُو تُدْرَإٍ وَإِبَاءٍ فِي الأُمُورِ، وَهَلْ جَوَاهِرُ الطَّيْرِ إِلاَّ فِي جَوَارِحِهَا ؟

٢٤ يَا حَاسِدَ الْفَضْلِ لا أَعْرِفَكَ مُحْتَشِداً
لِغَمْرَةٍ أَنْتَ عِنْدِي غَيْرُ سَابِحِهَا

٢٥ لِكَوْكَبٍ نَازِحٍ عَن كَفِّ لاَمِسِهِ
وَصَخْرَةٍ وَسْمُهَا فِي قَرْنِ نَاطِحِهَا

٢٦ وَلاَ تَقُلْ إِنَّنَا مِنْ نَبْعَةٍ ؛ فَلَقَدْ
بَانَتْ نَجَائِبُ إِبْلٍ مِنْ نَوَاضِحِهَا

٢٧ سَمَيْدَعٍ يَتَغَطَّى مِنْ صَنَائِعِهِ
كَمَا تَغَطَّتْ رِجَالٌ مِنْ فَضَائِحِهَا —

---

(٢٣) ذو تدرإ : يعنى أنه ذو حد يدفع به العدو ، وتقول « درأته أدرؤه » أى دفعته أدفعه ، وقال العباس بن مرداس السلمى :

وقد كنت فى الحرب ذا تدرإ فلم أعط شيئا ولم أمنع

ويروى « وقد كنت فى القوم ذا تدرإ » وقال الآخر :

وذو تدرإ ما الليث فى أصل غابه بأشجع منه عند قرن ينازله

(٢٤) لا أعرفك محتشدا : أى لا يكن منك ما يعرفنى ذلك ، والغمرة فى الأصل الماء الكثير ، ثم تستعار للشدة ، وقال الشاعر :

زعم العواذل أننى فى غمرة صدقوا ، ولكن غمرتى لا تنجلى

(٢٥) وسمها : علامتها ، وأخذ هذا من قول الأعشى ميمون :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها ، وأوهى قرنه الوعل

(٢٦) نبعة — بفتح النون وسكون الباء — أراد بها هنا الأصل ، والنجائب : جمع نجيبة وهى الكريمة من النوق ، والنواضح : جمع ناضح ، وهو ما يستقى عليه من الإبل . يقول : لا تتوهم أن رجوعكما إلى أصل واحد يجعلك مثله ، فإن بعض الإبل نجيب وبعضها يمتهن فى سقى الماء وهما جنس واحد .

(٢٧) السميدع : السيد الكريم ، والصنائع : جمع صنيعة ، وهى مايصنعه =

٢٨ وفارَةُ المِسْكِ لاَ يُخْفِي تَضَوُّعَها
طُولُ الحِجَابِ ، وَلاَ يُزْرِي بِفَائِحِهَا

٢٩ لِلّهِ دَرُّكَ فِي الخَوْدِ الَّتِي طَمَحَتْ   مَا كَانَ أَرْفَاكَ يَاهَذَا لِطَامِحِها

٣٠ نَقِيَّـــةُ الجَيْبِ ، لاَ لَيْلٌ بِمُدْخِلِهَا
فِي بَابِ عَيْبٍ ، وَلاَ صُبْـــحٌ بِفَاضِحِهَا

٣١ أَخَذْتَهَا لَبْوَةَ العِرِّيسِ مُلْبِــــدَةً
فِي الغَابِ ، وَالنَّجْمُ أَدْنَى مِنْ مَنَا كِحِهَا

٣٢ لَوْ أَنَّ غَيْرَ أَبِي الأَشْبَالِ صَافَحَهَا   شَـكَّتْ بِمِخْلَبِهَا كَفَّيْ مُصَافِحِهَا

٣٣ جَاءَتْ بِصَقْرَيْنِ غِطْرِيفَيْنِ لَوْ وُزِنَا
بِهَضْبِ رَضْوَى إِذَنْ مَالاَ بِرَاجِحِهَا

= من المكارم ، ويتغطى منها : أي يستترفلا يحب أن يبدو للناس أنه صانعها لأنه يرى ذلك من المن ، وكل مكرمة وإن جلت صغيرة عنده .

(٢٨) فأرة المسك : وعاؤه ، والفائح : الذائع العطر ، يعني أنه يظهر للناس مهما يخف صنائعه أنها صادرة عنه .

(٢٩) كانت لعبيد الله بن صالح أخي الممدوح جارية فأعتقها وتزوجها ثم مات عنها، فآلت ألا تتزوج ، وكان الفضل يحبها ، فلم يزل يتلطف بها حتى أجابته ؛ فهذا هو ما يريده أبو تمام بهذا البيت .

(٣٠) نقية الجيب : يريد أنها عفة طاهرة ناصعة الطهر ، ويروى « لا ليل بمدلجها » .

(٣١) أصل اللبؤة بضم الباء وبعدها همزة مفتوحة ، وقد تسهل الهمزة فتقلب واوا ، وقد تسكن ــ بعد ذلك ــ الباء ، وهكذا يستعمل العامة هذه الكلمة، والعريس بوزن السكيت ــ مسكن الأسود .

(٣٢) أبو الأشبال : كنية الأسد ، يريد أن غيره ما كان يستطيع الوصول إليها.

(٣٣) صقرين : أراد ولديه منها ، والغطريف : السيد الكريم ، ورضوى : جبل بعينه .

٣٤ بِهاشِمِيَّيْنِ كالبَدْرَيْنِ إنْ لُحِجَتْ مَغَالِقُ الدَّهْرِ كانَا مِنْ مَفَاتِحِهَا

٣٥ نَصْلَيْنِ قَدْ أُثْبِتَا فِي قَلْبِ شَانِئِهَا
نَارَيْنِ أُوقِدَتَا فِي كَشْحِ كَاشِحِهَا

٣٦ وَكَذَّبَ اللهُ أَخْبَارًا قُرِفْتَ بِهَا بِحُجَّةٍ تُسْرَجُ الدُّنْيَا بِوَاضِحِهَا

٣٧ مُضِيئَةٍ نَطَقَتْ فِينَا كَمَا نَطَقَتْ
ذَبِيحَةُ الْمُصْطَفَى مُومَى لِذَابِحِهَا

٣٨ لَئِنْ قَلِيبُكَ جَاشَتْ بِالسَّمَاحَةِ لِي
لَقَدْ وَصَلْتُ بِشُكْرِي حَبْلَ مَاتِحِهَا

٣٩ وَقَدْ رَأَتْنِي قُرَيْشٌ سَاحِبًا رَسَنِي
إِلَيْكَ عَنْ طَلْقِهَا وَجْهًا وَكَالِحِهَا

---

(٣٤) لحجت : أراد أغلقت وأقفلت ، والمفاتح : جمع مفتح ، أو هو جمع مفتاح وأصله مفاتيح فحذف الياء اكتفاء بالكسرة التي قبلها .

(٣٥) نصلين : أراد سيفين ، وشانئها : مبغضها وكارهها ، والكاشح : مظهر العداوة .

(٣٦) يروى « وكذب الله أخبارا » قرفت : اتهمت ، ويروى « قذفت » قالوا يشير بهذا الكلام إلى سعاية كان حساد الفضل قد سعوا إلى المعتصم بها ، ولكنها لم تثبت ، ولعله يريد ما كانوا قد زعموه من أن الفضل قتل أخاه ليتزوج بهذه الجارية .

(٣٨) القليب : البئر ، وجاشت : فاضت ، والماتح : الذي يدلى الدلو ليستقى الماء من البئر .

(٣٩) الرسن : الحبل تربط به الدابة ، وقالوا « سحب فلان رسنه » إذا لم يعقه عائق ، ويروى « وهل رأتني قريش – إلخ » ويقال : فلان طلق الوجه ، أو طلق المحيا ، إذا كان ضاحكا باشا ، ويقال: كلح فلان ، إذا كان عابسا، يريد بطلقها وكالحها جميعهم ، يعني أنه لم يره أحد يقصد غيره من قريش .

٤٠ إِذَا الْقَصَائِدُ كَانَتْ مِنْ مَدَائِحِهِمْ
يَوْمًا فَأَنْتَ لَعَمْرِى مِنْ مَدَائِحِهَا

٤١ وَإِنْ غَرَائِبُهَا أَجْدَبْنَ مِنْ بَلَدٍ
كَانَتْ عَطَايَاكَ مِنْ أَنْدَى مَسَارِحِهَا

* * *

(٤٠) يريد أن القصائد التى تقال فيك تفخر بأنها قيلت فيك ، فأنت تشرف الشعر ، ويروى الشطر الثانى « فأنت لاشك عندى من مدائحها » .

(٤١) غرائبها : التى تنزع من بلد إلى بلد ، ويروى «أجرين» فى مكان «أجدبن» ويروى الشطر الثانى . « كانت عطاياك أندى من مسارحها » وهى رواية التبريزى .

حرف الدال المهملة

(٣٧)

وقال يمدح أبا عبد الله أَحْمَدَ بن أبى دُؤَاد :

١ سَعِدَتْ غَرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادِ فَهْىَ طَوْعُ الإِتْهَامِ وَالإِنْجَادِ
٢ فَارَقَتْنَا فَلِلْمَدَامِعِ أَنْوَا ءُ سَوَارٍ عَلَى الخُدُودِ غَوَادِ
٣ كُلَّ يَوْمٍ يَسْفَحْنَ دَمْعاً طَرِيفاً يُمْتَرَى مُزْنُهُ بِشَوْقٍ تِلَادِ
٤ وَاقِعاً بِالْخُدُودِ وَالْحَرُّ مِنْهُ وَاقِعٌ بِالْقُلُوبِ وَالأَكْبَادِ

---

(٣٧)

اتفقت جميع النسخ على رواية هذه القصيدة أول حرف الدال من باب المديح ، وهى فى رواية التبريزى برقم ٣٤ .

(١) غربة النوى : بعد النية . يقول : إن سعاد توافق النوى وتواتيها ، فتصير معها حيثما توجهت ، فهى مرة فى تهامة ومرة فى نجد ، فلذلك سعدت النوى برفقتها، والإتهام : الذهاب إلى تهامة ، والإنجاد : الذهاب إلى نجد ، ويقولون : أغار فلان، وأتهم ، وأنجد ، وأعرق ، وأشأم ، يريدون ذهب نحو الغور ، ونحو تهامة ، ونحو نجد ، ونحو العراق ، ونحو الشام ، وقال الأعشى ميمون :

نبي يرى مالا ترون ، وذكره أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا

(٢) فارقتنا : يروى فى مكانه « غادرتنا » أى تركتنا ، والأنواء : جمع نوء ، وهو فى لسانهم بمعنى المطر ، وسوار : جمع سار أو سارية ، ويروى « على النحور » فى مكان « على الخدود » وغواد : جمع غاد أو غادية ،

(٣) يسفحن : يصببن ، وأصل الطريف: المال الذى تستحدثه بنفسك ولم ترثه ، ويراد به الجديد ، ويمترى مزنه : يحلب قطره ، ويروى « يمترى ودقه » وشوق تلاد : أى قديم العهد ، وأصل التلاد المال الذى ترثه ، يريد أن الأنواء لها فى كل يوم دمع جديد تحتلبه من عيوننا بسبب الشوق الذى تكنه جوانحنا منذ أمد بعيد .

(٤) يروى « والبرد منه واقع بالقلوب » يعنى أن الدموع تسيل على الخدود

٥ وَعَلَى الْعِيسِ خُرَّدٌ يَتَبَسَّمْــــنَ عَنِ الأَشْنَبِ الشَّتِيتِ الْبُرَادِ

٦ كَانَ شَوْكَ السَّيَالِ حُسْناً فَأَمْسَى
دُونَهُ لِلْفِرَاقِ شَوْكُ الْقَتَـــادِ

٧ شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الْـ
ـرَّأْسِ إِلاَّ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ

٨ وَكَذَاكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ
وَنَعِيمٍ طَلاَئِعُ الأَجْسَــادِ

= فتعقبنا راحة فى قلوبنا وبردا فى أكبادنا ، ومن عادتهم أن يجدوا بعض السلو فى البكاء ، كما قال ذو الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفى نجى البلابل

(٥) العيس : الإبل ، والخرد : جمع خريدة ، وأصلها اللؤلؤة التى لم تثقب ، وأراد حسان النساء ، والأشنب : ذو الريح الطيب ، وأراد به الفم ، والشتيت : المفلج الأسنان ، والبراد : البارد ، ويريد به عذب الريق .

(٦) السيال ـ بفتح السين ، بزنة السحاب ـ ضرب من شجر العضاه ، سبط الأغصان عليه شوك أبيض أصوله مثل ثنايا العذارى ، قال الأعشى :

باكرتها الأعراب فى سنة النو م فتجرى خلال شوك السيال

والقتاد : من أكثر العضاه شوكا ، ويقولون فى الأمر يتعذر الوصول إليه ويصعب الحصول عليه : دونه شوك القتاد ، ودونه خرط القتاد . يقول : قد كان ذلك الثغر نقيا صافيا مليحا فى عين المحب كأنه شوك السيال ، ثم حال الفراق بينه وبين المحب فصار بعيد المنال .

(٧) يريد أنه ما شاب من كبر السن ، ولكن الهموم ولواعج الفراق هى التى شيبته ، ويروى « إلا من فرط شيب الفؤاد » .

(٨) يريد أن كل مايظهر على الجسم من آثار البؤس ، أو من علائم النعيم ، إنما نجم أول الأمر فى القلب ، ثم استعلن فى الجسم .

٩ طَالَ إِنْـكَارِىَ الْبَيَاضَ ، وَإِنْ عُمِّرْ
تُ شَيْئًا أَنْـكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ

١٠ نَالَ رَأْسِى مِنْ ثُغْرَةِ الهَمِّ دَاءٌ لَمْ يَنَلْهُ مِنْ ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ

١١ زَارَنِى شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَيْمٍ عَمَّرَتْ مَجْلِسِى مِنَ الْعُوَّادِ

١٢ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَوْرَيْتَ زَنْداً فِى يَدِى كَانَ دَائِمَ الإِصْلَادِ

١٣ أَنْتَ جُبْتَ الظَّلَامَ عَنْ سَنَنِ الآ
مَالِ إِذْ ضَـــلَّ كُلُّ هَادٍ وَحَادِ

---

(٩) أراد بالبياض ما ظهر من شيب شعره ، ولو تطاول به العمر لـكثر الشيب حتى صار ينـكر ما بقى من سواد شعره ، وقد يكون المعنى إننى الآن أنـكر بياض شعر رأسى لأنه حادث فجأنى ، ولو قد طال عهدى به لألفته و كرهت فراقه ، وإلى هذا المعنى ذهب المتنبى فى قوله :

خلقت ألوفا لورجعت إلى الصبى لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

وقد يكون المعنى إننى أنـكر فى هذه الأيام بياض شعر رأسى ، ولو أننى بقيت لتغير كل شىء فيسود أديمى بعد البياض ، وهذا من قول العريان :

وكنت شبابى أبيض اللون زاهرا فصرت بعيد الشيب أسود حالـكا

(١٠) ثغرة الهم : هى الثلمة التى دخلت منها إليه الحوادث والهموم ، وأراد بثغرة الميلاد تطاول العمر ، وجعله ثغرة على طريق المشاكلة . يقول : نزل بى من الحوادث وصب على من الهموم شىء كثير ، فشبت من غير كبر ولا شيخوخة .

(١١) الضمير فى « زارنى شخصه » يعود إلى الشيب ، ويروى « أعمرت » فى مكان « عمرت » بتشديد الميم ، والعواد : جمع عائد ، وهو الذى يزور المريض خاصة ، يقول : إن الشيب نزل بى فـكثر المتوجعون لى والراثون لشبابى الراحل ، وشبههم بالعواد لما يظهرون له من الشفقة عليه والتفجع له .

(١٢) يقول العرب « أورى القادح الزند » إذا أخرج بقدحه ناره ، ويقولون « صلد الزند » و« أصلد الزند » إذا قدح فلم يور نارا ، ويضربون ورى الزند مثلا لنجح الحاجة . يقول : لقد حققت أملى وصدقت ظنى بعد أن طال تـكذيب من عداك له .

(١٣) جبت الظلام : أراد قطعته وكشفته ، والحادى : أصله سائق الإبل ، =

١٤ فَكَأَنَّ الْمُغِذَّ فِيهَا مُقِيمٌ ... وَكَأَنَّ السَّارِى عَلَيْهِنَّ غَادِ
١٥ وَضِيَاءُ الآمَالِ أَفْسَحُ فِى الطَّرْ ... فِ وَفِى الْقَلْبِ مِنْ ضِيَاءِ الْبِلاَدِ
١٦ كَانَ فِى الأَجْفَلَى وَفِى النَّقَرَى عُرْ ... فُكَ نَضْرَ الْعُمُومِ نَضْرَ الْوُحَادِ
١٧ وَمِنَ الْحَظِّ فِى الْعُلَى خُضْرَةُ الْمَعْـ ... ـرُوفِ فِى الْجَمْعِ مِنْهُ وَالإِفْرَادِ
١٨ كُنْتُ عَنْ غَرْسِهِ بَعِيداً فَأَدْنَتْـ ... ـنِى إِلَيْهِ يَدَاكَ عِنْدَ الْجِدَادِ
١٩ سَاعَةً لَوْ تَشَاءُ بِالنَّصَفِ فِيهَا ... لَمَنَعْتَ الْبِطَاءَ خَصْلَ الْجِيَادِ

= والهادى : الدليل الذى يرشد السائرين . يقول : أنت بينت للناس الطرق الموصلة إلى آمالهم .

(١٤) تقول « أغذ فلان إغذاذا » تريد أسرع فى سيره ، والسارى : أصله الذى يسير ليلا ، والغادى : الذى يسير نهارا ، يقول : لما بينت للناس طرق آمالهم سهل عليهم الوصول فصار من يسرع السير كمن هو مقيم لا يلحقه عناء ، وصار من يسير ليلا كمن يسير نهارا ، لاتضاح الطريق له ، ويروى « وكأن السارى عليها كغاد » .

(١٥) يروى « وضياء الأمور » وأفسح : أوسع ، والطرف : طرف العين .

(١٦) الأجفلى : الدعوة العامة ، ومثلها الجفلى — بفتحات — والنقرى : أن يخص الداعى بدعوته قوما دون قوم ، وقال طرفة بن العبد البكرى :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى ... لا ترى الآدب فينا ينتقر

والعرف — بالضم — المعروف ، والوحاد : جمع وحيد ، ونظيره كريم وكرام ولئيم ولئام .

(١٧) خضرة المعروف : زكاؤه ونماؤه ، شبهه بالعود الأخضر لأن النفس ترتاح له وتميل إليه ، ولأنه يثمر الشكر والأجر كما يثمر العود الأخضر الثمر .

(١٨) جداد النخل : صرامه وقطع بلحه ، يقول : لم أكن حاضرا فى الوقت الذى غرست فيه معروفك ، ولكنك أحضرتنى عند جنى الثمرة .

(١٩) يقول : إنك لو كنت تعامل الناس بالعدل والنصفة لكنت خليقا بأن تمنع معروفك من لم يتقدم اتصاله بك ، لكنك لم تفعل ذلك ، بل أعطيتنى ورفدتنى وأنا حديث عهد بك .

٢٠ لؤموا مَرْكَزَ النَّدَى وَذَرَاهُ وَعَدَتْنَا عَنْ مِثْلِ ذَاكَ الْعَوَادِى

٢١ غَيْرَ أَنَّ الرُّبَى إِلَى سَبَلِ الأَنْــوَاءِ أَدْنَى وَالْحَظُّ حَظُّ الْوِهَادِ

٢٢ بَعْدَ مَا أَصْلَتَ الْوُشَاةُ سُيُوفًا قَطَعَتْ فِيَّ وَهْيَ غَيْرُ حِدَادِ

٢٣ مِنْ أَحَادِيثَ حِينَ دَوَّخْتَهَا بِالـــرَّأْيِ كَانَتْ ضَعِيفَةَ الإِسْنَادِ

٢٤ فَنَفَى عَنْكَ زُخْرُفَ الْقَوْلِ سَمْعٌ لَمْ يَكُنْ فُرْضَةً لِغَيْرِ السَّدَادِ

٢٥ ضَرَبَ الْحِلْمُ وَالْوَقَارُ عَلَيْهِ دُونَ عُورِ الْكَلَامِ بِالأَسْدَادِ

---

(٢٠) الندى : الجود ، ومركزه : أراد أساسه وأصله ، وذراه — بفتح الذال — أعلاه ، وعدتنا : صرفتنا وحولتنا ، والعوادى : جمع عادية .

(٢١) الربى : جمع ربوة ، وهى المكان المرتفع ، وسبل الأنواء : المطر ، وأدنى : أقرب ، والوهاد : جمع وهدة ، وهى المطمئن المنخفض من الأرض ، يقول : لم يحرمنى بعدى عنك من معروفك، ولم يكن قرب غيرى إليك سببا لاستئثارهم بنوالك، كما أن الوهاد يستقر بها المطر فتنتفع به ويجاوز الربى التى هى أقرب إليه .

(٢٢) أصلت فلان سيفه : شهره وأخرجه من غمده ، وحداد : جمع حديد ، وهو القاطع النافذ فى الضريبة

(٢٣) دوختها : ذللتها ، ويروى « زوجتها » أى قرنتها ، والرأى : الفكر ، ويروى « بالسمع » والإسناد فى مصطلح أهل الحديث : الطريق الذى يروى به الحديث حتى يرفع إلى قائله ، وضعف الإسناد عندهم سبب فى رد الحديث

(٢٤) زخرف الرأى : تزيين ظاهره وتحسينه ، والفرضة — بضم الفاء وسكون الراء ، وبعدها ضاد معجمة — المعبر والطريق إلى المقصد ، ويروى «فرصة» بالصاد المهملة — أى نهزة ، يريد أن هذا القول المنمق الذى وشاه الحساد والوشاة لم يلق قبولا منك .

(٢٥) عور الكلام : جمع عوراء ، وهى الكلمة القبيحة ، قال حاتم :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقال الآخر :

وعوراء جاءت من أخ فرددتها بسالمة العينين طالبة عذرا

٢٦ وَحَوَانٍ أَبَتْ عَلَيْهَا الْمَعَالِى   أَنْ تُسَمَّى مَطِيَّةَ الْأَحْقَادِ
٢٧ وَلَعَمْرِى أَنْ لَوْ أَصَخْتَ لَأَقْدَمْـــتَ بِحَتْفِى صِينِيَّةَ الْحُسَّادِ
٢٨ حَمَلَ الْعِبْءَ كَاهِلٌ لَكَ أَمْسَى   لِخُطُوبِ الزَّمَانِ بِالْمِرْصَادِ
٢٩ عَاتِقٌ مُعْتَقٌ مِنَ الْهُونِ إِلاَّ   مِنْ مُقَاسَاةِ مَغْرَمٍ أَوْ نِجَادِ

= وقال الآخر:

وعوراء قد قيلت فلم أستمع لها   وما الكلم العوران لى بقؤول

وقال الآخر ، وهو ابن عنقاء الفزارى :

إذا قيلت العوراء أغضى كأنه   ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر

(٢٦) حوان : جمع حانية ، وأصلها من قولهم « حنت الأم على الولد » أى عطفت، وأرادبها الأضلاع ، يعنى أن الأضلاع التى استقرت تحتها القلوب المليئة بالمودة لم ترض بأن تنطوى على حقد وضغينة فتكون كالمطية لهما .

(٢٧) أصخت : ألقيت سمعك لما قيل من الوشايات ، وما بعده يروى على وجوه كثيرة ، منها « لأقرمت لحتفى ضغينة الحساد » أى صيرت حسادى قروما ، ويروى « لأقررت لحتفى سخينة الحساد » يعنى أبردت النار التى تحرق صدورهم وهى نار الحقد ، ويروى « لأفللت لحتفى ضغينة الحساد » ويروى « لأفللت لحتفى أمنية الحساد » وذكر أبو العلاء أن أجود الروايات « لأقدمت لحتفى صينية الحساد » من « قدم الغائب » و « أقدمته » وصينية الحساد : من يسكن الصين من حساده المنتشرين فى الأرض .

(٢٨) العبء : الحمل الثقيل ، والكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق ، أو مابين الكتفين ، أو موصل العنق فى الصلب ، والخطوب : جمع خطب ، وهو هنا: النازلة من نوازل الزمان ، ويروى «لقطوب الزمان» والمرصاد : المكان الذى يرصد فيه العدو، ويروى « لصروف الزمان بالمرصاد » يعنى أنه يرصدها فإذا حدثت حملها .

(٢٩) العاتق : المنكب ، والأكثر فيه التذكير ، ومعتق : أى محرر ، ويروى « عاتق عاتق » أى أنه خالص من أن يلحقه ذل ، والهون : الهوان والذل ، مقاساة مغرم : يريد أنه يتحمل عن الناس ما يغرمونه ، والنجاد ــ بوزن كتاب ــ حمالة السيف .

٣٠ لِلْحَمَالاَتِ وَالْحَمَائِلِ فِيهِ كَلُحُوبِ الْمَوَارِدِ الْأَعْدَادِ
٣١ مُلِّيتَكَ الأَحْسَابُ أَيُّ حَيَاءِ وَحَيَا أَزْمَـةٍ وَحَيَّةِ وَادِ
٣٢ لَوْ تَرَاخَتْ يَدَكَ عَنْهَا فُوَاقًا أَكَلَتْهَا الأَيَامُ أَكْلَ الْجَرَادِ
٣٣ أَنْتَ نَاضَلْتَ دُونَهَا بِعَطَايَا عَائِدَاتٍ عَلَى الْعُفَاةِ بَوَادِ
٣٤ فَإِذَا هُلْهِلَ النَّوَالُ أَتَتْنَا ذَاتَ نِيرَيْنِ مُطْبَقَاتُ الأَيَادِى

---

(٣٠) الحمالات ـ بفتح الحاء ـ جمع حمالة ، وتطلق على كل ما لزم من غرم : دية أو نحوها ، والحمائل : جمع حمالة ـ بكسر الحاء ـ وهى حمالة السيف ، ولحوب جمع لحب ، ونظيره خيط وخيوط ، وضرب وضروب ـ واللحب : الطريق الواضح، والموارد : جمع مورد ، وهو الماء المورود ، والأعداد : جمع عد ـ بكسر العين ـ وهو الماء القديم الذى له أصل يفيض منه ولا يخشى فناؤه ، وصفه بمعاناة الحرب وكثرة احتماله للمغارم ، لكنه بالغ فى الوصف .

(٣١) مليتك ـ بالبناء للمجهول ـ طال عمرك لتتمتع بك ، والأحساب : جمع حسب ، وهو كل ما يعده الإنسان من مفاخر قومه ، أى حياء : يروى « أى حياة » ومعناه التعجب ، لأن حياءه ـ أو حياته ـ بلغ مبلغا لم يبلغه حياء أحد غيره ، وهذا مبتدأ خبره محذوف ، وتقدير الكلام : أى حياء فيك ، والحيا ـ بوزن الفتى ـ المطر ، والأزمة : السنة الشديدة ، وهم يصفون الرجل الشجاع بأنه حية الوادى .

(٣٢) الضمير فى «عنها» راجع للأحساب ، والفواق ـ بوزن الغراب ـ الوقت الذى بين الحلبتين للناقة ، ويعنون به الزمن القصير ، يقول : لولاك لذهبت الأحساب ، والجراد معروف بأكل الزرع أكلا ذريعا .

(٣٣) ناضلت : دافعت وحاربت ، والعطايا : جمع عطية ، ويروى عجز البيت « رائحات على العفاة بواد » وعائدات : جمع عائدة ، ورائحات : جمع رائحة ، وبواد : جمع بادية ، يريد أنها لا تنقطع عنهم ، فهى تبدؤهم ثم تعود عليهم .

(٣٤) هلهل ـ بالبناء للمجهول ـ رقق ، ويقال فى هذا المعنى « لهله » أيضا ، وهو مقلوب الأول ، والنوال : العطاء ، ويقال « ثوب ذو نيرين » إذا كان قويا محكم النسج ، قال الراجز :

حوكت على نيرين إذ تحاك تختبط الشوك ولا تشاك =

٣٥ كُلُّ شَيْءٍ غَثٌّ إِذَا عَادَ ، وَالْمَعْــــرُوفُ غَثٌّ ما كَانَ غَيْرَ مُعَادِ
٣٦ كَادَتِ الْمَكْرُمَاتُ تَنْهَدُّ لَوْلاَ أَنَّهَا أُيِّدَتْ بِحَيِّ إِيَادِ
٣٧ عِنْدَهُمْ فُرْجَةُ اللَّهِيفِ وَتَصْــدِيقُ ظُنُونِ الزُّوَّادِ وَالْوُرَّادِ
٣٨ بِأَحَاظِي الْجُدُودِ ، لاَ ، بَلْ بِوَشْكِ الْجِــدِّ ، لاَ ، بَلْ بِسُؤْدَدِ الأَجْدَادِ

= ويستعار ذلك للناس وغيرهم ، قال الشاعر يصف امرأة :

ضناك ، على نيرين ، أمست لداتها بلين بلى الريطات وهى جديد

والأيادى : النعم ، سميت بذلك لأنها تعطى باليد ، ومطبقاتها : التى قد أطبق بعضها على بعض ، يعنى أنها متتابعة متتالية ، وموضع « مطبقات الأيادى » فاعل أتتنا ، وموضع « ذات نيرين » حال منها .

(٣٥) يقال « لحم غث » أى ليس بسمين ، ويقال « حديث غث ، وكلام غث » أى ليس له طلاوة ، وأراد بقوله « إذا عاد » إذا رجع ، أى تكرر ، يريد أن كل شىء يتكرر تمجه النفس وتعافه ، إلا المعروف فإنه يحلو بتكراره ويغث بانقطاعه .

(٣٦) أيدت : قويت ، ويروى « بخير إياد » .

(٣٧) اللهيف : الملهوف ، ويروى « عندهم فرحة اللهيف » ويروى أيضا « وتصديق رجاء الزوار والرواد » ويروى « الوراد والرواد » والزوار : جمع زائر ، والرواد : جمع رائد ، وأصله طالب الكلأ ثم يطلق على طالب المعروف ، والوراد : جمع وارد ، وأصله الذى يرد الماء ليستقى .

(٣٨) الأحاظى : جمع حظ على غير قياس ، هكذا قال قوم ، وقال صاحب التهذيب : واحد الأحاظى أحظاء ، وواحد الأحظاء حظى ــ بكسر أول هذا المفرد ــ وعندى أنك لو ذهبت إلى أنهم جمعوا أول الأمر حظوة ــ بضم فسكون أو بكسر فسكون ــ على الأحظى مثل الأدلى فى جمع دلو والأظبى فى جمع ظبى ، ثم جمعوا الأحظى على الأحاظى ، لم تكن أبعدت النجعة ، وقال الحماسى :

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاظ قسمت وجدود =

٣٩ وَكَأَنَّ الأَعْنَاقَ يَوْمَ الْوَغَى أَوْ لَى بِأَسْيَافِهِمْ مِنَ الأَغْمَادِ

٤٠ فَإِذَا ضَلَّتِ السُّيُوفُ غَدَاةَ الـ ـرَّوْعِ كَانَتْ هَوَادِيًا لِلْهَوَادِي

٤١ قَدْ بَثَثْتُمْ غَرْسَ الْمَوَدَّةِ وَالشَّحْـ ـنَاءِ فِي قَلْبِ كُلِّ قَارٍ وَبَادِ

٤٢ أَبْغَضُوا عِزَّكُمْ وَوَدُّوا نَدَاكُمْ فَقَرَوْكُمْ مِنْ بِغْضَةٍ وَوِدَادِ

٤٣ لاَ عَدِمْتُمْ غَرِيبَ مَجْدٍ رَبَقْتُمْ فِي عُرَاهُ نَوَافِرَ الأَضْدَادِ

* * *

= والجدود فى قول أبى تمام جمع جد ـ بفتح الجيم ـ وهو البخت والحظ ، فيكون قد أضاف الشىء إلى نفسه لاختلاف اللفظين الدالين على المعنى الواحد ، والوشك : القرب ، والجد ـ بكسر الجيم ـ الاجهاد ، ومعنى البيت : أن سبب اتصافهم بتفريج كرب الملهوف واحد من هذه الثلاثة أو اجتماعها فيهم .

(٣٩) الأعناق : جمع عنق ، والوغى : الحرب ، والأغماد : جمع غمد وهو جراب السيف .

(٤٠) غداة الروع: أى وقت الفزع ، والهوادى الأول: جمع هاد بمعنى المرشد، والهوادى الثانى: جمع الهادى بمعنى العنق ، يعنى أنه فى يوم الفزع إذا تحيرت الأبطال ولم تهتد سيوفهم إلى أعناق أقرانهم فإن سيوف هؤلاء الممدوحين تهتدى إلى مواقعها من رقاب الأعداء لطول ماتعودت الوقوع عليها .

(٤١) يقول العرب « قرى فلان بقرى فهو قار » إذا نزل قرية من القرى ، كما يقولون « بدا يبدو فهو باد » إذا نزل البادية ، وكما يقولون « مدن يمدن فهو مادن » إذا نزل مدينة من المدن ، بثثتم : معناه أذعتم ، والشحناء : البغض والحقد ، يريد أن هؤلاء الممدوحين قد ملأوا قلوب الناس جميعا لا فرق بين ساكنى القرى وساكنى البادية بالمودة ، لأنهم يطلبون عطاءهم فيحصلون عليه ، وبالحقد أيضا لأنهم يريدون عزهم ومجدهم فيرون أنه لا سبيل لهم إلى مثله ، والبيت الذى يلى هذا البيت يشتمل على بيان ذلك المعنى .

(٤٣) لاعدمتم : دعاء لهم بأن يبقى مجدهم مفردا لا نظير له ، ويروى « غريب =

(٣٨)

وقال أيضاً يمدحه ويعتذر إليه :

١ سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبَلُ الْعِهَادِ وَرَوَّضَ حَاضِرٌ مِنْهُ وَبَادِ

٢ نَزَحْتُ بِهِ رَكِيَّ الْعَيْنِ إِنِّى رَأَيْتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ

=عز » ومعنى ربقتم شددتم ، والعرى : جمع عروة ، وأصل هذا من الربق ـ بكسر الراء وسكون الباء ـ وهو حبل فيه عدة عرى يشد به البهم ، وكل عروة يقال لها « ربقة » بكسر الراء أو فتحها والباء ساكنة فيهما ، وتقول « ربق الشاة يربقها ـ من بابى ضرب ونصر ـ إذا جعل رأسها فى الربقة ، وأراد أبو تمام بنوافر الأضداد ما قدمه فى قوله « فقروكم من بغضة ووداد » يعنى مافى قلوب الناس من الحسد لارتفاع منزلتهم وعظيم مجدهم وشريف عزهم ، ومن الود الذى تدفعهم إليه كثرة عطاياهم ، ويسوقهم له جودهم الذى يفوق كل جود ، وإفضالهم الذى ليس كمثله إفضال .

* * *

(٣٨)

اتفقت جميع النسخ على ذكر هذه القصيدة تالية للقصيدة السابقة ، وهى فى شرح التبريزى برقم ٣٥ .

(١) عهد الحمى : أصله الزمان الذى كان يعهد أحبابه فيه ، ولكنه يريد المنزل الذى كان يلقاهم فيه بالحمى ، والدعاء بالسقيا قرينة على أنه أراد ذلك ، وسبل العهاد : مطر يجىء بعضه فى إثر بعض ، ويروى « صوب العهاد » وروض ـ بتضعيف الواو مبنيا للمعلوم ـ أى صار ذا روض ، وأراد من الحاضر المكان الذى فيه الحاضر ، ومن البادى المكان الذى فيه البادى ، ويروى «وروض حاضر منها»

(٢) نزحت : من قولك « نزحت البئر » إذا استخرجت ماءها ، والركى : البئر ، وإضافته إلى العين من إضافة المشبه به إلى المشبه ، ويروى « لما رأيت الدمع» ويروى « وجدت الدمع » والعتاد ـ بوزن السحاب ـ العدة وكل ما يعتمد عليه الإنسان فى قضاء أمر من أموره .

٣ فَيَاحُسْنَ الرُّسُومِ وَمَا تَمَشَّى إِلَيْهَا الدَّهْرُ فِي صُوَرِ الْبِعَادِ

٤ وَإِذْ طَيْرُ الحَوَادِثِ فِي رُبَاهَا سَوَاكِنُ وَهْيَ غَنَّاءُ المَرَادِ

٥ مَذَاكِي حَلْبَةٍ ، وَشُرُوبُ دَجْنٍ ،
وَسَامِرُ فِتْيَةٍ ، وَقُدُورُ صَادِ

٦ وَأَعْيُنُ رَبْرَبٍ كُحِلَتْ بِسِحْرٍ وَأَجْسَادٌ تَضَمَّخُ بِالْجِسَادِ

٧ بِزُهْرٍ وَالْحُذَاقِ وَآلِ بُرْدٍ وَرَتْ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ زِنَادِي

---

(٣) « ما » فى قوله « وما تمشى » نافية ، والواو قبلها واو الحال ، يقول : لقد كانت هذه الرسوم حسنة المنظر طيبة حين كان أهلها مجتمعين متواصلين متحابين لم يتنكر لها ولهم الدهر كتنكر البعاد ، فلما دعاهم داعى الفراق فتفرقوا صارت الرسوم قبيحة غير مرغوبة للاقامة فيها .

(٤) الربى : جمع ربوة وهى المرتفع من الأرض ، والسواكن : جمع ساكن من السكون والهدوء ، وغناء: كثيرة الأهل ، وتقول « غنى فلان بالمكان يغنى » – بوزن رضى يرضى – إذا أقام ، والمراد : – بفتح الميم – المكان يذهب ويجاء فيه .

(٥) المذاكى : جمع مذك ، وهو من الخيل الذى تم سنه ، والحلبة : جماعة الخيل ترسل للسباق ، والدجن: إلباس السماء بالغيم ، والشعراء يتحدثون عن الشرب فيه ، السامر : القوم يتحدثون فى ضوء القمر ، وقدور صاد : أى نحاس .

(٦) الربرب : القطيع من بقر الوحش تشبه به النساء فى سعة أعينهم ، وتضمخ أصله تتضمخ فخذف إحدى التاءين ومعناه تتلطخ ، والجساد – بكسر الجيم ، بوزن الكتاب – هو الزعفران .

(٧) ذكر فى هذا البيت ثلاث قبائل من إياد التى ينسب إليها الممدوح – وهى زهر ، وحذاقة ، وبرد – ، وقوله « ورت زنادى » أصل معناه أخرجت النار عند قدحها ، ويراد من هذه العبارة معنى اشتد ساعدى وقوى شأنى وعز جانبى بهم ، وكانوا لى العون على بلوغ آمالى وانظر ص ٢١٦ السابقة .

٨ فَإِنْ يَكُ فِي بَنِي أُدَدٍ جَنَاحِي فَإِنَّ أَثِيثَ رِيشِي مِنْ إِيَادِ
٩ هُمُ عُظْمُ الأَثَافِي مِنْ نِزَارٍ وَأَهْلُ الهَضْبِ مِنْهَا وَالنِّجَادِ
١٠ مُعَرَّسُ كُلِّ مُعْضِلَةٍ وَخَطْبٍ وَمَنْبِتُ كُلِّ مَكْرُمَةٍ وَآدِ
١١ غَدَوْتُ بِهِمْ أَجَلَّ النَّاسِ قَدْرًا وَأَكْثَرَ من وَرَائِي مَاءَ وَادِ

---

(٨) أدد : من طيء قوم أبى تمام ، وإياد : قوم ابن أبى دواد الممدوح ، وهو ابن معد بن عدنان . يقول : إن كانت نسبتى فى أدد وفيهم نشأتى فإن قوتى ومعتمدى فى بنى إياد .

(٩) يروى « هم عظمى الأثافى » والأثافى : ثلاثة أحجار ينصبونها ليضعوا عليها القدر ، وربما لم يجدوا إلا اثنتين فاتخذوا الثالثة من نتوء فى الجبل ، ويقال لها «ثالثة الأثافى» فتلك التى عناها أبو تمام ، والهضب: المكان المرتفع ، والنجاد : جمع نجد ، وهو ما ارتفع وغلظ من الأرض، عنى بكونهم أهل الهضاب وأهل النجاد أنهم يتخذون منازلهم فى الأماكن العالية ليراها قصادهم ، ويقال : أثافى نزار هم مضر وربيعة وإياد وأنمار، ومن عداهم فروع ، فهذا ـ عند قائلى ذلك ـ هو الذى عناه أبو تمام ، ويقال فى قوله« وأهل الهضب منها والنجاد » إنه يعنى ما يقال فى المدح « فلان طلاع أنجد» يريدون أنه ضابط لأموره غالب لها ، وفى هذا المعنى يقول خالد بن علقمة الدارمى :

فقد يقصر القل الفتى دون همه وقد كان ـ لولا القل ـ طلاع أنجد

ويروى « وأهل الفضل منها والنجاد » وقد يكون النجاد مفردا ، وأصله نجاد السيف ، يريد أنهم هم الذين يحملون السيوف ويردون الأعادى بها .

(١٠) المعرس : مكان التعريس وهو النزول ليلا ، والآد : القوة ، يريد أنهم هم القوم الذين يفزع إليهم فى المعضلات لأن عندهم حلها، وفى الخطوب لأنهم القادرون على كشفها ، ومنهم تنشأ المكارم ، وفى منازلهم تنبت الفواضل .

(١١) روى التبريزى هذا البيت تاسع أبيات القصيدة ، ورواه « غدوت بهم أمد ذوى ظلا » ويروى « أجل ذوى قدرا » والمعنى غدوت بسببهم أطول أصحابى ونظرائى ظلا ، وأكثرهم ماء وعزا .

١٢ إِذَا حُدُثُ الْقَبَائِلِ سَاجَلُوهُمْ فَإِنَّهُمُ بَنُو الدَّهْرِ التِّلَادِ

١٣ تُفَرِّجُ عَنْهُمُ الْغَمَرَاتِ بِيضٌ جِلَادٌ تَحْتَ قَسْطَلَةِ الْجِلَادِ

١٤ وَحَشْوُ حَوَادِثِ الأَيَّامِ مِنْهُمْ مَعَاقِلُ مُطْرَدٍ وَبَنُو طِرَادِ

١٥ لَهُمْ جَهْلُ السِّبَاعِ إِذَا الْمَنَايَا تَمَشَّتْ فِي الْقَنَا ، وَحُلُومُ عَادِ

١٦ لَقَدْ أَنْسَتْ مَسَاوِيَ كُلِّ دَهْرٍ مَحَاسِنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادِ

---

(١٢) حدث : جمع حديث ، وساجلوهم : أرادوا أن يصنعوا مثل صنيعهم ، ومنه قول اللهبي :

من يساجلني يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب

والتلاد : القديم ، يريد أنهم أهل المجد القديم ، فأما من عداهم فحديثو عهد بنعمة .

(١٣) الغمرات : جمع غمرة ، وأراد بها الشدائد والنوازل والنوائب ، والبيض : جمع أبيض وهو هنا الرجل الكريم ، والجلاد : جمع جلد ، وهو الكثير الاحتمال الصابر على خوض المعارك ، والقسطلة : الغبار ، والمعنى تكشف عنهم نوازل الدهر رجال منهم كرام شجعان أجلاد تحت غبار المعارك .

(١٤) معاقل : جمع معقل وهو الحصن والملجأ ، والمطرد : الطريد الذى نفاه قومه وتبرأوا منه فصار لا يجد ملجأ ، والطراد – بكسر الطاء – المطاردة فى الحرب ، والعرب تقول «فلان ابن الأرض» إذا كان دائم السير فيها ، و« فلان ابن الحرب » إذا كان كثير الشهود لها ، و « فلان ابن المكارم » إذا كان فياض الندى كثير المعروف ، وهكذا كلما اشتهر واحد بخصلة جعلوه ابنها ، وعليه يحمل قول أبى تمام « وبنو طراد » يريد أن فى كل حادثة تجد قوما منهم معاقل وملاجىء يحتمى بهم المطردون ، وبنى طراد ومعاركة .

(١٥) العرب تجعل السبع لفرط قوته وفائق شجاعته جاهلا تريد أنه يقدم على الفريسة غير مبال بالعواقب ولا مفكر فى ما يصير إليه الأمر ثقة منه بقوته ، فإذا وصفوا رجلا بالقوة القاهرة جعلوه أسدا ، فهذا الذى عناه أبو تمام ، ومع هذا لم يخل ممدوحيه من الحلم ، وحلم عاد مضرب المثل عندهم .

١٧ مَتَى تَحْلُلْ بِهِ تَحْلُلْ جَنَاباً رَضِيعًا لِلسَّوَارِى وَالْغَوَادِى
١٨ تُرَشَّحُ نِعْمَةُ الأَيَّامِ فِيهِ وَتُقْسَمُ فِيهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ
١٩ وَمَا اشْتَبَهَتْ طَرِيقُ الْمَجْدِ إِلاَّ هَدَاكَ لِقِبْلَةِ الْمَعْرُوفِ هَادِ
٢٠ وَمَا سَافَرْتُ فِي الآفَاقِ إِلاَّ وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي
٢١ مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالأَمَانِي وَإِنْ قَلِقَتْ رِكَابِى فِي الْبِلاَدِ
٢٢ مَعَادُ الْبَعْثِ مَعْرُوفٌ ، وَلَكِنْ نَدَى كَفَّيْكَ فِي الدُّنْيَا مَعَادِي
٢٣ أَتَانِي عَائِرُ الأَنْبَاءِ تَسْرِي عَقَارِبُهُ بِدَاهِيَةٍ نَآدِ

---

(١٧) الجناب : الناحية ، والسوارى : جمع سارية وهى هنا : السحابة التى تسير ليلا ، والغوادى : جمع غادية وهى السحابة تسير غدوة ، يقول : إنك إذا نزلت فى جواره فقد نزلت مكانا لا تزال الأمطار تباكره وتغاديه ؛ فهو كثير النعم ، يصفه بخصب الدار ، ومتى أخصبت داره جاد على طالبى بره .

(١٨) ترشح : أصله من قولهم « رشحت الظبية ولدها » إذا قامت على تربيته وعلمته المشى ونحوه ، ثم يستعار لكل شىء ، يقول : فى منازل ابن أبى دواد تربى النعم وتقسم أرزاق الناس .

(١٩) اشتبهت : التبست فلم يعرف أيها أصلح للسلوك فيه .

(٢٠) الآفاق : جمع أفق ـ بوزن عنق وأعناق ـ والجدوى ـ بفتح الجيم ـ العطاء ، يقول : إن عطاءه يصله حيث كان ، وإن بره به يلازمه فى حله وترحاله .

(٢١) يروى « وإن جالت ركابى » أى تحركت ، يقول : إن ظنى أنك الذى يفضل على لا يفارقنى ، ولا يغير من هذا الظن تنقلى فى البلاد .

(٢٢) معاد البعث : يروى فى مكانه « طريق العرف » ويروى « سبيل المجد » ويروى « معاد العرف » .

(٢٣) الأنباء : جمع نبأ ، وهو كالخبر وزناً ومعنى ، والعائر : مأخوذ من قولهم « عار الفرس يعير » أى سار ، وداهية نآد : شديدة يصعب احتمالها .

٢٤ نَثَا خَبَرٍ كأَنَّ الْقَلْبَ أمْسَى ... يُجَرُّ بِهِ عَلَى شَوْكِ الْقَتَادِ
٢٥ كَأَنَّ الشَّمْسَ جَلَّلَهَا كُسُوفٌ ... أوِ اسْتَتَرَتْ بِرِجْلٍ مِنْ جَرَادِ
٢٦ بِأَنِّي نِلْتُ مِنْ مُضَرٍ وَخَبَّتْ ... إِلَيْكَ شَكِيَّتِي خَبَبَ الْجَوَادِ
٢٧ وَمَا رَبْعُ الْقَطِيعَةِ لِي بِرَبْعٍ ... وَلاَ نَادِي الأَذَى مِنِّي بِنَادِ
٢٨ وَأَيْنَ يَجُورُ عَنْ قَصْدٍ لِسَانِي ... وَقَلْبِي رَائِحٌ بِرِضَاكَ غَادِ
٢٩ وَمِمَّا كَانَتِ الْحُكَمَاءُ قَالَتْ : ... لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ
٣٠ وَقِدْمًا كُنْتُ مَعْسُولَ الْمَعَانِي ... وَمَأْدُومَ الْقَوَافِي بِالسَّدَادِ
٣١ لَقَدْ جَازَيْتُ بِالإِحْسَانِ سُو ... إِذاً ، وَصَبَغْتُ عُرْفَكَ بِالسَّوَادِ

---

(٢٤) النثا – بوزن الفتى والعصا – من قولهم « نثا الخبر والحديث ينثوه نثوا » إذا حدث به ، وشوك القتاد : يضرب مثلا لما يشق احتماله .

(٢٥) جللها : غطاها ، والرجل – بكسر الراء وسكون الجيم – القطعة العظيمة من الجراد .

(٢٦) بأنى نلت : هذا هو عاثر الأنباء الذى أتاه وأشار إليه فى البيت ٢٣ ، ومعنى « نلت من مضر » تكلمت فيها كلاماً لا يليق ، وخبت : سارت أسرع السير .

(٢٨) يجور : ينحرف ، ويروى « وقلبى رائح بهواك غاد » ورائح : أصل معناه سائر فى وقت الرواح ، وغاد : سائر فى وقت الغداة ، وأراد أنه مستمر فى العمل على ما يهواه ، فكيف يصح عنه أنه فعل ذلك .

(٣٠) معسول الأمانى : يروى فى مكانه « معسول المعانى » يريد أن معانى مديحه فيهم حلوة ، ومعنى « مأدوم القوافى » مأخوذ من قولهم « أدمت الطعام » إذا خلطته بالأدم ، وجعل الأدم هو السداد ، يقول : كيف يسوغ لى أن أذكرك بشر أو أن أعيب مضر وأنا أعيش فى نعمكم تحلو أمانى وتجاب رغباتى ، وأنا أقول فيكم المديح فتجىء قوافيه مخلوطة بالسداد ، إن معرفتكم ذلك عنى تبعد ما ذكر لكم وتظهره افتراء وزوراً .

٣٢ وَصِرْتُ أَسُوقُ عِيرَ اللُّؤْمِ حَتَّى
أَنَخْتُ الْكُفْرَ فِي دَارِ الْجِهَادِ

٣٣ وَكَيْفَ وَعَتْبُ يَوْمٍ مِنْكَ فَذٍّ
أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ حَرْبِ الْفَسَادِ

٣٤ وَلَيْسَتْ رَغْوَتِي مِنْ فَوْقِ مَذْقٍ
وَلاَ جَمْرِي كَمِينٌ فِي الرَّمَادِ

٣٥ وَكَانَ الشُّكْرُ لِلْكُرَمَاءِ خَصْلاً
وَمَيْدَاناً كَمَيْدَانِ الْجِيَادِ

---

(٣٢) يروى « وصرت أسوق – إلخ » والعير – بكسر العين – هى الإبل التى تنقل عليها الميرة – وهى الطعام – يريد إنى لو فعلت ما نسب لى لكنت قد سودت وجه معروفك وجلبت اللؤم من أصله ومعدنه وسقت العير التى تحمله ، وكفرت النعمة ، وتبدلت بواجب حفظها ما هو سبب فى تضييعها .

(٣٣) فذ : فرد ، وأيام الفساد : يشير بها إلى حروب قديمة وقعت بين طيء – وقيل : كانت لإياد على طيء – وكان الشر قد تطاير شرره بين الفريقين حتى خصف فريق منهم نعالهم بآذان الفريق الآخر ، وشرب هؤلاء الخمر فى جماجم أولئك ، ولهذا سموها « أيام الفساد » .

(٣٤) الرغوة – بتثليث الراء – ما يظهر على وجه اللبن ، والمذق : اللبن المخلوط بالماء ، ويقال له « المذيق » أيضا ، وكمين : مستتر . يقول : أنا سليم جوانب الصدر ، لا أنافق فأظهر غير ما أبطن ، ومن كانت هذه حاله لا يمدحك أمام وجهك ثم يذمك فى غيبتك .

(٣٥) يطلق الخصل على إصابة الغرض ، وميدان الجياد : مكان تسابق الخيل ليعرف السابق منها . يقول : إن كرام الناس هم الذين يعرفون قدر ما أسدى إليهم من النعم فيتسابقون فى شكرها ، فأيهم أجاد الشكر وأصاب به الغرض كان فعله أدل على كرمه .

٣٦ عَلَيْهِ عُقِدَتْ عُقَدِي، وَلاَحَتْ مَوَاسِمُهُ عَلَى شِيَمِي وَعَادِي

٣٧ وَغَيْرِي يأْكُلُ المعرُوفَ سُحْتاً وَتَشْحُبُ عِنْدَهُ بِيضُ الأَيَادِي

٣٨ تَثَبَّتْ إِنَّ قَوْلاً كَانَ زُوراً أَتَى النُّعْمَانَ قَبْلَكَ عَنْ زِيَادِ

٣٩ وَأَرَّثَ بَيْنَ حَيِّ بَنِي جُلاَحٍ سَنَا حَرْبٍ وَحَيِّ بَنِي مَصَادِ

(٣٦) يروى « عليه عقدت عوذى » والعوذ ـ بضم العين وفتح الواو ـ جمع عوذة ، وهى ما يوضع على الصبي ليقيه العين والحسد فى زعمهم ، ولاحت : ظهرت ، والشيم : جمع شيمة وهى الخلق والسجية ، والعاد : جمع عادة . يقول : على شكر النعمة ومعرفة ما يجب لها نشأت فى أهلى منذ طفولتى ، وظهر ذلك فى طباعى وعاداتى .

(٣٧) السحت : المقطوع البركة ، وتشحب : يتغير لونها من الضعف والهزال ، يقول: إنى أشكر على المعروف فآخذه بحقه فلذلك يبارك لى فيه ، فأما غيرى فإنه يأخذ المعروف ولا يشكر عليه فلذلك لا يبارك له فيه ، وإنى أحفظ بيض الأيادى فتبقى بيضاء نضرة ، وغيرى لا يحفظها فتهزل وتضعف ويتغير لونها.

(٣٨) زياد: هو النابغة الذبيانى الشاعر الجاهلى أحد بنى يربوع بن غيظ بن مرة ابن عوف بن سعد بن ذبيان ، والنعمان : هو النعمان بن المنذر ملك العرب فى الحيرة ، وكان قد بلغ النعمان أن النابغة يشبب بامرأة النعمان ، ثم خاف النابغة عقبى ذلك فهرب ، ثم ما زال يعتذر له بقصائد ضربت أمثالا لجيد الشعر فى الاعتذار حتى سل سخيمته وأذاب حقده .

(٣٩) أرث : أصله قولهم « أرث فلان النار » إذا حركها لتشتعل ، وقالوا « أرث فلان الحرب » إذا هاجها ، وقال الشاعر :

فنـــا لقيط وابناه وقعنب مؤرث نيران المـكارم لا المخبى

وبنو جلاح : من كلب بن وبرة ، وأصل اسمهم « بنو الجلاح » بالألف واللام ، قال الشاعر ، وينسب إلى النابغة الذبيانى :

بقية قدر من قدور تورثت لآل الجلاح كابرا بعد كابر

وبنو مصاد : من بنى عليم بن جناب ، ويرجعون فى نسبهم إلى كلب ابن وبرة أيضاً .

٤٠ وَغَادَرَ فِي صُدُورِ الدَّهْرِ قَتْلَى بَنِى بَدْرٍ عَلَى ذَاتِ الإِصَادِ
٤١ فَمَا قِدْحَاكَ لِلْبَارِى ، وَلَيْسَتْ مُتُونُ صَفَاكَ مِنْ نُهَزِ الْمُرَادِى
٤٢ وَلَوْ كَشَّفْتَنِي لَوَجَدْتَ خِرْقاً يُصَافِى الأَكْرَمِينَ وَلاَ يُصَادِى
٤٣ جَدِيرٌ أَنْ يَكُرَّ الطَّرْفَ شَزْراً إِلَى بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهْوَ صَادِ

= يقول إن النمائم لم تزل فى كل عهد تفرق بين أبناء الرجل الواحد ، وتغير المودات .

(٤٠) بنى بدر : أراد بهم حذيفة بن بدر وإخوته ، وذات الإصاد : الموضع الذى أجرى فيه داحس والغبراء ـ وهما فرسان ـ ولطم وجه داحس ، ومن أجل ذلك قامت حرب فظيعة قتل فيها حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر فى يوم جفر الهباءة .

(٤١) القدح ، هنا : السهم قبل أن يراش ، والبارى : الذى يبرى القدح ويحدد طرفه ، والمتون : جمع متن وهو الظهر ، والصفا : جمع صفاة وهى الصخرة ، والمرادى : الذى يرمى الصخر ، ومنه سميت الصخرة (رداة) و (مرداة) يقول : إنك تلى شؤون نفسك ؛ فلا تعطى سهمك لمن يبريه لك ، وإن مكارمك وعزتك ليست مما ينتهزه الطامع .

(٤٢) كشفتنى : أردت علم حقيقة أمرى ، وبلوت : اختبرت ، والخرق ـ بكسر الخاء وسكون الراء ـ الذى يتخرق بالمعروف،ويروى (لبلوت حرا) (ولا يصادى) معناه هنا : لا يدارى ولا يداجى ، وأصل معناه لا يلاين فيظهر مالا يبطن ولايدفع أحداً عن حقه. يقول: لو خبرتنى لوجدتنى حراً كريما يذهب بنفسه عن دنى المطامع .

(٤٣) يكر : يردد ، والطرف : طرف العين وهو حرفها ، وشزرا : أصله قولهم « فلان ينظر إلى فلان شزرا » إذا أحد النظر إليه بمؤخر عينه ، وذلك نظر الغضبان أومن لايبالى ، والموارد : جمع مورد وهو مكان ورود الماء ، والصادى : العطشان . يقول : أنا لا أرد كل ماء ، ولـكنى أتخير المياه فأترك بعضها وإن كنت محتاجا إلى الورد ، لأن ورد مثله لايرضينى .

٤٤ إِلَيْكَ بَعَثْتُ أَبْكَارَ المَعَانِى يَلِيهَا سَائِقٌ عَجِلٌ وَحَادِ

٤٥ جَوَائِرَ عَنْ ذُنَابَى القَوْمِ حَيْرَى هَوَادِىَ لِلْجَمَاجِمِ وَالهَوَادِى

٤٦ شِدَادَ الأَسْرِ سَالِمَةَ النَّوَاحِى مِنَ الإِقْوَاءِ فِيهَا وَالسِّنَادِ

---

(٤٤) أبكار المعانى : يروى فى مكانه « أبكار القوافى » والأبكار : جمع بكر ، وأصله الجارية لم يطمثها أحد ، وأراد المعانى — أو القوافى المحكمة — التى لم يسبقه إلى مثلها أحد .

(٤٥) جوائر : جمع جائر أوجائرة ، والمراد أنها تعدل عمن ذكر ولاتتجه إليه، وذنابى القوم : رذالهم وخساسهم ، وهوادى الأول : جمع هادية ، وأراد بها المهدية العارفة بمن يصح أن تميل إليه ، والجماجم : الرؤوس ، والهوادى الثانى : جمع هاد وهو العنق ، ضرب الذنابى مثلا لرذال الناس وسفلتهم ، وضرب الجماجم والهوادى مثلا لرؤسائهم .

(٤٦) شداد الأسر : قوية متينة ، يريد أن قوافيه من فحل الشعر وجزله الذى لايستطيعه غيره ، والإقواء والسناد : من عيوب الشعر ، والشعراء ينزهون شعرهم عنهما ، قال ذو الرمة :

وشعر قد أرقتُ له بليل أجانبه المساند والمحالا

وللعلماء فى تفسيرهما أقوال أحسنها أن الإقواء هو اختلاف حركة حرف الروى الذى بنيت عليه القصيدة ، كما يروى فى قول النابغة الذبيانى :

من آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغراب الأسود

ويقال : إنهم دسوا من يغنى أمام النابغة بهذه الأبيات ففطن فغيره فصار :

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذلك تنعاب الغراب الأسود

وأما السناد فهو اختلاف الحركة التى قبل الردف فى الروى كقول عبيد بن الأبرص :

فقد ألج الخباء على جوار كأن عيونهن عيون عين
فإن يك فاتنى أسفا شبابى وأضحى الرأس منى كاللجين

٤٧ يُذَلِّلُهَا بِذِكْرِكَ قِرْنُ فِكْرٍ إذَا حَرَنَتْ فَتَسْلَسُ فِي القِيَادِ
٤٨ لَهَا فِي الهَاجِسِ القِدْحُ المعَلَّى وَفِي نَظْمِ القَوَافِي وَالعِمَادِ
٤٩ مُنَزَّهَةً عَنِ السَّرَقِ المُوَرَّى مُكَرَّمَةً عَنِ المَعْنَى المُعَادِ
٥٠ تَنَصَّلَ رَبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ إلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ والوِدَادِ
٥١ وَمَنْ يَأْذَنْ إلَى الوَاشِينَ تُسْلَقْ مَسَامِعُهُ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادِ

* * *

(٤٧) يذللها : يسهلها ، ويروى فى مكانه «يجللها» ويروى « كل فكر » مكان « قرن فكر » وحرنت : مأخوذ من قولهم « حرن الفرس » من بابى نصر وكرم — إذا وقف فلم يسر ، وتسلس: مأخوذ من قولهم « فرس سلس القياد » أى سهله.

(٤٨) الهاجس : مايعرض للانسان فى خاطره ، وأصل الهجس الصوت الخفى ، و«القدح المعلى» أصله أوفر قداح الميسر حظا، وقداستعاره هنا ، ويروى « وفى كتب القوافى » ويراد به دواوين الشعراء ، وأراد بالعماد ماتعمد به ويقويها ، يريد أن قوافيه تنال أكبر حظ لو عرضت مع دواوين الشعراء .

(٤٩) السرق : مصدر « سرق يسرق » من باب علم ، وقد جاء هذا الفعل من باب ضرب أيضا ، وهى اللغة العالية وهى لغة القرآن ، قال الله تعالى (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) والمورى : أصله الذى أخفى وأظهر غيره . يقول : إن شعرى منزه عن السرقات الخفية وعن المعانى المعادة فكله مما أبدعته وكله جديد .

(٥٠) تنصل : تبرأ ، وربها : صاحبها ، ويروى « من كل جرم » وفى البيت تأكيد المدح بما يشبه الذم ، يعنى إن كانت النصيحة والمودة يعدان عيباً فإنى لا أتنصل منهما وإن كنت أتبرأ من كل عيب .

(٥١) يأذن : يمل أذنه ، والمراد يستمع ، وبابه فرح ، ومنه قول قعنب بن أم صاحب :

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

وتسلق مسامعه : مأخوذ من قولهم « سلق فلان بصوته » إذا رفعه ، وأصل هذه العبارة من قوله تعالى (سلقوكم بألسنة حداد) .

* * *

(٣٨)

وقال يمدحه :

١ أَيَسْلُبُنِي ثَرَاءَ الْمَالِ رَبِّي وَأَطْلُبُ ذَاكَ مِنْ كَفٍّ جَمَادِ ؟

٢ زَعَمْتُ إِذَنْ بِأَنَّ الْجُودَ أَمْسَى لَهُ رَبٌّ سِوَى ابْنِ أَبِي دُؤَادِ

* * *

(٣٩)

وقال يمدحه ، ويعتذر إليه ، ويستشفع بخالد بن يزيد :

١ أَرَأَيْتَ أَيُّ سَوَالِفٍ وَخُدُودِ عَنَّتْ لَنَا بَيْنَ اللِّوَى فَزَرُودِ

---

(٣٨)

اتفقت جميع النسخ على رواية هذين البيتين بعد القصيدة السابقة ، وهما في شرح التبريزي برقم ٣٦ .

(١) كف جماد: لاعطاء عندها ، وأصله قولهم «سنة جماد» إذا كانت لامطر فيها.

(٢) يروى « زعمت إذن بأن العلم — الخ » يقول : ابن أبي دؤاد هو وحده الذي تتجه له الآمال ، وهو وحده الذي يجود ويجيب رغبات العفاة .

* * *

(٣٩)

أجمعت نسخ الديوان على رواية هذه القصيدة بعد البيتين السابقين ، وهي في شرح التبريزي برقم ٣٧ .

(١) السوالف : جمع سالفة وهي صفحة العنق ، وعنت : عرضت ، واللوى وزرود موضعان ، وقد كان ينبغي أن يعطف ثانيهما على أولهما بالواو لأن بين لا تضاف إلا إلى متعدد ، وقد وقع في مثل ذلك امرؤ القيس في قوله في مطلع معلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل =

٢ أَتْرَابُ غَافِلَةِ اللَّيَالِي أُلِّفَتْ عُقَدَ الْهَوَى مِنْ يَارَقٍ وَعُقُودِ

٣ بَيْضَاءُ يَصْرَعُهَا الصِّبَا مِنْ نِعْمَةٍ
خَوْدٌ كَخُوطِ الْبَانَةِ الأُمْلُودِ

٤ وَحْشِيَّةٌ تَرْمِي الْقُلُوبَ إِذَا اغْتَدَتْ
وَسْنَى فَمَا تَصْطَادُ غَيْرَ الصِّيدِ

= واعترضه الأصمعي بأنه كان يجب أن يقول « بين الدخول وحومل » والعلماء يؤولون قول امرىء القيس بأن مراده بين الأماكن التى فى اللوى فالأماكن التى فى حومل ، وهى مواطن لقياه مع أحبائه ، ويمكن أن يكون قول أبى تمام على هذا الوجه : أى بين بقاع اللوى التى كنا نلتقى فيها من نحب فبقاع زرود

(٢) أتراب : جمع ترب ــ بكسر التاء وسكون الراء ــ وهى اللدة المساوية فى السن ، وغافلة الليالى : يحتمل وجهين ، الأول أن تكون من إضافة الوصف إلى فاعله ، وأن المراد الفتاة الغافلة لياليها ، وقد يسند الفعل أو الوصف إلى زمانه تجوزا ، فقد قالوا : صام نهاره ، ونام ليله ، وقالوا : نهار صائم ، وليل نائم ، وقال الشاعر :

ونمت ، وماليل المطى بنائم

والوجه الآخر أن يكون من إضافة الوصف إلى الظرف ، على معنى أنه واقع فيه ، وقد جاء مثل ذلك فى شعرهم ، وذلك نحو قول الشماخ :

رب ابن عم لسليمى مشمعل طباخ ساعات الكرى زاد الكسل

والوجهان قريبان من حيث المعنى ، واليارق : الجبيرة ، وهى السوار . يقول : هؤلاء النسوة أمثال لهذه المرأة الغافلة عن أحداث الليالى ، وهى موضع للهوى والعشق فكأنها جمعت أسباب الهوى فى سورها وعقودها .

(٣) يروى « يثنيها الصبا » وهى أرق مما فى رواية الأصل ، ويروى « يصرعها الصبا عبث الصبا أصلا بخوط البانة » ويروى « سحرا » فى مكان « أصلا » والأصل ــ بضم الهمزة والصاد جميعا ــ جمع أصيل ، وهو وقت اصفرار الشمس ، والخوط ــ بضم الخاء ــ الغصن ، والأملود ــ بوزن العصفور ــ أى الناعم الأملس .

(٤) وحشية : يحتمل أن يكون المعنى أنها فى حسنها وملاحتها كالبقرة الوحشية أو الظبية الوحشية ، ويحتمل أن يكون المعنى هى نافرة عن الريبة نفور الوحشية ، =

٥ لَا حَزْمَ عِنْدَ مُجَرِّبٍ فِيهَا ، وَلاَ جَبَّارُ قَوْمٍ عِنْدَهَا بِعَنِيدِ

٦ مَالِي بِرَبْعِ مِنْهُمُ مَعْهُودِ إِلاَّ الأَسَى وَعَزِيمَةُ الْمَجْلُودِ

٧ إِنْ كَانَ مَسْعُودٌ سَقَى أَطْلاَلَهُمْ
سَبَلَ الشُّؤُونِ فَلَسْتُ مِنْ مَسْعُودِ

= ويروى «ترمى الفؤاد» ويروى « إذا غدت » ومعنى قوله « وسنى » ناعسة من النعيم ، والصيد : جمع أصيد وهو الرجل العزيز المعجب بنفسه ، وماتصطاد غير الصيد : أى هى لاتتواضع ولاترضى أن تصطاد غير هؤلاء الأعزة .

(٥) لاحزم عند مجرب : أى أن الحازم المجرب يضل لبه ويفقد آثار تجربته إذا رآها ، وذلك نظير قول النابغة الذبيانى :

لو أنها عرضت لأشمط راهب عبد الإله صرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها ولخاله رشدا وإن لم يرشد

ونظيره قول ذى الرمة :

رهبان مدين والذين عهدتهم يبكون من حذر العقاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركعا وسجودا

وقول أبى تمام « ولاجبار قوم ـ إلخ » يجوز أن يكون معناه أنه لايقاس تجبر العنيد ـ وهو المائل عن الحق ـ بتجبرها ، ويجوز أن يكون معناه أن الجبار إذا نظر إليها أو كان بين يديها لم يبق جبارا ، بل يذل لها ويخضع .

(٦) يروى « من لى » والأسى : يروى بفتح الهمزة ومعناه الحزن ، ويروى بضم الهمزة على أنه جمع الأسوة وهى القدوة ، والمجلود فى قوله « وعزيمة المجلود » مصدر بمعنى الجلد والجلادة وهو الصبر ، ورروى « وعزيمة التجليد » والتجليد : حمله نفسه على الجلد وتصبيره إياها . يقول : ليس لى من ربعهم الذى عفا وتغير إلا الحزن على سابق أيام قضيناها فيه ، أو إلا الاقتداء بمثلى من المحبين الذين عفت ديار أحبائهم ، وإلا التذرع بالصبر والتعزى والجلادة .

(٧) مسعود : رجل كان يندب الأطلال ويبكى على ذهاب ماسبق له فيها من المواصلة والتدانى ، قالوا : هو مسعود بن عمر الأزدى ، وقال آخرون : هو مسعود =

٨ ظَعَنُوا فَكَانَ بُكَاىَ حَوْلاً بَعْدَهُمْ
ثُمَّ ارْعَوَيْتُ وَذَاكَ حُكْمُ لَبِيدِ

٩ أَجْدِرْ بِجَمْرَةِ لَوْعَةٍ إِطْفَاؤُهَا بِالدَّمْعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وَقُودِ

١٠ لا أُفْقِرُ الطَّرَبَ الْقِلَاصَ ، وَلاَ أُرَى
مَعَ زِيرِ نِسْوَانٍ أَشُدُّ قُتُودِى

= أخو ذى الرمة ، ولست من مسعود : براءة منه ، وقد أطال الآمدى فى نقد هـذا البيت .

(٨) ظعنوا : فارقوا ديارهم ، ثم ارعويت : رجعت وكففت عن البكاء ، وحكم لبيد : هو ماذكره فى قوله لابنتيه :

تمنى ابنتان أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أومضر
فقوما فقولا بالذى تعلمانه ولاتخمشا وجها ولاتحلقا شعر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

(٩) أجدر : صيغة تعجب بمعنى ما أجدره : أى أنه حقيق بذلك ، واللوعة ، هنا : حرارة الشوق ، ووقود مصدر بمعنى التوقد والاشتعال ، يقول : إن حرارة الشوق وتوقده إذا أطفىء بالدمع ازداد تسعرا والتهابا ، وهو عكس ماجاء فى قول امرىء القيس :

وإن شفائى عبرة مهراقة وهل عند رسم دارس من معول

وفى قول ذى الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفى نجى البلابل

(١٠) لاأفقر : أصل معناها مأخوذ من قولهم « أفقر فلان بعيره » إذا أعار ظهره ليركب أو ليحمل عليه ، والزير : الزائر ، والنسوان : النساء ، وقد ورد هذا اللفظ فى قول الشاعر :

فوالله ماأدرى أزيدت ملاحة وحسنا على النسوان أم ليس لى عقل

والقتود : جمع قتد ــ بفتح القاف والتاء جميعا ــ وهو خشب الرحل : يريد أنه لايعمل إبله فى الطرب ، ولايصاحب من يغازل النساء وتعجبه محادثتهن فيرتحل معه

١١ شَوْقٌ ضَرَحْتُ قَذَاتَهُ عَنْ مَشْرَبِي
وَهَوًى أَرَنْتُ لِحَاءَه عَنْ عُودِي

١٢ عَامِي وَعَامُ الْعِيسِ بَيْنَ وَدِيقَةٍ مَسْجُورَةٍ وَتَنُوفَةٍ صَيْهُودِ

١٣ حَتَّى أُغَادِرَ كُلَّ يَوْمٍ بِالْفَلاَ لِلطَّيْرِ عِيداً مِنْ بَنَاتِ الْعِيدِ

١٤ هَيْهَاتَ مِنْهَا رَوْضَةٌ مَحْمُودَةٌ حَتَّى تُنَاخَ بِأَحْمَدَ الْمَحْمُودِ

١٥ بِمُعَرَّسِ الْعَرَبِ الَّذِي وَجَدَتْ بِهِ
أَمْنَ الْمَرُوعِ وَنَجْـــدَةَ الْمَنْجُودِ

---

(١١) ضرحت : أبعدت ونحيت ، واللحاء ــ بكسر اللام ــ قشر العود ، ويروى « عطفت لحاءه » ومافى الأصل أجود ، وقد ورد فى مثل لهم « فلان يدخل بين العصا ولحائها » يريدون أنه يقحم نفسه فيما لاينبغى أن يدخل فيه ، وقد ضرب ماذكر مثلا لتركه الشوق .

(١٢) العيس : الإبل ، واحدها أعيس أو عيساء ، والوديقة : شدة الحر ، ومسجورة : تحتمل معنيين ، الأول أن يكون أراد أنها مملوءة بالسراب ، والثانى أن يكون أراد أنها ملتهبة متقدة ، أخذا من قولهم «سجر التنور سجرا » إذا أوقده ، يصفها بشدة الحر وأن حرها مثل حر التنور الموقد ، والتنوفة : القفر من الأرض ، وصيهود ــ بالهاء ــ من قولهم « صهدته الشمس » أى أحرقته ، ويروى «صيخود» ــ بالخاء ــ وهى بمعنى صيهود ، وهى رواية التبريزى .

(١٣) أغادر: أترك ، والفلا : جمع فلاة وهى الصحراء ، وعيدا : أى شيئا تفرح به كما تفرح الأمم بأعيادها ، أو شيئاً تعتاده وتجيئه لتأكل منه ، وبنات العيد : النوق أضيفت إلى فحل من فحول الإبل ، أو إلى قبيلة من قبائل مهرة بن حيدان ، يريد أنه يترك كل يوم ناقة من كرائم النوق صرعى من طول ما حمل عليها فى السير .

(١٤) هيهات : اسم فعل معناه بعد ، وقد روى هذا البيت على وجه آخر ،وهو:

هيهات منها مرتع وإراحة حتى تنـاخ بأحمـد المحمود

يعنى أنها لاتلقى راحة ولاترتع ماشاءت إلا بعد أن توصلنى إلى مقصدى .

(١٥) أصل المعرس اسم مكان من التعريس وهو النزول ليلا ، وأراد هنا أنه =

١٦ حَلَّتْ عُرَى أَثْقَالِهَا وَهُمُومِهَا أَبْنَاءُ إِسْمَاعِيلَ فِيهِ وَهُودِ

١٧ أَمَلٌ أَنَاخَ بِهِمْ وفُوداً فَاغْتَدَوْا مِنْ عِنْدِهِ وَهُمُ مُنَاخُ وُفُودِ

١٨ بَدَأَ النَّدَى وَأَعَادَهُ فِيهِمْ ، وَكَمْ مِنْ مُبْدِىءٍ لِلعُرْفِ غَيْرِ مُعِيدِ

١٩ يَا أَحْمَدُ بْنَ أَبِي دُؤَاد حُطْتَنِي بِحِيَاطَتِي وَلَدَدْتَنِي بِلَدُودِي

٢٠ وَمَنَحْتَنِي وُدًّا حَمَيْتَ ذِمَارَهُ وَذِمَامَهُ مِنْ هِجْرَةٍ وَصُدُودِ

= محط رحال العرب ، والمروع : اسم مفعول من «راعه يروعه» إذا أفزعه وأخافه ، والنجدة : القوة ، تقول « أنجد فلان فلانا على عدوه » تريد أنه قواه وأعانه عليه والمنجود : المكروب ، يقول : هو قوة لمن استنجد به وأمن لكل فزع خائف .

(١٦) العرى : جمع عروة ، وأبناء إسماعيل : أراد بهم العرب العدنانية ، وأبناء هود : أراد بهم العرب القحطانية ، لأن أباهم الأعلى قحطان بن هود ، لكن الكلام غير مستقيم لأن الأقسام غير متمايزة ، لأن إسماعيل أيضا يرجع فى نسبه إلى هود ، والتقسيم الصحيح أن يقال : أبناء عدنان وأبناء قحطان ، يريد أن للممدوح تناخ فى ساحته ركاب كل مجتد وطالب معروف .

(١٧) يريد أنهم نزلوا عليه وفودا يطلبون الجدى والمعروف فرجعوا إلى أوطانهم وهم أغنياء يفد عليهم الناس طالبين عطاءهم .

(١٨) العرف ــ بالضم ــ المعروف ، وهو يشير فى هذا البيت إلى معنى البيت ٣٥ من القصيدة رقم ٣٦ ، وهو قوله :

كل شىء غث إذا عاد والمعـ ـروف غث ماكان غير معاد

(١٩) حطتنى بحياطتى : يريد حطتنى بما يصلح شأنى من الحياطة ، واللدود ــ بفتح اللام ــ مايوجر به الإنسان من الدواء فى أحد شقى فمه ، ومعنى لددتنى بلدودى : داويتنى بما يصلحنى من الدواء .

(٢٠) يروى هذا البيت هكذا :

وجزيتنى وداحميت ذمامه وذماره من هجرة وصدود

والذمام ــ بكسر الذال ــ العهد ، والذمار : كل ما يلزمك حفظه وحمايته ، والهجرة : الهجران ، وحميته من هجرة : أى منعته أن يطرأ عليه الهجران ، يريد أنه واد باقى المودة .

٢١ وَلَكَمْ عَدُوٍّ قَالَ لِي مُتَمَثِّلاً كَمْ مِنْ وَدُودٍ لَيْسَ بِالْمَوْدُودِ
٢٢ أَضْحَتْ إِيَادٌ فِي مَعَدٍّ كُلِّهَا وَهُمُ إِيادُ بِنَائِهَا الْمَمْدُودِ
٢٣ تَنْمِيكَ فِي قُلَلِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى
زُهْرٌ لِزُهْرٍ أُبُوَّةٍ وَجُدُودِ
٢٤ إِنْ كُنْتُمُ عَادِيَّ ذَاكَ النَّبْعِ إِنْ
نُسِبُوا وَفِلْقَةَ ذَلِكَ الْجُلْمُودِ
٢٥ وَشَرِكْتُمُوهُمْ دُونَنَا فَلأَنْتُمُ شُرَكَاؤُنَا مِنْ دُونِهِمْ فِي الْجُودِ
٢٦ كَعْبٌ وَحَاتِمٌ اللَّذَانِ تَقَسَّمَا خُطَطَ الْعُلَى مِنْ طَارِفٍ وَتَلِيدِ

(٢١) الودود : الكثير المودة . يقول : كثير من أعدائي كانوا يقولون لي إنك تود أحمد وهو لا يودك ، وما جدوى ودادنك إياه إن كان لا يجزيك ودا بود فكذبت قولهم بصنيعك .

(٢٢) إياد الأول : اسم قبيلة الممدوح، وإياد الثاني: أصله ما يحاط به الشيء العالي ليدعمه ويقويه، يقول : إن قبيلة الممدوح تشيد مآثر معد وترفع بناء شرفها ومجدها .

(٢٣) تنميك ، هنا : معناه تنسبك ، القلل : جمع قلة ، وأصلها قلة الجبل وهي أعلى موضع منه ، وزهر الأول : اسم قبيله إليها ينسب الممدوح ، وزهر الثاني : جمع أزهر وهو الأبيض ، والأبوة : جمع أب ، ويطلق لفظ الأبوة مصدرا كالأخوة والفتوة .

(٢٤) العادي - بتشديد الياء - القديم من كل شيء ، لأنهم نسبوه إلى عاد لأنها قديمة ، والنبع : شجر صلب منبته الجبال ، والفلقة : القطعة من الصخر ، والجلمود : الصخر ، قال امرؤ القيس :

* كجلمود صخر حطه السيل من عل *

(٢٦) كعب : أراد به كعب بن مامة الإيادي الذي آثر أخاه النمري أحد بني النمر بن قاسط بالماء على نفسه ، وما زال يؤثره بنصيبه حتى عجز عن النهوض فسار القوم وتركوه فمات ، فضربت به العرب المثل في الجود والإيثار ، وقال الشاعر :

فما كعب بن مامة وابن أروى بأجود منك يا عمر الجوادا

٢٧ هٰذَا الَّذِي خَلَفَ السَّحَابَ ، وَمَاتَ ذَا
فِي الْمَجْدِ مِيتَةَ خِضْرِمٍ صِنْدِيدِ

٢٨ إِنْ لاَ يَكُنْ فِيهاَ الشهيدَ فَقَوْمُهُ ... لاَ يَسْمَحُونَ بِهِ بِأَلْفِ شَهِيدِ

٢٩ مَا قَاسَيَا فِي الْمَجْدِ إِلاَّ دُونَ مَا ... قَاسَيْتَهُ فِي الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ

٣٠ فَاسْمَعْ مَقَالَةَ زَائِرٍ لَمْ تَشْتَبِهْ ... آرَاؤُهُ عِنْدَ اشْتِبَاهِ الْبِيدِ

٣١ يَسْتَامُ بَعْضَ الْقَوْلِ مِنْكَ بِفِعْلِهِ ... كَمَلاً ، وَعَفْوَ رِضَاكَ بِالْمَجْهُودِ

٣٢ أَسْرَى طَرِيداً لِلْحَيَاءِ مِنَ الَّتِي ... زَعَمُوا ، وَلَيْسَ لِرَهْبَةٍ بِطَرِيدِ

= وحاتم : هو حاتم الطائى ، مضرب المثل فى الجود ، وكعب من قوم الممدوح ، وحاتم من قوم الشاعر .

(٢٧) خلف السحاب : كان للناس خلفاً عنه ، وأراد به حاتماً ، وقوله « ومات ذا فى المجد » أراد به كعباً ، ويروى « ومات ذا فى الجود » ويروى « فى الحمد » والخضرم ـ بكسر الخاء والراء ـ الكثير من كل شىء ، ويقولون « رجل خضرم » يريدون كثير العطاء ، و« بحر خضرم » أى كثير الماء ، والصنديد : هو السيد الشجاع .

(٢٨) فيها : أى فى الخصلة التى فعلها أو فى الموتة التى ماتها ، ويروى « فيه » أى فى الفعل الذى فعله .

(٢٩) الضمير المثنى فى قوله « ما قاسيا » يعود إلى كعب وحاتم ، والعدل والتوحيد : من سمات المعتزلة ، فقد كانوا يسمون أنفسهم « أهل العدل والتوحيد » وأحمد بن أبى دواد منهم .

(٣٠) يقول : اسمع ما قاله زائر قصدك فلم يشتبه عليه من يقصد حين اشتبهت المفاوز ولم يدر سالكها طريق الجادة .

(٣١) استام : أصله سوم السلعة عند شرائها ، وأراد يشترى . يقول : إنه هذا السائر إليك يشترى منك أيسر قول يصدر منك فى شأنه عند السلطان بكل ما يطيق من خدمة وشكر ومديح ، ويشترى القليل من رضاك بكل مجهود .

(٣٢) أسرى : سار ليلا . يقول : قد سار هذا الزائر ـ يعنى نفسه ـ وهو طريد الحياء بسبب ما وشى الوشاة به إليك ، ولم يكن طريد خوف ورهبة لأنه =

٣٣ كُنْتَ الرَّبِيعَ أَمَامَه ، وَوَرَاءَهُ
قَمَرُ الْقَبَائِلِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدِ

٣٤ فَالْغَيْثُ مِنْ زُهْرٍ سَحَابَةُ رَأْفَةٍ وَالرُّكْنُ مِنْ شَيْبَانَ طَوْدُ حَدِيدِ

٣٥ وَغَداً تَبَيَّنُ مَا بَرَاءَةُ سَاحَتِي لَوْ قَدْ نَفَضْتَ تَهَائِمِي وَنُجُودِي

٣٦ هٰذَا الْوَلِيدُ رَأَى التَّثَبُّتَ بَعْدَمَا
قَالُوا : يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ مُودِ

= يعلم براءة ساحته من هذه الوشاية ، وكانوا قد نقلوا إلى ابن أبى دواد أن أبا تمام قد هجا مضر .

(٣٣) جاء أبو تمام بقوله «خالد بن يزيد» بجر يزيد بالكسرة لأن القافية مجرورة ، وهو اسم يشبه الفعل فكان حق العربية أن يجره بالفتحة كما فعل فى البيت ١٨ من القصيدة الآتية ٤٢ ، ويجوز ضم دال يزيد على الحكاية إذا قدرت نقله من فعل مضارع مشتمل على ضمير الفاعل ، أى من جملة فعلية .

(٣٤) زهر : قبيلة ينمى إليها ابن أبى دواد كما سبق ، وشيبان : قبيلة خالد ابن يزيد ، يقول : أنت لى سحابة رحمة ورأفة ، وخالد بن يزيد الذى أستشفع به جبل أركن إليه وألتجىء له وأستظل بحمايته .

(٣٥) تبين : أصله تتبين ، فحذف إحدى التاءين ، وفيه ضمير مستتر للمخاطب على هذا ، ويجوز أن يكون فاعله هو « براءة ساحتى » وما : زائدة وأصل التهائم جمع تهامة ، وأصل النجود جمع نجد ، وأراد بهما ظاهر أمره وباطنه ، وضرب ذلك مثلا . يقول : سيظهر لك حين تفتش ظاهر الأمر وباطنه أننى برىء الساحة ، وأن الوشاة قد كذبوا ، وأن ما قالوه محال .

(٣٦) الوليد : أراد به الوليد بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى ، ومود : اسم فاعل فعله « أودى يودى » ومعناه هلك ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفى الوالى الجبار قد اعتقل يزيد بن المهلب بن أبى صفرة وحبسه ، فهرب يزيد بن المهلب من السجن ولحق بسليمان بن عبد الملك وهو فى بيت المقدس ، فاستغاث به ، فأكرمه سليمان ، وأرسله إلى الوليد أخيه وأرسل معه ابنه أيوب بن سليمان بشفاعة ، وأمر أيوب أن يضع نفسه فى السلاسل مع يزيد بن المهلب ترقيقا لقلب الخليفة =

٣٧ فَتَزَحْزَحَ الزُّورُ المُؤَسَّسُ عِنْدَهُ وَبِنَاءُ هٰذَا الإِفْكِ غَيْرُ مَشِيدِ
٣٨ وَتَمَسَّكَنَ ابْنُ أَبِي سَعِيدٍ مِنْ حِجًا مَلِكٍ بِشُكْرِ بَنِي المُلُوكِ سَعِيدِ
٣٩ مَا خَالِدٌ لِيَ دُونَ أَيُّوبٍ وَلاَ عَبْدِ العَزِيزِ، وَلَسْتَ دُونَ وَلِيدِ
٤٠ نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّ بَابِ مُلِمَّةٍ لَمْ يُرْمَ فِيهِ إِلَيْكَ بِالإِقْلِيدِ
٤١ لِمُقَارِفِ البُهْتَانِ غَيْرُ مُقَارِفٍ وَمِنَ البَعِيدِ الرَّهْطِ غَيْرُ بَعِيدِ
٤٢ لَمَّا أَظَلَّتْنِي غَمَامُكَ أَصْبَحَتْ تِلْكَ الشُّهُودُ عَلَيَّ وَهْيَ شُهُودِي

= وإعلانا لمنزلة يزيد عنده ، فلما دخلا بهذه الصورة على الوليد عفا عن ابن المهلب وأمر أن تفك قيوده ، وأرسله إلى أخيه سليمان ، فنال حظوة عظيمة لديه .

(٣٧) فتزحزح : بعد ، ويروى « فتزعزع » ويروى « فتضعضع » والمعنى قريب ، والإفك : هو الزور والافتراء والكذب ، ومشيد : اسم مفعول فعله « شاده يشيده » بوزن باعه يبيه وصاده يصيده وكاده يكيده ، ومعنى « شاده » بناه ووثق بنيانه .

(٣٨) ابن أبى سعيد : هو يزيد بن المهلب ، وأبو سعيد : كنية المهلب بن أبى صفرة ، والحجا - بكسر الحاء - العقل ، وهو بفتح الحاء الملجأ والحصن ، ويجمع على الأحجاء ، والملك أراد به سليمان بن عبد الملك ، وبنو الملوك أراد بهم آل المهلب ، يريد أن تثبت سليمان وأخذه بسنة العفو قد أطلق ألسنتهم بشكره .

(٣٩) خالد : أراد به خالد بن يزيد الشيبانى الذى يستشفع به إلى ابن أبى دواد ، وأيوب : أراد به أيوب بن سليمان بن عبد الملك الذى أرسله أبوه ليشفع ليزيد بن المهلب كما قلنا ، وعبد العزيز : أراد به عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، يريد أن الذى يشفع فيه أكرم من الذين شفعوا فى يزيد بن المهلب ، وأن المشفوع عنده أعز وأكرم من الذى شفع هؤلاء لديه ، فينبغى أن يقبل هذه الشفاعة كما قبلت تلك .

(٤٠) الملمة : النازلة الشديدة ، والإقليد : المفتاح ، ويروى « لم يلق » فى مكان « لم يرم » وهى أرق وأنسب بصنيع أبى تمام .

(٤١) غير مقارف : يروى فى مكانه « غير مقارب » .

(٤٢) أظلتنى غمامك : يروى « أظلتنى سماؤك » والمراد لما وضعتنى فى كنف =

٤٣ مِنْ بَعْدِ مَا ظَنُّوا بِأَنْ سَيَكُونُ لِي
يَوْمٌ بِبَغْيِهِمُ كَيَوْمِ عَبِيدِ

٤٤ أُمْنِيَّةٌ مَا صَادَفُوا شَيْطَانَهَا فِيهَا بِعِفْرِيتٍ وَلَا بِمَرِيدِ

٤٥ نَزَعُوا بِسَهْمِ قَطِيعَةٍ يَهْفُو بِهِ رِيشُ العُقُوقِ فَكَانَ غَيْرَ سَدِيدِ

٤٦ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

٤٧ لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ
مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

٤٨ لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ
لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

= رعايتك وأصغيت إلى قولي وتبرئي مما نسبه الحاسدون لي كفوا عن الوقيعة وعلموا أن فعلك معي دليل على رضاك .

(٤٣) ببغيهم : أي بجورهم وظلمهم ، ويروى « بسعيهم » أي بسعايتهم ووقيعتهم ، وعبيد : أراد به عبيد بن الأبرص الذي قتله النعمان بن المنذر ملك العرب في الحيرة ، في يوم بؤسه ، وقصته مشهورة .

(٤٤) العفريت من الناس : الذي أعيا غيره خبثا ودهاء ، والمريد : المتمرد الذي لايقدر عليه ، يقول : إن ما تمنوه لي وظنوا أنه واقع بي من الشر لم يقع ، فلم يتم لهم ما أرادوا ، لأن ذلك الإفك الذي افتروه لم يكن على أساس ولا كان وثيق البناء .

(٤٥) تقول « نزع فلان قوسه » إذا جذبها ، وتقول « نزع فلان لفلان بسهم » إذا رماه به ، وتهفو به : أي تطير به ، وغير سديد : أي ليس محكم التصويب فلذلك لم ينلني ، ويروى « تهفو بها » .

(٤٦و٤٧) عرف العود ـ بفتح العين ـ ذكاء ريحه ، والآمدي يكثر من الإشادة بهذين البيتين .

(٤٨) التخوف : أراد به تخوف المحسود من أن يصدق أولياؤه كلام الحساد ، يقول : لولا أنني كنت خائفا أن تصدق كلام الحساد لقلت لك : إن حسدهم نعمة =

٤٩ خُذْهَا مُثَقَّفَةَ الْقَوَافِي رَبُّهَا لِسَوَابِغِ النَّعْمَاءِ غَيْرُ كَنُودِ
٥٠ حَذَّاءَ تَمْلَأُ كُلَّ أُذْنٍ حِكْمَةً وَبَلَاغَةً وَتُدِرُّ كُلَّ وَرِيدِ
٥١ كَالطَّعْنَةِ النَّجْلَاءِ مِنْ يَدِ ثَائِرٍ بِأَخِيهِ أَوْ كَالضَّرْبَةِ الْأُخْدُودِ
٥٢ كَالدُّرِّ وَالْمَرْجَانِ أُلِّفَ نَظْمُهُ بِالشَّذْرِ فِي عُنُقِ الْكَعَابِ الرُّودِ
٥٣ كَشَقِيقَةِ الْبُرْدِ الْمُنَمْنَمِ وَشْيُهُ فِي أَرْضِ مَهْرَةَ أَوْ بِلَادِ تَزِيدِ
٥٤ يُعْطَى بِهَا الْبُشْرَى الْكَرِيمُ وَيَحْتَبِي بِرِدَائِهَا فِي الْمَحْفِلِ الْمَشْهُودِ

= تستوجب الشكر ، لأن عقباه انكشاف حالهم وافتضاح سرهم ، ثم كانت نتيجة ذلك رضاك عني .

(٤٩) مثقفة : أصل التثقيف أن يستعمل في تعديل الرمح والقناة ، ثم يستعمل في الكلام ، وأراد بالمثقفة القصيدة التي يقدمها له .

(٥٠) حذاء : تحتمل هذه الكلمة معنيين ، الأول أن يكون المراد أنها سريعة الذيوع والانتشار ، من قولهم « عزيمة حذاء » أى ماضية سريعة ، والثاني أن يكون المراد أنها ليست ذات فضول ولا تشتمل إلا على رصين الكلام ومحكمه ، من قولهم « قطاة حذاء » إذا كانت قصيرة الذنب ، ويروى « تملأ كل قلب حكمة » ومعنى « تدر كل وريد » تسيل العروق بالدم الكثير ، وهو يريد أنها تقتل الحساد هماونكدا لأنهم لا يقدرون على مثلها .

(٥١) الطعنة النجلاء : الواسعة ، والضربة الأخدود : التي تشق جسد المضروب فتكون فيه شبيهة بالأخدود وهو الشق في الأرض .

(٥٢) الشذر : ما يصاغ من الذهب والفضة فيفصل فيه اللؤلؤ ، والكعاب : التي كعب ثديها ، ويروى « الفتاة » والفتاة الرود : الناعمة ، ويروى « في جيد الفتاة » والجيد والعنق واحد .

(٥٣) البرد المنمنم : المنقوش ، ومهرة - بفتح الميم وسكون الهاء - قبيلة تسكن اليمن ، وبنو تزيد قبيلة من قضاعة تنسب إليهم البرود التزيدية .

(٥٤) يعطى : يروى هذا الفعل مبنيا للمعلوم ويروى مبنيا للمجهول ، فإن قرأته مبنيا للمعلوم كان المعنى أن الكريم الذى قيلت فيه يعطى من يبشره بها أعظم =

٥٥ بُشْرَى الْغَنِيِّ أَبِي الْبَنَاتِ تَتَابَعَتْ
بُشَرَاؤُهُ بِالْفَـــــارِسِ الْمَوْلُودِ

٥٦ كَرُقَى الْأَسَاوِدِ وَالْأَرَاقِمِ طَالَمَا نَزَعَتْ حُمَاتِ سَخَائِمٍ وَحُقُودِ

* * *

(٤٠)

وذكروا أنه لما عمل أبو تمام هذه القصيدة حَرَصَ على أن يسمَعَها ابنُ أبي دؤاد ، فتأخر عن ذلك ، فكتب إليه :

١ أَأَحْمَدُ إِنَّ الْحَاسِدِينَ حُشُودُ وَإِنَّ مَصَابَ الْمُزْنِ حَيْثُ تُرِيدُ

٢ فَلَا تَبْعَدَنْ مِنِّي قَرِيباً فَطَالَمَا طُلِبْتَ فَلَمْ تَبْعُدْ وَأَنْتَ بَعِيدُ

= البشارة ، وإن قرأته مبنيا للمجهول كان المعنى أن الممدوح الكريم يبشر بها قبل ورودها عليه ؛ لأنها تتحدث عن أمجاده وبها تذيع أنباء شرفه .

(٥٦) الأساود : جمع أسود ، والأراقم : جمع أرقم ، وهو الذى فيه نقط سود ، وكلاهما من الحيات ، والحمات ــ بتخفيف الميم ــ جمع حمة ــ وهى السم ، والسخائم : جمع سخيمة ، وهى والحقد واحد .

* * *

(٤٠)

اتفقت كل نسخ الديوان على رواية هذه الأبيات بعد القصيدة السابقة ، وهى فى نسخة شرح التبريزى برقم ٣٨ .

(١) أأحمد : الهمزة الأولى للنداء ، والحسود : جمع حاسد ، ووزنه وزن شاهد وشهود وقاعد وقعود وجالس وجلوس وهاجد وهجود ، يريد أنهم مجتمعون ، والمزن : المطر ، ومصابه : مكان نزوله ، ويروى « وإن محل المزن » .

(٢) قريبا : حال صاحبه فاعل « لاتبعدن » يقول : كثيرا ما طلبك العفاة وطلبتك أنا وأنت بعيد عنا فأجبت طلبنا ، فكيف تبعد عنا ونحن نطلبك من مكان دان قريب ؟

٣ أَصِخْ تَسْتَمِعْ حُرَّ الْقَوَافِي ؛ فَإِنَّهَا
كَوَاكِبُ إلاَّ أَنَّهُنَّ سُعُودُ

٤ وَلاَ تُمْكِنِ الإِخْلاَقَ مِنْهَا فَإِنَّمَا
يَلَذُّ لِبَاسُ الْبُرْدِ وَهْوَ جَدِيدُ

* * *

(٤١)

وقال يمدح علىَّ بن الجَهْم ، وكان له صديقا وأراد سفرا :

١ هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مَاجِدِ فَغَداً إِذَابَةُ كُلِّ دَمْعٍ جَامِدِ

---

(٣) أصخ : أى ألق سمعك إلينا حتى نسمعك قولنا فيك ، فإنه من حر الكلام وجيده .

(٤) الإخلاق : مصدر « أخلق الثوب » إذا رث ربلى ، وأراد هنا قدم العهد به ، وأراد من لفظ اللباس هنا اللبس الذى هو مصدر « لبس الثوب » يريد استمع قصيدتى فيك قبل أن يطول الزمن عليها .

* * *

(٤١)

اتفقت جميع نسخ الديوان على رواية هذه القصيدة بعد الأبيات الأربعة السابقة ، وهى فى شرح التبريزى برقم ٣٩ وقدم لها بقوله « وقال يمدح على بن الجهم القرشى الشاعر ، وقد جاءه يودعه لسفر أراده ، وكان أصدق الناس له » .

(١) « إذابة كل دمع جامد » من عادة العرب أن يعبروا عن سماح العين بالدمع فى حين إرادة البكاء بقولهم : سكبت العين الدمع ، وجادت العين بالدمع ، وأذرت العين دمعها ، ومن عادتهم أن يعبروا عن جفاف الدمع حين إرادة البكاء بنحو قولهم : بخلت العين بدمعها ، وجمدت عينى ، ولا شك أن أبا تمام يريد أن غدا هو وقت إذراء الدموع وسكبها لأنه الوقت الذى سيرحل فيه أحباؤنا ، فأما إذابة كل دمع جامد فهى عبارة قلقة ، وهى فى المطلع أشد قلقا .

٢ فَافْزَعْ إِلَى ذُخْرِ الشُّـــؤُونِ وَغَرْبِهِ
فَالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الجَاهِدِ

٣ وَإِذَا فَقَدْتَ أَخًا فَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ دَمْعًا وَلاَ صَبْرًا فَلَسْتَ بِفَاقِدِ

٤ أَعَلِيُّ يَا ابْنَ الجَهْمِ إِنَّكَ دُفْتَ لِي سُمًّا وَخَمْرًا فِي الزُّلاَلِ الْبَارِدِ

٥ لا تَبْعَدَنْ أَبَدًا وَإِنْ تَبْعُدْ فَمَا أَخْلاَقُكَ الخُضْرُ الرُّبَا بِأَبَاعِدِ

٦ إِنْ يُكْدِ مُطَّرَفُ الإِخَاءِ فَإِنَّنَا نَغْدُو وَنَسْرِى فِي إِخَاءٍ تَالِدِ

٧ أَوْ يَخْتَلِفْ مَاءُ الْوِصَالِ فَمَاؤُنَا عَذْبٌ تَحَدَّرَ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدِ

٨ أَوْ يَفْتَرِقْ نَسَبٌ يُؤَلِّفْ بَيْنَنَا أَدَبٌ أَقَمْنَاهُ مُقَامَ الْوَالِدِ

٩ لَوْ كُنْتَ طِرْفًا كُنْتَ غَيْرَ مُدَافَعٍ
لِلأَشْقَرِ الجَعْـــدِىِّ أَوْ لِلذَّائِدِ

---

(٢) الشؤون : أصلها جمع شأن ، وهى مجارى الدمع فى العين ، وأراد هنا الدمع ، وذخرها : هو ما ادخر لوقت الحاجة منه ، ويروى « وعونه » كما يروى « وعذبه » فى مكان « وغربه » ونظير عجز البيت قولنا :

إذا ما بكى المحزون خف مصابه فإن غاض ماء العين فالصبر نافد

(٤) دفت : خلطت ، وأراد من السم الفراق الذى اعتزمه ، وأراد بالخمر والزلال البارد المودة والألفة التى توثقت عراها بينهما . يقول : إنك قد سقيتنى مودتك فكانت شهية كالخمر بالماء الزلال البارد ، ثم جاء هذا الفراق فكان كالسم .

(٥) يقال « بعد فلان يبعد » بضم العين فى الماضى والمضارع ـ إذا أريد بعد المكان ، ويقال « بعد يبعد » بوزن سمع يسمع وعلم يعلم ـ إذا أريد معنى الهلاك ، و « تبعدن » فى بيت أبى تمام من المعنى الثانى ، دعاء له بدوام الحياة ، و « لا تبعد » من المعنى الأول ، يريد أنه مقيم بذكراه فى قلبه وإن نأى مكانه ، وشبه أخلاقه بالرياض فجعلها خضر الربا .

(٦) يكد : أصله قولهم « أكدى فلان » إذا حفر فلقيته صخرة ، وأراد لم يثمر ، ولم يأت بما يرتجى منه ، ومطرف الإخاء : طريفه وحديثه ، والتالد : القديم ، يقول : إن كان جديد إخائنا لم يؤت ثماره فإن إخاءنا القديم مثمر .

(٩) الطرف ـ بكسر الطاء وسكون الراء ـ الجواد ، والأشقر : اسم فرس كان =

١٠ أَوْ قَدَّمَتْكَ السِّنُّ خِلْتُ بأنه مِنْ لَفْظِكَ انْشَعَبَتْ بَلاَغَةُ خَالِدِ

١١ أَوْ كُنْتُ يَوْمًا بالنجُومِ مُصَدِّقًا
لَزَعَمْتُ أَنَّكَ أَنْتَ بِكْرُ عُطَارِدِ

١٢ صَعْبٌ فإِنْ سُومِحْتَ كُنْتَ مُسَامِحًا
سَلِساً جَرِيرُكَ فِي يَمِينِ الْقَائِدِ

١٣ أُلْبِسْتَ فَوْقَ بَيَاضِ مَجْدِكَ نِعْمَةً بَيْضَاءَ تُسْرِعُ فِي سَوَادِ الْحَاسِدِ

١٤ وَمَوَدَّةً لاَ زَهَّدَتْ فِي رَاغِبٍ يَوْماً ، وَلاَ هِيَ رَغَّبَتْ فِي زَاهِدِ

= علكه مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، وكان يقال له « مروان الحمار » ويقال له « مروان الجعدى » نسبوه إلى الجعد بن درهم الذى كان يؤدبه ، والذائد : فرس كان عند هشام بن عبد الملك ، ويقال : إن الأشقر من نسل الذائد .

(١٠) خلت بأنه : روى فى مكانه « قلت بأنه » وخالد : أراد به هنا خالد بن صفوان ، وكان موصوفاً بالبلاغة وقوة العارضة ، يقول : لو تقدمت بك السن لكانت بلاغة خالد وفصاحته مأخوذة عنك .

(١١) المنجمون يزعمون أن عطاردا إذا تولى أحداً من الناس كان بليغاً . يقول: لو كنت أنا ممن يصدقون كلام المنجمين وأحببت أن أنسبك إلى أحد الكواكب ، لنسبتك إلى عطارد ؛ لأنه يضفى على من تولاه ثوب البلاغة .

(١٢) سومحت : طلب الناس سماحك ، والسلس : السهل ، والجرير : حبل يضفر من جلد ، فإن كان فى هذا الحبل عقد قيل له مضروس ، وهم إذا وضعوا فى عنق البعير الحبل المضروس إنما يريدون تذليله ، انظر إلى قول الشاعر :

تبعت الهوى ياطيب حتى كأننى من اجلك مضروس الجرير قئود

(١٣) سواد الحاسد : شخصه ، أو سويداء قلبه ، يريد أن النعمة التى أولاها الله إياه قد أكمدت حساده وصارت لهم غصة وشجا فى صدورهم ، ويروى « فى يمين الحاسد » ومعناه فى قوته ، يريد أن هذه النعمة ذهبت بقوة حساده فأضعفتهم وفلت عزائمهم ، وروى التبريزى عجز البيت « بيضاء حلت فى سواد ـ إلخ » .

(١٤) يريد أن الله ألبسه المودة التى لا تفرق بين أحد من الناس ، وهذه المودة =

١٥ غنّاء لَيْسَ بِمُنْكَرٍ أنْ يَغْتَدِي   فِي رَوْضِهَا الرَّاعِي أَمَامَ الرَّائِدِ
١٦ مَا أَدَّعِي لَكَ جَانِباً مِنْ سُؤْدَدٍ   إلاَّ وَأَنْتَ عَلَيْهِ أَعْدَلُ شَاهِدِ

* * *

(٤٢)

وقال يمدح خالد بن يزيد [بن مَزْيد] الشيبانى :

١ طَلَلَ الْجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا   وَكَفَى عَلَى رُزْئِي بِذَاكَ شَهِيدَا

= يحتمل أنها مودة الممدوح للناس ومحبته لهم وحرصه على إيصال الخير إليهم من غير تفرقة بين راغب وزاهد ، ويحتمل أنها مودة الناس إياه وحبهم له بما يسدى إليهم من معروف من غير فرق بين من كان يرغب فى وداده ومن كان يزهد فيه .

(١٥) أصل الرائد الذى يتقدم القوم ليتعرف لهم مواطن الرعى فيختار لهم مكان الخصب ، ثم يأتى القوم المكان الذى اختاره لهم ، وفى مثل من أمثالهم « إن الرائد لا يكذب أهله» يقول : إن هذه المودة التى منحك الله خصبة الجناب ، مشتهرة معروفة لا تحتاج إلى رائد يتكشف أمرها ويخبر بها ، فليس عجيباً أن يجيئها العفاة من غير دليل يدلهم عليها . يصفه بسرعة التفضل وقربه من طالبى بره ، ويشبه مودته بالروضة الكثيرة الأشجار .

* * *

(٤٢)

اتفقت نسخ الديوان على رواية هذه القصيدة بعد القصيدة السابقة ، وهى فى شرح التبريزى برقم ٤٠ .

(١) حميدا : أى محموداً مذكوراً بالخير ، لأنك كنت مرتع صبوتنا ومربع ألفتنا ، والعبارة المستقيمة فى عجز البيت أن يقول : « وكفى برزئى على ذلك شهيداً » يعنى أننى أستشهد رزئى على أنك كنت حميداً ، لكنه قلب العبارة ، فصار المعنى وكفى ذلك ـ أى عفاؤك ودروس معالمك ـ شهيداً على حزنى .

٢ دِمَنٌ كَأَنَّ الْبَيْنَ أَصْبَحَ طَالِباً دِمَناً لَدَى آرَامِهَا وَحُقُودَا
٣ قَرَّبْتَ نَازِحَةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَوَى وَتَرَكْتَ شَأْوَ الدَّمْعِ فِيكَ بَعِيدَا
٤ خَضِلاً إِذَا الْعَبَرَاتُ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا وَطَناً سَرَى قَلِقَ الْمَحَلِّ طَرِيدَا
٥ أَمَوَاقِفَ الْفِتْيَانِ تَطْوِى لَمْ تَزُرْ شَرَفاً وَلَمْ تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدَا
٦ أَذْكَرْتَنَا الْمَلِكَ الْمُضَلَّلَ فِي الْهَوَى وَالْأَعْشَيَيْنِ وَجَرْوَلاً وَلَبِيدَا

---

(٢) الدمن الأول : جمع دمنة وهى مابقى من آثار الديار ، والبين : الفراق ، والدمن الثانى : جمع دمنة أيضاً وهى الحقد أو مايبقى منه فى القلب ، والآرام : جمع رئم ، وأصله ولد الظبية ثم تشبه به النساء فى البياض . يقول : كأن الفراق يطلب ثأراله عند سكان هذه الديار .

(٣) النازحة : البعيدة ، ونازحة القلوب : التى كانت بعيدة عن التأثر ، والجوى: الحزن الباطن ، والشأو : الطلق ، وأصله الدفعة من الجرى ، يقال « جرى الفرس شأوا ، أو شأوين » يقول للطلل ــ وجعله التبريزى خطابا للفراق ــ لقد قربت إلى الحزن والأسى واللوعة قلوبا كانت لا تتأثر ولا تحزن ؛ لأن أسباب الحزن والأسى لم تكن تمر بها .

(٤) خضلا : أى رطباً مبتلا ، وفيه ضمير يعود إلى الدمع ، والعبرات : جمع عبرة ــ بفتح العين وسكون الباء ــ وهى الدمعة ، ولم تبرح لها وطنا : أى لم تفارق مكانها وموطنها وهى العيون ، وسرى : سار ، وقلق المحل : يريد أنه لا يقر ، يقول : إذا كانت دموع الناس لا تفارق أعينهم فإن دمع عينى يتحدر ولايبقى فى مكانه .

(٥) تطوى : تمر بها ، والشرف : المرتفع ، ويروى « أمواقف الفتيات » ، ويروى « لم تزر شوقا » يقول : أتجتاز مواقف الفتيان ــ أو مواقف الفتيات ــ من غير أن تعرج على حزن منها أو سهل ؟ ينكر عليه ذلك ، لأن فيه نسيانا لعهد أحبائه وتغافلا عن مرابع لقائه بهن .

(٦) الملك المضلل : هو امرؤ القيس ، والأعشيان : أعشى قيس ، وأعشى باهلة ، وطرفة : هو طرفة بن العبد البكرى ، والمشهور فى اسمه أنه بفتح الطاء والراء جميعاً ، ولكنه سكن راءه كما فعل البحترى فى قوله :

٧ حَلوا بِهَا عُقَدَ النَّسِيبِ وَنَمْنَمُوا ... مِنْ وَشْيِهَا رَجَزاً بِهَا وَقَصِيدَا

٨ راحَتْ غَوَانِى الحَىِّ عَنْكَ غَوَانِياً ... يَلْبَسْنَ نَأياً تَارَةً وَصُدُودَا

٩ مِنْ كُلِّ سَابِغَةِ الشَّبَابِ إذَا بَدَتْ ... تَرَكَتْ عَمِيدَ الْقَرْيَتَيْنِ عَمِيدَا

١٠ أَزْرَيْنَ بِالْمُرْدِ الغَطَارِفِ بُدَّنَاً ... غِيدًا أَلِفْنَهُمُ لِدَاناً غِيــدَا

= وكذاك طرفة حين أوجس ضربة ... فى الرأس هان عليه قطع الأكحل

ومن الرواة من يروى فى بيت أبى تمام « وجرولا » مكان طرفة ، وهو الحطيئة ولبيد : هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى .

(٧) حلوا : فكوا ، والعقد : جمع عقدة ، والنسيب : ذكر النساء ووصفهن ، ونمنموا : زخرفوا ، وروى التبريزى « ونمنموا . من وشيها حلالها وقصيدا » وذكر أنه يروى « نثرا لنا وقصيدا » ويروى أيضاً « نتفا لنا وقصيدا » .

(٨) الغوانى : جمع غانية ، وهى الشابة التى غنيت بحسنها عن الحلى والزينة ، ويقال : هى التى غنيت بمال أبيها وبيته عن الأزواج ، وقيل: هى اسم الفاعل المؤنث من « غنى فلان بمكان كذا يغنى » بوزن رضى يرضى - إذا أقام به ، ويقال : الغانية هى التى غنيت بزوجها ، وهم يطلقون الغانية على المرأة التى يرغب فيها الرجال لحسنها ، وغوانيا : جمع غانية وهى الفاعل من قولك « غنيت من الشىء » تعنى أنك استغنيت عنه ، والنأى : البعد ، والصدود : الإعراض ، وجعلهما مما تلبسه الغوانى على طريقته .

(٩) السابغ : اسم الفاعل من « سبغ الثوب » إذا غطى الجسد كله ، وهم يقولون « برد الشباب » فلما رآهم أبو تمام يقولون ذلك تجاسر على أن جعل شباب هؤلاء الغوانى سابغا كالبرد ، يريد أن شبابهن يجرى فى جميع جسدهن ، وبدت : ظهرت ، وعميد القريتين : رئيسهما ، و « عميدا » فعيل بمعنى مفعول من قولك « عمد فلانا الحب » إذا ذهب بقلبه .

(١٠) أزرين : من الإزراء وهو العيب ، تقول « أزرى فلان بفلان » تريد أنه انتقصه وعابه . ويروى « أربين » ومعناه زدن ، ويروى « أولعن بالمرد » أى شغفن بهم ، ويروى «أردين» والمرد : جمع أمرد وهو الذى لم ينبت شعر وجهه ، والغطارف : جمع غطريف ، وكان من حقه أن يقول «غطاريف» إلا أن الياء =

١١ أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً مَنْ كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا
١٢ فَاطْلُبْ هُدُوًّا فِي التَّقَلْقُلِ وَاسْتَثِرْ بِالْعِيسِ مِنْ تَحْتِ السُّهَادِ هُجُودَا
١٣ مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عَلَلِ السُّرَى وَخْدًا يَبِيتُ النَّوْمُ مِنْهُ شَرِيدَا

= تحذف للتخفيف اكتفاء بالكسرة التى قبلها ، و « بدنا » جمع بادن ـ ونظيره راكع وركع ـ ويروى فى مكانه « لدنا » والمفرد المستعمل لدن ـ بفتح اللام وسكون الدال ـ وليس جمعه على هذا الوزن ، والغيد : جمع أغيد وهو الناعم وأنثاه غيداء ، واللدان : جمع لدن ـ ونظيره رهن ورهان وفرس ورد وخيل وراد

(١١) أخذ معنى هذا البيت من قول الأعشى :

وأرى الغوانى لا يواصلن الذى فقد الشباب ، وقد يصلن الأمردا

ومن قول القطامى وهو عمير بن شييم :

ما للكواعب ودعن الحياة كما ودعننى وجعلن الشيب ميعادى
أبصارهن إلى الشبان مائلة وقد أراهن عنى غير صداد

وقول الأخطل :

وإذا دعونك عمهن فإنه نسب يزيدك عندهن خبالا

(١٢) التقلقل : أراد به الحركة والاضطراب فى الأسفار ، والعيس : الإبل ، واحدها أعيس أو عيساء ، والسهاد : الأرق ، والهجود هنا النوم ، وقد يطلق على السهر والأرق ، فهو من الأضداد ، يقول : اطلب الهدوء بملازمة الحركة ومتابعة الأسفار فإنك تحصل على ما يغنيك فلا تحتاج إلى السفر ، واستخرج من الأرق والسهد والسهر نوماً هادئاً مريحاً ، ونظيره فى المعنى قوله من قصيدة أخرى :

سأجهد نفسى والمطايا فإننى أرى العفو لا يحتاج إلا من الجهد

وقريب منه قول الآخر :

جئت طليحا راكبا طليحا تعبت فى السير لأستريحا

وقد قال العباس بن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

فجعل الشىء يوصل إلى ضده ، كما فعل السابقون ، وإن كان كل منهم فى معنى غير معنى الآخر .

(١٣) أصل العلل ـ بفتح العين واللام الأولى ـ الشرب بعد شرب ، والسرى : =

١٤ تَخْدِى بِمُنْصَلِتٍ يَظَلُّ إِذَا وَنَى ضُرَبَاؤُهُ حِلْساً لَهَا وَقُتُودَا

١٥ جَعَلَ الدُّجَى جَمَلاً وَوَدَّعَ رَاضِياً بِالْهُونِ يَتَّخِذُ القُعُودَ قَعُودَا

١٦ طَلَبَتْ رَبِيعَ رَبِيعَةَ الْمُمْهِى لَهَا فَتَفَيَّأَتْ ظِلاًّ لَهَا مَمْدُودَا

١٧ بَكْرِيِّهَا عَلَوِيِّهَا صَعْبِيِّهَا الْـ ـحِصْنِيِّ شَيْبَانِيِّهَا الصِّنْدِيدَا

= السير ليلا ، وعلل السرى: يريد به الإسراء بعد إسراء ، ويرويه بعض الرواة «علل السرى» بكسر العين وفتح أولى اللامين ــ جمع علة ، وأراد به ما يحدثه السرى فيها من الهزال والضعف ، والوخد : السير السريع ، يصف ناقته .

(١٤) تخدى : تسرع فى سيرها ، والمنصلت : الذى يمضى فى أموره لا يتلبث ولا يتمهل، ونى : أى فتر ، وضرباؤه : نظراؤه وأمثاله ، واحدهم ضريب،والحلس ــ بكسر الحاء وسكون اللام ــ هو فى الأصل ما يوضع تحت البرذعة ليحفظ الراحلة ، ثم أطلقوه على من يلازم الشيء ولا يفارقه ، فقالوا « فلان حلس أسفار » وقالوا «بنو فلان أحلاس الخيل» يقول : إن هذه الناقة لتسرع السير برجل ماض فى أمره ، إذا فتر نظراؤه لم يزل هو ملازما لهذه الناقة كأنه حلسها وقتودها .

(١٥) تقول «اتخذ فلان الليل جملا» تريد أنه امتطاه : أى امتطى فيه راحلته، و « راضياً » أى رجلا راضياً ، فهو مفعول به لودع ، والهون : الهوان والمذلة ، و « بالهون » يتعلق بقوله راضياً ، والقعود ــ بضم القاف ــ الجلوس ، والقعود ــ بفتح القاف ــ كل ما يقتعده الراكب من الإبل ، وأغلب استعماله فيما كان فتى السن منها ، يقول : إنه امتطى الليل ــ يومىء إلى أنه استغرق كل الليل فى السير ــ وترك خلفه من رضى بالهوان ولزم بيته .

(١٦) ربيع : فصل من فصول السنة يكثر فيه النبت ، ويشبهون به الجواد الكثير المعروف ، وربيعة : قبيلة ، يريد أنه ربيع للناس ، وأنه من قبيلة ربيعة ، والممهى : الكثير الماء ، ويروى عجز البيت « فوردن ظل ربيعة الممدودا » ويجوز فى هذه العبارة أن يكون قوله « ربيعة » بالتاء على أنه اسم القبيلة أيضاً ، ويجوز أن يكون « ربيعه » بالهاء على أنها ضمير غيبة يعود إلى الممدوح .

(١٧) بكريها : المنسوب إلى بكر ، وعلويها : المنسوب إلى على، وكذلك ما بعده كل واحد من ألفاظها نسبة إلى أب من آباء الممدوح ، وهو من بنى مطر من مرة ابن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

١٨ ذُهْلِيُّهَا مُرِّيُّهَا مَطَرِيُّهَا ... يُمْنَى يَدَيْهَا خَالِدَ بْنَ يَزِيدَا

١٩ نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى ... نُوراً، وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودَا

٢٠ عُرْيَانُ لاَ يَكْبُو دَلِيلٌ مِنْ عَمًى ... فِيهِ ، وَلاَ يَبْغِى عَلَيْهِ شُهُودَا

٢١ شَرَفٌ عَلَى أُولَى الزَّمَانِ ، وَإِنَّمَا ... خَلَقُ الْمَنَاسِبِ مَا يَكُونُ جَدِيدَا

٢٢ لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ نَبْعَةٍ نَجْدِيَّةٍ ... عَلْوِيَّةٍ لَظَنَنْتُ عُودَكَ عُودَا

---

(١٩) يروى « نسبا » بالنصب ، وهو ــ على هذا مفعول مطلق ناصبه فعل أو وصف بتصيد من البيتين السابقين ، وكأنه قال : انتسب ــ أو هو منتسب ــ إليها نسبا ، ثم وصف هذا النسب بالوضوح والإشراق فقال « كأن عليه من شمس الضحى نوراً ــ إلخ » ،

(٢٠) عريان : من وصف النسب ، ترفعه إذا رفعت النسب وتنصبه إذا نصبته ، وجعل نسبه عريان لأنه أراد أنه ظاهر لا يستتر وراء شيء ، والعرب تقول « فلان كعريان النجوم » يريدون هذا المعنى ، قال الشاعر :

وإنى كفانى الذم جد مهذب ... وخال كعريان النجوم رفيع

(٢١) أولى الزمان : أراد قديمه ، يعنى أن شرف نسبه قديم ، والخلق : البالى : والمناسب : جمع منسب ، وهو بمعنى النسب ، يقول : إن النسب البالى الرث هو الذى يكون شرفه حديثاً لا تنميه آباء وجدود سادة ، وكلما قدم عهد الشرف كان ذلك أدل على سموه ورفعته .

(٢٢) نبعة : واحدة النبع ــ بفتح النون وسكون الباء ــ وهو شجر تتخذ منه القسى والسهام لصلابته ، وأصل منابته قلل الجبال ، ونجدية : منسوبة إلى نجد ، إما لأن آباء الممدوح كانوا يسكنون نجدا ، وإما نسبة إلى النجد الذى هو المكان المرتفع لأن أفضل النبع ما نبت فى القلل وأعالى الجبال ، وعلوية : تقرأ بفتح العين واللام نسبة إلى على بن بكر بن وائل ، وتقرأ بضم العين وسكون اللام نسبة إلى العلو وهو المكان العالى ، والعود الثانى : يريد به العود الطيب الرائحة الذى يتبخر به . يقول : إن طيب أصلك وشرف نسبك لتفوح ريحه عبقة شذية . حتى لو أننى لم أكن أعرف نسبك لاستدللت بذكى ريحك على شرف هذا النسب من غير حاجة إلى السؤال عنه .

٢٣ مَطَرٌ أَبُوكَ أَبُو أَهِلَّةِ وَائِلٍ مَلأَ الْبَسِيطَةَ عُدَّةً وَعَدِيدَا

٢٤ أَكْفَاءُهُ تَلِدُ الرِّجَالُ وَإِنَّمَا وَلَدَ الْحُتُوفُ أَسَاوِدًا وَأُسُودَا

٢٥ رُبْدًا وَمَأْسَدَةً عَلَى أَكْتَادِهَا لِبَدٌ تَخَالُ فَلِيلَهُنَّ لُبُودَا

٢٦ وَرِثُوا الأُبُوَّةَ وَالْحُظُوظَ فَأَصْبَحُوا جَمَعُوا جُدُودًا فِي الْعُلَى وَجُدُودَا

٢٧ وُقُرُ النُّفُوسِ إِذَا كَوَاكِبُ قَعْضَبٍ
أَرْدَيْنَ عِفْرِيتَ الْوَغَى الْمِرِّيدَا

٢٨ زُهْرٌ إِذَا طَلَعَتْ عَلَى حُجُبِ الْكُلَى
نَحَسَتْ ، وَإِنْ غَابَتْ تَكُونُ سُعُودَا

---

(٢٣) الأهلة : جمع هلال ، ويشبه به الرجل الكريم الشريف ، يقول : إن أباك قد ولد الأشراف الكرام .

(٢٤) أكفاءه : جمع الكفء وهو النظير ، والحتوف : جمع حتف ، وهو الهلاك والموت ، والأساود : جمع أسود ، وهو ضرب من الحيات ، والأسود : جمع أسد وهو الحيوان المعروف الذى يشبه به الشجاع . يقول : إن الرجل يولد له عادة أولاد تشبهه ويكونون نظراءه ، ولكن آباءك الذين يشبهون الحتوف لأعدائهم ولدوا الحيات والأسود وهى مما يطلق على الأبطال المغاوير .

(٢٥) ربدا : جمع أربد ، وهو من وصف الأساود التى هى الحيات فى البيت السابق ، والمأسدة : أراد به جماعة الأسود مثل المشيخة فى جماعة الشيوخ ، وتطلق المأسدة أيضاً على الأرض التى فيها الأسود ، والأكتاد : جمع كتد ـ بفتح الكاف والتاء جميعاً أو بفتح فكسر ـ وهو مجتمع الكتفين من الإنسان ومن الفرس ، والفليل : الشعر المجتمع .

(٢٦) الجدود الأول : جمع جد وهو أبو الأب ، والجدود الثانى : جمع جد أيضاً وهو الحظ .

(٢٧) وقر : جمع وقور ـ بوزن صبور وصبر وغفور وغفر ـ وهو الرزين ، وقعضب : رجل كان يعمل الأسنة فى الجاهلية ،وكواكبه : هى الأسنة ، وصفهم بالرزانة وسكون الجأش ، وأردين : أهلكن .

(٢٨) الزهر : جمع أزهر وهو الأبيض ، يريد أن هذه الأسنة إذا لم تنفذ فى =

٢٩ مَا إنْ تَرَى إلاَّ رَئِيساً مُقْصَداً تَحْتَ العَجَاجِ وَعَامِلاً مَقْصُودَا

٣٠ فزِعُوا إلَى الحَلَقِ المُضَاعَفِ وَارْتَدَوْا
فِيهَا حَدِيدًا فِي الشُّؤُونِ حَدِيدَا

٣١ وَمَشَوْا أمَامَ أَبِي يَزِيدَ وَحَوْلَهُ مَشْيًا يَهُدُّ الرَّاسِيَاتِ وَئِيدَا

٣٢ يَغْشَوْنَ أَسْفَحَهُمْ مَذَانِبَ طَعْنَةٍ سَيْحًا وَأَشْنَعَ ضَرْبَةٍ أُخْدُودَا

= الكلى فقد لاقت نحساً ؛ لأنها لم تعمل عملها ، وإن نفذت فيها وغابت فقد لاقت سعداً ؛ لأنها أصابت ، وهذا بالنظر إلى الذين يعملونها ، فأما بالنظر إلى المرمى بها فالأمر على العكس ؛ لأن سعدهم ألا تعمل فيهم ، ونحسهم أن ترديهم .

(٢٩) المقصد — بوزن اسم المفعول — المقتول ، تقول « رمى فلان فلانا فأقصده » إذا قتله فى مكانه ، والعامل : ما دون السنان بقدر ذراع من الرمح ، ومقصوداً : أى مكسوراً ، يريد أنك لا ترى فى مكان معركة القتال إلا رئيساً قتيلا ورمحاً مكسوراً ، ويروى « ما إن ترى إلا بئيساً » والبئيس : هنا : الشجاع .

(٣٠) الحلق المضاعف : أراد به الدروع ، والحديد الأول : اسم المعدن الذى تتخذ الدروع منه ، والحديد الثانى : وصف من الحدة وهى القوة ، يريد الامتناع ، وقد يكون الحديد الأول السيوف ، والثانى وصفاً بمعنى القاطع ،

(٣١) أبو يزيد : كنية خالد بن يزيد ، والراسيات : الجبال : ووئيداً : أى تسمع له صوتاً ، أو هو مشى فى تمهل وثبات كشأن الأبطال .

(٣٢) أسفحهم : أفعل تفضيل من « سفح الماء يسفحه » أى صبه ، والمذانب : هى مجارى الماء المنحدر من الجبال إلى الوديان ، وسيح : من وصف الطعنة ، وأصله الماء الذى يجرى على وجه الأرض ، والضربة الأخدود : التى حفرت حفرة مستطيلة فى الجسم ، والأحسن فى «أشنع ضربة» أن تجعل أشنع مضافاً إلى ضربة ، ويكون قوله « أخدودا » تمييزا ، وكذلك القول فى « أسفحهم مذانب طعنة سيحا » ومن رواه بنصب ضربة ليجعل أخدودا وصفاً له لم يصب . يقول : إن الأبطال لينزلون عند يزيد الذى بطعن الطعنة النجلاء فتكون أشد طعنة سيحا لدماء الأعداء ويضرب الضربة القاصمة فتكون أشد ضربة تخد فى جسوم الأعداء خدوداً شنيعة ، ويروى « أسفحهم مذانب طعنة سفحا » .

٣٣ مَا إنْ تَرَى الْأَحْسَابَ بِيضاً وُضَّحًا ... إلاَّ بِحَيْثُ تَرَى الْمَنَايَا سُودَا
٣٤ لَبِسَ الشَّجَاعَةَ إنَّهَا كَانَتْ لَهُ ... قِدْماً نَشُوغًا فِي الصِّبَا وَلَدُودَا
٣٥ بَأْساً قَبِيلِيًّا وَبَأْسَ تَكَرُّمٍ ... جَمٍّ وَبَأْسَ قَرِيحَةٍ مَوْلُودَا
٣٦ وَإِذَا رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدِ فِي نَدًى ... وَوَغًى وَمُبْدِئَ غَارَةٍ وَمُعِيدَا
٣٧ يَقْرِى مُرَجِّيَهُ مُشَاشَةَ مَالِهِ ... وَشَبَا الأَسِنَّةِ ثُغْرَةً وَوَرِيدَا

(٣٣) الأحساب : جمع حسب ، وهو موضع المدح والذم من الإنسان ، والوضح : جمع الواضح ، والمنايا : جمع منية وهى الموت ، يقول : إن الناس لا يذكرون بالمدح من المقاتلين إلا الذى يصبر على حر القتال فى المعارك الشديدة التى يكثر فيها الصرعى .

(٣٤) لبس الشجاعة : يروى فى مكانه « ألف الشجاعة » والنشوغ — بفتح النون — مثل السعوط ، وهو الدواء يتجرعه الصبى جرعة بعد جرعة ، أو هو ما يوجره الصبى فى فمه كله ، واللدود — بفتح اللام — هو ما يوجره فى أحد شقى فمه .

(٣٥) البأس : الشجاعة والشدة ، وقبيليا : منسوبا إلى القبيلة ، والتكرم : تكلف الكرم ، وأراد ببأس القريحة ما كان طبيعة له ، جعل بأس هذا الممدوح من ثلاث جهات ، أولها البأس الذى ورثه عن قبيلته لأن كل أفرادها شجعان ، والثانى ما يتكلفه هو ويحمل نفسه عليه ليذكر بين الناس بما يذكر به قومه ، والثالث ما هو من طبعه وسجيته التى ولدت معه يبعثه على اقتحام الأهوال من غير تكلف .

(٣٦) أبا يزيد : سبق أنها كنية خالد ، وقد صرف « يزيد » ومن حقه المنع من الصرف للعلمية ووزن الفعل ، أو الرفع على حكاية أصله فإنه قبل التسمية به فعل مضارع ، والندى : الجود ، والوغى : الحرب ، ويروى « فى وغى وندى » .

(٣٧) يقرى : مضارع « قرى الضيف » بوزن رمى يرمى — أى قدم له القرى ، ويروى « يعطى » والمشاشة — بضم الميم — العظم الذى يتيسر مضغه وربما أكل ، وربما أطلق « المشاشة » على اللحم الذى فوق هذا العظم للمجاورة ، والمراد هنا أنه يعطى العطية المبالغ فيها ، وشبا الأسنة : حدها ، والثغرة — بضم الثاء وسكون الغين — نقرة النحر ، والوريد : حبل العاتق . يقول : إنه ليعطى من يرجو عطيته أنفس العطايا ، وإنه ليعطى أعداءه أطراف أسنته فيعملها فى نحورهم وفى عواتقهم .

٣٨ أَيْقَنْتَ أَنَّ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً ... تُدْمِي وَأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُودَا
٣٩ وَإِذَا سَرَحْتَ الطَّرْفَ نَحْوَ قِبَابِهِ ... لَمْ تَلْقَ إِلاَّ نِعْمَةً وَحَسُودَا
٤٠ وَمَكَارِمًا عُتُقَ النِّجَارِ تَلِيدَةً ... إِنْ كَانَ هَضْبُ عَمَايَتَيْنِ تَلِيدَا

(٣٨) السماح : الجود والبذل والعطاء . يقول : إن الممدوح يبذل نفسه فى حومة الوغى ويجود بها فى الدفاع عن المحارم ، وإنه ليجود بماله على العفاة ، ويعطيهم عطاء من لا يبقى لغد ، فمن رآه فى هاتين الحالتين يتأكد الصلة الوثيقة بين الشجاعة والكرم ، وقد لمح هذا المعنى ابن الرومى فى قوله :

وما فى الأرض أكرم من شجاع ... وإن أعطى القليل من النوال
وذاك لأنه يعطيك ممـا ... تنوء عليه أطراف العوالى
شرى دمه به ، حتى إذا ما ... حواه حوى به حمد الرجال

(٣٩) « حول قبابه » القباب : جمع قبة ، وإنما تكون مقام ملك أو رئيس ، ويروى « حول فنائه » ونعمة : أراد بها مايفضل به على عفاته وطالبى عطائه لا يخص بها وليا ، ونظيره قوله فى قصيدة أخرى :

لن ينال العلا خصوصاً من الأقـوام من لم تـكن يداه عموماً

ونظير ذلك قول البحترى :

وأنفق فى العلياء حتى حسبته ... من الدهر يعطى ، أو من الدهر ينفق
عطاء كضوء الشمس عم فمغرب ... يكون سواء فى سناه ومشرق

وقد جمع أبو تمام أيضاً بين الندى والشجاعة فى قوله :

فنول حتى لم يجد من ينيله ... وحارب حتى لم يجد من يحاربه

(٤٠) عتق: جمع عتيق ، وهوهنا القديم ، والنجار ـ بكسر النون بزنة الكتاب ـ الأصل ، وتليدة : موروثة عن الآباء والأجداد ، وهذا لتأكيد معنى العتق ، وعمايتان : جبل ، وأصله مفرد بلفظ عماية ، إلا أنهم ربما ثنوا اسم المكان يريدون جانبيه وناحيتيه ، وربما جمعوه يريدون جوانبه ونواحيه ، وربما ثنوا لأنهم يريدون المكان ومكاناً آخر إلى جواره ، وجمعوا لأنهم يريدونه وأمكنة أخرى إلى جانبه ، قالوا : أبان ، ولابة ، ودحرض ، وقالوا أيضاً : أبانان ، ولابتان ، ودحرضان ، وقال المهلهل :

٤١ وَمَتَى حَلَلْتَ بِهِ أَنَا لَكَ جَهْدَهُ ... وَوَجَدْتَ بَعْدَ الْجَهْدِ فِيهِ مَزِيدَا

٤٢ مُتَوَقِّدٌ مِنْهُ الزَّمَانُ ، وَرُبَّمَا ... كَانَ الزَّمَانُ بِآخَرِينَ بَلِيدَا

٤٣ أَبْقَى يَزِيدُ وَمَزْيَدٌ وأَبُوهُمَا ... وَأَبُوهُ رُكْنَكَ فِي الْفَخَارِ شَدِيدَا

٤٤ سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عَقْباً صَالِحاً ... وَمَضَوْا يَعُدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودَا

٤٥ إِنَّ الْقَوَافِيَ وَالْمَسَاعِيَ لَمْ تَزَلْ ... مِثْلَ الْجُمَانِ إِذَا أَصَابَ فَرِيدَا

٤٦ هِيَ جَوْهَرٌ نَثْرٌ ؛ فَإِنْ أَلَّفْتَهُ ... بِالشِّعْرِ صَارَ قَلَائِداً وَعُقُودَا

٤٧ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ وَكُلِّ مَقَامَةٍ ... يَأْخُذْنَ مِنْهُ ذِمَّةً وَعُهُودَا

= لو بأبانين جاء يخطبها ... زمل ما أنف خاطب بدم

وقال عنترة :

شربت بماء الدحرضين فأصبحت ... عسراً على طلابك ابنة مخرم

وقال جرير فى تثنية عماية :

لو أن عصم عمايتين وبذبل ... سمعوا حديثك أنزل الأوعالا

(٤١) حللت به : نزلت عنده ، يريد أنه يعطيك مقدار الطاقة ، ولـكنه لا يضن بما فوقها .

(٤٢) يريد أن الزمان يجيش بإنفاذ رغائبه ، فهذا توقد الزمان منه ، فأما سواه فإن الزمان بليد بهم ، يعنى أنه لا يحفل برغائبهم ولا يوليهم اهتمامه؛ لأنهم أقل من أن يأبه لهم .

(٤٣) يزيد : أبو الممدوح ، ومزيد : جده ، ويروى « ركناً فى الفخار شديداً » وعليها يجوز أن يكون أراد بالركن نفس الممدوح ، يعنى أنهم مضوا وخلفوا ركناً شديداً .

(٤٤) سلفوا : ذهبوا ، والذكر : ما يكون لهم من جميل الأحدوثة .

(٤٥) يقول : إن الشعر ليتم شرفه بأنه قيل فى هذا الممدوح ، لأن القوافى نظام والممدوح كالفريد له ، وما لم يكن للنظام فريد لم يتم شرفه .

(٤٦) نثر : منثورة لا يضبطها نظام ، فإذا نظمت صارت قلائد تتحلى بها الغانيات .

(٤٧) المعترك : المكان الذى يتعارك فيه الأبطال، والمقامة : المكان الذى يقوم =

٤٨ فَإِذَا الْقَصَائِدُ لَمْ تَكُنْ خُفَرَاءهَا لَمْ تَرْضَ مِنْهَا مَشْهَداً مَشْهُودَا

٤٩ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتِ الْعَرَبُ الْأُلَى يَدْعُونَ هٰـــذَا سُودَداً مَحْدُودَا

٥٠ وَتَنِدُّ عِنْدَهُمُ الْعُلَى إِلاَّ عُلًى جُعِلَتْ لَهَا مِرَرُ الْقَصِيدِ قُيُودَا

* * *

(٤٣)

وقال يمدحه أيضاً :

١ مَا لِكَثِيبِ الْحِمَى إِلَى عَقَدِهْ؟ مَا بَالُ جَرْعَائِهِ إِلَى جَرَدِهْ؟

= فيه الكرام ليتحدث كل واحد منهم بمفاخره وبذكر جميل مآثره ، والضمير فى « منه » يعود إلى الشعر ، يقول : مواقع القتال ومقامات الفخار تلجأ إلى الشعر تأخذ منه العهود أن يؤدى حقها من جميل الذكر ، لأنها إذا لم يتحدث الشعر عنها تنسى ، وقد أكد هذا المعنى فى البيت الذى يلى هذا .

(٤٩) الألى : أراد به الأول ، وقد كانوا يقولون « فلان محدود السؤدد » يريدون أنه لم يقل فيه شعر فلم تسر ممادحه بين الناس .

(٥٠) تند : تنفرد وتتبدد ، والمرر : جمع مرة ـ بكسر الميم ـ وهى فى الأصل الحبل الشديد الفتل ، ويروى « مرر القريض » . يقول : إن المحامد والمكارم إذا لم يقيدها الشعر تفرقت وتبددت وأتى عليها النسيان ، وصدق فقد كان العرب يفرحون أشد الفرح إذا نشأ فيهم شاعر ؛ لأنهم يرون فيه الذى يعلى شأنهم بما يسجل فى شعره من جميل ذكرهم ، وقد كانوا يقيمون الولائم ويتقبلون التهانى إشادة بذكر من نشأ من شعرائهم .

* * *

(٤٣)

اتفقت نسخ الديوان على ذكر هذه القصيدة تالية للقصيدة السابقة ، وهى فى شرح التبريزى برقم ٤١ .

(١) الكثيب : ما تراكم واجتمع من الرمل ، والعقد ـ بفتح العين والقاف جميعاً بوزن جمل ، وبفتح فكسر بوزن كتف وأهل نجد يسكنون القاف ـ هو ما انعقد =

٢ مَا خَطْبُهُ ؟ مَا دَهَاهُ ؟ مَا غَالَهُ ؟ مَا نَالَهُ فِي الْحِسَانِ مِنْ خُرُدِهْ ؟
٣ السَّالِبَاتِ امْرَأً عَزِيمَتَهُ بِالسِّحْرِ ، وَالنَّافِثَاتِ فِي عُقَدِهْ
٤ لَبِسْنَ ظِلَّيْنِ ظِلَّ أَمْنٍ مِنَ الدَّهْرِ وَظِلاً مِنْ لَهْوِهِ وَدَدِهْ
٥ فَهُنَّ يُخْبِرْنَ عَنْ بُلَهْنِيَةِ الْعَيْشِ وَيَسْأَلْنَ مِنْهُ عَنْ جَحَدِهْ

= من الرمل ، والجرعاء : أرض فيها رمل ، ويقال : هى ما انحدر من معظم الرمل إلى الوادى ، والجرد : تروى بفتح الجيم والراء جميعاً ــ فيحتمل أن يكون مصدر « جرد المكان » من باب فرح ــ أى صار قفرا لا نبات فيه ، ويحتمل أن يكون اسماً لمكان بعينه ذكره النابغة فى قوله :

والراكضات ذيول الريط فانقها برد الهواجر كالغزلان بالجرد

وتروى كلمة « جرده » بفتح الجيم وكسر الراء ؛ فهى صفة بمعنى المنجرد الخالى من النبات .

(٢) الخطب : الشأن ، وما دهاه : ما الذى أصابه وأنزل به الدواهى ، وما غاله : يروى « ما باله * ماغاله » ويروى «ما عاله» بالعين المهملة ، والخرد : جمع خريدة ، وهى هنا : المرأة الفائقة الحسن ، يستنكر حال الأماكن التى كانت مألف لهوه ؛ لأنها قد تغيرت عما كان يعهدها .

(٣) السالبات : صفة لخرده أو بدل منها ، وعزيمته : ما كان قد اعتزمه وصح تصميمه عليه من ترك اللهو والرجوع عن الغى والصبابة ، ويروى « صريمته » وأراد من السحر كلامهن البارع وحديثهن الفتان ، والعقد : جمع عقدة ، وأراد منها عقد الصبر والتحلم ، وعلى هذا يعود الضمير على امرىء .

(٤) الدد : اللعب ، ويروى « من عيشه ودده » يريد أنه قد اجتمع لهؤلاء الحسان الأمن من حوادث الدهر والتنعم مع التوفر على اللهو واللعب ، وغيرهن قلما يجتمع لهن الأمران ، وأضاف الظل إلى الأمن لأنه يحجزهن عن الخوف ، وأضاف الظل إلى اللهو واللعب لأنه يحجزهن عن الحزن .

(٥) بلهنية العيش: سعته ورغده ، والجحد ــ بفتح الجيم والحاء هنا ، وقد تسكن حاؤه ــ البؤس والضر والشدة ، وكنى بكونهن يخبرن عنها عن أنهن تربين فى السعة وعشن عيشة الرغد ، فلو أن سائلا أراد أن يعرف حقيقة هذه العيشة فسألهن عنها أخبرنه =

٦ وَرُبَّ أَلْمَى مِنْهُنَّ أَشْنَبَ قَدْ رَشَفْتُ مَا لاَ يَذُوبُ مِنْ بَرَدِهْ
٧ قَلْتًا مِنَ الرِّيقِ نَاقِعَ الذَّوْبِ إِلاَّ أَنَّ بَرْدَ الأَكْبَادِ فِي جَمَدِهْ
٨ كَالْخُوطِ فِي القَدِّ وَالْغَزَالَةِ فِي الْـبَهْـجَةِ وَابْنِ الْغَزَالِ فِي غَيَدِهْ
٩ وَمَا حَـكَاهُ وَلاَ نَعِيمَ لَهُ فِي جِيدِهِ ، بَلْ حَـكَاهُ فِي جَيَدِهْ

= وكنى بأنهن يسألن عن البؤس عن كونهن لا يعرفن عيشة الضنك والشدة ، فلو أردن معرفتها سألن عنها من عاش فيها .

(٦) الألمى : الأسمر الشفتين ، والأنثى لمياء ، والعرب تستحسن سمرة الشفتين لأن سمرتهما يتبين منها بياض الثغر ونقاؤه ، والأشنب : الطيب ريح الفم ، والبرد - بفتح الباء والراء جميعاً - أصله حب الغمام ، وتشبه به الأسنان .

(٧) القلت ، فى الأصل : نقرة فى الصخر يستنقع فيها ماء السماء ، وتروى هذه الكلمة بالرفع وبالنصب وبالجر ، وأراد به الفم ، وعندهم أن الفم إذا كثر رضابه طاب وإذا قل تغيرت ريحه ، ثم تحدث عن هذا الفم فذكر أن رضابه - وهو ما عبر عنه بالذوب ، أى الذائب - يروى من ترشفه وينقع غلة العطشان ، وأن أسنانه - وهى ما عبر عنه بالجمد - فيها برد الأكباد .

(٨) الخوط - بضم الخاء - الغصن ، ويجمع على خيطان ، والقد : القامة ، والغزالة هنا : الشمس ، ويروى « والغزالة فى الإشراق » والبهجة والإشراق والحسن بمعنى .

(٩) حكاه : أشبهه ، والجيد - بكسر الجيم - العنق ، والجيد - بفتح الجيم والياء جميعاً - طول العنق ، ومن عادة الشعراء أن يشبهوا جيد الحسناء بجيد الغزال يعنون أنه طويل ، انظر إلى قول المجنون :

أيا شبه ليلى لن تراعى ؛ فإننى
لك اليوم من وحشية لصديق
فعيناك عيناها ، وجيدك جيدها ،
سوى أن عظم الساق منك دقيق

وأراد أبو تمام أن يستدرك على ما تتابع الشعراء على ذكره ، فقال : « إن هذه الحسان لم تشبه الغزال فى الجيد (العنق) شبها مطلقاً ، وإنما أشبهنه فى طول الجيد » .

٤١ يَوْمٌ بِهِ أَخَذَ الْإِسْلَامُ زِينَتَهُ
بِأَسْرِهَا ، وَاكْتَسَى فَخْراً بِهِ الأَبَدُ

٤٢ يَوْمٌ يَجِيءُ إِذَا قَامَ الْحِسَابُ وَلَمْ يَذْمُمْهُ بَدْرٌ وَلَمْ يُفْضَحْ بِهِ أُحُدُ

٤٣ وَأَهْلُ مُوقَانَ إِذْ مَاقُوا فَلَا وَزَرٌ أَنْجَاهُمُ مِنْكَ فِي الْهَيْجَا وَلَا سَنَدُ

٤٤ لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَتْ
إِنْ لَمْ تَتُبْ أَنَّهُ لِلسَّيْفِ مَا تَلِدُ

٤٥ وَالْبَبْرُ حِينَ اطْلَخَمَّ الأَمْرُ صَبَّحَهُمْ
قَطْرٌ مِنَ الْحَرْبِ لَمَّا جَادَهُمْ خَمَدُوا

= رجلا كان يدعو إلى المجوسية ، أم بنو العباس ؛ لأنك وطدت حكمهم بقتلك رجلا خرج عليهم وألب الناس ضدهم ، أم قومك الذين تنتمى إليهم ؛ لأنك أعليت ذكرهم ورفعت قدرهم بهذه الانتصارات التى يعجز عن مثلها صناديد الأبطال .

(٤١) زينته بأسرها : يريد أنه أخذ زينته كلها ولم يترك من مظاهر الزينة شيئا ، وقوله «واكتسى فخرا» يروى فى مكانه « واكتسى فجرا » والذى فى الأصل خير ، وكأن معناه ـ على الرواية الأخرى ـ أن الزمان كله قد امتلأ ضياء بهذا اليوم .

(٤٢) يقول: إن هذا اليوم يحمده يوم بدر الذى نصر الله فيه رسوله والمؤمنين على صناديد الكفر من أهل مكة ، وإنما يحمده لأنه يوافقه فى الانتصارات على الكفار ، وإن يوم أحد ـ وهو من أيام الرسول وأصحابه ، وكان فيه الغلب لأهل مكة ـ ليحمد هو أيضا يومك ؛ لأنك انتصرت على الكفار ، فكأنك أخذت ليوم أحد بالثأر .

(٤٣) ماقوا : أصيبوا بالموق وهو الحمق ، والوزر ـ بالتحريك ـ المستند والملجأ ، والهيجا ـ بالقصر هنا ، وقد تمد ـ الحرب .

(٤٤) تنب : مضارع ناب : أى رجع ، ويروى « تتب » من التوبة ، وللسيف ماتلد : أى أنه صائر إلى القتل .

(٤٥) الببر : ضرب من العجم ، وكذلك اللان ، وكان أكثر أتباع بابك منهم ، ويروى « والبذ » وهو اسم بلادهم ، واطلخم الأمر : اشتد وعميت فيه وجوه الصواب ، مأخوذ من قولهم « اطلخم الليل » أى أظلم ، وقالوا « اطلخم =

١٤ تَامِكِهِ نَهْدِهِ مُـــدَاخَلِهِ مَلْمُومِهِ مُحْزَئِلِّهِ أُجُـــدِهْ
١٥ إلَى الْمُفَدَّى أبِى يَزِيدَ الَّذِى يَضِلُّ غَمْرُ الْمُلُوكِ فِى ثَمَدِهْ
١٦ ظِلُّ عُفَاةٍ يُحِبُّ زَائِرَهُ حُبَّ الْكَبِيرِ الصَّغِيرَ مِنْ وَلَدِهْ
١٧ إذَا أنَاخُوا بِبَابِهِ أخَذُوا حُكْمَيْهِمُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهْ
١٨ مِن كُلِّ لَهْفَانَ زِدْتَ فِى أَوَدِ الْـــأَمْوَالِ حَتَّى أَقَمْتَ مِنْ أَوَدِهْ

= العصا ـ الظهر ، ولوحك : أى لزخلقة بعضه إلى بعض ، والعجب : أصل الذنب ، والكتد : مجتمع الكتفين .

(١٤) التامك : السنام الطويل ، والنهد : الضخم المرتفع ، والملموم : المجتمع بعضه إلى بعض ، والمداخل فى معناه ، والمحزئل : المنتصب ، والأجد : الموثق الخلق .

(١٥) إلى المفدى : يتعلق بقوله « سأخرق الخرق » فى أول البيت ١٢ ، والغمر ــ بفتح الغين وسكون الميم ــ أصله الكثير من الماء ، والثمد ــ بفتح الثاء والميم جميعاً ـ أصله القليل من الماء ، وأراد هنا الكثير والقليل مطلقاً ، أى يضل كثير الملوك ولايظهر فى قليله هو ، فكيف بكثيره .

(١٦) ظل عفاة : جمع عاف ، وهو طالب العفو من المعروف ، ويروى « ظل نداه » ويروى « ظل حياة » وقوله «حب الكبير» مصدر تشبيهى مضاف إلى فاعله يقع مفعولا مطلقاً : أى حبا مثل مايحب الكبير الصغير من أولاده ، وقد سئل بعضهم عن أحب أولاده إليه ، فقال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يعود .

(١٧) أناخوا : أراد نزلوا عن دوابهم ، والمعنى أنهم إذا وفدوا عليه حكمهم فى ماله وفى أدبه يأخذون من كل واحد منهما مايريدون ، ويروى «أخذوا حكمهم» بإفراد الحكم ، ولا يتغير المعنى .

(١٨) أصل معنى الأود العوج ، ومعنى زدت فى أود الأموال : زدت فى إفساد المال بالتبذير والتبديد والتفريق ، وأقمت من أوده : من اعوجاج هذا اللهفان ، أى أصلحت حاله وأبعدت عنه الحاجة ، ويروى « زاد فى أود الأموال حتى أقام من أوده » .

١٩ مُسْتَمْطَرٌ حَلَّ مِنْ بَنِي مَطَرٍ بِحَيْثُ حَلَّ الطِّرَافُ مِنْ عَمَدِهْ
٢٠ قَوْمٌ غَدَا طَارِفُ الْمَدِيحِ لَهُمْ وَوَسْمُهُمْ لاَئِحٌ عَلَى تُلُدِهْ
٢١ فَهُمْ يَمِيسُونَ الْبَخْتَرِيَّةَ فِي بُرُودِهِ وَالأَنَامُ فِي بُرَدِهْ
٢٢ لاَ يَنْدُبُونَ الْقَتِيلَ أَوْ يَأْتِيَ الْـ ـحَوْلُ لَهُمْ كَامِلاً عَلَى قَوَدِهْ

---

(١٩) مستمطر : تروى هذه الكلمة بفتح الطاء وبكسرها ، فمن رواها بفتح الطاء جعله من وصف الممدوح ، يعنى أن العفاة يطلبون فضله كما يطلب الناس المطر من السحاب ، وأما من رواها بكسر الطاء فقد جعله من وصف اللهفان الذى ذكره فى البيت ١٨ ومعنى ذلك أن هذا اللهفان يطلب عطاء الممدوح كما يطلب الناس المطر من السحاب ، والطراف ـ بكسر الطاء ، بوزن الكتاب ـ القبة من الأدم ، وقاله طرفة بن العبد :

رأيت بنى غبراء لا ينكروننى
ولا أهل هذاك الطراف الممدد

(٢٠) الطارف : الحديث الجديد ، وأصله المال الذى أحدثته أنت ولم ترثه عن آبائك ، ووسمهم : علامتهم ، ولائح : ظاهر ، والتلد : جمع تليد ، وهو القديم . يقول : إن الناس يمدحون هؤلاء القوم من قديم ولا يزالون يمدحونهم ، لأنهم يتنافسون فى بناء المكارم ، ويتغالون فى تأسيس المحامد، لذلك كان لهم قديم الحديث عن بناة المجد وظهرت فيه آثارهم ، فأما الحديث عن المجد الجديد فهو لهم إذ لا يوجد لغيرهم مجد .

(٢١) يميسون : يمشون مشية الخيلاء ، والبخترية : من التبختر ، والبرود : جمع برد ـ بضم الباء وسكون الراء ـ فأما البرد ـ بضم الباء وفتح الراء ـ فهو جمع بردة ، وأراد أبو تمام بالبرود ما كان رفيع القيمة عالى الثمن ، وبالبرد ما كانت قيمته قليلة وثمنة زهيداً ، وكنى بذلك عن أن ممادحهم تنطق الألسنة بأفصح المديح ، فأما من عداهم فيأتى مديح الناس لهم ضعيفاً لأن مكارمهم لاتستوجب أكثر من هذا .

(٢٢) القود ـ بفتح القاف والواو جميعاً ـ أصله أن يقادمن قتل إلى أهل القتيل =

٢٣ إِنَاءُ مَجْدٍ مَلآنُ بُورِكَ فِي صَرِيحِهِ لِلْعُلَى وَفِي زَبَدِهْ
٢٤ وَهَضْبُ عِزٍّ تَجْرِي السَّمَاحَةُ فِي حُدُورِهِ وَالإِبَاءُ فِي صُعُدِهْ
٢٥ يَزِيدُ وَالْمَزْيَدَانِ فِي الْحَرْبِ وَالزَّائِدَتَانِ الطَّوْدَانِ مِنْ مُصُدِهْ
٢٦ نِعْمَ لِوَاءُ الْخَمِيسِ أُبْتَ بِهِ يَوْمَ خَمِيسٍ عَالِي الضُّحَى أَفِدِهْ
٢٧ خِلْتَ عُقَابًا بَيْضَاءَ فِي حُجُرَا تِ الْمُلْكِ طَارَتْ مِنْهُ وَفِي سُدَدِهْ

= حتى يأخذوا بثأرهم منه ، وأراد هنا الثأر ، يقول : إن هؤلاء القوم لا يكون من يقتل منهم إلا بعد أن يأخذوا بثأره من قاتله ويمضى على ذلك القود عام .

(٢٣) الصريح فى الأصل : اللبن الذى لارغوة فيه ، وأراد بالزبد ـ بفتح الزاى والباء جميعاً ـ الرغوة ، ورواه بعضهم بضم الزاى والباء جميعاً ـ وذكر أن المراد ثمرة المجد .

(٢٤) الهضب : أصله ما ارتفع من الأرض ، والسماحة : الجود ، والحدور : أراد به الانحدار من عال ، والصعد : جمع صعود ، وأراد به الطلوع من الأرض إلى عال ، والمعنى أن هؤلاء القوم يعاملون من أتاهم من جانب اللين معاملة كريمة ، ومن أراد مغالبتهم غلبوه وقهروه وأخضعوه ، وضرب لذلك مثلا الحدور والصعود .

(٢٥) مصد : جمع مصاد ، بوزن سحاب وسحب ، والمصاد : أعلى الجبل يريد أن هؤلاء الذين ذكر أسماءهم من آباء الممدوح يكونون له معاقل عز ، وأنه يتحصن بهم ويستعلى بالانتماء إليهم على كل من يحاول مفاخرته .

(٢٦) الخميس : الجيش ، واللواء : الراية ، وكان الممدوح قدعقدله على أرمينية ، وأبت : رجعت ، والأفد ـ بفتح الهمزة وكسر الفاء ـ العجل السريع . يمدح اللواء الذى رجع به الممدوح يوم الخميس فى وقت الضحى .

(٢٧) خلت : حسبت وظننت ، وأراد بالعقاب الراية ، على التشبيه بعقاب الجو وهو من كواسر الطير ، ويروى « خلت العقاب البيضاء » والحجرات ـ بضم الحاء والجيم جميعا ـ جمع حجرة ، بضم فسكون ، وتقرأ « حجرات » بفتح الحاء والجيم جميعا ـ على أنها جمع حجرة ، بفتح فسكون ، وهى الناحية ، والسدد : جمع سدة ـ بضم السين وتشديد الدال ـ وهى الباب ، ويروى «طارت به» . يقول : =

٣٨ فَشَاغَبَ الجَوَّ وَهْوَ مَسْكَنُهُ وَقَاتَلَ الرِّيحَ وَهْيَ مِنْ مَدَدِهْ
٣٩ وَمَرَّ تَهْفُو ذُؤَابَتَاهُ عَلَى أَسْمَرِ مَتْنِ يَوْمِ الوَغَى جَسَدِهْ
٣٠ مَارِنِهِ لَدْنِهِ مُثَقَّفِــــهِ عَرَّاصِهِ فِي الأَكُفِّ مُطَّرِدِهْ
٣١ تَخْفِقُ أَفْيَاؤُهُ عَلَى مَلِكٍ يَرَى طِرَادَ الأَبْطَالِ مِنْ طَرَدِهْ
٣٢ نَالَ بِعَارِي القَنَا وَلَابِسِهِ مَجْداً تَدَانَى الجَوْزَاءَ عَنْ أَمَدِهْ

= من نظر إلى هذه الراية وهى تخفق فى الجو ظن أن عقابا من كواسر الطير قد طارت فحملته معها .

(٢٨) الضمير المستتر في « شاغب » وفى « قاتل » يعود إلى اللواء المشبه بالعقاب ،

(٢٩) تهفو : تضطرب ، وأراد بالذؤابتين ما أسبل من جانبيه ، والمتن: الظهر وأراد به ما ظهر منه من كل جوانبه ، وجسده : لونه لون الجساد ـ بزنة الكتاب ـ وهو الزعفران ، ويقال له « جسد » أيضا بفتح الجيم والسين جميعا ، ويطلق الجسد ـ بفتح السين أو كسرها ـ والجاسد ، والجسيد على الدم أيضا ، وأحسن تخريجات هذه العبارة أن يكون « أسمر » مضافا إلى « متن » و « متن » مضافا إلى « يوم الوغى » وتكون الهاء فى « جسده » عائدة على يوم الوغى ، ويروى « أسمر لون يوم الوغى » ويراد بلون يوم الوغى الرمح ؛ لأن استعماله في هذا اليوم ، وتكون الصفات كلها له .

(٣٠) المارن : اللين ، واللدن : اللين من كل شىء ، والمثقف : الذى عدل وقوم ، والعراص : الذى يهتز .

(٣١) تخفق : تميل وتضطرب ، والأفياء : جمع فىء وهو الظل ، ويروى «تخفق أثناؤه» أى أعطافه ، والطراد هو كالقتال وزنا ومعنى ، والطرد ـ بالتحريك ـ الصيد . يقول : إن جوانب هذا اللواء تخفق على ملك من صفته أنه يرى مقاتلة الأبطال صيدا ، يقصد أنه يظفر بهم فى سهولة ويسر .

(٣٢) أحسن ما يحمل عليه قوله « عارى القنا » ـ والقنا هى الرماح ـ أن يراد به مالا تخفق عليه الرايات ، وعليه يكون لابسه ما خففت الرايات فوق رؤوس المقاتلين =

٣٣ يَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ لِلْعُلَى لَقَمٌ قَصْدٌ لِمَنْ لَمْ يَطَأْ عَلَى قِصَدِهْ
٣٤ يا فَرْحَةَ الثَّغْرِ بِالْخَلِيفَةِ مِنْ يَزِيدِهِ الْمُرْتَضَى وَمِنْ أَسَدِهْ
٣٥ تُضْرَمُ نَارَاهُ فِي قِرًى وَوَغًى مِنْ حَدِّ أَسْيَافِهِ وَمِنْ زُنُدِهْ
٣٦ مُمْتَلِئُ الصَّدْرِ وَالْجَوَانِحِ مِنْ رَحْمَةِ مَمْلُوئِهِنَّ مِنْ حَسَدِهْ
٣٧ يَأْخُذُ مِنْ رَاحَةٍ لِشُغْلٍ وَيَسْـ ـتَبْقِي لِبُؤْسِ الزَّمَانِ مِنْ ثَأَدِهْ
٣٨ فَهْوَ لَوِ اسْطَاعَ عِنْدَ أَسْعُدِهِ حَزَّ عُضْواً مِنْ يَوْمِهِ لِغَدِهْ

= بها ، ومعنى تدانى تقصر ، وأصله تتدانى فحذف إحدى التاء بن ، يعنى أنه ينال مجدا نهايته أعلى من الجوزاء ، ويروى « تبيت الجوزاء من أمده » والمراد أنه يريد أن يبلغ بمجده الجوزاء ، والرواية الأولى أبلغ فى المدح ، وهى رواية الأصل .

(٣٣) اللقم — بفتح اللام والقاف جميعا — الطريق الواضح ، وإذا كان يعلم أنه ليس للمعالى طريق واحد واضح يعرفه كل من طلبها فإنه يسلك كل طريق يظن أنه يوصل إليها ، والقصد ، هنا : معناه القاصد ، والقصد — بكسر القاف وفتح الصاد — جمع قصدة ، وهى الكسرة من القنا وغيره . يقول : من لم يطأ على ما تكسر من الرماح لم يكن سالكا سبيل المجد .

(٣٤) كان يزيد بن مزيد الممدوح أمير الثغر ، وكان له ولد اسمه أسد ، وابن آخر اسمه خالد ، وهو المراد بالخليفة من يزيد ، ومن أجل ذلك أضاف الفرحة إلى الثغر ، لأنهم أمراؤه .

(٣٥) تضرم : تشعل وتوقد ، والقرى — بكسر القاف — الضيافة ، والوغى : الحرب والزند — بضم الزاى والنون جميعا — جمع زناد ، يريد أن له نار بن يوقدها إحداها نار الحرب يوقدها بالسيوف ، والأخرى نار الضيافة يوقدها بالأزناد .

(٣٦) كلمة « رحمة » مضافة إلى « مملوئهن — إلخ » يريد أن صدر الممدوح وجوانحه مملوءة بالرحمة والعطف على الذى امتلأ صدره وجوانحه حسدا له لأنه يعلم أنه يموت بغيظه .

(٣٧) يروى «لبؤس الزمان» والثأد : الندى ، يعنى أن هذا الممدوح يذكر فى أيام الرخاء حال البؤس وفى حال الراحة ما ينتظر من الشغل .

(٣٨) عند أسعده : روى فى مكانه «فى توسعه» يريد فى وقت السعة ، وحز : =

٣٩ إِذْ مِنْهُمُ مَنْ يَعُدُّ سَاعَتَهُ الْـــطَّلْقَ عِيَاراً لَهُ عَلَى أَبَدِهْ

٤٠ أَلْوَى كَثِيرَ الأَسَى عَلَى سُؤْدَدِ الْـــعَيْشِ قَلِيلَ الأَسَى عَلَى رَغَدِهْ

٤١ قَرِيحَةُ الْعَقْلِ مِنْ مَعَاقِلِهِ وَالصَّبْرُ فِي النَّائِبَاتِ مِنْ عُدَدِهْ

٤٢ يا مُضْغِناً خَالِدًا لَكَ الثُّكْلُ إِنْ خَلَّدَ حِقْدًا عَلَيْكَ فِي خَلَدِهْ

٤٣ إِلَيْكَ عَنْ سَيْلِ عَارِضٍ خَضِلِ الــشُّؤْبُوبِ يَأْبَى الْجِمَامُ مِنْ نَضَدِهْ

٤٤ مُسِفِّهِ ثَرِّهِ مُسْتَحْسِجِهِ وَابِلِهِ مُسْتَهِلِّهِ بَرَدِهْ

= قطع . يريد أنه يتخذ الأيادى عند أحرار الناس الذين تثمر عندهم الأيادى ، ولا يدخر وسعا فى ذلك ، حتى لو أنه استطاع أن يجعل من إفضاله عليهم أن يحزلهم عضوا من أعضائه لم يتوان عن ذلك .

(٣٩) منهم : أى من الناس ، وأراد بساعته الطلق ماهو فيه من الدعة والخصب ، والعيار ــ بكسر العين ــ ما تعاير به المكاييل ونحوها ، ويروى «عتادا» بفتح العين وبالدال ــ وهو العدة والذخر . يقول : من الناس الذين يقصدون الممدوح قوم يعتبرون الساعة التى هو فيها فى خصب وسعة عيارا لبقية حياته أو عدة وذخرا للباقى لهم من الحياة ؛ فهو لا يريد أن يخيب هذا التقدير ، فهو لذلك يمنحهم جلائل المنح .

(٤٠) يريد أنه إنما يعينه من هذه الحياة أمر السودد والمجد فهو يعمل فى سبيلهما كل ممكن ، وليس يهمه أن يعيش فى رغد وبحبوحة فهو يبذل كل ما تناله يده .

(٤١) قريحة العقل : أراد بها الفطنة ، والمعاقل : الحصون ، واحدها معقل ، يريد أن تدبيره ورويته وتقديره للأمور تقديرا صحيحا هذه الخلال هى التى تدفع عنه ملمات الدهر كما تدفع الحصون والقلاع عمن يحتمى بها .

(٤٢) يامضغنا خالداً : ينادى من يضمر لخالد الضغن والحقد ، والثكل : أصله فقدان المرأة ولدها ، وأراد به ههنا الموت . وخلد : أضمر : وخلده ــ بفتح الخاء واللام جميعاً ــ باله ، يريد أن خالدا لو عاملك بما تستحق لما طابت لك الحياة .

(٤٣) يقول لمن ناداه فى البيت السابق : تنح عن السيل الجارف ، وانج بنفسك ولا تقف فى طريقه ؛ لأن الموت يأتيك من هذه الجهة .

(٤٤) المسف من السحاب : الدانى القريب من الأرض ، وثره : أراد كثير =

٤٥ وَهَلْ يُسَامِيكَ فِي الْعُلَى مَلِكٌ صَدْرُكَ أَوْلَى بِالرُّحْبِ مِنْ بَلَدِهْ

٤٦ أَخلاَقُكَ الْغُرُّ دُونَ رَهْطِكَ أَكْـــثَرُ مِنْهُ فِي رَهْطِهِ وَفِي عَدَدِهْ

٤٧ وَمَشْهَدٍ صَيَّرَ الْكُمَاةُ بِهِ خُطْبَانَهُ سُلَّماً إِلَى شُهُدِهْ

٤٨ كَأَنَّمَا مُبْرَمُ الْقَضَاءِ بِهِ مِنْ رُسْلِهِ وَالْمَنُونُ مِنْ رَصَدِهْ

٤٩ أَرَّثَ مِنْ خَالِدٍ بِمُنْصَلِتِ الْـــإِقْدَامِ يَوْمَ الْهِيَاجِ مُنْجَرِدِهْ

= المطر . ومسحسحه: أصله قولهم « سح المطر » إذا انهمل ؛ والمستهل : الذى له صوت ، والبرد — بفتح الباء وكسر الراء — الذى فيه البرد، يقول : إن هذا الممدوح إذا غضب على عدو كان كالسحاب الذى يحمل البرد . يريد أنه مهلك .

(٤٥) يروى « أولى فى الرحب » يريد أن صدر الممدوح أوسع من بلد من يساميه فى مجده ، قالوا : وأحسن من هذه العبارة قوله فى قصيدة إخرى :

ورحب صدر لو ان الأرض واسعة

كوسعــه لم يضق عن أهله بلد

(٤٦) يقول : كيف يرى نفسه مثلك ذلك الذى لو فكر فى الأمر لوجد أخلاقك أكثر منه ومن رهطه ومن عدده ؟ فكيف لو أضفنا رهطك فى حساب المفاخرة ، يريد أن له أخلاقاً حساناً وأنها تضيق عن الحصر .

(٤٧) الكماة : جمع كمى وهو الشجاع المتكمى — أى المستتر — فى سلاحه ، أى الذى أخذ تمام الأهبة ، والخطبان : الحنظل ؛ يقول : رب معركة من معارك الحرب صيرت الشجعان فيها صبرها على معاناتها طريقاً إلى النصر الذى هو حلو كالشهد .

(٤٨) مبرم القضاء : يريد الحكم الذى لا تبديل له ، والهاء فى « به » تعود إلى المشهد الموصوف فى البيت السابق ، والباء تتعلق بالقضاء .

(٤٩) أرث — بتشديد الراء — أى أغرى وأثار ، والمنصلت : الماضى فى الحوائج الذى لا يتلبث ولا يحجم ، ويروى « يوم الهيجاء » فى مكان يوم الهياج ، وهما بمعنى الحرب .

٥٠ كَالْبَدْرِ حُسْنًا وَقَدْ يُعَاوِدُهُ عُبُوسُ لَيْثِ الْعَرِينِ فِي عَبَدِهْ
٥١ كَالسَّيْفِ يُعْطِيكَ مِلْءَ عَيْنَيْكَ مِنْ
فِرِنْدِهِ تَـــــارَةً وَمِنْ رُبَدِهْ
٥٢ تَاللهِ أَنْسَى دِفَاعَهُ الزُّورَ مِنْ عَوْرَاءِ ذِي نَيْرَبٍ وَمِنْ فَنَدِهْ
٥٣ وَلاَ تَنَاسَى أَحْيَاءُ ذِي يَمَنٍ مَا كَانَ مِنْ نَصْرِهِ وَمِنْ حَشَدِهْ
٥٤ جِلَّةُ أَثْمَارِهِ وَهَمْـــدَانِهِ وَالشُّمُّ مِنْ أَزْدِهِ وَمِنْ أُدَدِهْ

---

(٥٠) العبوس : تقطيب الوجه، والعرين : مسكن الأسد ، وعبده ـ بفتح العين والباء جميعاً ـ أنفته .

(٥١) فرند السيف ـ بكسر الفاء والراء جميعا ـ ماؤه ورونقه ، والربد ـ بضم الراء وفتح الباء ـ جمع ربدة ، بضم فسكون ، وهى فى الأصل لون فيه غبرة ، وأراد هنا بالربد شبه الكلف يرى فى السيف. يقول : إن فيه الخير والشر ، وليس ذلك بعيب ؛ لأن السيف فيه صفاء الفرند وسواد الكلف .

(٥٢) أراد « تالله لا أنسى » فحذف حرف النفى ـ وهو لا ـ وكثيرا ما يحذف العرب حرف النفى بعد القسم إذا كان الفعل مضارعا كما فى بيت أبى تمام ، ومنه قول امرىء القيس :

فقلت : يمين الله أبرح قاعدا ، ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

يريد لاأبرح ، ومنه قول عبيد الله بن قيس الرقيات :

والله أبرح فى مقدمة أهدى الجيوش على شكتيه
حتى أفجعهم بإخوتهم وأسوق نسوتهم بنسوتيه

يريد والله لا أبرح ، ومنه قول عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

تالله أنسى حبها حياتنا أو أقبرا

والعوراء : الكلمة القبيحة ، والنيرب : النميمة ، والفند : كل قول غير محمود

(٥٣) ذى يمن : أراد صاحب يمن ، والحشد ـ بفتح الشين هنا وتسكن فى غير هذا الموضع ـ أن يجتهد الإنسان فى جمع جيش أو كلام ، والمقصود هنا الكلام .

(٥٤) الجلة ـ بكسر الجيم وتشديد اللام ـ العظام : والواحد جليل : وأثمار =

٥٥ آثَرَنِي إِذْ جَعَلْتُهُ سَنَداً كُلُّ امْرِىءٍ لَاجِىءٌ إِلَى سَنَدِهْ
٥٦ فِي غُلَّةٍ أَوْقَدَتْ عَلَى كَبِدِ الـــنائِل نَاراً تَعْيَا عَلَى كَبِدِهْ
٥٧ إِيثَارَ شَزْرِ الْقُوَى رَأَى جَسَدَ الـــمَعْرُوفِ أَوْلَى بِالطِّبِّ مِنْ جَسَدِهْ
٥٨ وَجِئْتُهُ زَائِراً فَجَاوَزَ بِي الـــأَخْلَاقَ مِنْ مَالِهِ إِلَى جُدُدِهْ
٥٩ فَرُحْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَلِي رِفَدٌ يَنَالُهَا الْمُعْتَفُونَ مِنْ رِفَدِهْ

=أبو قبيلة ، يزعم بعض النسابين أنها من قبائل اليمن القحطانية ، ويكذبهم آخرون فيزعمون أنها من العرب العدنانية ، ولهذا يقول الكميت :

فأنمار ـ وإن رغمت أنوف ـ معدى العمومة والخؤول

(٥٥) يروى « إذجعلته لجأ » ولجأ ـ بفتح اللام والجيم معا ـ أى ملتجأ ألتجىء إليه وأتحصن به ، ورواية الأصل كرواية التبريزى « إذ جعلته سنداً » .

(٥٦) الغلة ـ بضم الغين وتشديد اللام ـ الحرقة ، ويروى فى مكانه « فى ساعة» ويروى « فى محلة » وهى القحط ، والنائل : العطاء ، ويروى « على كبدالثائر » وتعيا : تثقل ، ويروى « تغلى » مضارع من الغليان . يقول : أوقدت الغلة التى نشأت عن كونه آثرنى بالعطية ناراً على كبد العطية فحولتها إلى ونقلتها عن صاحبها ، ولم أكن أقدر لها شفاء حتى كان منه ما كان .

(٥٧) الشزر : أصله المحكم من الفتل ، ويقال : هذا رجل شزر القوى ، يعنى أنه فى رأيه قوى حازم صلب . يقول : آثرنى الممدوح بالعطية إيثار رجل حازم قوى الرأى متينه ، يعتقد أن إعطاء من لا يستحق العطاء إمراض للعطية ، وقد تمادى فى ذلك فجعل للمعروف جسداً ، وجعل جسده يمرض ويحتاج إلى الطب .

(٥٨) جاوز : تعدى ، والأخلاق : جمع خلق ـ بوزن سبب وأسباب ـ وأراد بها ههنا القديم من ماله ، والجدد : جمع جديد ـ بوزن سرير وسرر ـ وأراد بها الحديث ، يعنى أنه أعطاه من طارف ماله وتالده .

(٥٩) الرفد ـ بكسر الراء وفتح الفاء ـ جمع رفدة ، وأصلها الجماعة من الناس وما يتتابع من القول ، وقال النابغة الذبيانى للنعمان بن المنذر فى المعنى الثانى :

لا تأخذنى بركن لا كفاء له وإن تأثفك الأعداء بالرفد

وقد استعار أبو تمام الرفد فى العطايا ، وإنما يقال للعطاء رفد بكسر فسكون .

٦٠ وَهَلْ يَرَى الْعُسْرَ عِذْرَةً رَجُلٌ
خَالِدٌ الشَّيْبَانِيُّ مِنْ عُقَـــدِهْ

* * *

(٤٤)

وقال يمدحه أيضاً :

١ يَقُولُ أُنَاسٌ فِي حَبِيناءَ أَبْصَرُوا عِمَارَةَ رَحْلِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدِ :

---

(٦٠) يروى هذا البيت على وجه آخر هكذا :

وهل يرى العيش برحة أحد خالد الشيبانى من عقده

وروى عجزه التبريزى « خالد المزيدى من عدده » والعسر : الضيق ، والعذرة ـ بكسر العين وسكون الذال ـ المعذرة ، والعقد فى إحدى الروايتين بضم العين وفتح القاف ـ جمع عقدة ، وأصلها قولهم « اعتقد فلان مالا » و« اشترى فلان ضيعة فجعلها عقدة » . يقول : هل يسوغ لى أن أعتذر لمن يطلب معروفى وصلق بالضيق والعسر وقد علم الناس جميعاً أن هذا الممدوح من عددى على الأيام ، يريد أن من يلجأ إلى هذا الممدوح لا يعتذر إلى الناس بالإعسار لأنه ملىء أبداً .

* * *

(٤٤)

اتفقت جميع نسخ الديوان على رواية هذه القصيدة ـ وعدتها ثمانية أبيات ـ تالية للقصيدة السابقة ، كما اتفقت على ترتيب أبياتها ، فأما الاختلاف بينها فى بعض الألفاظ فسنذكره مع الشرح ، وهى فى شرح التبريزى برقم ٤٢ .

(١) حبيناء ــ بفتح الحاء وكسر الباء الموحدة بعدها ياء مثناة فنون ــ بلد فى الشام ، وروى التبريزى « عاينوا » مكان أبصروا ، ومعنى عاينوا رأوا بأعينهم وشاهدوا ، وأشار إلى أنه يروى « غضارة رحلى » والغضارة ـ بفتح الغين المعجمة ـ النعمة وسعة العيش وخصبه ، من طريف وتالد : من حديث وقديم ، وتكرر مراراً فى شعر أبى تمام . يقول : إن قوماً من أهل حبيناء رأوا ما أنا فيه من النعيم ، =

٢ أَصَادَفْتَ كَنْزاً أَمْ صَبَحْتَ بِغَارَةٍ
ذَوِي غِرَّةٍ حَامِيهِمُ غَــيْرُ شَاهِدِ ؟

٣ فَقُلْتُ لَهُمْ : لاَذَا ، وَلاَ ذَاكَ دَيْدَنِي
وَلٰــكِــنَّنِي أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدِ

٤ جَذَبْتُ نَدَاهُ غُدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةً
فَخَرَّ صَرِيعاً بَيْنَ أَيْدِي الْقَصَائِدِ

٥ فَأُبْتُ بِنُعْمَى مِنْهُ بَيْضَاءَ لَدْنَةٍ كَثِيرَةِ قَرْحٍ فِي قُلُوبِ الْحَوَاسِدِ

= وما أتقلب فيه من سعة العيش عجبوا لذلك أشد العجب ، وسألوني عن أسباب هذه المعيشة الرافهة .

(٢) أصادفت كنزاً : يروى فى مكانه « أأظهرت كنزاً » والكنز : المخبوء من المال لايعرف صاحبه « أم صبحت بغارة » الغارة : الاسم من الإغارة على العدو ، وصبحتهم : أى جئتهم صباحا وهم نائمون ليكون ذلك أيسر للتغلب عليهم ، ويروى فى مكانه « أم ظفرت بغارة » وقوله « ذوى غرة » معناه أصحاب غفلة ، وهومفعول صبحت ، وعلى الرواية الأخرى يكون من متعلقات غارة ، وأصل الكلام عليها : أم ظفرت بغارة على ذوى غرة ، فحذف حرف الجر ، وحاميهم غير شاهد : غير حاضر معهم فى وقت هذه الغارة ، ذكر سببين ، أحدهما أن المغار عليهم غافلون غير متنبهين ، وثانيهما أن رجالهم الحماة غير حاضرين ؛ ليكون ذلك أسهل فى التغلب عليهم وأخذ ماعندهم من مال ومتاع .

(٣) لاذا ولاذاك : لا أصبت كنزاً ولا أغرت على قوم غافلين غاب حماتهم ، والديدن : العادة . يقول : لم يكن واحد من الاثنين اللذين توهمتم أنهما سبب ما أنا فيه من النعيم ، ولكن السبب الذى حصلت به على ما ترون هو أنى آت من عند خالد الذى يعطى سائله ما يغنيه ويملأ داره نعيماً .

(٤) نداه — بفتح النون — عطاءه وجدواه ، ويروى عجزه « فخر صريعاً بين أيدى قصائدى » .

(٥) أبت : رجعت ، تقول : آب يؤوب أوبا ومآبا ، تريد رجع ، ووصف =

٦ هِيَ النَّاهِدُ الرَّيَّا إِذَا نِعْمَةُ امْرِئٍ
سِوَاهُ غَدَتْ مَمْسُوحَةً غَـــيْرَ نَاهِدِ
٧ فَرَعْتُ عِقَابَ الأَرْضِ وَالشِّعْرِ مَادِحًا
لَهُ فَارْتَـــقَى بِي فِي عِقَابِ الْمَحَامِدِ
٨ فَأَلْبَسَنِي مِنْ أُمَّهَاتِ تِلَادِهِ وَأَلْبَسْتُهُ مِنْ أُمَّهَاتِ قَلَائِدِي

* * *

= النعمى بالبياض لأن البياض عندهم يدل على الخير، ووصفها بالدونة ـ وهى النداوة ـ لأن الندى عندهم سبب فى البركة وزيادة النعمة ، والقرح : الجرح الذى نغل أى فسد ، والأصل أن يكون الحواسد جمع حاسدة المؤنث ، فإن أردت جمع حاسد المذكر قلت : حساد ، أو قلت : حسدة ، كما تقول فى جمع كافر : كفار ، وكفرة ، وفى جمع كافرة كوافر . ونظيره عابد وعباد وعبدة ، وعابدة وعوابد ، فإما أن يكون أبو تمام أراد نساء حساده ، وإما أن يكون أراد جماعة حاسدة فجمعها على حواسد لأن الجماعة مؤنث اللفظ .

(٦) أصل الناهد : المرأة التى نهد ثديها ، وقد استعار هذا الوصف للنعمة ، والريا : الممتلئة ، وممسوحة : مهزولة ليس على جسمها لحم ، وبعضهم يرويه ممسوخة ـ بالخاء معجمة ـ ومعناه مشوهة الخلق .

(٧) فرعت : علوت ، والعقاب : جمع عقبة ، ويروى « عقاب الفكر » وقوله « فارتقى بى » أى علابى ، ويروى « وسمابى فى عقاب المحامد » ويروى « فارتقى بى فى رؤوس المحامد » .

(٨) أمهات : جمع أم للعقلاء ، فإن جمعت أما لغير العقلاء قلت « أمات » بغير هاء ، وقد جمع أبو تمام على أمهات البلاد والقلائد وهما من غير العقلاء ، يقول : أنا قلت فيه قولا كالدر يصلح أن يفصل قلائد ، وهو أعطانى أشرف العطاء .

* * *

(٤٥)

وقال يمدحه ، ويشكره على الكلام فى أمره :

١ لَأَشْكُرَنَّكَ إِنْ لم أُوتَ مِنْ أَجَلِي
شُكْراً يُوَافِيكَ عَنِّى آخِرَ الأَبَدِ

٢ وَإِنْ تَوَرَّدْتُ مِنْ بَحْرِ الْبُحُورِ نَدًى
فَلَمْ أَنَلْ مِنْهُ إِلاَّ غُرْفَةً بِيَدِى

* * *

---

(٤٥)

اتفقت جميع نسخ الديوان على إيراد هذين البيتين بعد القصيدة السابقة ، وعلى ترتيبهما على هذا الوجه ، وهما فى شرح التبريزى برقم ٤٣ .

(١) « إن لم أوت من أجلى » إن لم يأتنى المانع من جهة أجلى بأن ينقضى هذا الأجل فأنقطع عن شكرك ، يريد أنه يشكره مادام حيا ، ويوافيك : يجيئك ويصل إليك .

(٢) توردت : أصل الورود إتيان الماء للاستسقاء ، والتورد : تكلف الورود ، وبحر البحور : عنى به الممدوح ، والندى : العطاء ، يريد أن شكره يدوم ولو أنه ورد بحر عطاء الممدوح فلم ينل إلا القليل ، ويروى « وإن توردت بى — إلخ » .

* * *

(٤٦)

وقال يمدح أبا سعيدٍ محمدَ بن يُوسُفَ الطائىَّ :

١ أَرْوَيْتَ ظَمآنَ الصَّعِيدِ الْهَامِدِ وَمَلأْتَ مِنْ جِزْعَيْكَ عَيْنَ الرَّائدِ
٢ وَلَقَدْ أَتَيْتُكَ صَادِياً فَكَرَعْتُ فِي شِيَمٍ أَلَذَّ مِنَ الزُّلاَلِ الْبَارِدِ
٣ فَمَهَدْتُ لاِسْمِكَ مَنْزِلاً وَمَحِلَّةً فِي الشعر بَيْنَ شَوَارِدٍ وشَوَاهِدِ
٤ فَهُوَ الْمُرَاحُ لِكُلِّ مَعْنًى عَازِبٍ وَهُوَ العِقَالُ لِكُلِّ بَيْتٍ شَارِدِ
٥ كَمْ نِعْمَةٍ زَيَّنْتَنِي بِسُمُوطِهَا كَالْعِقْدِ فى عُنُقِ الْكَعَابِ النَّاهِدِ

---

(٤٦)

اتفقت جميع نسخ الديوان على إيراد هذه الأبيات العشرة تالية للبيتين السابقين ، وعلى ترتيبها كما وردت فى الأصل ، مع اختلاف يسير فى بعض الكلمات سنشير إليه فى الشرح ، وهى فى نسخة التبريزى برقم ٤٤ ، وقدم لها فى بعض النسخ بقوله : « وقال يمدح محمد بن عبد الملك » .

(١) الصعيد : التراب ، والجزع : منعطف الوادى ، والرائد : طالب الكلأ .

(٢) صاديا : عطشان ، وفعله صدى يصدى صدى فهو صد ، على مثال فرح يفرح فرحاً فهو فرح ، وكرعت : شربت ، والشيم : جمع شيمة -بكسر الشين- وهى الخلق ، جعل أخلاق الممدوح بحراً يكرع منه ، ثم جعلها ألذ من الماء الزلال البارد يشرب به العطشان .

(٣) يروى « مهدت » بتشديد الهاء وبدون فاء العطف ، ويروى فى آخر البيت « بين نوادر وشواهد » .

(٤) أصل المراح : المكان الذى يأوى إليه الراعى ، والمعنى العازب : البعيد عن أذهان الشعراء ، والعقال : أصله الحبل تربط به الدواب مخافة أن تتفلت .

(٥) السموط : جمع سمط ، وهو الخيط ينظم فيه الدرر ، والكعاب : المرأة الحسناء التى استدار ثديها ، والناهد : التى نهد ثديها وأشرف وانتبر .

٦ غَادَرْتَهَا كَالسُّورِ عُولِىَ سَمْكُهُ مَضْرُوبَةً بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَاسِدِ

٧ فَاشْدُدْ يَدَيْكَ عَلَى يَدِى وَتَلَافَنِى
مِنْ مَطْلَبٍ كَدِرِ الْمَوَارِدِ رَاكِدِ

٨ أَصْبَحْتُ فِى طُرُقَاتِهِ وَوُجُوهِهِ أَعْمَى ، وَلَكِنِّى نَبِيلُ الْقَائِدِ

٩ تِلْكَ الْقَلِيبُ مُبَاحَةٌ أَرْجَاؤُهَا وَالْحَوْضُ مُنْتَظِرٌ وُرُودَ الْوَارِدِ

١٠ وَالدَّلْوُ بَالِغَةُ الرِّشَاءِ مَلِيَّةٌ بِالرِّىِّ إِنْ وُصِلَتْ بِبَاعٍ وَاحِدِ

* * *

---

(٦) غادرتها : تركتها ، وعولى : رفع ، وسمكه : امتداده من أسفل إلى أعلى ، ومضروبة : مبنية ، وأنث لأن المراد النعمة، ولمح فى هذا البيت قوله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب) .

(٧) اشدد يديك على يدى : كن ناصرى ومعينى ، وتلافنى : تدارك أمرى ، وموارد : جمع مورد وهو مكان ورود الماء ، ويروى « كدر السماوة » وراكد : ماؤه لا يجرى ، وإذا ركد الماء أسن وتغير .

(٨) طرقات : جمع طرق الذى هو جمع طريق ، وأراد طرقات مطلبه ، وأراد بالقائد همته التى تدعوه إليه ، يريد أنه لا يبصر الطريق ، ولكن همته تقوده إليه ، وهى نبيلة عالية .

(٩) القليب : البئر ، وأرجاؤها : نواحيها ، واحدها رجا ـ بوزن عصا ـ ويروى « ورود الرائد » .

(١٠) الرشاء ـ بكسر الراء بزنة الكتاب ـ الحبل الذى يربط به الدلو ، ويروى « مليئة » بالهمزة ـ وهى الأصل لأنه من الملء ، و «ملية» بالياء مشددة ـ مسهل منه بقلب الهمزة ياء وإدغامها فى الياء التى قبلها ، كما قالوا «خطية ، ورزية» وأصلهما خطيئة ورزيئة .

* * *

(٤٧)

وقال يمدحه أيضاً :

١ يا بُعْدَ غايَةِ دَمْعِ الْعَيْنِ إنْ بَعُدُوا
هِيَ الصَّبابَةُ طُولَ الدَّهْرِ وَالسُّهُدُ

٢ قالُوا الرَّحِيلُ غَداً لاَ شَكَّ قُلْتُ لَهُمْ
الآنَ أيْقَنْتُ أنْ اسْمَ الحِمَامِ غَدُ

٣ كَمْ مِنْ دَمٍ يَعْجِزُ الْجَيْشُ اللُّهامُ إذَا
بانُوا سَتَحْكُمُ فِيهِ الْعِرْمِسُ الأُجُدُ

---

(٤٧)

اتفقت جميع نسخ الديوان على إيراد هذه القصيدة تالية للقصيدة السابقة ، وعلى عدد أبياتها ، وعلى ترتيب الأبيات كما ثبتت فى الأصل ، وهى فى شرح التبريزى برقم ٤٥، وقد قدم لها بقوله « وقال يمدحه » .

(١) أراد من النداء إظهار اللهفة والحزن على ما يكابده من بعاد أحبته ، وكأنه يقول : ما أقسى ما أكابده ، وما أشق انهمال الدمع من عينى ، والصبابة : شدة داعية الهوى ، والسهد : الأرق .

(٢) يروى « اليوم أيقنت » والحمام ـ بكسر الحاء ، بوزن الكتاب ـ الموت .

(٣) يروى « يعجز الليث اللهام » وأصل اللهام ـ بضم أوله ، بزنة الغراب ـ الذى يلتهم كل شىء ويبتلعه ، والعرمس ـ بكسر أوله وثالثه ـ الناقة الشديدة ، والأجد ـ بضم الهمزة والجيم جميعا ـ الموثقة الخلق ، يقول : إن الجيش الكثير العدد ـ أو الليث ـ كان يعجز عن قتل هذا المحب ، فقتلته ناقة ، لأنها حملت أحبابه فذهبت بهم بعيدا عن مرآه ، وقد بالغ فيما يروى لأبى الشيص :

ما فرق الألاف بعد الله إلا الإبل
وما غراب البين إلا ناقة أو جمل

٤ مَا لِامْرِيءٍ خَاضَ فِي بَحْرِ الْهَوَى عُمُرٌ
إلاَّ وَلِلْبَيْنِ مِنْهُ السَّهْـــــلُ وَالجَلَدُ

٥ كَأَنَّمَا البَيْنُ مِنْ إلْحَاحِهِ أَبداً عَلَى النفوسِ أَخٌ لِلْمَوْتِ أَوْ وَلَدُ

٦ تَدَاوَ مِنْ شَوْقِكَ الأَقْصَى بِمَا فَعَلَتْ
خَيْلُ ابْنِ يُوسُفَ وَالأَبْطَالُ تَطَّرِدُ

٧ ذَاكَ السُّرُورُ الَّذِي آلَتْ بَشَاشَتُهُ أَنْ لاَ يُجَاوِرَهَا فِي مُهْجَةٍ كَمَدُ

٨ لَقِيتَهُمْ وَالْمَنَايَا غَيْرُ دَافِعَةٍ لِمَا أَمَرْتَ بِهِ وَالْمُلْتَقَى كَبَدُ

٩ فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ المَوْتُ الذُّعَافُ بِهِ فَالْمَجْدُ يُوجَدُ وَالأَرْوَاحُ تُفْتَقَدُ

---

(٤) الهوى : العشق ، وعمر : أصله بضم العين وسكون الميم ، لكنه ضم الميم إتباعا لضم العين لكي يقيم وزن البيت ، والبين: الفراق ، يقول : ما أحب أحد إلا صيره فراق الأحبة بين الشدة واللين ، يكون مرة مسرورا باجتماع الشمل ، ومرة أخرى يكون مهموما شديد المتاعب بما يقاسي من آلام الفرقة .

(٥) يقول : إن الفراق من شدة وقعه على النفوس يشبه أن يكون أخا الموت أو ولدا له فيه كل صفاته .

(٦) يروى « والفرسان تطرد » يقول : تسل عما أصابك من الغم بسبب فراق أحبتك بهذا السرور الذي ذاعت أخباره ، وذلك بسبب مافعلت خيل ابن يوسف في المعارك التي خاضها .

(٧) آلت : حلفت ، والبشاشة : طلاقة الوجه وبشره ، والكمد : الحزن .

(٨) المنايا : جمع منية ــ بوزن قضية وقضايا ــ وهي الموت ، والكبد : الشدة والضيق . يقول : إن المنايا مؤتمرة بأوامرك لا ترد شيئا منها ولا تخالفك ، ولقاء الفرسان ذو مشاق .

(٩) يقال « سم ذعاف » بالذال وبوزن غراب ــ ويقال « زعاف » بالزاى ، وبوزنه ــ أى قاتل سريع ، وقد جعله أبو تمام وصفا للموت ، ويروى « فالموت يوجد » وهي رواية التبريزي ، وما أثبتناه عن الأصل أحسن .

١٠ فِي حَيْثُ لاَ مَرْتَعُ الْبِيضِ الرِّقَاقِ إِذَا
أُصْلِتْنَ جَدْبٌ ، وَلاَ وِرْدُ الْقَنَا ثَمَدُ

١١ مُسْتَصْحِباً نِيَّةً قَدْ طَالَ مَا ضَمِنَتْ
لَكَ الْخُطُوبَ فَأَوْفَتْ بِالَّذِي تَعِدُ

١٢ وَرُحْبَ صَدْرٍ لَوَ أَنَّ الأَرْضَ وَاسِعَةٌ
كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ

---

(١٠) البيض : جمع أبيض ، وأراد بها السيوف ، والرقاق : المحددة ، ويروى « البيض الخفاف » ومعنى « أصلتن » أخرجن من الأغماد ، يريد أن السيوف تجد لها رقابا كثيرة تعمل فيها ، والورد ـ بكسر الواو وسكون الراء ـ الماء الذى يورد ، والثمد : القليل . يقول : لا المكان الذى ترتع فيه السيوف جدب ، ولا الماء الذى ترده القنا قليل ، وأراد أن الأعداء كثيرون ، وسيوف رجالك وقنا أبطالك تعمل فيهم بغير توقف .

(١١) النية : أراد بها العزم المصمم ، ويروى « مستصحبا نجدة » والضمير المستتر فى « ضمنت » عائد إلى النية أو النجدة ، والخطوب : جمع خطب ، وأراد به النازلة الشديدة . يقول : إنك استصحبت معك عزيمة نافذة ، وهذه العزيمة كثيرا ما ضمنت لك تجلية الخطوب وكشف النوازل ، ولم تخلفك ما وعدتك ، بل أنجزته .

(١٢) ورحب صدر : معطوف على نية ، والبلد : القطعة من الأرض تختط لتكون محلة ينزلها الناس ، وهى تذكر وتؤنث ، وقد استعملها القرآن الكريم على الوجهين ، قال تعالى : (والبلد الطيب يخرج نباته) وقال سبحانه (بلدة طيبة) وقال جل شأنه (لا أقسم بهذا البلد) وقد روى فى بيت أبى تمام « لم يضيق عن أهله بلد » بالتذكير ، وهى رواية الأصل ، وروى « عن أهلها » وزعم المرزوقى أن هذه هى الرواية الصحيحة وأن الضمير فيها يعود إلى الأرض ، والمعنى : لو اتسعت الأرض اتساع صدره لكان كل من فيها الساعة يسعهم بلد واحد ، ويحتملهم ، ولا يضيق عنهم .

١٣ صَدَعْتَ جَرْيَتَهُمْ فِى عُصْبَةٍ قُلُلٍ قَدْ صَرَّحَ الْمَاءُ عَنْهَا وَانْجَلَى الزَّبَدُ
١٤ مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ تَرْتَاعُ الْمَنُونُ لَهُ إِذَا تَجَرَّدَ لاَ نِكْسٌ وَلاَ جَحِدُ
١٥ يَكَادُ حِينَ يُلاَقِى الْقِرْنَ مِنْ حَنَقٍ قَبْلَ السِّنَانِ عَلَى حَوْبَائِهِ يَرِدُ
١٦ قَلُّوا ، وَلٰكِنَّهُمْ طَابُوا ، فَأَنْجَدَهُمْ جَيْشٌ مِنَ الصَّبْرِ لاَ يُحْصَى لَهُ عَدَدُ

---

(١٣) صدعت : شققت ، وأصل الجرية الدفعة من ماء السيل ، شبه حملة القوم فى الحرب بها ، والعصبة : الجماعة من الناس ، وقلل ــ بضم القاف واللام الأولى ــ جمع قليل ، وله نظائر كثيرة ، وقوله « قد صرح الماء عنها وانجلى الزبد » مثل ضربه ليدل به على أنه قد كمل تهذيب هذه العصبة فلم يبق فيهم جبان ولا ضعيف النجدة ، وانكشف الأوزاع الذين لا معول عليهم . يقول : لقد بقيت تقارع الأعداء ومعك عصبة قليلة العدد من الأنجاد المغاوير فبلغت بهم النصر والغلبة ، فأما أعداؤك الغثاء فقد انكشف حالهم وظهر ضعفهم .

(١٤) الأروع : الرجل يعجبك بحسنه وجهارة منظره ، أو بشجاعته ، ويقال: هو الشهم الذكى الفؤاد ، والأنثى روعاء ، وترتاع له المنون : تخافه فلا تدنو منه ، ويروى « ترتاح المنون له » ويكون المعنى أنها تأتمر بأمره فتنزل بمن يرغب نزولها به من أعدائه ، والنكس ــ بكسر النون وسكون الكاف ــ الضعيف من الناس الذى لا خير فيه ، والجحد ــ بفتح الجيم وكسر الحاء ــ القليل الخير .

(١٥) القرن ــ بكسر القاف وسكون الراء ــ كفء الرجل ومن يقاومه ونظيره فى الشجاعة ، وقد يطلق على النظير فى كل خصلة من الخصال المحمودة كالكرم والعلم ، وجمعه أقران ، والحنق ــ بفتح الحاء والنون جميعا ــ الغيظ ، والحوباء : النفس . يقول : إن الفارس من رجالك إذا لاقى قرنه أتى على روحه من قبل أن يعمل رمحه أو سيفه ؛ لأن قرنه لا يستطيع أن ينازله .

(١٦) يروى « فأنجدهم جيش من النصر » يقول : كانوا قليلى العدد لكنهم صدقوا فى جلادهم ثقة منهم بأن الحيل وأدوات الحرب لا تدفع عنهم ، وأنه لا يكون إلا ما قدر الله أن يكون ، لهذا كانت عقباهم النصر الباهر ، وقد فسر هذا المعنى فى البيت التالى أصدق تفسير .

١٧ إِذَا رَأَوْا الْمَنَايَا عَارِضاً لَبِسُوا مِنَ الْيَقِينِ دُرُوعاً مَالَهَا زَرَدُ
١٨ نَأَوْا عَنِ الْمُصْرِخِ الأَدْنَى فَلَيْسَ لَهُمْ
إِلاَّ السُّيُوفَ عَلَى أَعْـــدَائِهِمْ مَدَدُ
١٩ وَلَّى مُعَاوِيَةٌ عَنْهُمْ وَقَدْ أَخَذَتْ فِيهِ الْقَنَا فَأَبَى الْمِقْدَارُ وَالأَمَدُ
٢٠ نَجَّاكَ فِي الرَّوْعِ مَا نَجَّى سَمِيَّكَ فِي صِفِّينَ وَالْخَيْلُ بِالْفُرْسَانِ تَنْجَرِدُ

---

(١٧) المنايا : جمع منية وهي الموت ، والدروع : جمع درع وهوما يلبسه المقاتل يتقي به وقع السيوف والقنا ، والزرد : حلق الدرع ، واحده زردة ، ويجمع الزرد على زرود ، وصانعها زراد ، وقد ذكر أهل اللغة أن الزاى فى هذه الألفاظ بدل من السين . يقول : إن رجالك كانوا على يقين من أن الله ناصرهم ، فلم يكونوا يحجمون عن خوض المعارك ، ولم يكونوا يحملون من عدد القتال إلا ذلك اليقين ، يريد أن حالهم كان أضمن للنصر من العدد والعديد ، وهذا عند التحقيق أوثق دلائل النصر .

(١٨) المصرخ : يروى بضم الميم ويروى بفتح الميم ، وهو على كل حال مأخوذ من الصريخ ، وهو الاستغاثة ، والأدنى : أى الأقرب .

(١٩) معاوية : ذكروا أنه اسم بابك الخرمى الذى يتحدث أبو تمام عن هزيمته ويروى « وقد حكمت فيه القنا » مكان « وقد أخذت فيه القنا » والقنا هنا الرماح ، والمقدار هو القدر .

(٢٠) الخطاب فى « نجاك » لبابك ، والروع : الخوف والفزع ، وأراد به الحرب ؛ لأنها سبب الخوف ، وسميه : المسمى باسمه ، وعنى به أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان ، وصفين ــ بوزن سجيل وسكين ــ اسم موقعة عظيمة دارت رحاها بين أبى الحسنين أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، وكانت ذات آثار بالغة فى وحدة المسلمين ، وألفت فيها كتب خاصة ، وقد ذكر أبو تمام أن الذى نجى بابكا فى حربه مع الممدوح هو الذى نجى معاوية فى حربه يوم صفين ، وهو الفرار ، وهذا غير صحيح من الناحية التاريخية المحضة ، فقد رووا أن معاوية أخبر عن نفسه أنه حدث نفسه بالفرار ثم تذكر قول قطرى بن الفجاءة :

أبت لى همتى وأبى بلائى وأخذى الحمد بالثمن الربيح =

٢١ إِنْ تَنْفَلِتْ وَأُنُوفُ الْمَوْتِ رَاغِمَةٌ
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ الرَّكْضِ يَالُبَدُ

٢٢ لا خُلْقَ أَرْبَطُ جَأْشًا مِنْكَ يَوْمَ تَرَى
أَبَا سَعِيدٍ وَلَمْ يَبْطِشْ بِكَ الزُّؤُدُ

٢٣ أَمَا وَقَدْ عِشْتَ يَوْمًا بَعْدَ رُؤْيَتِهِ
فَافْخَرْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْفَارِسُ النَّجُدُ

٢٤ لَوْ عَايَنَ الأَسَدُ الضِّرْغَامُ صُورَتَهُ
مَا لِيمَ إِنْ ظَنَّ رُعْبًا أَنَّهُ الأَسَدُ

= الأبيات المشهورة ، فصمد ولم يفر ، وعذر أبي تمام أنه يروى لمعاوية أبيات منها قوله :

ونجى ابن هند سابح ذو علالة أجش هزيم والرماح دوان

وقول أبي تمام « والخيل بالفرسان تنجرد » معناه يشتد عدوها وتسرع في سيرها ، ويروى « والخيل بالأبطال » .

(٢١) يروى « فانهض » مكان « فاذهب » والركض : السير السريع ، ولبد : اسم لآخر نسور لقمان ، وكان أطولها عمرا فضربت العرب به المثل ، وقد جاء في شعر النابغة الذبياني :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد

وقال أوس بن حجر :

خانتك منه ما عهدت كما خان الصفاء خليله لبد

(٢٢) يقال «فلان رابط الجأش» إذا كان ممن لا تزعزعه الأحداث ،والزؤد : الفزع والخوف .

(٢٣) فارس نجد ــ بفتح النون وضم الجيم ، أو بفتح فكسر ، أو بفتح فسكون ــ أي شجاع ماض سريع الإجابة إن دعى لا يعجزه ما يعجز غيره .

(٢٤) يروى « لوعاين الأسد الضرغام رؤيته » وقوله « رعبا » مفعول لأجله : أي إن ظن أنه هو الأسد على وجه الحقيقة بسبب رعبه منه .

٢٥ شَتَّانَ بَيْنَهُمَا فِي كُلِّ نَائِبَةٍ   نَهْجُ الْقَضَاءِ مُبِينٌ فِيهِمَا جَدَدُ

(٢٥) شتان : اسم فعل معناه افترق ، ويتعين أن يكون فاعله متعددا لأن الافتراق لا يكون إلا من اثنين فأكثر ، وقد أجاز أهل العربية جميعا أن تقول « شتان محمد وعلى » كما تقول : افترق محمد وعلى ، واختلفوا فى جواز « شتان ما بينهما » فمنعه الأصمعى ، والذين جوزوا هذا التعبير بنوه على أن الذى بينهما ذو طرفين فكأن كل واحد منهما فى طرف ، وقد ورد مثل هذا التعبير فى قول أبى الأسود الدؤلى :

شتان ما بينى وبينك ، إننى   على كل حال أستقيم وتظلع

وفى قول البعيث :

وشتان ما بينى وبين ابن خالد   أمية فى الرزق الذى يتقسم

وفى قول الآخر :

وشتان ما بينى وبين دعاتها   إذا صرصر العصفور فى الرطب الثمد

وفى قول ربيعة الرقى :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى   يزيد سليم والأغر ابن حاتم

وكثير من النحاة يزعم أن قولك « شتان بينهما » بدون ذكر « ما » الموصولة خطأ ، وأنه لم يرد هذا التعبير عن العرب ، ولكنهم هم المخطئون ، فإن تخريجه من جهة القواعد العربية على أن فيه حذف الموصول وبقاء صلته ، وأصل الكلام «شتان ما بينهما » فحذف « ما » وقد علمنا أن باب الموصول يكثر فيه الحذف ، فقد يحذف الاسم الموصول وهذا منه ، وقد تحذف الصلة كقول عبيد بن الأبرص :

نحن الأولى فاجمـــع جمو   عك ثم وجههم إلينـــا

والأصل نحن الاولى عرفوا بالشجاعة والإقدام ، فحذف ، وقد يحذف العائد من جملة الصلة على الموصول ، وله أمثلة كثيرة ، وقد ورد فى القرآن الكريم نحو (ما عملت أيديهم) التقدير ما عملته . على أن هذا التعبير الذى يدعى القوم أنه خطأ وأنه لم يرد عن العرب قد ورد فى كلام الشعراء الفصحاء ، من ذلك قول حسان بن ثابت الأنصارى :

وشتان بينكما فى الندى   وفى البأس والخير والمنظر

٢٦ هٰذَا عَلَى كَتِدَيْهِ كُلُّ حَادِثَةٍ تُخْشَى، وَذَاكَ عَلَى أَكْتَادِهِ اللِّبَدُ

٢٧ أَعْيَا عَلَيَّ وَمَا أَعْيَا بِمُشْكِلَةٍ بِسَنْدَبَايَا وَيَوْمُ الرَّوْعِ مُحْتَشِدُ

٢٨ مَنْ كَانَ أَنْكَأَ حَدًّا فِي كَتَائِبِهِمْ أَأَنْتَ أَمْ سَيْفُكَ الْمَاضِي أَمِ الأَحَدُ

٢٩ لاَ يَوْمَ أَكْثَرُ مِنْهُ مَنْظَرًا حَسَنًا وَالْمَشْرَفِيَّةُ فِي هَامَاتِهِمْ تَخِدُ

= ومن ذلك ما رواه أبو زيد فى نوادره :

شتان بينهما فى كل منزلة هذا يخاف وهذا يرتجى أبدا

ومن ذلك هذا البيت المشهور :

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

وقد أطلت القول فى هذه المسألة على غير ما أخذت به نفسى فى شرح هذا الديوان؛ لأن الخطيب التبريزى أنكر هذا التعبير، وأبو تمام من أئمة العربية فليس من المعقول أن يغيب عنه شىء من هذا .

(٢٦) هذا : يريد الممدوح ، والكتد ـ بفتح الكاف والتاء جميعا ، أو بفتح فكسر ـ مجتمع الكتفين ، أو هو الكاهل إلى الظهر ، ويروى « كل نازلة » ويروى « كل نائبة » واللبد ـ بكسر اللام وفتح الباء ـ الشعر . يقول : هذا الممدوح بناط به تفريج الكروب ؛ فهو يحمل كل شىء يثقل من الأمور ، أما الأسد فإنه لا يحمل إلا الشعر الذى عليه فما أبعد الفرق بينهما .

(٢٧) أعيا على : يريد أشكل أمره على وأعجزنى فهم شأنه ، وما أعيا بمشكلة يريد وأنا لا أعيا ولا أعجز عن فهم المشاكل ، فأعيا الأول فعل ماض فيه ضمير يعود إلى الممدوح ، وأعيا الثانى فعل مضارع مسند لضمير المتكلم .

(٢٨) أنكأ حدا : يريد أشد فتكا وأقوى تأثيرا ، وكتائبهم : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الجيش . يقول : أى الثلاثة كان أشد تأثيرا وأفتك بجماعتهم : أنت ، أم سيفك ، أم يوم الأحد ؟ وبنى هذا على ما يقول المنجمون من أن أول ساعة من يوم الأحد ساعة نحس ؛ وكانت الموقعة فى يوم الأحد ،

(١٩) يروى « أكبر منه » والمشرفية : السيوف ، منسوبة إلى مشارف =

٣٠ أَنْهَبْتَ أَرْوَاحَهُ الأَرْمَاحَ إِذْ شَرَعَتْ
فَمَا تُرَدُّ لِرَيْبِ الدَّهْرِ عَنْـــهُ يَدُ

٣١ كَأَنَّها وَهْيَ فِي الأَوْدَاجِ وَالِغَةٌ وَفِي الْـكُلَى تَجِدُ الغَيْظَ الَّذِي تَجِدُ

٣٢ مِنْ كُلِّ أَزْرَقَ نَظَّارٍ بِلاَ نَظَرٍ إِلَى الْمَقَاتِلِ مَافِي مَتْنِهِ أَوَدُ

٣٣ كَأَنَّهُ كَانَ تِرْبَ الْحُبِّ مُذْ زَمَنٍ فَلَيْسَ يُعْجِزُهُ قَلْبٌ وَلاَ كَبِدُ

٣٤ تَرَكْتَ مِنْهُمْ سَبِيلَ النَّارِ سَابِلَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَيْهَا عُصْبَةٌ تَفِدُ

٣٥ كَأَنَّ بَابَكَ بِالبَذَّيْنِ بَعْدَهُمُ نُؤْىٌ أَقَامَ خِلاَفَ الحَىِّ أَو وَتِدُ

= الشام ، وتخد : فعل مضارع من الوخد ، وهو السير السريع ، وأصله للإبل ونحوها ، فاستعاره للسيوف .

(٣٠) أنهبت أرواحه الأرماح : أراد بابكا وشيعته ، ولذلك جمع الروح ، والأرماح : جمع رمح ، يقول : جعلت أرواح بابك وجيشه نهبة للأرماح التى ترمى بها أنت ومن معك .

(٣١) الأوداج : جمع ودج ـ بفتح الواو والدال جميعا ـ وهو عرق فى العنق ، ووالغة : اسم الفاعل من الولوغ ، وأصله للذئاب والكلاب ونحوهن : أن تدلى لسانها فى الماء وتشرب ، ثم استعاره للرمح .

(٣٢) هذا من وصف النصال ، والمقاتل : جمع مقتل ، وهو المكان الذى إذا أصيب مات صاحبه ، والمتن : الظهر ، والأود : العوج . يقول : هذه النصال كأنما تنظر إلى المواضع التى لو أصيبت مات المصاب ، لأنها لا تقع من أعدائك إلا فى هذه المواضع .

(٣٣) ترب الحب : صنوه وسنينه ، ومن شأن الحب أن يعلق بالقلب ويؤثر فى الكبد ، يقول : كأن هذه النصال كانت أترابا للعشق ، فهى تصل إلى المواضع التى يصل إليها العشق لا يعجزها موضع منها ، وهذا من أغرب المعانى .

(٣٤) سابلة : عامرة مسلوكة ، يقول : لقد تركت طريق جهنم لهم مسلوكا عامرا بمن يسير فيه منهم .

(٣٥) النؤى : الحفيرة حول الخيمة ، وهو مما يوصف بالذل ؛ لأن القوم إذا =

٣٦ بِكُلِّ مُنْعَرَجٍ مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ جَنَاجِنٌ فِلَقٌ فِيهَا قَنًا قِصَدُ
٣٧ لَمَّا غَدَا مُظْلِمَ الْأَحْشَاءِ مِنْ أَشَرٍ أَسْكَنْتَ جَانِحَتَيْهِ كَوْكَبًا يَقِدُ
٣٨ وَهَارِبٍ وَدَخِيلُ الرَّوْعِ يَجْلُبُهُ إِلَى الْمَنُونِ كَمَا يُسْتَجْلَبُ النَّقَدُ
٣٩ كَأَنَّمَا نَفْسُهُ مِنْ طُولِ حَيْرَتِهَا مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ يَوْمَ الْوَغَى رَصَدُ
٤٠ تَاللهِ أَدْرِي أَلْإِسْلَامُ يَشْكُرُهَا مِنْ وَقْعَةٍ أَمْ بَنُو الْعَبَّاسِ أَمْ أُدَدُ

= ارتحلوا عن مسكنهم لايبالون به ، وكذلك الوتد ، فهذا الكلام كناية عن أنه ترك بابكا فى أقصى درجات الذل .

(٣٦) المنعرج - بفتح الراء - اسم مكان بمعنى المنعطف ، والجناجن : عظام الصدر ، يريد أن فى كل مكان عظام فارس، وهذا كناية عن كثرة القتلى .

(٣٧) « لما غدا » يروى فى مكانه «لما بدا» أى ظهر ، والأشر : البطر وجحد النعمة ، وجانحتيه : أراد جانبى صدره ، وأراد بالكوكب المتقد الرمح . يقول : لما بطر النعمة التى أسديت إليه وأظلمت نيته واسود قلبه طعنته بالرمح الشبيه بالكوكب الملتهب .

(٣٨) الروع : الفزع والخوف ، ودخيله : مادخل قلبه منه ، ويروى «ودخيله الموت» والنقد - بفتح النون والقاف جميعا - صغار الغنم .

(٣٩) يروى « منه على نفسه » يقول : إنه وقع فى أشد الحيرة ، فلم يقدر على الهرب حتى كأن له من نفسه رقيباً يحاسبه وطالبا يمنعه الفرار ، وقد كرر هذا المعنى فى قوله من قصيدة أخرى :

مضى مدبرا شطر الدبور ، ونفسه على نفسه - من سوء ظن بها - ألب

وكرره فى قوله من أخرى :

حيران يحسب سجف النقع من دهش طودا يحاذر أن ينقض أو جرفا

(٤٠) تالله أدرى : أراد تالله لا أدرى، فحذف حرف النفى ، وقد ذكرنا ذلك فى شرح البيت ٥٢ من القصيدة ٤٣ ، وذكرنا ما يشهد لصحته من كلام العرب ، وبنو العباس : أصحاب الخلافة يومئذ ، وأدد : قوم الممدوح ، يريد أنه لايدرى أى هذه الثلاثة أحق بشكر ماقدمته لهم : الإسلام ؛ لأنك أعليت كلمته بقتلك =

٤١ يَوْمٌ بِهِ أَخَذَ الإِسْلاَمُ زِينَتَهُ
بِأَسْرِهَا ، وَاكْتَسَى فَخْراً بِهِ الأَبَدُ

٤٢ يَوْمٌ يَجِيءُ إِذَا قَامَ الحِسَابُ وَلَمْ يَذُمُّهُ بَدْرٌ وَلَمْ يُفْضَحْ بِهِ أُحُدُ

٤٣ وَأَهْلُ مُوقَانَ إِذْ مَاقُوا فَلاَ وَزَرٌ أَنْجَاهُمُ مِنْكَ فِي الْهَيْجَا وَلاَ سَنَدُ

٤٤ لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إِلاَّ وَقَدْ عَلِمَتْ
إِنْ لَمْ تَذُبْ أَنَّهُ لِلسَّيْفِ مَا تَلِدُ

٤٥ وَالْبَبْرُ حِينَ اطْلَخَمَّ الأَمْرُ صَبَّحَهُمْ
قَطْرٌ مِنَ الْحَرْبِ لَمَّا جَادَهُمْ خَمَدُوا

= رجلا كان يدعو إلى المجوسية ، أم بنو العباس ؛ لأنك وطدت حكمهم بقتلك رجلا خرج عليهم وألب الناس ضدهم ، أم قومك الذين تنتمى إليهم ؛ لأنك أعليت ذكرهم ورفعت قدرهم بهذه الانتصارات التى يعجز عن مثلها صناديد الأبطال .

(٤١) زينته بأسرها : يريد أنه أخذ زينته كلها ولم يترك من مظاهر الزينة شيئا ، وقوله «واكتسى فخرا» يروى فى مكانه « واكتسى فخرا » والذى فى الأصل خير ، وكأن معناه – على الرواية الأخرى – أن الزمان كله قد امتلأ ضياء بهذا اليوم .

(٤٢) يقول: إن هذا اليوم يحمده يوم بدر الذى نصر الله فيه رسوله والمؤمنين على صناديد الكفر من أهل مكة ، وإنما يحمده لأنه يوافقه فى الانتصارات على الكفار ، وإن يوم أحد – وهو من أيام الرسول وأصحابه ، وكان فيه الغلب لأهل مكة – ليحمد هو أيضا يومك ؛ لأنك انتصرت على الكفار ، فكأنك أخذت ليوم أحد بالثأر .

(٤٣) ماقوا : أصيبوا بالموق وهو الحمق ، والوزر – بالتحريك – المستند والملجأ ، والهيجا – بالقصر هنا ، وقد يمد – الحرب .

(٤٤) تذب : مضارع ذاب : أى رجع ، ويروى « تتب » من التوبة ، وللسيف ما تلد : أى أنه صائر إلى القتل .

(٤٥) الببر : ضرب من العجم ، وكذلك اللان ، وكان أكثر أتباع بابك منهم ، ويروى « والبذ » وهو اسم بلادهم ، واطلخم الأمر : اشتد وعميت فيه وجوه الصواب ، مأخوذ من قولهم « اطلخم الليل » أى أظلم ، وقالوا « اطلخم =

٤٦ كَادَتْ تُحَلُّ طُلَاهُمْ مِنْ جَمَاجِمِهِمْ
لَوْ لَمْ يَحُلُّوا بِبَذْلِ الْحُكْمِ مَا عَقَدُوا

٤٧ لَكِنْ نَدَبْتَ لَهُمْ رَأْيَ ابْنِ مُحْصَنَةٍ
يَخَالُهُ السَّيْفُ سَيْفاً حِينَ يَجْتَهِدُ

٤٨ فِي كُلِّ يَوْمٍ فُتُوحٌ مِنْكَ وَارِدَةٌ تَكَادُ تَفْهَمُهَا مِنْ حُسْنِهَا الْبُرُدُ

٤٩ وَقَائِعٌ عَذُبَتْ أَنْبَاؤُهَا وَحَلَتْ حَتَّى لَقَدْ صَارَ مَهْجُوراً لَهَا الشُّهُدُ

٥٠ إِنَّ ابْنَ يُوسُفَ نَجَّى الثَّغْرَ مِنْ سَنَةٍ
أَعْوَامُ يُوسُفَ عَيْشٌ عِنْدَهَا رَغَدُ

= الرجل» أي تكبر ، وأصل القطر المطر ، ونسبته إلى الحرب على التشبيه ، وقوله « خمدوا » بالخاء المعجمة ــ أي همدوا وسكنوا ، ويروى « جمدوا » بالجيم .

(٤٦) طلاهم ــ بضم الطاء ــ أي أعناقهم ، والجماجم : جمع جمجمة ، وهي عظام الرأس ، ويروى « لو لم يحل » ببناء الفعل للمجهول .

(٤٧) ندبت : دعوت ، ورأى ابن محصنة : أراد رأيك ، والضمير المستتر في « يجتهد » راجع إلى السيف ، يريد أنك دعوت رأيك الحصيف لتدبير الأمر قصداً لأن تسلك في كشفه أحسن المسالك .

(٤٨) البرد : جمع بريد ، وكانوا يطلقون البريد على أحد أربعة أشياء : الرسائل التي تحمل من مكان إلى مكان ، والدابة الحاملة لهذه الرسائل ، والعلامات التي وضعوها في الطريق على مسافات معلومة للاهتداء بها ولمعرفة مقدار ماقطعوه من الطريق وما بقي عليهم منه ، والمسافة نفسها ، وأي هذه الأربعة أردت في بيت أبي تمام صح المعنى . يريد أن قيمة هذه الفتوح وعظيم أثرها ظاهر لا يحتاج إلى عقل يفهمها ، وإن الطرق والدواب قد اعتادت منك هذه الفتوح وفهمت حسن آثارها .

(٥٠) ابن يوسف : هو الممدوح ، أعوام يوسف : هي الموصوفة في القرآن الكريم في سورة يوسف بأنها سبع سنين تجدب فيها الأرض ولا تغل شيئاً من القوت ، يعني أن أعوام يوسف هذه مع ما فيها من قحط وجدب سارا مسير الأمثال تعد أعوام رخاء ورغد إذ قرنت بهذه السنة .

٥١ آثَارُ أَمْوَالِكَ الأَدْثَارِ قَدْ خَلُقَتْ وَخَلَّفَتْ نِعَمًا آثَارُهَا جُدُدُ

٥٢ فَافْخَرْ فَمَا مِنْ سَمَاءٍ لِلْعُلَى رُفِعَتْ إِلاَّ وَأَفْعَالُكَ الْحُسْنَى لَهَا عَمَدُ

٥٣ وَاعْذِرْ حَسُودَكَ فِيمَا قَدْ خُصِصْتَ بِهِ

إِنَّ الْعُلَى حَسَنٌ فِى مِثْلِهَا الْحَسَدُ

* * *

---

(٥١) الأدثار : قد يكون جمع دثر ـ بفتح فسكون ـ وهو مما يوصف به فيقال « مال دثر » أى كثير ، ومثل هذه الكلمة من الأسماء فى الوزن قولهم : فرخ وأفراخ، وزند وأزناد ، ومن الصفات شيخ وأشياخ، وقد يكون الأدثار جمع داثر ، من نحو قولهم « أثر داثر » أى طامس ، ونظيره فى الوزن على هذا : صاحب وأصحاب ، وشاهد وأشهاد ، وعلى هذين الوجهين مجىء الجمع على هذا الوزن قليل ، والغالب جمع الدثر على دثور ، وفى الحديث « ذهب أهل الدثور بالأجور » .

(٥٢) يروى « فما من سماء للندى » والعمد : يجوز أن تقرأ بفتح العين والميم جميعا ، وبضمهما جميعا .

(٥٣) اعذر حسودك : التمس له العذر واطلبه ، وأخذ عجز هذا من قوله صلى الله عليه وسلم « لاحسد إلا فى اثنتين » .

* * *

(٤٨)

وقال يمدحه أيضاً :

١ غَدَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدِ
وَعَادَ قَتَاداً عِنْدَهَا كُـــلُّ مَرْقَدِ

٢ وَأَنْقَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ أَنَّهُ صُدُودُ فِرَاقٍ لاَ صُدُودُ تَعَمُّدِ

٣ فَأَجْرَى لَهَـا الإِشْفَاقُ دَمْعاً مُوَرَّداً
مِنَ الدَّمِ يَجْرِى فَوْقَ خَدٍّ مُوَرَّدِ

(٤٨)

اتفقت جميع نسخ الديوان على رواية هـذه القصيدة تالية للقصيدة السابقة ، وعلى عدد أبياتها ، وعلى ترتيب الأبيات كما هنا ، وعلى العبارة التى قدمت بها ، وهى فى شرح التبريزى برقم ٤٦ .

(١) يروى « سرت تستجير الدمع » وسرت : مأخوذ من السرى – بوزن الهدى – وهو سير الليل خاصة ، وهذا يناسب عجز البيت ، لأن النوم يـكون فى الليل عادة ، فلما لم تنم سرت تستجير الدمع ، ولـكن رواية الأصل « غدت تستجير الدمع » أنسب بصنعة أبى تمام؛ لأن « غدت » تجانس غدا فى قوله « نوى غد » ومعنى « تستجير » تطلب أن يكون لها جارا يمنعها من القلق والأرق اللذين نزلا بها ، والقتاد – بوزن السحاب – شجر له شوك ، والمرقد : مكان الرقاد الذى هو النوم ، وفى القرآن الـكريم (من بعثنا من مرقدنا) وهذا المعنى مأخوذ من قول النابغة الذبيانى :

فبت كـأن العائدات فرشن لى هراسا به يعلى فراشى ويقشب

(٢) غمرة الموت : شدته وهوله ، وصدود فراق : أى هجر سببه الفراق ولو كان المحب مقيما لبقى على المودة والوفاء ، لا صدود تعمد : أى أنه ليس صدودا ناشئا عن عمـد وقصد إليه ، ويروى « لاصدود تجلد » يريد أن ذلك خفف عن نفسى ألم الصدود .

(٣) الإشفاق : الخوف ، دمعا موردا من الدم : يريد دمعا مخلوطا بدم فأخذ لونه ، وخد مورد : لونه لون الورد .

٤ هِيَ الْبَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدُ وَجْهِهَا إِلَى كُلِّ مَنْ لاَقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدَّدِ
٥ وَلَـكِنَّنِي لَمْ أَحْوِ وَفْرًا مُجَمَّعًا فَفُزْتُ بِهِ إِلاَّ بِشَمْلٍ مُبَدَّدِ
٦ وَلَمْ تُعْطِنِي الأَيَّامُ نَوْمًا مُسَكَّنًا أَلَذُّ بِهِ إِلاَّ بِنَوْمٍ مُشَرَّدِ
٧ وَطُولُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدِيبَاجَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
٨ فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ
٩ حَلَفْتُ بِرَبِّ الْبِيضِ تَدْمَى مُتُونُهَا وَرَبِّ الْقَنَا الْمُنْآدِ وَالْمُتَقَصِّدِ

---

(٤) تودد وجهها: حسنه الذى يوده كل من رآه ، وإن لم تودد : وإن لم تكن هى تتودد إلى أحد .

(٥) لم أحو وفرا : لم يجتمع لى مال مثلا ، وشمل مبدد : اجتماع بتفرق لأنه ترك أهله وعشيرته ، وقد طابق بين مجمع ومبدد .

(٦) مسكنا : فيه سكون وهدوء ولذة ، ونوم مشرد : أراد بتشريده حدوث للشاق والأهوال فيه .

(٧) مقام المرء ــ بضم الميم الأولى ــ إقامته ، ومخلق : اسم الفاعل من «أخلق فلان الثوب ونحوه» إذا أبلاه ، والديباجتان : الخدان ، أو الليتان ــ بكسر اللام ــ وهما عرقان فى العنق ، وإخلاق هذين أو هذين مما لايظهر ، فأحسن ما يحمل عليه أن يكون هذا الكلام جاريا مجرى المثل ، ويعنى بالديباجتين مايظهر من أمره .

(٨) أن ليست عليهم بسرمد : بفتح همزة « أن » على إرادة التعليل ، ويؤيده أنه يروى « إذ ليست عليهم » وقد أخذ هذا المعنى من قول الآخر :

• ولو لم تغب شمس النهار لملت •

(٩) البيض : جمع أبيض ، وأراد به السيف ، وتدمى : مضارع دمى ــ من باب فرح ــ أى تسيل دما ، والمتون: جمع المتن ، وهو الظهر ، والقنا المنآد: المنحنى ، والمتقصد : المنكسر .

١٠ لَقَدْ كَفَّ سَيْفُ الصَّامِتِيِّ مُحَمَّدٍ تَبَارِيحَ ثَأْرِ الصَّامِتِيِّ مُحَمَّدِ

١١ رَمَى اللهُ مِنْهُ بَابَكًا وَوُلاَتَهُ بِقَاصِمَةِ الأَصْلاَبِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

١٢ بِأَسْمَحَ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ سَمَاحَةً وَأَشْجَعَ مِنْ صَرْفِ الزَّمَانِ وَأَنْجَدِ

١٣ إِذَا مَا دَعَوْنَاهُ بِأَجْلَحَ أَيْمَنٍ دَعَاهُ وَلَمْ يَظْلِمْ بِأَصْلَعَ أَنْكَدِ

١٤ فَتَى يَوْمَ بَذِّ الْخُرَّمِيَّةِ لَمْ يَكُنْ بِهَيَّابَةٍ نِكْسٍ وَلاَ بِمُعَرِّدِ

---

(١٠) الصامتى: المنسوب إلى الصامت ، وهوأحد أجداد الممدوح ، والتباريح : جمع تبريح ، وهو مصدر برح به الأمر — بتشديد الراء — إذا بهظه واشتد عليه ، ومحمد الأول هو الممدوح محمد بن سعيد ، ومحمد الثانى فى آخر البيت يجوز أن يكون هو الأول نفسه ويجوز أن يكون محمد بن حميد الذى قتله بابك فإنه هو الآخر من بنى الصامت ، والثأر يجوز أن يضاف إلى طالبه كما يجوز أن يضاف إلى من كان مقتله سببه ، يعنى أن محمد بن سعيد الممدوح شفى غيظ قلبه بأخذ ثأره الذى كان له عند بابك بالتنكيل به ، أو بأخذه الثأر الذى كان سببه مقتل قريبه محمد بن حميد .

(١١) الضمير فى «منه» يعود إلى محمد بن سعيد الممدوح ، والولاة : جمع وال نظير داع ودعاة ، وأراد بهم الذين كانوا يوالونه ، والقاصمة : الكاسرة ، ويروى « وجيوشه » فى مكان « وولاته » .

(١٢) يروى «بأسمح من غر الغمام» وصوب الغمام: أراد به المطر ، وصفه بالكرم الفائق الحد ، وصرف الزمان : نوازله ، يقول : هو أسخى بماله من الغمام بالمطر ، وأشجع من صرف الزمان الذى لايجبن عن النزول بأحد ولا يقف فى وجهه أحد .

(١٣) أصل الجلح — بفتح الجيم واللام جميعاً — انحسار الشعر عن مقدم الرأس ومنه قالوا «أرض جلحاء» يريدون أنه لاشجر فيها ، وهم يتمدحون بالجلح ، ويذمون الصلع ، يقول : نحن ندعوه باليمن والسعادة ، وبابك يدعوه بالشقاوة والنكد ، لأن عاقبته منه كانت كذلك .

(١٤) البذ : المكان الذى كان فيه بابك ، والخرمية : بابك وأتباعه ، ويوم بذ الخرمية : أى يوم الحرب التى استعرت نيرانها بالبذ الذى كان موطن اجتماع الخرمية ، والهيابة : الشديد الهيبة ، وهى الخوف ، والمعرد : الذى يفر ويبالغ فى الهرب ، وقال الشاعر : =

١٥ قَفَا سَنْدَبَايَا وَالْمَنَايَا مُشِيحَةٌ تُهَدِّى إِلَى الرُّوحِ الْخَفِىِّ فَتَهْتَدِى

١٦ عَدَا اللَّيْلُ فِيهَا عَنْ مُعَاوِيَةَ الرَّدَى وَمَا شَكَّ رَيْبُ الدَّهْرِ فِى أَنَّهُ رَدِى

١٧ لَعَمْرِى لَقَدْ حَرَّرْتَ يَوْمَ لَقِيتَهُ لَوَ انَّ الْقَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُبَرِّدِ

١٨ فَإِنْ يَكُنِ الْمِقْدَارُ فِيهِ مُفَنَّداً فَمَا هُوَ فِى أَشْيَاعِهِ بِمُفَنَّدِ

١٩ وَفِى أَرْشَقَ الْهَيْجَاءَ وَالْخَيْلُ تَرْتَمِى بِأَبْطَالِهَا فِى جَاحِمٍ مُتَوَقِّدِ

٢٠ عَطَطْتَ عَلَى رَغْمِ الْعِدَى عَزْمَ بَابَكٍ بِعَزْمِكَ عَطَّ الْأَتْحَمِىِّ الْمُعَضَّدِ

= ظننتك إن شبت لظى الحرب صاليا فعردت فيمن كان عنها معردا
وقال آخر يصف هزيمة أبى نعامة الحرورى :
لما استباحوا عبد رب عردت بأبى نعامة أم رأل خيفق

(١٥) قفا سندبايا : أى خلفها ، ويروى «وفى سندبايا» والمنايا : جمع منية وهى الموت ، ومشيحة: أراد جادة ، ويروى «والرماح مشيحة» والمعنى أن الأبطال الذين شهدوا مع الممدوح هذه الموقعة كانوا يرشدون المنايا ــ أو الرماح ــ إلى الأرواح المخفية من جيش بابك فتهتدى إليها وتذهب بها .

(١٦) عدا : صرف ، يريد أن الليل كان قد صرف الهلاك عن معاوية لاجتنانه فيه ، ولكن ريب الدهر كان على ثقة من أنه هالك ، ويروى «فى أنه الردى» بالتعريف

(١٧) حررت: مأخوذ من الحرارة التى هى ضد البرودة ، وأراد أنه كان شديد الحرارة من الغيظ فدنا من قتله وكاد يأخذه ، وقابله بقوله « لو أن القضاء وحده لم يبرد» أى لم يرد نجاته ، يريد أنه اتخذ كل الأهبة لقتله وكان لابد من نفاذ ذلك لولا أن القضاء أراد له أن يفلت وينجو ، وهى مقابلة رديئة لم تقع الموقع المحمود .

(١٨) أصل التفنيد التكذيب ، وتقول «فندت رأى فلان» إذا أضعفته وعجزته ، والمعنى : إن كان للقدار ملوماً فى سلامة هذا الفار فإنه غير ملوم فيما حدث لأشياعه لأنك تمكنت من إبادتهم .

(١٩) أرشق: مكان ، والهيجاء : مفعول لفعل محذوف ، تقديره: أثرت الهيجاء أو أوقدت ، والهيجاء : الحرب ، والجاحم : ما اشتد اشتعاله من الجمر ونحوه .

(٢٠) تقول «عط فلان الثوب» تريد شقه ، والأتحمى: ضرب من البرود، أى =

٢١ فإنْ لاَ يَكُنْ وَلَّى بِشِلْوٍ مُقَدَّدٍ هُناكَ فَقَدْ وَلَّى بِعَزْمٍ مُقَدَّدِ

٢٢ وَقَدْ كَانَتِ الأَرْمَاحُ أَبْصَرْنَ قَلْبَهُ فأَرْمَدَهَا سِتْرُ القَضَاءِ المُمَدَّدِ

٢٣ وَمُوقَانَ كَانَتْ دَارَ هِجْرَتِهِ فَقَدْ تَوَرَّدْتَهَا بالخَيْلِ أَيَّ تَوَرُّدِ

٢٤ حَطَطْتَ بِهَا يَوْمَ العَرُوبَةِ عِزَّهُ وَكَانَ مُقِيماً بَيْنَ نَسْرٍ وَفَرْقَدِ

٢٥ رَآكَ سَدِيدَ الرأْيِ وَالرُّمْحِ فِي الوَغَى تَأَزَّرُ بِالإِقْدَامِ فِيهِ وَتَرْتَدِي

٢٦ وَلَيْسَ يُجَلِّي الكَرْبَ رُمْحٌ مُسَدَّدٌ إِذَا هُوَ لَمْ يُؤْنَسْ بِرَأْيٍ مُسَدَّدِ

= الثياب ، والمعضد: الذى فيه خطوط من لون يخالف لونه ، ويروى « خرقت ... خرق الأتحمى » ويروى « بصبرك » فى مكان « بعزمك » .

(٢١) الشلو – بكسر الشين وسكون اللام – العضو ، وقيل : هو بقية الجسد، وجمعه أشلاء ، يقول : إن كنت لم تقتله ولم تمزق أعضاءه فلا ضير عليك فى ذلك لأنك أفنيت جيشه وأذهبت مناعته .

(٢٢) ضرب هذا البيت مثلا ، ومعناه أن رماحك كانت قد أبصرت قلبه وكانت صائرة إليه لا محالة لولا أن غطاه ستر من القضاء .

(٢٣) موقان: بلد ، ودار هجرته : أى الدار التى يسكنها ويتحصن بها وينقطع فيها عن الأهل والانصار ، وتوردتها بالخيل : اقتحمتها خيلك ، يريد أنه فر من وجهه إلى موقان ليعتصم بها ، ولكن الممدوح دخلها واقتحمها عليه بخيله .

(٢٤) حططت : أنزلت من عال إلى سافل ، ويوم العروبة : يوم الجمعة ، ونسر وفرقد : كوكبان ، يريد أنه أنزل عز بابك من الأوج إلى الحضيض فى يوم العروبة.

(٢٥) سديد الرأى : موفقاً للصواب والإصابة ، وسديد الرمح : مسدده إلى الغرض لا يخطئه ، والوغى : الحرب ، وتأزر : أصله تتأزر ، فحذف إحدى التاءين ، وأصل معنى تأزر: تلبس الإزار ، وترتدى : تلبس الرداء ، يريد أنه رآك فى الحرب متصفاً بثلاث صفات: سداد الرأى ، وجودة تسديد الرماح بحيث لا تخطىء مرماك ، وملازمتك للاقدام حتى لكأنك اتخذت الإقدام إزاراً ورداء .

(٢٦) يجلى : يكشف ، ورمح مسدد : مصوب إلى هدفه ، ورأى مسدد : =

٢٧ فَمَرَّ مُطِيعاً لِلْعَوَالِي مُعَــوَّداً
مِنَ الْخَوْفِ وَالإِحْجَامِ مَا لَمْ يُعَوَّدِ
٢٨ وَكَانَ هُوَ الْجَلْدَ الْقُوَى فَسَلَبْتَهُ
بِحُسْنِ الْجِلَادِ الْمَحْضِ حُسْنَ التَّجَلُّدِ
٢٩ لَعَمْرِى لَقَدْ غَادَرْتَ حِسْىَ فُؤَادِهِ قَرِيبَ رِشَاءٍ لِلْقَنَا سَهْلَ مَوْرِدِ
٣٠ وَكَانَ بَعِيدَ الْقَعْرِ مِنْ كُلِّ مَاتِــحٍ
فَغَادَرْتَهُ يُسْقَى وَيُشْرَبُ بِالْيَــدِ
٣١ وَلِلْكَذَجِ الْعُلْيَا سَمَتْ بِكَ هِمَّةٌ
طَمُوحٌ يَرُوحُ النَّصْرُ فِيهَا وَيَغْتَدِى

= موفق للصواب ، ويؤنس : أراد يضاف له فيؤازره ويسنده ، ووقع فى رواية للتبريزى على العكس « رأى مسدد ، برمح مسدد » ويروى « تأزر بالأقدار » .

(٢٧) العوالى : جمع عالية ، وهى أعلى الرمح ، والإحجام : النكول عن الحرب ، يريد أنه قد انهزم ولم تكن عادته الهزيمة فى حروبه التى سبقت .

(٢٨) الجلد القوى : الصبور على الشدائد الثابت فى مواطن الخوف ، وسلبته : أخذت منه ، والجلاد : مقارعة الأبطال فى الحروب ، والتجلد : تكلف الصبر . يريد أنه كان صبوراً ثابتا فى مواطن الزحف ، ولكنك حرمته بجلادك ومقارعتك مما كان يتصف به ، فلم يطق أن يتكلف الصبر ، بل ولى هاربا .

(٢٩) غادرت : تركت ، وأصل الحسى ـ بكسر الحاء وسكون السين ـ ماء قليل يكون فى رمل وتحته أرض صلبة ، وأراد به هنا دم قلبه ، والرشاء ـ بكسر الراء ـ الحبل يربط به الدلو ليستقى به ، ومن عادتهم أنهم لا يستقون من الحسى برشاء لقرب مائه ، ولكن أبا تمام يأبى إلا أن يجعل لفؤاده حسيا ، ويجعل لهذا الحسى رشاء ، وللمورد : الورود ، ويروى « للقنا المتورد » .

(٣٠) المائح : الذى يقف عند أعلى البئر ليجذب الدلو ، والمائح : الذى يقف فى أسفل البئر ليملأ الدلو ، يقول : لقد كان بعيد المتناول صعب المأخذ فصيرت أخذه سهلا قريبا بما أضعفت من قوته وأوهنت من جلادته وفللت من أتباعه وأنصاره .

(٣١) الكذج : كلمة فارسية أصل معناها البيت المسكون ، وهو هنا اسم موضع =

٣٢ وَقَدْ خَزَمَتْ بِالذُّلِّ أَنْفَ ابْنِ خَازِمٍ وَأَعْيَتْ صَيَاصِيهَا يَزِيدَ بْنَ مَزْيَدِ

٣٣ فَقَيَّدْتَ بِالإِقْدَامِ مُطْلَقَ بَأْسِهِمْ وَأَطْلَقْتَ فِيهِمْ كُلَّ حَتْفٍ مُقَيَّدِ

٣٤ وَبِالْهَضْبِ مِنْ أَبْرَشْتَوِيمَ وَدَرْوَذٍ سَمَتْ بِكَ أَطْرَافُ الْقَنَا فَانْمُ وَازْدَدِ

٣٥ أَفَادَتْكَ مِنْهَا الْمُرْهَفَاتُ مَكَارِمًا تُعَمِّرُ عُمْرَ الدَّهْرِ إِنْ لَمْ تُخَلَّدِ

٣٦ وَلَيْلَةَ أَبْلَيْتَ الْبَيَاتَ بَلَاءَهُ مِنَ الصَّبْرِ فِي وَقْتٍ مِنَ الصَّبْرِ مُجْحَدِ

= بعيله ، وسمت : علت وارتفعت ؛ والهمة الطموح : التى ترغب فى أرفع المطالب وأعلاها ، و « يروح النصر فيها ويغتدى » يعنى أن النصر يلازمها ولا يفارقها .

(٣٢) الضمير المستتر فى «خزمت» يعود إلى الـكذج باعتبارها اسم بلدة ، وأصل معنى «خزمت أنفه» وضعت فيه الخزامة ، والخزامة ـ بكسر الخاء ـ حبل من شعر يوضع فى أنف البعير ليقاد به ، ويضرب وضع الخزامة فى الأنف مثلا للاذلال ، وابن خازم : خزيمة بن خازم ، وكان من قواد هذا العصر ، وكان قد قصد الـكذج للاستيلاء عليها فرجع مقهوراً ، والصياصى : الحصون .

(٣٣) معنى « قيدت بالإقدام مطلق بأسهم » أنك بإقدامك وشجاعتك جعلت بأسهم وشدتهم كأنما كانت مطلقة فأخذت أسرى فقيدت بالأغلال ، والحتف : الهلاك ، ومعنى « وأطلقت فيهم كل حتف مقيد » أنك أكثرت فيهم من القتل من بعد ما كان منال قتلهم صعبا غير مقدور عليه .

(٣٤) أبرشتويم ، ودروذ : كل منهما اسم مكان ، وسمت : ارتفعت وعلت ، ويروى « علت بك » ويروى « فاعل وازدد » .

(٣٥) المرهفات : السيوف الحداد ، واحدها مرهف ، وتعمر عمر الدهر : تبقى مابقى الدهر ولا تزول ولا يذهب ذكرها ، إن لم تخلد : إن لم يـكتب لها الخلود ، ويجوز أن يكون « إن لم تخلد » خطابا للممدوح ، يعنى إن لم تخلدك هذه المعالى التى كسبتها فى هذين المـكانين فإن ذكراها باقية مابقى الزمان .

(٣٦) البيات : اسم مصدر فعله قولك « بيت العدو » ـ بتشديد الياء ـ إذا أوقع =

٣٧ فَيَا جَـــولَةً لاَ تَجْحَدِيهِ وَقَارَهُ
وَيَا سَيْفُ لا تَـكْفُرْ ، وَيَا ظُلْمَـةُ اشْهَدِى

٣٨ وَيَا لَيْلُ لَوْ أَنِّى مَـكَانَكَ بَعْدَهَا لَمَا بِتُّ فِى الدُّنْيَا بِنَوْمٍ مُسَهَّدِ

٣٩ وَقَائِـعُ أَصْلُ النَّصْرِ فِيهَا وَفَرْعُهُ إِذَا عُدِّدَ الإِحْسَانُ أَوْلَمْ يُعَدَّدِ

٤٠ فَمَهْمَا تَـكُنْ مِنْ وَقْعَةٍ بَعْدُ لاَتَـكُنْ
سِـوَى حَسَنٍ مِمَّا فَعَلْتَ مُرَدَّدِ

٤١ مَحَاسِنُ أَصْنَافِ الْمُغَنِّينَ جَمَّةٌ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلاَّ لِمَعْبَدِ

٤٢ جَلَوْتَ الدُّجَى عَنْ أَذْرَبِيجَانَ بَعْدَمَا
تَرَدَّتْ بِـــلَوْنٍ كَالْغَمَامَةِ أَرْبَدِ

— به فى وقت البيات وهو الليل ، وأبليته بلاءه : أعطيته ما يستحقه من الحزم والصبر وصدق لقاء العدو ، ومعنى مجحد : مفقود ينـكره من له به سابق معرفة .

(٣٧) يروى « فيا دولة لاتجحديه » أى لاتنكرى ماقدمهلك ، والجولةفىرواية الأصل يراد بها العزم والفعل ، وأراد أبو تمام أن يستشهد على حسن بلاء الممدوح عدة أشياء وهى عزمه وعقله وسيفه ووقت الغارة .

(٣٨) يروى « لما بات فى الدنيا - إلخ » وهى رواية التبريزى . يريد لوأنى فى مكان الليل لم أغشه بسهر ولامسكروه ، لأن صنيعه يستحق أجزل المـكافأة ، وعلى رواية الأصل يكون المعنى لو أنى فى مكان الليل لم يأرق لى جفن وكنت أنام قرير العين لأنى قد اشتفيت بإدراك ما أردت ، ويروى « بليل مسهد » وهومجاز ، لأن الليل زمان السهد .

(٣٩ — ٤١) معنى هذه الأبيات : أنت السابق إلى هذه الفعال ، وكل فعلة من فعال المجد تجىء بعد فعالك تـكون تـكراراً وترديداً لبعض فعالك ، كماأنمعبداً هو السابق لإتقان صناعة الألحان .

(٤٢) تردت بلون : اتخذته رداء ، ويروى « تردت بشوب » والأربد : الوصف من الربدة — بضم الراء وسـكون الباء — وهو لون يضرب إلى السواد على لون التراب .

٤٣ وَكَانَتْ وَلَيْسَ الصُّبْحُ فِيهَا بِأَبْيَضٍ
فَأَمْسَتْ وَلَيْسَ اللَّيْلُ فِيهَا بِأَسْوَدِ

٤٤ رَأَى بَابَكٌ مِنْكَ الَّتِي طَلَمَتْ لَهُ بِنَحْسٍ ، ولِلدِّينِ الْحَنِيفِ بِأَسْعُدِ

٤٥ هَزَزْتَ لَهُ سَيْفاً مِنَ الْكَيْدِ إِنَّمَا تُجَذُّ بِهِ الأَعْنَاقُ مَا لَمْ يُجَرَّدِ

٤٦ يَسُرُّ الَّذِي يَسْطُو بِهِ وَهُوَ مُغْمَدٌ وَيَفْضَحُ مَنْ يَسْطُو بِهِ غَيْرَ مُغْمَدِ

٤٧ وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَقَلِّدَ جِيدَهُ قِلَادَةَ مَصْقُولِ الذُّبَابِ مُهَنَّدِ

٤٨ مُنَظَّمَةً بِالْمَوْتِ يَحْظَى بِحَلْيِهَا مُقَلِّدُهَا فِي النَّاسِ دُونَ الْمُقَلَّدِ

---

(٤٣) كنى بصدر هذا البيت عما كانت عليه الحال قبل هذه الوقائع من الالتباس والغموض واشتباه وجوه النصر على طالبيه ، وكنى بعجز البيت عما أحدثته هذه الوقائع من جلاء الأمر ووضوحه وظهور وجوه النصر .

(٤٤) يروى «رأى بابك منه» وأراد بالتى طلعت له بنحس : العزمة الوثيقة ، أو الشجاعة الفائقة ، أو نحو ذلك من الخلال المؤدية إلى النصر ، والأسعد : جمع سعد وهو اليمن والبركة ، ضد النحس .

(٤٥) تجذ : تقطع ، والأعناق : جمع عنق ، جعل الأعناق تجذ بسيف الكيد إذا لم يجرد ـ أى إذا هو لم يخرج من غمده ، وغمده هنا هو الستر والإخفاء ـ وذلك لأن المكيد إذا أظهر له الكائد وجه الكيد قد يتحرز منه ويأخذ لنفسه الحيطة ؛ فلا ينفذ فيه الكيد وتبطل مقاصده .

(٤٦) هذا تأكيد لمعنى البيت الذى قبله ، يقول : هذا الكيد يسر به من كتمه عن عدوه ، فإن أظهره افتضح .

(٤٧) مصقول الذباب : أرد سيفا ، ويروى « مصقول الغرار » والمهند : المصنوع فى الهند ، أو القاطع . يقول : إنه يرجو أن يتمكن الممدوح من جز عنق بابك بسيف صقيل مصنوع فى الهند ، أو بسيف قاطع نافذ فى ضريبته .

(٤٧) يضبط لفظ « مقلد » الأول بكسر اللام المشددة على زنة اسم الفاعل والثانى بفتح اللام على زنة اسم المفعول ، يعنى أن الذى يتحلى بهذه القلادة ـ وهى السيف ـ هو الذى وضعها فى عنق لابسها ، على خلاف المعتاد من أن الذى يتحلى =

٤٩ إليكَ هتكْنا جُنحَ ليلٍ كأنهُ قدِ اكتحلَتْ منهُ البلادُ بإثمِدِ

٥٠ تخبُّ بِنا أدمُ المهارَى وشومُها على كُلِّ نشزٍ مُتلئِبٍّ وفدفَدِ

٥١ تقلّبُ في الآفاقِ صِلًّا كأنَّما يُقلّبُ في فكّيهِ شقّةَ مِبْرَدِ

٥٢ تلافَى جداكَ المُجتدينَ فأصبحُوا
ولمْ يَبْقَ مذخورٌ ولَمْ يَبْقَ مُجتَدِ

٥٣ إذا ما رحَا دارتْ أدرتَ سَماحةً رحَا كُلِّ إنجازٍ على كُلِّ موْعِدِ

٥٤ أتيتُكَ لم أفزَعْ إلى غيرِ مفزَعٍ ولَمْ أنشُدِ الحاجاتِ في غيرِ منشَدِ

= بالقلادة لابسها ، ويضبط اللفظان على عكس ما ذكرنا ، والمعنى على هذا الضبط أن لابس القلادة يشرف بها لأن قاتله بطل ليس له نظير ، ولا يشرف بها الذى ألبسه إياها لأن قتيله ليس من علو القدر بحيث يشرف بقتله ، ومن عادة العرب أن يفخروا ببسالة قاتلى قتلاهم .

(٤٩) قوله « قد اكتحلت منه البلاد بإثمد » كناية عن كونه شديد السواد فهو مثار للفزع والرهبة .

(٥٠) يروى « تقلقل بى أدم المهارى » وتقلقل : أصله تتقلقل ، فحذف إحدى التاءين ، ومعناه تضطرب وتشتد حركتها فى السير ، والأدم : جمع آدم أو أدماء ، وهو الذى لونه الأدسة ، والمهارى : الإبل ، جمع مهرية وهى المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، والشوم : السود ، ويروى « وشيمها » أى التى بها شامات ، وتخب فى رواية الأصل معناه تسير سيراً سريعاً : والنشز : المرتفع ، والمتلئب : المستقيم ، والفدفد : المكان الغليظ الواسع .

(٥١) وصف الشاعر نفسه فى هذا البيت ، ويروى « تقلقل » مكان تقلب ، والصل : الحية . وشبه لسانه بشقة مبرد لأنه على أنه شديد الأثر ، وقد قال حسان ابن ثابت .

لسانى وسيفى صارمان كلاهما ويفعل ما لا يفعل السيف مذودى

(٥٢) تلافى : تدارك ، وجداك : عطاؤك . والمجتدين : طالبى العطاء .

(٥٣) أراد أن يشبهه بالرحى ، وأنه يطحن بإنجاز المواعيد التى أعطاها المجتدين الطالبين لمعروفه .

(٥٤) مفزع : هو هنا المكان الذى يفزع إليه الخائف ، وأنشد : مضارع —

٥٥ وَمَنْ يَرْجُ مَعْرُوفَ الْبَعِيدِ فَإِنَّمَا
يَدِى عَوَّلَتْ فِى النَّائِبَاتِ عَلَى يَدِى

* * *

(٤٩)

وقال يمدحه أيضاً :

١ أَظُنُّ دُمُوعَهَا سَنَنَ الْفَرِيدِ وَهَى سِلْكَاهُ مِنْ نَحْرٍ وَجِيدِ

= « نشدت الضالة » إذا سألت عنها ، والمنشد : المكان الذى تنشدها فيه .

(٥٥) يقول : إن الشعراء وسائر الناس يطلبون المعروف من البعيدين عنهم ، أما أنا وإنى أطلب المعروف ممن أمت له بالصلات الوثيقة، وذلك لأنه طائى والممدوح طائى أيضا ، وقد يكون المعنى . إنى لعظيم الثقة ببرك كأنما أعول على يدى فهى لا تخلفنى ولا تؤخر ما أريد منها .

* * *

(٤٩)

اتفقت جميع نسخ الديوان على رواية هذه القصيدة بعد القصيدة السابقة، وعلى عدة أبياتها ، وعلى ترتيبها ، فأما اختلاف الألفاظ فى بعض الأبيات فإنا سنذكره مع الشرح ، وهى فى التبريزى برقم ٤٧ .

(١) السنن الاستنان ، وهو مصدر « استن العقد ونحوه » أى تساقطت حباته والأصل الأصيل فى هذه المادة قولهم « سننت الماء أسنه سنا » بوزن مددته أمده مدا — أى صببته وفرقته ، والفريد : الدر ، و « سنن الفريد » هو المفعول الثانى لأظن ، وتضمن هذا الكلام تشبيه دموعها بالدر ، ووهى : ضعف ، وأراد انقطع وسلكاه : تثنية سلك ، وهو ما ينظم فيه اللؤلؤ والدر ونحوهما ليكون عقداً ، والنحر : العنق ، والجيد بمعناه ، يقول : أظن دموع هذه الحبيبة التى تذرفها خوف الفراق هى حبات عقدها الذى انقطع سلكاه فاستنت وتساقطت متفرقة .

٢	لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ الْتِدَامٌ	يُعِيدُ بَنَفْسَجاً وَرْدَ الْخُدُودِ
٣	حَمَتْنَا الطَّيْفَ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ	خُطُوبٌ شَيَّبَتْ رَأْسَ الْوَلِيدِ
٤	رَآنَا مُشْعَرِي أَرَقٍ وَحُزْنٍ	وَبُغْيَتُهُ لَدَى الرَّكْبِ الْهُجُودِ
٥	سُهَادٌ يَرْجَحِنُّ الطَّرْفُ مِنْهُ	وَيُولِعُ كُلَّ طَيْفٍ بِالصُّدُودِ
٦	بِأَرْضِ الْبَذِّ فِي خَيْشُومِ حَرْبٍ	عَقِيمٍ مِنْ وَشِيكِ رَدًى وَلُودِ

(٢) اللوعة : حرقة الباطن ، والبين : الفراق ، وأصل الالتدام : أن تضرب النساء صدورهن فى النياحة على الميت ، واللطم : ضربهن خدودهن ، والبنفسج ـ بوزن سفرجل ـ زهر ، فارسى معرب . يقول : إنها ـ من شدة ماتجده من الأم لوشك الفراق ـ تلطم خدودها فتعيد حمرة وجهها كلون البنفسج ، وأصله قول الحماسى :

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

(٣) حمتنا : منعتنا ، والطيف : الخيال الذى يزورك فى النوم ، والخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر الصعب الاحتمال ، و « شيبت رأس الوليد » كناية عن هولها وفظاعتها ، ومما ينسب إلى حسان بن ثابت الأنصارى :

إذا والله نرميهم بحرب يشيب الطفل من قبل المشيب

(٤) المشعر : اسم مفعول وفعله « أشعر فلان الحزن ونحوه » بالبناء للمجهول ـ أى أودعه ، والأصل الأصيل فى هذه المادة هو الشعار ـ بوزن الكتاب ـ وهو الثوب الذى يلى الجسد ، وتقول « أشعرت فلانا » إذا ألبسته الشعار ، والأرق : السهر ، والبغية : مايبغيه الإنسان ويطلبه ، والركب : المسافرون ، والهجود : جمع هاجد ، ويطلق الهاجد على النائم وعلى اليقظان ، ضد ، ويروى بدل وبغيته « وتعمية » مصدر عمى عليه الأمر ، وعماه عن قصده ؛ ويروى « وتعميه » بالهاء ـ مصدر عمه فلان فلانا ، إذا أوقعه فى حيرة شديدة ، وهذا المصدر ـ على الروايتين ـ مجرور بالعطف على أرق .

(٥) سهاد : أرق وسهر ، ويرجحن : يثقل ، أو يزيد ويكثر ، والطرف : أراد طرف العين ، ويروى « يرجحن الطرف عنه » ويولع : يغري ويحض ، والصدود : الهجر والقطيعة .

(٦) خيشوم حرب : أولها ، وأصل العقيم : المرأة التى لا تلد ، وأراد هنا أن العدو يستأصل فلا يبقى منه أحد فلا تعود هذه الحرب مرة أخرى ، والردى : =

٧ تَرَى قَسَمَاتِنَا تَسْوَدُّ فِيهَا وَمَا أَخْلَاقُنَا فِيهَا بِسُودِ
٨ يُقَاسِمُنَا بِهَا الْجُرْدُ الْمَذَاكِى سِجَالَ الْكَرِّ وَالدَّأْبِ الْعَتِيدِ
٩ فَنُمْسِى فِى سَوَابِغَ مُحْكَمَاتٍ وَتُمْسِى فِى السُّرُوجِ وَفِى اللُّبُودِ
١٠ حَذَوْنَاهَا الْوَجَى وَالْأَيْنَ حَتَّى تَجَاوَزَتِ الرُّكُوعَ إِلَى السُّجُودِ

= الهلاك ، ووشيكه: قريبه ، وولود: من أوصاف الحرب ، ومن وشيك ردى: يتعلق بولود ، يعنى أنها تلد سريع الهلاك . وقد يكون قوله «ولود» صفة لردى ، ويكون المعنى أن عقم هذه الحرب بسبب قرب الهلاك الولود ، فإنه يلد لهم هلاكا بعد هلاك ، وهذا عندنا خير مما ذكرناه أولا متابعة للتبريزى .

(٧) القسمات : جمع قسمة ، وهى الوجه ، أو أعلاه ، يريد أن وجوه الفرسان الذين يخوضون غمرات هذه الحرب تسود مما يثور عليهم من الغبار ، فأما أخلاقهم من الإقدام والجرأة ومناهضة الأقران وغلبتهم فلا تسود .

(٨) الجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس القصير الشعر ، والسجال : جمع سجل ، وهو الدلو ، والكر : الإقدام على العدو ، ويروى « سجال الكره » ،

(٩) السوابغ : جمع سابغة ، وهى الدرع التى تعم البدن وتجلله وتغطيه ، وفى القرآن الكريم (أن اعمل سابغات) والسروج : جمع سرج ، وهو مايوضع على الفرس ليركب عليه الفارس ، واللبود : جمع لبد ، ويكون تحت السرج لحماية ظهر الفرس . يريد أن فرسان هذه الحرب تصبح وقد لبست دروعها وتأهبت للنزال ، وتصبح خيلهم وقد وضعت عليها اللبود والسروج وأعدت إعدادا تاما .

(١٠) الوجى ـ بفتح الواو والجيم جميعا ـ مصدر « وجى يوجى » بوزن رضى يرضى ـ وهو الحفا أو أشد منه ، والأين : التعب والإعياء ، و«حذوناها الوجى والأين » جعلناهما لهذه الخيل بمنزلة الحذاء . يصف أنهم أتعبوا خيلهم فى خوض هذه الحرب ، ويقال « ركع الفرس» إذا عثر ، وإذا عثر اطمأن رأسه وعنقه ، ولم يرض أبو تمام بوصول أفراسهم إلى هذه الحال حتى جعلها تسجد فتكون رؤوسها أشد اطمئنانا وانخفاضا .

١١ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْغَمَرَاتِ قُلْنَا :
خَرَجْتِ حَبَائِساً إِنْ لَمْ تَعُودِى

١٢ فَكَمْ مِنْ سُؤْدَدٍ أَمْكَنْتِ مِنْهُ
بِرُمَّتِهِ عَلَى أَنْ لَمْ تَسُودِى

١٣ أَهَانَكِ لِلطِّرَادِ وَلَنْ تَهُونِى عَلَيْهِ - وَلِلْقِيَادِ أَبُو سَعِيدِ

١٤ بَلَاكِ فَكُنْتِ أَرْشِيَةَ الأَمَانِى
وَبُرْدَ مَسَافَةِ الْمَجْدِ الْبَعِيدِ

---

(١١) الغمرات : جمع غمرة ، وهى الشدة ، والحبائس : جمع حبيس ، وأراد هنا شاركنا غيرنا فى الانتفاع بك ، وهذه كناية عن زهدهم فيها ، فإن الفرس الكريم يعز على صاحبه انتفاع غيره به . يقول : إذا خاضت هذه الخيل غمرة ثم خرجت منها ألزمناها العود إلى معركة أخرى .

(١٢) السؤدد : الشرف والمجد ، أمكنت منه : كنت السبب فى أننا حصلنا عليه وتمكنا منه . وقوله « برمته » أصل الرمة - بضم الراء - الحبل يربط به البعير ، وقالوا « أخذ فلان الشىء برمته » يريدون أنه أخذه كله ولم يبق منه شيئا يقول : كثير من المجد والشرف قد وصلنا إليه وحصلناه بسببك ، ومع ذلك لم تكن السيادة لك ، وإنما كانت لنا ،

(١٣) أهانك : من الإهانة ، وهى فى الأصل جعل الشىء هينا ليس له كبير خطر ، واستعمل فى معنى إيصال الهوان وهو الإذلال ، وفاعل « أهان » هو قوله « أبو سعيد » فى آخر البيت ، والطراد : مصدر طاردت العدو ونحوه ، ويروى « أهانك للقياد . . . . وللطراد أبو سعيد » ويروى « ولم تهونى » .

(١٤) بلاك : اختبرك ، تقول : بلوته أبلوه ، إذا اختبرته وجربته ، والأرشية : جمع رشاء ، ووزنه وزن حجاب وأحجبة ، والرشاء : الحبل يربط فى الدلو ليجذب به ، والأمانى : جمع أمنية ، وهى مايتمناه المرء ، ويروى « أرشية المعالى » والبرد - بضم فسكون - الثوب ، ويروى « وبرد مسافة الأصل البعيد »

١٥ فَتًى هَزَّ الْقَنَا فَحَوَى سَنَاءً ... بِهَا ، لاَ بِالأَحَاظِي وَالْجُدُودِ
١٦ إِذَا سَفَكَ الْحَيَاءَ الرَّوْعُ يَوْماً ... وَقَى دَمَ وَجْهِهِ بِدَمِ الْوَرِيدِ
١٧ قَضَى مِنْ سَنْدَبَايَا كُلَّ نَحْبٍ ... وَأَرْشَقَ وَالسُّيُوفُ مِنَ الشُّهُودِ
١٨ وَأَرْسَلَهَا عَلَى مُوقَانَ رَهْواً ... تُثِيرُ النَّقْعَ أَكْدَرَ بِالْكَدِيدِ
١٩ رَآهُ الْعِلْجُ مُقْتَحِماً عَلَيْهِ ... كَمَا اقْتَحَمَ الْفَنَاءُ عَلَى الْخُلُودِ

---

(١٥) يروى « فحوى ثناء » والأحاظى : جمع الأحظى الذى هو جمع حظوة، وقال الحماسى :

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ... ولكن أحاظ قسمت وجدود

والجدود : جمع جد — بفتح الجيم — وهو البخت ، ويريد أنه نال المجد وكسبه بالاستحقاق ، وليس بالاتفاق والمصادفة والحظ

(١٦) الروع : الفزع والخوف ، وأراد به السبب الحامل عليه وهو القتال ، وسفك الروع الحياء : أسال دمه ، وكنى بذلك عن فرار الأبطال، يقول : إذا كانت موقعة من مواقع الحروب الشديدة ، ففر الفرسان وأذهب حياءهم الفزع الذى استولى عليهم وتمكن منهم ثبت هذا الممدوح وعرض نفسه للموت ، وبذلك بقى ماء وجهه

(١٧) النحب : النذر ، ومنه قول لبيد بن ربيعة العامرى :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول ... أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

« والسيوف من الشهود » يريد أن ما بها من الفلول يشهد بأنها قارعت كثيرا ، وقال النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

(١٨) رهوا : متتابعة يتلو بعضها بعضا ، والرهو فى غير هذا الموضع الساكن ، والنقع : الغبار ، وفى القرآن الكريم (فأثرن به نقعا) والكديد : الغليظ من الأرض ، وهو أيضا المطمئن منها

(١٩) العلج : الرجل من الأعاجم ، و « مقتحما » حال من الهاء فى « رآه » وقد شبه اقتحام الممدوح على عدوه باقتحام الموت على الحياة ، والأصل فيه قول مسلم بن الوليد :

موف على مهج فى يوم ذى رهج ... كأنه أجل يسعى إلى أمل

٢٠ فَمَرَّ وَلَوْ يُجَارِي الرِّيحَ خِيلَتْ   لَدَيْهِ الرِّيحُ تَرْسُفُ فِي الْقُيُودِ

٢١ شَهِدْتُ لَقَدْ أَوَى الْإِسْلَامُ مِنْهُ   غَدَاتَئِذٍ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدِ

٢٢ وَلَاكَذَجَاتِ كُنْتَ لِغَيْرِ بُخْلٍ   عَقِيمَ الْوَعْدِ مِنْتَاجَ الْوَعِيدِ

٢٣ غَدَتْ غِيرَانُهُمْ لَهُمْ قُبُورًا   كَفَتْ فِيهِمْ مَؤُونَاتِ اللُّحُودِ

٢٤ كَأَنَّهُمُ مَعَاشِرُ أُهْلِكُوا مِنْ   بَقَايَا قَوْمِ عَادٍ أَوْ ثَمُودِ

٢٥ وَفِي أَبْرَشْتَوِيمَ وَهَضْبَتَيْهَا   طَلَعْتَ عَلَى الْخِلَافَةِ بِالسُّعُودِ

---

(٢٠) الضمير فى « مر » يعود إلى العلج المذكور فى البيت السابق ، وخيلت : أى ظنت ، وترسف فى القيود : كناية عن كونها تسير أبطأ السير ، يعنى أن هذا العلج فر وهرب من وجه الممدوح ، وكان أسرع من الريح فى جريه

(٢١) أخذ عبارة هذا البيت من قوله تعالى (لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد)

(٢٢) عقيم الوعد : أى أنه لم يف به ، وليس هذا من المديح فى شىء ، ولهذا اضطر الشراح إلى أن يقولوا : إن وعده كان من المكر بعدوه ، ويمكن أن يكون المراد أنه لم يكن منه وعد لهم البتة ، ومنهم من ذهب إلى أن الوعد ليس صادرا منه لأن المراد به ما كان العدو يعد نفسه به من الظفر ، ويبطل ذلك أنه يقول « لغير بخل » ، والوعيد: مايكون فى الشر ، وقد وفى وعيده للأعداء فأبادهم وظفر بهم ولم يبق منهم باقية

(٢٣) الغيران : جمع غار ، ونظيره فى الوزن جار وجيران ، يريد أنهم التجئوا إلى الغيران يستخفون منه فيها ، فقتلوا هناك ، ولم يتجشم أحد لهم قبورا يدفنون فيها.

(٢٤) يروى « كأنهم معاشر قد أبيدوا » أى أهلكوا ولم يبق منهم أحد

(٢٥) طلعت على الخلافة بالسعود : جمع سعد ، وذلك لأنه قد أتى على أعداء الخلافة ، فلم يبق من يكدر عليها سلامتها وأمنها ، ويروى « بالصعود » وهو الارتفاع والعلو

٢٦ بِضَرْبٍ تَرْقُصُ الأَحْشَاءُ مِنْهُ وَيُبْطِلُ مُهْجَةَ الْبَطَلِ النَّجِيدِ

٢٧ وَبَيَّتَّ الْبَيَاتَ بِعَقْدِ جَأْشٍ أَشَدَّ قُوًى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلُودِ

٢٨ رَأَوْا لَيْثَ الْغَرِيفَةِ وَهْوَ مُلْقٍ ذِرَاعَيْـهِ جَمِيعًـا بِالْوَصِيـدِ

٢٩ عَلِيمًا أَنْ سَيَرْفُلُ فِي الْمَعَالِي إِذَا مَا بَاتَ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ

---

(٢٦) ترقص الأحشاء منه : تضطرب وتخفق ، والبطل النجيد : الذى ينجد من يحتمى به .

(٢٧) بيت البيات : يحتمل أن يكون مراده أنك أحدثت البيات ، وهو إتيان العدو فى وقت البيات وهو الليل ، وأن يكون مراده أنك فكرت فى الأمر - وهو تبييتهم - وترويت ، ولم تغر على عدوك إلا بعد تدبير وفكر وتقدير للعواقب ، فإنه يقال « بيت فلان أمره » أى أجمع عليه ودبره فى الليل ، وقد جاء فى القرآن الكريم (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) ويقول العرب : هذا أمر دبر بليل ، ومعنى قوله « بعقد جأش » أى بجأش رابط ونية معقودة لاتحتمل التردد ، وأصل الجأش الصدر ، ويقال « فلان رابط الجأش » ويراد أنه ساكن هادىء لاتزعزعه الأحداث ، وأشد قوى : يروى فى مكانه « أمر قوى » وهو من إمرار الحبل ، أى فتله فتلا محكما .

(٢٨) الغريفة : موطن الأسد ، وأصله أن يكون فى الشجر الملتف ، ويقال فيه « غريف » بغير تاء - كما يقال : عرين ، وعرينة ، ويقولون « ألقى الأسد ذراعيه » يريدون جثم على فريسته ، والوصيد : الباب ، أو الفناء ، وهذه العبارة كناية عن كونه قاصدا حماية أتباعه والدفاع عنهم ؛ لأن الأسد إذا ألقى ذراعيه بوصيد العرين فقد جعل أولاده خلفه وقصد الدفاع عنهم .

(٢٩) « أن » هذه هى المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير شأن محذوف ، ومعنى يرفل يسير سير المعجب المسرور ، يقول : إن هذا الليث - وأراد به الممدوح - يعلم أنه إذا قضى ليله لابسا عدة الحرب متهيئا لقتال العدو مستحمد عاقبة صنعه ويتم له النصر ، وحينئذ يرفل فى ثياب المجد والعلا .

٣٠ وَكَمْ سَتَرَ الدُّجَى مِنْ حُسْنِ صَبْرٍ
وَغَطَّى مِنْ جِلَادِ فَتًى جَلِيدِ

٣١ وَيَوْمَ التَّلِّ تَلِّ البَـذِّ أُبْنَا وَنَحْنُ قِصَارُ أَعْمَارِ الحُقُودِ

٣٢ قَسَمْنَاهُمْ ؛ فَشَطْرٌ لِلْعَوَالِي ، وَشَطْرٌ فِي لَظَى حَرِقِ الْوَقُودِ

٣٣ كَأَنَّ جَهَنَّمَ انْضَمَّتْ كِلَاهَا عَلَيْهِمْ غَيْرَ تَبْدِيلِ الْجُلُودِ

٣٤ وَيَوْمَ انْصَاعَ بَابَكُ مُسْتَمِرًّا مُبَاحَ الْعُقْرِ مُجْتَاحَ الْعَدِيدِ

---

(٣٠) الدجى : جمع دجية ـ بوزن مدية ومدى ـ وهى ظلام الليل ، يقول : إنك قد أوقعت بعدوك ليلا ، فلم تدر ما كان من رجالك من حسن الصبر وجميل الاحتمال وذلك لأن الليل غطى عنك فعالهم ، ولو أنك رأيت ذلك منهم اسرك وملأ نفسك ثقة بهم ، ويروى عجز البيت « وكم غطى جلاد فتى جليد »

(٣١) أبنا : رجعنا ، تقول : آب يؤوب أوبا ومآبا ، تريد رجع ، ويروى « رحنا » .

(٣٢) قسمناهم : أراد شطرناهم شطرين ، والعوالى : جمع عالية ، وهى أعلى الرمح ، واللظى : النار ، وحرق : محترق ، وأراد أنه مستعر ، والوقود ـ بفتح الواو ـ ماتوقد به النار ، ويروى « فشطرا للعوالى وشطرا فى لظى ـ إلخ » ويروى « حر الوقود » ،

(٣٣) يروى « كأن جهنم انضمت عليهم كلاها » وقوله « غير تبديل الجلود » يشير إلى قوله تعالى فى وصف عذاب أهل النار (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) يقول : إن هؤلاء أحرقوا دفعة واحـدة ، وفى المصرية « كأن جهنما ضمت كلاها » .

(٣٤) انصاع : ذهب فى ناحية ، أو رجع مسرعا ، أو انقاد وذل ، والعقر ـ بضم العين وسـكون القاف ـ أراد به عقر الدار ، وهو وسطها ، أو أصلهـا ، ومجتاح : اسم مفعول من الاجتياح وهو الاستئصال . يقول : اذكر يوم فر بابك هاربا من لقائك بعد أن استبيحت البذ واستؤصل العديد من جيشه وأنصاره .

٣٥ تَأَمَّلَ شَخْصَ دَوْلَتِهِ فَعَنَّتْ ... بِجِسْمٍ لَيْسَ بِالْجِسْمِ الْمَدِيدِ
٣٦ وَأَزْمَعَ نِيَّةً هَرَبًا فَحامَتْ ... حُشَاشَتُهُ عَلَى أَجَلٍ بَلِيدِ
٣٧ تَقَنَّصَهُ بَنُو سِنْبَاطَ أَخْذًا ... بِأَشْرَاكِ الْمَوَاثِقِ وَالْعُهُودِ
٣٨ وَلَوْلاَ أَنَّ رِيحَكَ دَرَّبَتْهُمْ ... لأَحْجَمَتِ الْكِلاَبُ عَنِ الأُسُودِ
٣٩ وَهِرْجَامًا بَطَشْتَ بِهِ فَقُلْنَا ... أَخِيرُ الْبَزِّ جَاءَ عَلَى الْقَعُودِ

(٣٥) عنت : عرضت ، أو ظهرت ، والجسم المديد : الطويل ، وأراد طول العمر ، ويروى « فعنت بشخص ليس بالشخص » يقول : إن بابكا عندما رأى ماحل به وبجيوشه تأمل فى شخص دولته وعظمة ملكه فبدت له فى شخص هزيل فعلم أن لا بقاء لملكه .

(٣٦) أزمع : عزم وصمم ، والنية : الوجه الذى ينويه المسافر ونحوه ، وحامت : دارت ، والحشاشة ـ بضم الحاء ـ بقية الروح فى الجسد ، والأجل البليد: المتباطىء المتحير ، ويروى « إلى أجل » .

(٣٧) بنو سنباط : قوم من الروم كان بابك قد لجأ إليهم ظنا منه أنهم ينصرونه وأخذ عليهم العهود والمواثيق ألا يخذلوه ، ولكنهم خافوا شوكة المسلمين فغدروا به وأعلموا المسلمين بمكانه فأخذ .

(٣٨) ريحك : سطوتك وقوتك وبأسك ، ودربتهم : جرأتهم وشجعتهم ، وأحجمت : رجعت ونكلت . يقول : لولا أن سطوتك قد شجعتهم على مافعلوا لأحجموا ولم يفعلوا خوفا منه .

(٣٩) هرجام: اسم قائد من قواد بابك، وأخير البز: آخره، ويروى «خيار البز» ويروى «كان على القعود» والقعود ـ بفتح القاف ـ الفتى من الإبل، أو هو الذى يحمل عليه الراعى رحله وزاده، وأصل هذه العبارة مثل، وقصته أن عمرو بن زبان وإخوته خرجوا ينشدون إبلالهم فنزلوا موضعا بين أهله وبينهم عداوة ، فأخذهم القوم وقتلوهم وجعلوا رؤوسهم فى غرارة وحملوا هذه الغرارة على جمل يقال له الدهيم ، وساقوه نحو الحى ، فلما بلغ الدهيم الحى رآه راع فقال لزبان : هذه ناقة عمرو ابنك عليها جوالق ، فقال : ماترى فيه ؟ قال : أراه بيض نعام ، فتأمله زبان فإذا رؤوس بنيه، فقال: آخر البز على القعود ، أراد لا يحمل القعود بزا بعد هذه المرة لامن تجارة =

٤٠ وَقَائِعُ قَدْ سَبَكْتَ بِهَا سَوَاداً عَلَى مَا احْمَرَّ مِنْ رِيشِ الْبَرِيدِ
٤١ لَئِنْ عَمَّتْ بَنِي حَوَّاءَ نَفْعاً لَقَدْ خَصَّتْ بَنِي عَبْدِ الْحَمِيدِ
٤٢ أَقُولُ لِسَائِلِي بِأَبِي سَعِيدٍ كَأَنْ لَمْ يَشْفِهِ خَبَرُ الْقَصِيدِ
٤٣ أَجِلْ عَيْنَيْكَ فِي وَرَقِي مَلِيًّا فَقَدْ عَايَنْتَ عَامَ الْمَحْلِ عُودِي

=ولامن غارة ، لأن بنيه الذين كانوا يحملون ذلك عليه قد قتلوا . يقول: بعد مصرع هرجام الذى كان عضد بابك قد انقطع الأمل ، ولم يبق لبابك مطمع فى نوال شىء مما كان يبتغيه .

(٤٠) تقدم فى المصرية هذا البيت على البيت ٣٩ الذى أوله « وهرجاما » وقوله « قد سكبت بها سوادا ــ إلخ » ذكر الشراح فى تفسيره ثلاثة أوجه ، الأول أن الجيوش المقاتلة كانت إذا أرسلت البريد إلى الأمراء جعلوا إشارة ظاهرة يستدل بها على حالهم من قبل أن تقرأ رسائلهم ، فإذا كان لهم الظفر والنصر جعلوا على البريد السواد ، وإذا كان خلاف ذلك جعلوا عليه الحمرة ؛ والوجه الثانى قريب من الوجه الأول ، وهو أنهم إذا كان لهم النصر ضموا إلى كتاب الفتح ريشة سوداء ، وإذا كانوا يطلبون مددا أو كانت الوقعة عليهم غمسوا ريشة فى الدم وجعلوها مع الرسالة ، والوجه الثالث أن بابكا ومن معه من الخرمية كانت علامة ظفرهم أن يحمروا ريشة ويجعلوها مع رسائلهم ، فلما ظفر بهم أبو سعيد جعل الريشة سوداء ، خلافا عليهم ، وجريا على سنن بنى العباس فى لبس السواد .

(٤١) الضمير المستتر فى « عمت » يعود إلى الوقائع ، وقد عم نفعها الناس أجمعين لأنها أزاحت عنهم الهم والكرب ، وحصلت لهم الأمن ، وبنو عبد الحميد : قوم الممدوح ، وقد خصتهم لأنها رفعت من شأنهم وأثبتت أنهم عماد الدولة وركنها .

(٤٢) الباء فى قوله « بأبى سعيد » بمعنى عن ، وفى القرآن الكريم (سأل سائل بعذاب واقع) أى عن عذاب واقع ، وهو يريد أن يفخر بقصائده ، وأنها تكفى أعظم الكفاية لنشر محاسن أبى سعيد .

(٤٣) أجل : فعل أمر ماضيه « أجال » وأراد حرك عينيك فى حالى تتبين لك أحوال أبى سعيد وأفضاله ، فإنك سترى ورقى أخضر يانعا تظهر فيه الحياة وحسن الرونق ، بعد أن كان يابسا جافا فى أيام المحل والجدب ، وهذا أثر من آثار أبى سعيد .

٤٤ لَبِسْتُ سِوَاهُ أقْوَاماً فَكَانُوا كَمَا أَغْنَى التَّيَمُّمُ بالصَّعِيدِ
٤٥ وَتَرْكِى سُرْعَةَ الصَّدَرِ اغْتِبَاطاً يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَةِ الْوُرُودِ
٤٦ فَتًى أحْيَتْ يَدَاهُ بَعْدَ يأْسٍ لَنَا الْمَيْتَيْنِ مِنْ بأْسٍ وَجُودِ

* * *

(٤٤) يتأخر هذا البيت فى المصرية عن البيت ٤٥ الذى أوله « وتركى سرعة الصدر — إلخ » ويروى « لقيت سواه أقواما » والتيمم : هو مسح الوجه واليدين بالتراب بدلا عن الوضوء ، والصعيد : التراب ، وفى القرآن الكريم (فتيمموا صعيدا طيبا) يقول : إنى كنت مضطرا للقاء غيره ، ولم أجد عندهم مايغنينى ، فاجتزأت بالقليل الذى وصلنى منهم كما يجتزىء المتيمم بالتراب عن الماء .

(٤٥) الصدر — بفتح الصاد والراء جميعا — الرجوع عن الماء بعد الاستقاء ، والورود : الإقبال على الماء للاستقاء منه . يقول : إنك لتعرف عظيم ما أفدت إذا رأيتنى قد وردت عليه لأغترف من نواله ، ولم أسرع إلى الرجوع ، فطول مقامى عنده دليل على أنى حظيت بما أملت .

(٤٦) يروى « فتى أحيا نداه » والندى : العطاء ، وبعد يأس : أى بعد قنوط ، وانقطاع أمل فى حياتهما ، جعل الكرم والشجاعة كأنهما قد ماتا واستيأس الناس من حياتهما ، فلما جاء أبو سعيد أعادهما إلى الحياة ، ويروى « الميتين من كرم وجود » .

* * *

(٥٠)

وقال يمدح أبا سعيدٍ محمدَ بنَ يوسفَ الثَّغْرِيَّ :

١ حَمَتْهُ فَاحْتَمَى طَعْمَ الْهُجُودِ غَدَاةَ رَمَتْهُ بِالطَّرْفِ الصَّيُودِ

٢ أَبَتْ إلاَّ النَّوَى بَعْدَاقْتِرَابٍ وَإلاَّ هَجْرَ ذِي مِقَةٍ وَدُودِ

٣ رأتْ أَنَّ الْفِرَاقَ أَمَرُّ طَعْماً وَأَقْرَحُ لِلْقُلُوبِ مِنَ الصُّدُودِ

٤ فَزَمَّتْ لِلرَّحِيلِ مُخَيَّسَاتٍ يَصِلْنَ بِهَا الذَّمِيلَ إلَي الْوَخِيدِ

---

(٥٠)

سقطت هذه القصيدة برمتها من شرح التبريزى ، وهى مذكورة فى المصرية ، وفى مطبوعتى بيروت تالية للقصيدة السابقة .

(١) حمته : منعته ، وأصل معناه الحرفى جعلته حمى لايستطيع أحـد أن يقرب منه من غير إذنها ، والهجود : النوم ، والطرف الصيود : الذى تصيد به العشاق . يقول : رمته بطرفها الذى يوقع العاشقين فى شراكها ، فلما أحبها وعشقها منعته النوم فلم يستطع أن يقربه .

(٢) أبت : لم ترض ، والنوى : البعد ، والمقة : مصدر « ومقه يمقه » بوزن وعده يعده ـ أى أحبه ، والودود : الواد ، وهو الذى يبذل لك المودة ، والمودة كالمحبة وزنا ومعنى . يقول : بعد أن كانت قريبة منا لم ترض إلا بالبعد ، كما لم ترض إلا بهجران من يحبها .

(٣) أقرح : أكثر قرحا ، أى جرحا ، وتقول: قرح فلان فلانا يقرحه ـ بوزن منعه يمنعه ـ تريد جرحه ، وتقول « قرح جلده » بوزن سمع يسمع ـ إذا خرجت به القروح ، والقريح مثل الجريح وزنا ومعنى ، يقول : أرادت أن تعذبنا فنظرت فى أشد ماتعذبنا به ، فرأت أن الفراق أمر طعما وأشد جرحا للقلب من الهجر .

(٤) زمت : وضعت الزمام ، والزمام ـ بكسر أوله ، بوزن الكتاب ـ مايوضع فى أنف الناقة أوالجمل ليقاد به ، والرحيل : السفر . ومخيسات : مذللات ، وأراد إبلا مذللات ، والذميل : ضرب من السير فيه لين وسهوله ، والوخيد : ضرب آخر من السير فيه سرعة .

٥ وَلاَ ذَنْبٌ سِوَى شَكْوَى إِلَيْهَا كَمَا يَشْكُو ٱلْعَمِيدُ إِلَى العَمِيدِ

٦ أَرَتْنَا كَيْفَ تَعْتَلِجُ المَطَايَا بِأَنْفُسِهَا، وَكَيْفَ نَقُولُ : جُودِى

٧ كَأَنَّ الدَّمْعَ يُنْثَرُ مِنْ نِظَامٍ عَلَى تِلْكَ المَحَاجِرِ وَالْخُدُودِ

٨ تُرِيدِينَ المَزِيدَ، وَلَيْسَ عِنْدِى وَرَاءَ مَحَلِّ حُبِّكِ مِنْ مَزِيدِ

٩ أَمَا وَأَبِى الرَّجَاءِ لَقَدْ رَكِبْنَا مَطَايَا الدَّهْرِ مِنْ بِيضٍ وَسُودِ

---

(٥) وقع فى المصرية « ولا ذنب » وتقرأ برفع ذنب منونا ، على أن « لا » عاملة عمل ليس أو على أنها مهملة وذنب مبتدأ ، ووقع فى ب « ولاذنبا » ولاوجه لها لأن « لا » التى تعمل عمل إن يفتح الاسم بعدها بغير تنوين ، والعميد : الذى هده العشق وأضعفه ، يقول : ليس لى ذنب فيما قصدت إليه من الفراق إلا أنى شكوت لها ما ألاقى من حبها كما يشكو العاشقان أحدهما إلى الآخر ، إن كان هذا يعد ذنبا .

(٦) تعتلج : تضطرب وتتحرك ، والمطايا : جمع مطية ، وهى الدابة ، سميت بذلك لأنه يركب مطاها — وهو ظهرها — أو لأنها تمطو فى سيرها : أى تسرع ، يقول : إنها لما زمت إبلها للرحيل أرتنا اضطراب المطايا وتحركها للسير ، وأرتنا — مع ذلك — كيف نخضع لها ونذل ونطلب إليها أن تجود لنا بنظرة أو تحية أو مايشبه ذلك مما يكون لنا زادا نتبلغ به .

(٧) ينثر : يتفرق ويتبدد ، والنظام — بكسر النون — هو والنظم بمعنى واحد ، والمحاجر : جمع محجر ، وهو مادار على العين . يقول : كثر بكاؤنا لفراقها ولم ينقطع .

(٨) المزيد : مصدر ميمى بمعنى الزيادة ، وأراد الزيادة من الحب .

(٩) أبو الرجاء : الذى عنده إجابة آمال الناس ورجائهم ، ومطايا الدهر من بيض وسود : يجوز أن يكون قد أراد ألوان المطايا وأن بعضها كان أبيض ، وبعضها الآخر كان أسود ، كما يجوز أن يكون أراد بسودها الليالى وبيضها الأيام .

١٠ قَلَائِصَ شَوْقُهُنَّ يَزِيدُ شَوْقاً وَيَمْنَعْنَ الرُّقَادَ مِنَ الرُّقُودِ
١١ إِذَا أُنْبِعَثَتْ عَلَى أَمَلٍ بَعِيدٍ فَقَدْ أَدْنَتْ مِنَ الأَمَلِ الْبَعِيدِ
١٢ أَبَيْنَ فَمَا يَزُرْنَ سِوَى كَرِيمٍ وَحَسْبُكَ أَنْ يَزُرْنَ أَبَا سَعِيدِ
١٣ فَحَيَّهَلاً بِذِكْرَاهُ وَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ مَعْدِنَىْ كَرَمٍ وَجُودِ
١٤ فَتَى لاَ يَسْتَظِلُّ غَدَاةَ حَرْبٍ إِلَى غَيْرِ الأَسِنَّةِ وَالْبُنُودِ
١٥ إِذَا جَادَتْ يَدَاهُ عَلَى بِلَادٍ كَسَاهَا الأَتْحَمِيَّ مِنَ الْبُرُودِ

---

(١٠) القلائص: جمع قلوص ، وهى الناقة الشابة ، وهى بدل من مطايا الدهر ، جعلها نوقا شواب لما عبر عنها بالمطايا ، والرقاد : النوم ، والرقود: يجوز أن تقرأه بضم الراء على أنه جمع راقد ، مثل هاجد وهجود وراكع وركوع وساجد وسجود ، وفى القرآن الكريم (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) ويجوز أن تقرأ بفتح الراء على انه صيغة مبالغة من الرقاد .

(١١) فى ب « إذا بعثت » أى أثيرت ، وأدنت : قربت .

(١٢) أبين : امتنعن ، وحسبك : أى يكفيك .

(١٣) حيهلا : اسم فعل أمر ، وروى « إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر » ومعناه فبادر بذكره ولا تجعل ذكره متأخرا ، وفى ألفاظ الأذان « حى على الصلاة » و « حى على الفلاح » معناه أقبل على الصلاة وأقبل على سبب الفلاح ، « وأكرم به » صيغة تعجب ، كما تقول «اجمل بعمل الخير» فى معنى «ما أجمل عمل الخير» .

(١٤) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح ، والبنود : جمع بند ، وهو الراية ، يقول : هو فتى لا يعتمد فى الحرب إلا على سنانه الذى يطعن به ، ولا يكون له ظل يأوى إليه إلا الراية التى يحملها أو يحملها أحد أتباعه فيجعلها على رأسه ، واستظلاله بالأسنة كناية عن شجاعته ، واستظلاله بالرايات كناية عن كونه رئيس الجيش وقائده الأعظم لأن الراية تكون على رأسه .

(١٥) الأتحمى : ضرب من الثياب الفاخرة . يقول : إذا جاد على أهل بلد منحها أعظم المنح وأجودها .

١٦ فَمَا تَضَعُ الْوُفُودُ إِلَى سِوَاهُ ... وَمَا يَحْنُو عَلَى غَيْرِ الْوُفُودِ
١٧ أَبَاحَ الْمَالَ أَعْنَاقَ الْمَعَالِى ... فَأَجْحَفَ بِالطَّرِيفِ وَبِالتَّلِيدِ
١٨ يُفِيدُ وَيَسْتَفِيدُ غِنًى وَحَمْداً ... فَأَكْرِمْ بِالْمُفِيدِ الْمُسْتَفِيدِ
١٩ كَأَنَّ النَّازِلِينَ بِهِ حَجِيجٌ ... أَنَاخُوا بَيْنَ إِحْسَانٍ وَجُودِ
٢٠ تَرَاهُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ يَرْنُو ... بِعَيْنَىْ أُمِّ ملحمة صَيُودِ
٢١ أَخُو الْحَرْبِ الْعَوَانِ إِذَا أَدَارَتْ
رَحَاهَا بِالْجُنُودِ عَلَى الْجُنُودِ

---

(١٦) تضع : مضارع « وضع فى سيره » إذا سار سيرا سريعا فى لين ، ومما ينسب لورقة بن نوفل :

يا ليتنى فيها جذع ... أخب فيها وأضع

والوفود : جمع وفد ، وهم القوم يفدون على كرام الناس ، وما يحنو : مايعطف ومايشفق ، وأصله الحنو ، يقول : إن الوفود الذين يريدون أن يرجعوا بالخير العميم لايسيرون ولا يقصدون سواه ، وإنه هو لايعطف ولايشفق إلا على الوفود لئلا يخيب آمالهم .

(١٧) أباح المال : صيره مباحا ومنحه وأعطاه ، والمال مفعول أول ، وأعناق مفعول ثان ، وكنى بأعناق المعالى عن أرفعها وأعلاها كما أن العنق أعلى البدن ، وأجحف به : أصابه بالنقص الشديد ، والطارف : ماأحدثه هو من المال ، والتليد: ماورثه عن آبائه .

(١٨) يفيد : يعطى ، ويستفيد : يأخذ ، وغنى : راجع إلى يفيد ، وحمدا : راجع إلى يستفيد ، يعنى أنه يعطى من يسأله الغنى ، ويأخذ منه المديح .

(١٩) الحجيج : جماعة الناس الذين يحجون البيت الحرام لأداء النسك ، وأناخوا: أى أبركوا جمالهم . يقول : إن الذين ينزلون به كأنهم حجيج فى كثرتهم وفى قصدهم إلى عظيم وفى رجوعهم بالخير الوفير كما يرجع الحجاج بعظيم الأجر ووافر البركة .

(٢٠) يرنو : ينظر ، أو يديم النظر ، وأم ملحمة : هى العقاب ، وصيود : تصطاد الطير .

(٢١) يقال « فلان أخو الحرب» و « فلان أخو الجود » ويقصد بذلك أنه =

٢٢ مَتى تَبْرُقْ لَهُ يُبْرِقْ وَيُرْعِدْ وَعَادَاتُ الْبُرُوقِ مَعَ الرُّعُودِ
٢٣ فَهَبْ وَهَلاً لِخَيْلِكَ وَالْمَنَايَا تُشَذِّبُ مُهْجَةَ الْبَطَلِ النَّجِيدِ
٢٤ أَلَيْسَ بِأَرْشَقٍ كُنْتَ الْمُحَامِي عَنِ الإِسْلَامِ ذَا بَأْسٍ شَدِيدِ
٢٥ رَآكَ الْخُرَّمِيُّ عَلَيْهِ نَارًا تَلَهَّبُ غَيْرَ خَامِدَةِ الْوَقُودِ

= ملازم لما أضيف له ، ويقال «حرب عوان» إذا كانت قد أدبرت مرة بعد مرة ، وقالوا « دارت رحى الحرب » على تشبيه الحرب بالرحى التي تطحن الحبوب ، لأن الحرب تطحن الرجال كما تطحن الرحى أصناف الحبوب .

(٢٢) تبرق له : تظهر ، وأصله قولهم « برق البرق » أى ظهر ولمع ، ويبرق : يتهدد ويتوعد ، وفعله برق أو أبرق ، ويرعد بمعنى يبرق ، وقال الكميت :

أرعد وأبرق يا يزيـــــد فما وعيدك لى بضائر

(٢٣) هب : أمر من الهبة ، والوهل ـ بفتح الواو والهاء ـ الضعيف، وأراد القليل ، وتشذب : أصله تشذيب الأشجار ونحوها ، ومعناه تقطع ، والبطل النجيد: الشجاع صاحب النجدة يقول : امنح خيلك والمنايا قليلا من شجاعتك وبأسك ، فإنها تستطيع بهذا القليل أن تفل الجيوش وتأتى على الجموع ، وتقطع مهجات الأبطال الأنجاد ، وقد لحظ فى هذا البيت قول عنترة بن شداد العبسى :

ولو أرسلت رمحى مع جبان لكان بهيبتى يلقى السباعا

(٢٤) « أرشق » قال ياقوت : جبل بأرض موقان من نواحى أذربيجان عند البذ مدينة بابك الخرمى (وأنشد الأبيات ١٥ — ١٨ من القصيدة السابقة) والمحامى : المدافع ، والبأس : القوة ، وصرف « أرشق » مع علميته وتأنيثه وموازنته للفعل ، وقد منعه من الصرف فى البيت ١٧ من القصيدة السابقة .

(٢٥) الخرمى : هو بابك ، وتلهب : أصلها تتلهب ، فحذف إحدى التاءين ، وخامدة : ساكنة ، والوقود ـ بفتح الواو ـ ماتشعل به النيران ، وإذا قرأته بضم الواو فهو مصدر بمعنى الاتقاد ، وقد يكون مفتوح الواو مصدرا أيضا .

٢٦ دَلَفْتَ لَهُمْ بِأَبْنَاءِ المَنَايَا عَلَى العِقْبَانِ فى خُلُقِ الأُسُودِ
٢٧ وَرَدْتَ بِهَا عَلَيْهِ وَلَيْسَ يَدْرِى بِأَنَّ المَوْتَ فى قُحَمِ الوُرُودِ
٢٨ رَجَا صَيْدًا فَرَدَّتْهُ المَنَايَا إِلَى أَنْيَابِ مُقْتَنِصِ الصُّيُودِ
٢٩ وَقَدْ كَانَ الجَلِيدَ فَغَادَرَتْهُ رِمَاحُكَ غَيْرَ مُصْطَبِرٍ جَلِيدِ
٣٠ وَفى مُوقَانَ كُنْتَ غَدَاةَ مَاقُوا أَشَدَّ قُوًى مِنَ الحَجَرِ الصَّلُودِ

---

(٢٦) دلفت لهم : سرت إليهم سيرا فيه بطء وتثاقل ، وأبناء المنايا : الجنود الذين ينزلون الموت بأعدائهم ، والعقبان : أصله جمع عقاب وهو من كواسر الطير ، وأراد هنا الخيل على التشبيه .

(٢٧) الضمير فى « بها » يعود إلى أرشق ، وفى « عليه » يعود إلى بابك ، وقحم : جمع قحمة — بضم القاف — وهى الانقحام فى السير ، والأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد ، وهى أيضا المهلكة ، وأصل الورود الإقبال على الماء للسقى وأراد منه هنا الإقدام على الحرب . يقول : إنك سرت إلى بابك بجيش من الأبطال يركبون الخيول الأصيلة ، ووردت عليه بلده ، فعبأ جيشه وأعدهم للقائك ، ولم يكن المسكين يعلم ماخبأه له القدر ، كما لم يكن يدرى ماسيصيبه فى هذه المعركة .

(٢٨) الصيود : يجوز أن تقرأ هذه الكلمة بضم الصاد فتكون جمع صائد ، مثل شاهد وشهود وراكع وركوع وهاجد وهجود ، ويجوز أن تقرأها بفتح الصاد ، فتكون صيغة مبالغة لصائد ، يقول : إنه رجا بمباغتته إياكم ومفاجأته لكم أن ينال منكم ويهزمكم ، ولم يكن يعلم أنه وقع بين أنياب من عادته أن يفترس الصيد ويوقعه فى حبائله .

(٢٩) الجليد : الوصف من الجلادة وهى القوة والثبات فى الحرب ، وغادرته : تركته وصيرته . يقول : كان قبيل أن يلقاك موصوفا بالجلادة والقوة على المقارعة ، فلما لقى جنودك أصبح ضعيفا خوارا .

(٣٠) موقان : مكان من نواحى أذربيجان عند البذ كما ورد فى عبارة ياقوت (أنظر شرح البيت ٢٤ من هذه القصيدة) وماقوا : حمقوا وغربت عنهم عقولهم فشقوا العصا وخرجوا عن الطاعة ، والحجر الصلود : الصلد الذى لا يقوى أحد على كسره .

٣١ مَشَتْ خَبَبًا سُيُوفُكَ فِى طُلَاهُمْ   وَلَمْ يَكُ مَشْيُهَا مَشْىَ الْوَئِيدِ

٣٢ سُيُوفٌ عُوِّدَتْ سُقْيَا دِمَاءٍ   بِهَامَةِ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدِ

٣٣ عَلَى أَنَّ الْأَمَانِىَ أَوْرَدَتْهُمْ   وَلَمْ تَصْدُرْ عَنِ الْعُنْفِ الْعَتِيدِ

٣٤ فَرُحْتَ وَقَدْ قَضَيْتَ بِذَاكَ نَحْبًا   وَرَاحَ قَرِينَ شَيْطَانٍ مَرِيدِ

٣٥ وَيَوْمَ الْبَذِّ لَمَّا يَبْقَ حِقْدٌ   عَلَى الأَعْدَاءِ فِى قَلْبٍ حَقُودِ

---

(٣١) الخبب ــ بفتح الخاء والباء جميعا ــ ضرب من السير السريع ، والطلى ــ بضم الطاء مقصوراً ــ الأعناق ، والمشى الوئيد : البطىء ، يقول : أسرعت سيوف جنودك السير إلى أعناقهم ولم تبطىء .

(٣٢) هذه الأسياف التى أعملها جنودك فى أعناق هؤلاء الباغين قد تعودت أن تشرب الدماء التى تسيل من هامات الجبارين ، أو تعودت أن تشرب الدماء فى هامات الجبارين ؛ فليس عجيبا أن تجد أعناق هؤلاء لتشرب دماءهم .

(٣٣) الأمانى : هى جمع أمنية ، والأصل أن تكون ياء المفرد وياء الجمع مشددة ، وقد تخفف ياء الجمع ، كما هنا ، والأمنية : كل ما يتمناه الإنسان ويهوى الوصول إليه ، والعنف العتيد : المهيأ المعد الحاضر ، يقول : إنهم تمنوا اقتحام المعركة ، فهذه الأمنية هى التى أوردتهم موارد التهلكة ، فهلاكهم حصل بسبب مما جنوه ، ولم يكن هلاكهم بالعنف والقسوة ، مع أن هذا العنف كان حاضراً مهيئاً معدا لهم ، لكنك لم تكن بحاجة إلى استعماله ، فقد استأصلتهم وأتيت على جمعهم من غير حاجة إليه .

(٣٤) النحب ، هنا : النذر ، وشيطان مريد : عات لا يرجع إلى اللين ، يقول : انتهى أمر القتال وقد شفيت غيظك ونلت كل ماأملت بانتصارك عليه ، أما هو فكان الشيطان المريد قرينا له ، ومن يكن الشيطان قرينا له فساء قرينا .

(٣٥) البذ ــ بفتح الباء وتشديد الذال المعجمة ــ قال ياقوت : كورة بين أذربيجان وأران ، بها كان مخرج بابك الخرمى فى أيام المعتصم ، وقال الحسين بن الضحاك :

لم يدع بالبذ من ساكنه   غير أمثال كأمثال إرم

وقول أبى تمام «لما يبق حقد على الأعداء» معناه أن الانتصار العظيم الذى حدث فى يوم البذ قد شفى جميع القلوب التى كانت مغيظة من هؤلاء الباغين وكانت حانقة عليهم ، فلم يبق من غيظ هذه القلوب شىء ، وهذا الكلام كناية عن استئصال شأفتهم وانفلال جموعهم وذهاب شوكتهم .

٣٦ حَطَطْتَ بِبَابِكٍ فَانْحَطَّ لَمَّا رَأَى أَجَلَ الشَّقِيِّ مَعَ السَّعِيدِ

٣٧ وَمَا إِنْ زِلْتَ تُونِسُهُ بِوَعْدٍ وَتُوحِشُهُ بِإِنْذَارِ الْوَعِيدِ

٣٨ فَطَوْرًا تُجْلِبُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ بِخَيْلٍ فِى السُّرُوجِ وَفِى اللُّبُودِ

٣٩ وَطَوْرًا تَسْتَثِيرُ عَلَيْهِ رَأْيًا كَحَدِّ السَّيْفِ فِى حَبْلِ الْوَرِيدِ

٤٠ تَمَثَّلُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ الْمَنَايَا فَيُرْعَبُ فِى الْقِيَامِ وَفِى الْقُعُودِ

٤١ وَمَا شَىْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَقْضَى عَلَى الْمُهَجَاتِ مِنْ رأىٍ سَدِيدِ

---

(٣٦) حططت ببابك: أنزلت به الهزائم ، وانحط : أراد به أنه انهزم وخسىء وذل ، وأدرك ذلك حينما وازن بين ما حصلت عليه بسعدك وما نزل به بشقوته .

(٣٧) يقول : كنت لاتزال تبعث فى نفسه الأمل بما تبذله له من الوعد بالعفو عنه ، وتبعث فى نفسه الرهبة والخوف بما تنذره من الوعيد . و « إن » فى قوله « وما إن زلت » زائدة .

(٣٨) تجلب الدنيا عليه: أخذ هذه العبارة من قوله تعالى (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) والسروج : جمع سرج وهو مايقتعده راكب الخيل ، واللبود : جمع لبد وتحتمل هذه الكلمة معنيين ، الأول أنه مايوضع تحت السرج قصدا إلى حماية ظهر الفرس ، والثانى أنه مايكون من الشعر على عنق الأسد ، وأراد تشبيه خيلهم بالأسود كما يقع فى كلامه كثيراً .

(٣٩) أصل معنى الاستثارة التهييج ، وأراد هنا أنه يعمل رأيه السديد ، وأن هذا الرأى أمضى من السيف ، والوريد: عرق فى العنق إذا قطع مات صاحبه ، وفى القرآن الكريم (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) .

(٤٠) تمثل: أصله تتمثل ، فحذف إحدى التاءين ، والمنايا : فاعل تمثل ، والمراد من قوله « فيرعب فى القيام وفى القعود » أنه لايستقر على حال ولا يقوى على التماسك ، ويستمر الرعب آخذا بخناقه .

(٤١) معنى هذا البيت قريب من معنى البيت ٢٦ من القصيدة ٤٨ ، وهذا البيت أقوى مبالغة من ذاك

٤٢ فَمَا نَدْرِى أَحَدُّكَ كَانَ أَمْضَى غَدَاةَ الْبَذِّ أَمْ حَدُّ الحَدِيدِ

٤٣ أَبِنْ طَلَعَتْ نُجُومُهُمُ بِنَحْسٍ لَقَدْ طَلَعَتْ نُجُومُكَ بِالسُّعُودِ

٤٤ فَأَمَّا آلُ قَيْصَرَ فَاسْتُعِيدَتْ مَنَايَا جَمْعِهِمْ بِيَدَىْ مُعِيدِ

٤٥ شَنَنْتَ عَلَيْهِمُ الغَارَاتِ حَتَّى لَشَيَّبَ شَنُّهَا رَأْسَ الْوَلِيدِ

٤٦ لِيَهْنِكَ ذِكْرُ أَيَّامٍ تَوَالَتْ بِبِيضٍ مِنْ فُتُوحِكَ غَيْرِ سُودِ

٤٧ فُتُوحٌ لَوْ فَهِمْنَ بِغَيْرِ خَطٍّ إِذَنْ أَفْهَمْنَ عَنْ خُلُقِ الْبَرِيدِ

٤٨ فَكَمْ مِنْ مُطْلَقٍ وَعَزِيزِ مُلْكٍ غَدَا بِالذُّلِّ يَرْسُفُ فِى الْقُيُودِ

---

(٤٢) حدك : أراد به رأيك السديد ، وأمضى : أشد مضاء ونفاذا ، وحد الحديد : حد السيف .

(٤٣) قابل بين طلوع نجمهم بنحس وطلوع نجم الممدوح بالسعد أى اليمن ، وفى إتيانه بالنحس مفردا والسعود جمعا إشارة إلى أن نحسا واحدا كاف فى إبادتهم، مع الإشارة إلى عظيم ما لقيه الممدوح من الخير بسبب هذا النصر .

(٤٤) منايام: جمع منيةوأصلها الموت، وأرادهنا الحرب، وأراد بالمعيد الممدوح نفسه لأنه هو الذى أثارها عليهم بعدما كانت نيرانها قد خمدت .

(٤٥) شننت عليهم : أثرت عليهم من ههنا ومن هنا ، واللام فى قوله «لشيب» للتوكيد ، وهذا مأخوذ مما ينسب إلى حسان بن ثابت :

إذن والله نرميهم بحرب تشيب الطفل من قبل المشيب

(٤٧) انظر شرح البيت ٤٨ من القصيدة ٤٧ فإن هذا البيت فى معنى البيت المشار إليه .

(٤٨) يقول : لقد كثر ما أخذت الأحرار الأعزة فأوقعتهم أسرى وقيدتهم ، ويرسف : يمشى أبطأ المشى ، والقيود : جمع قيد ، وهو ما تغل به أيدى الأسير أو أرجله .

٤٩ وَمِنْ نَاجٍ بِمُهْجَتِهِ طَرِيدٍ ... وَسَهْمُ الْمَوْتِ فِى طَلَبِ الطَّرِيدِ
٥٠ لَئِنْ جَذِلَ الصَّدِيقُ وَسُرَّ مِنْهَا ... لَقَدْ صَعِقَتْ بِهَا أُذُنُ الحَسُودِ
٥١ فَلَوْ أَبْقَى النَّدَى وَالْبَأْسُ حَيًّا ... لَخُصَّ أَبُو سَعِيدٍ بِالْخُلُودِ

* * *

(٤٩) ناج بمهجته طريد : أراد بهم المنهزمين الذين فروا من المعركه ، وقوله: « وسهم الموت – إلخ » أراد أنهم – وإن كانوا قد فروا من القتل والأسر – ان يخلصوا ، وهم لابد واقعون فى حبائل الموت الذى يطاردهم .

(٥٠) جذل : سر وفرح ، وصعق يصعق – على مثال فرح يفرح – نزلت به صاعقة أذهلته ، وأراد أن أخبار هذه الانتصارات والفتوح ساءت حساد الممدوح كما سرت أحباءه وخلصانه .

(٥١) الندى : الجود والكرم ، والبأس : الشدة والقوة . يقول : إنه لو كان كرم الإنسان وقوته يبقيانه لكان أبو سعيد مختصا دون الناس بالخلود ؛ لأن جوده وبأسه مما لامثيل له . وقد أخذ هذا من قول الشاعر :

ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدا ... من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

(٥١)

وقال يمدح المأمون ، والأولى أن تكون فى المعتصم :

١ كُشِفَ الْغِطَاءُ فأَوْقِدِى أَوْ أَخْمِدِى لَمْ تَكْمَدِى فظَنَنْتِ أَنْ لَمْ تُكْمِدِى

٢ يَكْفِيكَهُ شَوْقٌ يُطِيلُ ظَمَاءَهُ وَإِذَا سَقَاهُ سَقَاهُ سُمَّ الأَسْوَدِ

(٥١)

وقعت هذه القصيدة فى المصرية وفى مطبوعتى بيروت تالية للقصيدة السابقة عليها هنا ، ووقعت فى شرح التبريزى برقم ٤٨ تالية للقصيدة التى أولها « أظن دموعها سنن الفريد » حيث سقطت منه القصيدة التى برقم ٥٠ هنا .

(١) كشف الغطاء : أراد قد ظهر ما كان مستورا ، وذاع السر الذى كان المحب يخفيه عن الناس ، أوقدى : أصل معنا أشعلى النار ، وأراد لومى واعذلى ، وأخمدى : أصل معناه أطفئى النار ، وأراد منه اتركى العذل واللوم ، وأصل الكمد ما يجده الإنسان فى صدره من لوعة أو حزن ، ولا يفصح عنه ، وإن كان يظهر على أساريره ، تقول : كمد يكمد كمدا ـ على مثال فرح يفرح فرحا ـ إذا ضاق صدره بما يجده وتغير وجهه منه ، وقوله « فظننت أن لم تكمدى » هو فى رواية الأصل بناء المضارعة مضمومة وبإسناد الفعل إلى ياء المخاطبة ، والمعنى عليه إنك لم تحزنى ولم يضق صدرك لأنك خلية خالصة من الحب فظننت أنك لم توقعى الكمد بهذا المحب الذى تحرقه نيران الهوى ، ويروى التبريزى هذه العبارة « فظننت أن لم يكمد » بياء المضارعة مفتوحة وإسناد الفعل إلى ضمير الغائب وهو المحب ، والمعنى عليه أنه لم تصبك لوعات الهوى فظننت أنه مثلك خال من الصبابة ، وقال الصولى فى شرح هذا البيت : « يقول : إن شئت فأوقدى نارك وإن شئت فأخمديها ، وهذا مثل للعذل والكف عنه ، ولم تكمدى : أى لم تعشقى فظننت بى مثل ذلك » ه ، وقد أخذه من المثل « ويل للشجى من الخلى » ومثله فى المعنى قول الشاعر :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

(٢) يكفيكه : أى يكفيك أمر هذا الرجل ، أى أنت لا تحتاجين إلى أن تتولى قتله أو تعذيبه بالصد والهجر والتجنى ؛ لأن له شوقا مبرحا من صفته أنه يطيل ظمأه ، فإذا أراد أن يسقيه سقاه سم الأسود ، والظماء : أحد مصادر ظمىء ، والأسود : الحية ، والمراد أنه إذا ظن أن هذا الشوق يشفيه زاد فى لوعته

٣ عَذَلَتْ غُرُوبُ دُمُوعِهِ عُذَّالَهُ ... بِسَوَاكِبٍ فَنَّدْنَ كُلَّ مُفَنِّدِ

٤ أَتَتِ النَّوَى دُونَ الْهَوَى فَأَتَى الأَسَى
دُونَ الأُسَى بِحَرَارَةٍ لَمْ تَبْرُدِ

٥ جَارَى إِلَيْهِ الْبَيْنُ وَصْلَ خَرِيدَةٍ
مَاشَتْ إِلَيْهِ الْمَطْلَ مَشْيَ الأَكْبَدِ

٦ عَبِثَ الْفِرَاقُ بِدَمْعِهِ وَبِقَلْبِهِ ... عَبَثاً يَرُوحُ الْجِدُّ فِيهِ وَيَغْتَدِي

٧ يَا يَوْمَ شَرَّدَ يَوْمَ لَهْوِىَ لَهْوَهُ ... بِصَبَابَتِي وَأَذَلَّ عِزَّ تَجَلُّدِي

---

(٣) الغروب : جمع غرب ، وهى مجارى الدمع فى العين ، وسواكب : جمع ساكبة ، وهى السائلة ، وأراد بدموع سواكب ، وفندن: أى نسبنه إلى الفند وهو الحمق هنا ، والمفند المكذب الذى لايصدق أنه محب .

(٤) النوى:البعد، والأسى:الحزن، وهو بفتح الهمزة ، والأسى- بضم الهمزة - جمع أسوة ، وهى القدوة أى مايتأسى به الحزين، يقول: حال البعد دون ما أهواه وحال الحزن دون التأسى بمن يقدر على الصبر ، فلم أستطع صبرا على هذا الفراق .

(٥) أراد بجارى سابق، والخريدة: أراد بها المحبوبة، أى أن الفراق سابق وصال هذه الخريدة فى الوصول إلى ، فانتهيا عندى معا، يعنى أنه لم يمتع بوصلها لأن الوقت الذى كان يمكن أن يدرك فيه الوصل هو وقت الفراق ، ثم وصف الخريدة بأنها تمشى مع المطل والتسويف وتأخير الإنجاز مشيا بطيئا يشبه مشى الأكبد وهو الذى يشتكى كبده .

(٦) يريد أن الفراق قد لعب بدمع هذا العاشق لأنه أورثه بكاء دائما كما لعب بقلبه لأنه أورثه قلقا لايزول ، ولئن كان هـذا لعبا من الفراق فإنه ليس لعبا خالصا ، بل إن الجد يشوبه فى بعض الأحيان .

(٧) لهوه : فاعل شرد ، ويوم لهوى : مفعوله ، و « بصبابتى » متعلق بلهوه وتقدير الكلام : يايوم شرد يوم لهوى بصبابتى يوم لهوى .

٨ مَا كَانَ أَحْسَنَ لَوْ غَبرت ولم نَقُلْ :
مَا كَانَ أَقبحَ يَوْمَ بُرْقَةِ مُنْشِدِ

٩ يَوْمٌ أَفَاضَ جَوًى أَغَاضَ تَعَزِّياً
خَاضَ الْهَوَى بَحْرَىْ حِجَاهُ المزْبِدِ

١٠ عَطَفُوا الْخُدُورَ عَلَى الْبُدُورِ وَوَكَّلُوا
ظُلَمَ السُّتُورِ بِحُورِ عِينٍ نُهَّدِ

١١ وَثَنَوْا عَلَى وَشْيِ الْخُدُودِ صِيَانَةً
وَشْىَ الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدِ

١٢ أَهْلاً وَسَهْلاً بالإِمَامِ وَمَرْحَباً سَهُلَتْ حُزُونَةُ كلِّ أَمْرٍ قَرْدَدِ

---

(٨) لو غبرت : أى لو بقيت ، ويقع فى بعض النسخ بعين مهملة ، وما نراه يصح إلا بتمحل ، يقول : ما كان أحسنك وأجمل وقعك فى نفوسنا لو أنك بقيت لنا فكنا لا نقول : ما أقبح يوم برقة منشد .

(٩) أفاض : أصله من إفاضة الماء ، وأراد هنا أكثر ، والجوى : الحزن ، وأغاض: معناه قلل . والكثير فى الاستعمال «غاض الماء» إذا ذهب فى باطن الأرض، والتعزى: التصبر والتجلد، وعجز هذا البيت مما أطال النقاد القول فيه .

(١٠) الخدور : جمع خدر ، وهو البيت تكون فيه النساء ، وأرادهن بالبدور على التشبيه ، والستور : جمع ستر ، وهو الحجاب ، والحور : جمع حوراء ، والعين: جمع عيناء وهى الواسعة العين ، ويروى « بنورحور » والنهد : جمع ناهد ، وهى وهى البارزة الثدى .

(١١) ثنوا: عطفوا ، ووشى الخدود : أراد به هنا حمرتها وبياضها ، والبرود : جمع برد وهو الثوب ، ووشيها : نقشها ، ويكون من كل لون، والمسجف: المسبل.

(١٢) أهلا وسهلا ومرحباً : كلمات ترحيب ، وكل منها معمول لفعل محذوف، وتقديره : لقيت أهلا ، وحللت مكانا سهلا ، ونزلت منزلا رحبا ، أى رحيباً ، أى واسعاً ، وقوله «بالإمام» تنازعه كل واحد من هذه الثلاثة ، والحزونة : =

١٣ غَلَّ الْمَرَوْرَاةَ الصَّحَاصِحَ حَزْمُهُ	بِالْعِيسِ إِنْ قَصَدَتْ وَإِنْ لَمْ تَقْصِدِ
١٤ مُتَجَرِّدٌ ثَبْتُ الْمَوَاطِئِ عَزْمُهُ	مُتَجَرِّدٌ لِلْحَادِثِ الْمُتَجَرِّدِ
١٥ فَانْتَاشَ مِصْرَ مِنَ اللُّتَيَّا وَالَّتِي	بِتَجَاوُزٍ وَتَعَطُّفٍ وَتَغَمُّدِ
١٦ فِي دَوْلَةٍ لَحَظَ الزَّمَانُ شُعَاعَهَا	فَارْتَدَّ مُنْقَلِباً بِعَيْنَيْ أَرْمَدِ

= أصله ما غلظ الأرض، والقردد: الغليظ أيضاً، وقالوا «ركب فلان قراديد الأمر» يريدون ما غلظ وكان شاقا منه، وقال شقران:

واركب من الأمر قراديده بالحزم والقوة أو بايع

(١٣) غل: قبض وطوى، والمروراة: الفلاة، وجمعها مروريات، والصحاصح: جمع صحصح، وهو ما استوى من الأرض، وقد وصف المفرد وهو المروراة بالجمع وهو الصحاصح، وتوجيهه أن الألف واللام فى المروراة للجنس، وهو صادق بالواحد وبالاثنين وبالجمع، وقد وصف العرب المفرد بالجمع فقالوا: برمة أعشار، وثوب أخلاق، لأن للبرمة أجزاء إذا تكسرت وللثوب أجزاء يكون كل واحد منها خلقا: أى باليا، وفاعل غل هو «حزمه» ووقع فى شرح التبريزى «عزمه» ومعنى هذه العبارة أن حزمه - أو عزمه - قد جمع الفلوات والمفاوز بالعيس فصارت كلها تحت رأيه، لا تخرج عما يريد، فلم يبق فى حاجة إلى قصدها بالعيس لتمام خضوعها وانقيادها.

(١٤) يروى قوله «متجرد» بالرفع وبالنصب، فإن رويته بالرفع فهو خبر مقدم وقوله «عزمه» مبتدأ مؤخر، وإن رويته بالنصب فهو حال صاحبه «حزمه» فى البيت السابق، وعلى هذا الوجه يكون «عزمه» هنا مبتدأ خبره ما بعده.

(١٥) انتاشها: تناولها وخلصها، واللتيا والتى: كناية عن الشدة الصغيرة والشدة الكبيرة، والتجاوز: ترك المؤاخذة على ما يستحق المؤاخذة، والتعطف: العطف والإحسان، والتغمد: ستر الذنوب.

(١٦) يقول: كان الزمان يريد أن يغلبه، فلما عاينت عينه شعاع ما تجده من الدولة لم يطق أن ينظر إليها وبهره ضوؤها، فرجع بعين رمداء.

١٧ مَنْ كَانَ مَوْلِدُهُ تَقَدَّمَ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدَهَا فَكَأَنَّهُ لَمْ يُولَدِ
١٨ اللهُ يَشْهَدُ أَنَّ هَدْيَكَ لِلرِّضَا فِينَا وَيَعْلَمُ كُلُّ مَنْ لَمْ يَشْهَدِ
١٩ أَوَلِيُّ أُمَّةِ أَحْمَدٍ مَا أَحْمَدٌ بِمُضِيعِ مَا أَوْلَيْتَ أُمَّةَ أَحْمَدِ
٢٠ أَمَّا الْهُدَى فَقَدِ اقْتَدَحْتَ بِزَنْدِهِ
فِي الْعَالَمِينَ فَوَيْلُ مَنْ لَمْ يَهْتَدِ
٢١ نَحْنُ الْفِدَاءُ مِنَ الرَّدَى لِخَلِيفَةٍ بِرِضَاهُ مِنْ سُخْطِ اللَّيَالِي نَفْتَدِي
٢٢ مَلِكٌ إِذَا مَا ذِيقَ مُرُّ الْمُبْتَلَى عِنْدَ الْكَرِيهَةِ عَذْبُ مَاءِ الْمَوْرِدِ

---

(١٧) قبلها : أى قبل هذه الدولة ، أو بعدها : أى تأخر مولده فجاء بعد هذه الدولة ، يقول : من لم يعاصر هذه الدولة ويعش فى زمنها الرغد الناضر — إما لأنه تقدم مولده عليها ، وإما لأنه سيولد بعدها — فلا يعد موجوداً .

(١٨) للرضا : يعنى أنه واقع موضع الرضا ، يريد أن هديه مرضى.

(١٩) «ما » فى قوله «ما أحمد » نافية ، يريد أن حسن سيرته وجميل ما أولاه رعيته التى هى أمة النبى صلى الله عليه وسلم لا يضيع عنده ، ووضع الاسم الظاهر موضع الضمير — إذ كان حق العبارة أن يقول : ما أحمد بمضيع ما أوليت أمته — تبركا باسم النبى ، وتفخيما للعبارة .

(٢٠) الهدى ، هنا : الطريق ، والمراد طريق الدين ، ويقال : قدح الزند ، إذا أورى به ناراً ، يقول : لقد بينت للناس الطريق الذى يجب عليهم أن يسلكوه وأظهرت معالمه ، فويل لمن لم يهتد بعد ذلك .

(٢١) الردى : الهلاك ، يقول : نحن نفدى الخليفة بأنفسنا ونجعل رضاه علينا وقاية لنا من سخط الليالى ، فإذا تم لنا رضاه لم نبال بالليالى ، لأنها لا تجسر على فعل مالا نحب .

(٢٢) « مر المبتلى » صفة أولى لملك ، و « عذب ماء المورد » صفة ثانية ، والمبتلى : مصدر ميمى بمعنى الابتلاء وهو الاختبار .

٢٣ هَدَمَتْ مَسَاعِيهِ الْمَسَاعِيَ فَابْتَنَتْ
خِطَطَ الْمَكَارِمِ فِي عِرَاصِ الْفَرْقَدِ
٢٤ سَبَقَتْ خُطَا الأيامِ عُمْرِياتُهَا وَمَضَتْ فَصَارَتْ مُسْنَداً لِلْمُسْنَدِ
٢٥ مَازَالَ يَمْتَحِنُ الْعُلَا وَيَرُوضُهَا حَتَّى اتَّقَتْهُ بِكِيمِيَاءِ السُّودَدِ
٢٦ فَكَأَنَّمَا ظَفِرَتْ يَدَاهُ بِالْمُنَى أَسْرًا إِذَا ظَفِرَتْ يَدَاهُ بِمُجْتَدِ
٢٧ سَخِطَتْ لُهَاهُ عَلَى جِدَاهُ سَخْطَةً
فَاسْتَرْفَدَتْ أَقْصَى رِضَا الْمُسْتَرْفِدِ

---

(٢٣) المساعى : جمع مسعاة . وهى الخصلة من خصال المجد يسعى الإنسان لتحصيلها ، والخطط : جمع خطة ـ بكسر الخاء ـ وهى الأرض تنزلها ولم ينزلها أحد قبلك ، وهى أيضا كل شى أخذته لنفسك وحظرته على غيرك .

(٢٤) عمرياتها : جمع عمرية ، وهى القديمة أوالتى طال عمره منها ، والضمير يعود إلى مساعيه ، والمسند الأول معناه السند ، والمسند الثانى معناه الدهر ، يقول : إن مساعى الممدوح قديمة طويلة العمر وإنهاهى السند الذى يستند إليه الدهر حين يتحدث عن مساعي الرجال وما قدموه من جلائل الأعمال ، ويروى « وبقت فصارت » اى بقيت ، وهذه لغة طيء .

(٢٥) ويروضها : يسهلها ويذللها ، وكيمياء السؤدد : أراد سر السؤددوخالصه وجوهره الذى عنه يصدر ، وقد أكثر النقاد من استكراه هذه الكلمة .

(٢٦) أسرا تحتمل هذه الكلمة معنيين ، الأول أن تكون بمعنى قولك جميعاً ، من قولهم « أخذ فلان الشيء بأسره » إذا أخذه كله ولم يبق منه شيئاً ، والثانى أن تكون مصدر قولك « أسرت الأسير أسراً » يقول: إن المنى كلها عنده وطوع يديه ، فكل من يطلب منه شيئاً يمنحه إياه من غير تكلف ولا جهد .

(٢٧) اللهى : العطايا ، والجدى ـ بوزن الفتى ـ الغنى والثروة ، وأصل معنى « استرفدت » طلبت أن يكون لها رفداً ، يقول : سخطت عطاياه على غناه وثروته فاسترفدت غاية رضا الطالبين ، يعنى طلبت أن يكون رضا طالب العطاء رفداً لها ومعيناً على تبديد ثروته فى الكرم .

٢٨ صَدَمَتْ مَوَاهِبُهُ النَّوائبَ صَدْمَةً
شَغَبَتْ عَلَى شَغَبِ الزَّمَانِ الأَنْكَدِ

٢٩ وَطِئَتْ حُزُونَ الجُودِ حَتَّى خِلْتَها
فَجَرَتْ عُيُوناً فِي مُتُونِ الجَلْمَدِ

٣٠ وأَرَى لأُمُورَ المُشْكِلاتِ تَمَزَّقَتْ ظُلُمَاتُهَا عَنْ رَأْيِكَ المُتَوَقِّدِ

٣١ عَنْ مِثْلِ نَصْلِ السَّيْفِ إِلاَّ أَنَّهُ مُذْ سُلَّ أَوَّلَ سَلَّةٍ لَمْ يُغْمَدِ

٣٢ فَبَسَطْتَ أَزْهَرَهَا بِوَجْهٍ أَزْهَرٍ وَقَبَضْتَ أَرْبَدَهَا بِوَجْهٍ أَرْبَدِ

---

(٢٨) يروى صدر هذا البيت « صدم النوائب بالرغائب صدمة » ومعنى « شغبت » احتدت .

(٢٩) الحزون : جمع حزن ، وهو فى الأصل ما غلظ من الأرض وصعب السير فيه ، ورواية التبريزى « وطئت حزون الأرض » والضمير المستتر فى « وطئت » يعود إلى مواهبه فى البيت ٢٨ السابق .

(٣٠) يروى « وأرى الأمور المشكلات توقدت » ورأيك المتوقد : الذى لا تتعسر عليه مشكلة ولا يغيب عنه حل .

(٣١) هذا فى وصف رأيه ، جعله مثل السيف لأنه نافذ فى المشكلات نفاذ السيف فى ضريبته ، وجعله مسلولا على الدوام كناية عن كثرة المشكلات وأنه لا يزال يعالجها .

(٣٢) الضمير فى « أزهرها » يعود إلى الأمور المشكلات المذكورة من قبل فى البيت ٣٠ وأراد بأزهرها العدل ، والوجه الأزهر : الأبيض المشرق ، والأربد : الذى لونه الربدة وهى شبه لون التراب ، وأراد أنه أزال القحط والجدب بوجه عابس . يقول : لقد بسطت العدل الذى هو أزهر مضىء بوجه مشرق ، وأزلت الجدب الذى هو أربد بوجه عابس ، ولعمرى لماذا يكون وجه الذى يزيل الجدب عابسا ؟ ألا يشرق وجهه بإزالة غمة وتفريج كربة .

٣٣ مَازِلْتَ تَرْغَبُ فِي النَّدَى حَتَّى بَدَتْ
لِلرَّاغِبِينَ زَهَادَةٌ فِي الْمَسْجَدِ

٣٤ لَوْ يَعْلَمُ الْعَافُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى
مِنْ فَرْحَةٍ وَقَرِيحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ

٣٥ وكَأَنَّمَا نَافَسْتَ قَدْرَكَ حَظَّهُ وَحَسَدْتَ نَفْسَكَ حِينَ أَنْ لَمْ تُحْسَدِ

٣٦ فَإِذَا ابْتَنَيْتَ بِجُودِ يَوْمِكَ مَفْخَراً
عَصَفَتْ بِهِ أَرْوَاحُ جُودِكَ فِي غَدِ

٣٧ وَبَلَغْتَ مَجْهُودَ الْخَلَائِقِ آخِذًا فِيهَا بِشَأْوِ خَلَائِقٍ لَمْ تُجْهَدِ

---

(٣٣) بدت : ظهرت ، وفاعله قوله « زهادة » ورواية التبريزى « مازلت ترغب فى العلا » يقول : لم يزل دأبك العمل على ابتناء صرح العلا فتعطى الجزيل وتمنح العسجد ، حتى كثر العسجد فى أيدى الناس حتى ظهرت منهم الزهادة فيه ، ويجوز أن يكون المعنى أن الذين رأوك حريصا على ابتناء العلا استنوا بسنتك ورغبوا فى مثل صنيعك ، فزهدوا فى العسجد ، ومنحوا الناس كما تمنح أنت ، وهذا المعنى أضعف من الأول .

(٣٤) العافون : جمع عاف ، وهو المتعرض للجود ، يقول : أنت تعطى لأنك تلذ طعم العطاء ، ولأن العطاء سجية من سجاياك التى لا تفارقك ، حتى لو أن طالبى معروفك المتعرضين له يعلمون ما تجده من رضا النفس بالعطاء لم يحمدوك على عطاياك لأنك تصنع ذلك تحصيلا للذة نفسك ، وأصل هذا البيت مأخوذ من قول المأمون « إنى لأعشق العفو حتى أظن أنى لا أوجر عليه » .

(٣٥) يقول : إنك لا تصل إلى درجة من درجات المجد إلا ارتقت همتك إلى طلب ما هو أرفع منها ، ولا تدرك خصلة رفيعة من خصال السؤدد إلا وتطلب ما هو أسمى منها ، فكأنك تنافس نفسك وتباريها كما ينافس المرء حاسده ويباريه ويؤيد ذلك المعنى ويوضحه البيت التالى ٣٦ .

(٣٦) سقط هذا البيت من إحدى مطبوعتى بيروت .

(٣٧) المجهود : كل شىء عظمت مشقته ؛ فلا ينال إلا بصعوبة ، ويروى =

٣٨ فَلَوَيْتَ بِالمَوْعُودِ أَعْنَاقَ الوَرَى
وَحَطَمْتَ بِالإِنْجَازِ ظَهْرَ المَوْعِـــــدِ

٣٩ خَابَ امْرُؤٌ نَحِسَ الزَّمَانُ لِسَعْيِهِ فَأَقَامَ عَنْكَ وَأَنْتَ سَعْدُ الأَسْعُدِ

٤٠ ذَاكَ الَّذِي قَرِحَتْ بُطُونُ جُفُونِهِ
مَرَهاً وَتُرْبَةُ أَرْضِهِ مِنْ إِثْمِـــــدِ

= « مجهود الحوادث » كما روى فى الصف الثانى « بشأو خليقة » والخليقة : السجية والخلق ، والخلائق جمعه ، وقد يكون معنى الخليقة المخلوقين ، أى الناس أجمعين ، ولكن المعنى الأول عندنا أحسن ، يقول : لقد بلغت من كل خليقة وسجية المنزلة التى لا يبلغها أحد إلا بالجهد الجاهد ، ولم تتكلف لذلك ولا نالك فيه مشقة .

(٣٨) يقول: إنك عطفت أعناق الناس نحوك، بسبب ماوعدتهم من الإحسان إليهم والرفق بهم ، ولم تبطىء عليهم فى إنجاز الذى وعدتهم ، بل عجلت الإنجاز وأزلت الموعد بتحقيق ما وعدت ، ويروى « فلويت بالموعود أعناق المنى » .

(٣٩) نحس الزمان لسعيه : يروى « نحس » بوزن تعس وفرح ، ويروى هذا الفعل بالبناء المجهول ، والمعنى صار الزمان نحسا بسبب سعيه ، أو أن الزمان صير أعماله نحسات ، ويروى « نحس الليالى سعيه » ويروى « نحس الزمان جدوده » ويروى « خاب الزمان لسعيه » وأقام عنك : أى تأخر عنك ولم يلحق بك .

(٤٠) قرحت بطون جفونه : أصيبت بالقرحة ، والمره : فقدان الكحل ، وهو مفعول لأجله ، والواو فى قوله « وتربة أرضه » واو الحال ، والإثمد : ضرب من الكحل ، واختلف فى أنه عربى أصيل ، لكن وزنه من الأوزان العربية . يقول : إن هذا الرجل الذى نحس الزمان جدوده فقعد ولم يلحق بك يشبه الذى أصيبت عينه بقرحة بسبب عدم استعمال الكحل مع أن تراب أرضه من كحل ، يريد أنه كان من اليسير على هذا الرجل أن يعالج نحسه بالوفود عليك .

٤١ هٰذَا أَمِينَ اللهِ آخِرُ مَصْدَرٍ شَجِيَ الظَّمَاءُ بِهِ وأولُ مَوْرِدِ
٤٢ وَوَسِيلَتِي فِيهَا إِلَيْكَ طَرِيفَةٌ شَامٍ يَدِينُ بِحُبِّ آلِ مُحَمَّدِ
٤٣ نِيطَتْ قَلَائِدُ ظَرْفِهِ بِمُحَبِّرٍ مُتَدَمْشِقٍ مُتَكَوِّفٍ مُتَبَغْدِدِ
٤٤ حَتَّى لَقَدْ ظَنَّ الْغُوَاةُ وَبَاطِلٌ أَنِّي تَجَسَّمَ فِيَّ رُوحُ السَّيِّدِ

(٤١) أمين الله : نداء اعترض به بين المبتدأ والخبر ، وشجى : أصله من قولهم «شجى الرجل بريقه» إذا غص به، وفى مثل من أمثالهم «فى حلقكم عظم وقد شجينا» ويستعمل فى معنى الحزن والقهر ، والمورد : الإقبال على الماء للاستقاء منه يقول : يا أمين الله ، إنى لم ألقك قبل هذا اليوم ، وإنى لأعتقد أن هذا آخر أيام الشقاء، وهو أول موارد السعادة ؛ لأنك ستجود على بما يرويني فلا أظمأ بعده أبدا .

(٤٢) طريفة : غريبة لا عهد للناس بها ، وشام : أراد شاميا أو شآميا ، أى منسوبا إلى الشام ، وضرب ذلك مثلا ، أى أن طرافة وسيلتى وغرابتها تشبه طرافة رجل شامى يدين بحب آل محمد ، وذلك لأن هوى أهل الشام كان مع بنى أمية وهم ضد على كرم الله وجهه وهو ابن عم الرسول .

(٤٣) نيطت : علقت ، والقلائد : جمع قلادة وهى ما يلبس فى العنق من الحلى ، ويروى التبريزى « قلائد عزمه » ومحبر : أى برجل يحبر القصائد ويزينها ، ويحسنها ، ويقع فى بعض النسخ بمحير بالياء المثناة ، ويراد به الساكن فى الحيرة ، والمتكوف : ساكن الكوفة ، والمتدمشق : ساكن دمشق ، والمتبغدد : ساكن بغداد، وأحسن ما تحمل عليه هذه الألفاظ أن يكون أراد أن شعره لجودته قد طاف الآفاق وجاب البلاد .

(٤٤) أراد بالسيد السيد الحميرى ، واسمه إسماعيل بن محمد ، وكان - فيما يذكرون - كيسانى النحلة ، ممن ينتظرون خروج محمد بن الحنفية (وانظر ترجمته فى الأغانى فى مطلع الجزء السابع مطبوعة بولاق ، وفى ٧/٢٣١ ط الدار ، وفى مختار الأغانى لابن منظور ١/٢٢٩) والغواة : جمع غاو ، ونظيره قاض وقضاة ووال وولاة وداع ودعاة ، وقوله « وباطل » يقع خبر مبتدأ محذوف ، أى وهذا باطل ، وجملة هذا الخبر ومبتدئه معترضة بين ظن ومعموله .

٤٥ وَمُزَحْزِحَاتِى عَنْ ذَرَاكَ عَوَائِقٌ أَصْحَرْنَ بِى لِلْعَنْقَفِيرِ الْمُؤْيِدِ
٤٦ وَمَتَى يُخَيِّمُ فِى الْفُؤَادِ عَنَاؤُهَا فَغَنَاؤُهَا يَطْوِى الْمَرَاحِلَ بِالْيَدِ

* * *

(٤٥) ذرى كل شىء ـ بفتح الذال ـ ناحيته وجهته ، وأصحرن بى : أى أخرجننى إلى الصحراء ، وتقول « أصحر القوم » إذا كان أصلهم فى حصن أو شعب جبل فخرجوا منه إلى الأرض الواسعة ، والعنقفير : الداهية ، والمؤيد : الذى يشق احتماله ، وقال طرفة بن العبد (البيت ٨٨ من معلقته) :

يقول وقد تر الوظيف وساقها : ألست ترى أن قد أتيت بمؤيد

(٤٦) يخيم : يقيم ، والضمير فى « عناؤها » يعود إلى العوائق فى البيت ٤٥ ، وغناؤها ـ بالغين المعجمة ـ كفايتها ، وقوله « غناؤها » مبتدأ ، خبره جملة « يطوى المراحل » وقوله « فى اليد » يتعلق بيطوى ، يعنى أنه يعد لى المراحل التى بينى وبينك على أصابع يدى ، وهذا مما لاتطوى به المراحل . ويروى « ومتى تخيم فى الفؤاد عناؤها » يقول : زحزحنى عن ذراك عوائق وأمان قد أقام عناؤها فى القلب لايبرحه وغناؤها لايصل إلى.

* * *

(٥٢)

وقال يمدحُ أبا العبَّاس نَصْرَ بنَ منصورِ بنِ بَسّام :

١ أأطلالَ هِنْدٍ ساءَ مَا اعتَضْتِ مِنْ هِنْدِ
أقَايَضْتِ حُورَ العِينِ بِالعُورِ وَالرُّبْدِ ؟

٢ إذَا شِئْنَ بِالألْوَانِ كُنَّ عِصَابَةً
مِنَ الهِنْدِ وَالآذَانِ كُنَّ مِنَ الصُّغْدِ

---

(٥٢)

اتفقت جميع نسخ الديوان على رواية هذه القصيدة تالية للقصيدة السابقة التي قيل إنه يمدح فيها المأمون ، وعلى عدد أبياتها وترتيبها ، وهي في نسخة التبريزي برقم ٤٩ .

(١) الأطلال : جمع طلل ، وهو ما بقي من آثار الديار مرتفعا عن الأرض ، أما الرسم فهو مابقي لاصقا بها، اعتضت : أخذته عوضا ، وقايضت : بادلت ، وذلك أن تعطى شيأ وتأخذ شيئا آخر بدلا منه ، والحور: جمع حوراء ، وهي التي اشتد سواد سواد عينها واشتد بياض بياضها ، والعين : جمع عيناء وهي واسعة العين ، والعور : جمع عوراء ، وهي ذاهبة إحدى العينين ، ويروى « بالعون » ويحتمل هذا اللفظ أن يكون جمع عانة وهي جماعة حمر الوحش ، ويحتمل أن يكون جمع عوان ، وهي الأتان التي قد حملت مرة بعد مرة ، والربد : جمع ربداء ، وهي التي لونها الربدة - بضم الراء وسكون الباء - وهي غبرة تميل إلى السواد ، ويروى « بالأعين الرمد » جمع رمداء ، وهي التي أصابها الرمد ، يقول : أأخذت العون الربد من بقر الوحش عوضا عن الحور العين من النساء ، وحكم على هذا بأنه بدل سيء .

(٢) الضمير في « شئن » يعود إلى ماذكره في البيت السابق على أنه سكن ديار أحبائه بعد ارتحالهم عنها ، وأسند فعل المشيئة إليها تجوزا ، ومعنى هذا البيت أن سكان هذه الديار يميل لونهم إلى السواد الذي هو لون أهل الهند ، وأن آذانهم =

٣ لَعُجْنَا عَلَيْكِ الْعِيسَ بَعْدَ مَعَاجِهَا
عَلَى الْبِيضِ أَتْرَابًا عَلَى النُّؤْيِ وَالْوَدِّ

٤ فَلاَ دَمْعَ مَالَمْ يَجْرِ فِي إِثْرِهِ دَمٌ
وَلاَ وَجْدَ مَالَمْ تَعْىَ عَنْ صِفَةِ الْوَجْدِ

٥ وَمَقْدُودَةٍ رُودٍ تَكَادُ تَقُدُّهَا إِصَابَتُهَا بِالعَيْنِ مِنْ حَسَنِ الْقَدِّ

= صغيرة كأهل الصغد ، قال الشراح: إنه أراد الظلمان جمع ظليم وأصله ذكر النعام ، وهذا التفسير ليس بشيء ، لأن كلامه فى البيت السابق عن حمر الوحش ، ولأن الظلمان لا آذان لها بتة ، ولهـذا اضطر قوم إلى أن يقولوا : إن ملـكا من الملوك أنزل قوما من الصغد على حكمه ، ثم اصطلم آذانهم ، فأبو تمام يعنى بالصغد هؤلاء الذين قطعت آذانهم ، وبقى النقد الأول ، والصغد : أهل بلاد منها سمرقند .

(٣) عجنا : عطفنا وأملنا ، واللام لام جواب قسم محذوف ، وتقدير الـكلام : والله لقد عجنا ، ويروى « أعجنا » بهمزة استفهام بدل اللام ، والعيس : جمع أعيس أو عيساء ، وأراد بها الإبل ، ومعاجها : مصدر ميمى ، والأتراب : جمع ترب ـ بكسر التاء وسكون الراء ـ وهى المساوية فى السن ، وموقع « أترابا » نصب على الحال من البيض ، والنؤى : حفيرة تحفر حول الدور والخيام لينزل فيها ماء المطر ، والود : الوتد ، و « على النؤى » يتعلق بعجنا فى أول البيت ، والتقدير : لقد عجنا العيس على النؤى والوتد بعد أن كانت تعوج على النساء البيض المتساويات فى أسنانهن .

(٤) يقول : إنك لاتقضى حق هذه الديار التى كنت تلقى فيها من تحب إلا أن تبكى دما بعد بكائك دمعا ، وإلا إذا عجز لسانك عن وصف ماتلاقيه من الوجد ، ويروى « فلا دمع أو يعفو على إثره دم » ومعناها : إنك لاتعد باكيا إلا إذا نزل من عينيك دم فمحا أثر الدموع .

(٥) المقدودة : الحسنة القد ، والرؤد ـ بضم الراء وسكون الهمزة ، وقد تخفف الهمزة فتقلب واوا ، كما تقول سول فى سؤل ـ وهى المتثنية ، يريد اللدنة القوام ، والإضافة فى « حسن القد » من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أى من القد الحسن ، ومعنى العبارة : تكاد تقطعها نصفين إصابتها بالعين من حسن قدها ، وزعم المرزوقى أن المعنى أنها متنعمة يؤذيها أن ترفع عينيها إلى رجل حسن القد ، فضلا عن غيره ، ولا ندرى كيف توصل من ألفاظ البيت إلى هذا المعنى .

٦ تُعَصْفِرُ خَدَّيْهَا العُيُونُ بِحُمْرَةٍ
إذَا وَرَدَتْ كَانَتْ وَبَالاً عَلَى الوَرْدِ

٧ إذَا زَهَّدَتْنِي فِى الهَوَى خِيفَةُ الرَّدَى
جَلَتْ لِيَ عَنْ وَجْهٍ يُزَهِّدُ فِى الزُّهْدِ

٨ وَقَفْتُ بِهَا اللَّذَّاتِ فِى مُتَنَفَّسٍ
مِنَ الغَيْثِ يَسْقِى رَوْضَةً فِى ثَرَى جَعْدِ

٩ وَصَفْرَاءَ أحْدَقْنَا بِهَا فِى حَدَائِقٍ تَجُودُ مِنَ الأثمَارِ بالثَّمْدِ والمَعْدِ

١٠ بِقَاعِيَّةٍ تَجْرِى عَلَيْنَا كُؤُوسُهَا
فَنُبْدِى الَّذِى نُخْفِى ونُخْفِى الَّذِى نُبْدِى

---

(٧) وقع فى الصرية « إذا زهدتنى فى الورى » و « خيفة الردى » : تقرأ بالرفع على أنها فاعل زهدتنى ، وتقرأ بالنصب على أن الفاعل ضمير المحبوبة وخيفة مفعول لأجله ، وهذا أحسن ، والردى : الهلاك ، وجلت : كشفت ، وفاعله ضمير مستتر يعود إلى المحبوبة ، يقول : إنها تزهدنى فى الحب لما يتبعه من الوجد وألم الفراق ، ثم تكشف لى عن وجه يميل بى إلى العشق وعدم المبالاة بما يكون معه من الأشواق المضنية والآلام المبرحة .

(٨) وقفت : أصل معناه حبست ، ويراد منه ملكت ، والمتنفس ـ بفتح الفاء المشددة ـ موضع التنفس ، ومتنفس الغيث هو الرياض ، يقول : ملكت لذات الدنيا كلها بسبب لقائى بهذه المرأة فى روضة يتنفس فيها المطر فيهيج رائحة الزهور وينشرها .

(٩) صفراء : عنى بها الخمر ، بدليل الأوصاف التى ذكرها فى البيت الذى يليه ، وأحدقنا بها : التففنا حولها ، والأثمار : جمع ثمر ، والثمد : ماكان من الطلع ودخله الإرطاب ، والمعد : كل ماأدرك من التمر ، والأكثر فى الاستعمال أن يقال « ثمد معد » بضم أحدهما إلى الآخر من غير عطف .

(١٠) بقاعية : منسوبة إلى البقاع ، وهوموضع معروف بالشام ، ونبدى : نظهر ، ونخفى: نستر ونكتم ، يريد أنهم إذا شربوها أظهروا ماكانوا يكتمون من الخلاعة وذاعت أسرارهم ، وستروا ماكانوا يظهرون من الوقار ونحوه .

١١ بِمَصْرِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ بَسَّامٍ انفَرَى

لَنَا شَظَفُ الأَيَّامِ عَنْ عِيشَةٍ رَغْدِ

١٢ أَلاَ لاَ يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفًّا بِسَيِّءٍ إِلَى مُجْتَدِي نَصْرٍ فَتُقْطَعَ لِلزَّنْدِ

١٣ بِسَيْبِ أَبِي العَبَّاسِ بُدِّلَ أَزْلُنَا بِخَفْضٍ ، وَصِرْنَا بَعْدَ جَذْرٍ إِلَى مَدِّ

١٤ غَنِيتُ بِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ ، وَحُوِّلَتْ عِجَافُ رِكَابِي مِنْ سُعَيْدٍ إِلَى سَعْدِ

١٥ لَهُ خُلُقٌ سَهْلٌ وَنَفْسٌ طِبَاعُهَا لَيَانٌ ، وَلَكِنْ عَزْمُهُ مِنْ صَفَا صَلْدِ

---

(١١) انفرى : أصل معناه انشق ، والشظف : خشونة العيش وضيقه وشدته ، والرغد : السعة والبلهنية . وفى المصرية « فى عيشة رغد » .

(١٢) مجتدى نصر : طالب عطائه ، وقوله « فتقطع للزند » منصوب على أنه جواب النهى ، ورواها التبريزى « فتقطع من الزند » بجزم تقطع للضرورة ، ولا داعى له بعد ثبوت الرواية على ما جاء فى الأصل .

(١٣) السيب : العطاء ، وأبو العباس : كنية الممدوح ، والأزل : الضيق والشدة ، والخفض : النعمة ، وأصل الجزر انحسار الماء وانخفاضه ، وأصل المد فيضان الماء حتى يغطى شاطىء البحر ، وقد ضرب الجزر مثلا للضيق والمد مثلا للسعة وماصاروا إليه من نعيم ، وفى المصرية « بجود أبى العباس » .

(١٤) يروى « وبدلت » فى مكان « وحولت » والعجاف : جمع عجفى وهى المهزولة الضعيفة ، وقوله «من سعيد إلى سعد» أشار به إلى قولهم فى مثل «انج سعد فقد هلك سعيد » وقائله ضبة بن أد ، وكان له ولدان اسم أحدهما سعد واسم الآخر سعيد — على التصغير — فسافر سعيد فلم يعد ، فلما طالت غيبته أهتر أبوه ، فكان كلما رأى شخصا من بعيد قال : أسعد أم سعيد ، فسار هذا مثلا فى الشر والخير ، يريد أبو تمام أنه تحول من حال هلكة إلى حال نجاة .

(١٥) روى التبريزى « ولكن عرضه من صفا صلد » ويروى « ولكن عرضها » فيعود الضمير إلى النفس ، وما فى الأصل خير من هاتين الروايتين .

١٦ رَأَيْتُ اللَّيَالِى قَدْ تَغَيَّرَ عَهْدُهَا
فَلَمَّا تَرَاءَى لِى رَجَعْنَ إِلَى الْمَهْدِ

١٧ أَسَائِلَ نَصْرٍ لاَ تَسَلْهُ فَإِنَّهُ
أَحَنُّ إِلَى الْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرِّفْدِ

١٨ فَتًى لاَ يُبَالِى حِينَ تَجْتَمِـعُ الْعُلَى
لَهُ أَنْ يَكُونَ الْمَالُ فِى السُّحْقِ وَالْبُعْدِ

---

(١٦) أتى بالليالى ساكنة الياء مع أنها مفعول ، والفتحة تظهر على الياء لخفتها ، والشعراء يصنعون هذا كثيرا ، يقول : كانت الليالى سعيدة ثم تغير سعدها فصار شقاء ، فلما رأيته رجعت بى الأيام إلى سابق عهدها .

(١٧) الهمزة فى قوله « أسائل نصر » للنداء ، مثلها فى قول امرىء القيس ابن حجر :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى

ولا تسله : أى لا تسأله ، والكثير فى استعمال العرب أن تحذف الهمزة من أمر هذا الفعل إذا لم يقترن بحرف عطف نحو قوله تعالى (سل بنى إسرائيل) وتبقى الهمزة فى الأمر المقترن بحرف العطف نحو قوله تعالى (الرحمن فاسأل به خبيرا) كما تبقى فى المضارع نحو قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) إلا أن من العرب من يسهل الهمزة فى جميع الأحوال فيقول : سال يسال ـ على مثال خاف يخاف ـ فهؤلاء يحذفون الألف المسهلة عن الهمزة فى المضارع المجزوم وفى الأمر ، فيقولون « لا تسل » كما يقول جميعهم : لا تخف ، ويقولون « سل » كما يقول جميعهم : خف ، فأحسن الوجوه أن يكون أبو تمام قد جاء بهذه الكلمة على لغة هؤلاء .

(١٨) السحق : هو البعد وزنا ومعنى ، يعنى أنه لا يكترث بالمال ، ولا يلقى له بالا إذا أدرك ما يريد من خصال المجد والسؤدد ، وإنما طبعه أنه يبذل ماله لسائليه قصد ثنائهم عليه .

١٩ فَتًى جُودُهُ طَبْعٌ فَلَيْسَ بِحافِلٍ
أَفِي الْجَوْرِ كَانَ الْجُودُ مِنْهُ أَمِ الْقَصْدِ

٢٠ إِذَا مَخَضَتْهُ الحادِثَاتُ بِشَكْبَةٍ مَخَضْنَ سِقَاءً مِنْهُ لَيْسَ بِذِي زُبْدِ

٢١ وَنَبَّهْنَ مِثْلَ السَّيْفِ لَوْ لَمْ تَسُلَّهُ يَدَانِ لَسَلَّتْهُ ظُبَاهُ مِنَ الْغِمْدِ

٢٢ سَأَحْمَدُ نَصْراً مَا حَيِيتُ وَإِنَّنِي لأَعْلَمُ أَنْ قَدْ جَلَّ نَصْرٌ عَنِ الْحَمْدِ

٢٣ تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي ، وَأَثْرَتْ بِهِ يَدِي
وَفَاضَ بِهِ ثَمْدِي ، وَأَوْرَى بِهِ زَنْدِي

٢٤ فَإِنْ يَكُ أَرْبَى عَفْوُ شُكْرِي عَلَى نَدَى
أُنَاسٍ فَقَدْ أَرْبَى نَدَاهُ عَلَى جُهْدِي

---

(١٩) يروى « فتى طبعه جود » وليس بحافل : أى ليس بمكترث ولا مبال ، وأراد بأن جوده فى الجور أنه لم يقع موقعه ولم يعط من يستحقه وحده ، وأراد بأنه فى القصد أنه وقع فى موقعه وأعطى من يستحقه .

(٢٠) روى التبريزى « إذا طرقته الحادثات » وما فى الأصل أقرب إلى صنعة أبى تمام ، وقد ضرب هذا الكلام مثلا لصبر الممدوح على أحداث الزمان وحسن ثباته ورباطة جأشه . يقول : إنه لا يعطى الحوادث ما تريد منه من الخضوع والاستكانة .

(٢١) النون فى « نبهن » تعود إلى الحادثات ، ومثل السيف : أى فى المضاء والعزيمة النافذة ، وظبى السيف : جمع ظبة ، وهى حده ، وقوله « لو لم تسله ـ إلخ » أراد أن هذا السيف ماض قاطع ، وأنه إذا لم يخرج من الغمد أكل جفنه ـ وهو غمده ـ لشدة حده .

(٢٣) تجلى : انكشف ، وفاض : كثر ، والثمد : القليل من الماء ، وقوله « وأورى به زندى » ضربه مثلا لكونه أدرك به كل ما كان يسعى لإدراكه .

(٢٤) أربى : زاد ، وعفو شكرى : ما يأتى عفوا من غير قصد ، والندى : الجود والعطاء ، يقول : إذا كان شكرى الذى أنطق به بغير جهد ومشقة يزيد على =

٢٥ وَمَا زَالَ مَنْشُورًا عَلَيَّ نَوَالُهُ ... وَعِنْدِيَ حَتَّى قَدْ بَقِيتُ بِلَا عِنْدِ

٢٦ وَقَصَّرَ قَوْلِي عَنْهُ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَى ... أَقُولُ فَأُشْجِي أُمَّةً وَأَنَا وَحْدِي

٢٧ بَغَيْتُ بِشِعْرِي فَاعْتَلَاهُ بِبَذْلِهِ ... فَلَا يَبْغِ فِي شِعْرٍ لَهُ أَحَدٌ بَعْدِي

* * *

= ما يستحقه غير هذا الممدوح ، فإن فكرى الذى أبلغ فى تحبير عبارته وتجويد معانيه يقصر عن إيفائه ما يستحقه ، وهذا بيان لما أراد به بيت ٢٢ من أنه جل عن الحمد ، يعنى أن استحقاقه لحمد الحامدين منزلة لا يقدرون على بلوغها .

(٢٥) أحسن ما يحمل عليه هذا البيت أن يكون قد أراد أن هذا الممدوح مازال يعطينى ويمنحنى حتى أصبحت لا أحتاج شيئا ولا أجد موضعا يحتاج إلى فضله ، يعنى أنه لا سبيل إلى قبول زيادة على ما نالنى منه ، ويروى « فقد أربى نداك على جهدى » .

(٢٦) هذا البيت تأكيد لمعنى البيت ٢٤ ، وأشجى أمة : أى أغصهم وأخصمهم بقول : إننى غير قادر على أن أقول الكلام الذى يستحقه ، وليس هذا عن عى ولا ضعف ، فقد عهدنى الناس وأنا أقول القول الذى يغص الجمع الكثير بريقهم ويقطعهم عن الإتيان بمثله .

(٢٧) بغيت : من البغى وهو مجاوزة الحد ، يقول : كنت أزهى بشعرى ، وأستطيل على الناس به ، وأعتد بقدرتى عليه ، ولكن هذا الممدوح قهرنى ببذله وعطائه فجعلنى أتطامن وأعلن العجز عن بلوغ ما أريد من القول المكافىء لصنيعه فلا ينبغى لأحد بعدى أن يستطيل بشعره ؛ لأنه إذا قهر بعطائه مثلى - مع كل ما يعرف عنى من القدرة والكفاية ، ومع طواعية الشعر لى وانقياده - فلن يستطيع أحد أن يصمد له .

* * *

(٥٣)

وقال يمدح محمد بن الهيثم بن شبابة :

١ قِفُوا جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بِالمَعَاهِدِ وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدَانِ نَاشِدِ

٢ لَقَدْ أَطْرَقَ الرَّبْعُ المُحِيلُ لِفَقْدِهِمْ وَبَيْنِهِمِ إِطْرَاقَ ثَكْلَانَ فَاقِدِ

٣ وَأَبْقَوْا لِضَيْفِ الحُزْنِ مِنِّيَ بَعْدَهُمْ
قِرًى مِنْ جَوًى سَارٍ وَطَيْفٍ مُعَاوِدِ

(٥٣)

اتفقت جميع نسخ الديوان على رواية هذه القصيدة تالية للقصيدة السابقة ، وعلى عدد أبياتها ، وعلى ترتيبها ، وسنذكر - على عادتنا - اختلاف النسخ فى بعض الألفاظ مع شرح أبياتها ، وهى فى شرح التبريزى برقم ٥٠ ، ووقع عند التبريزى فى نسب الممدوح « بن شبانة » .

(١) المعاهد: جمع معهد وهو المكان الذى كنت تعهد فيه خلصانك: أى تلقاهم ، وسمع : يتعدى مرة بنفسه نحو قوله تعالى (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله ، والله يسمع تحاوركما) ويتعدى مرة باللام نحو قول المصلى « سمع الله لمن حمده » ونشدان : مصدر نشد الضالة ينشدها ، إذا طلبها .

(٢) أصل معنى « أطرق الرجل » ألقى عينه إلى الأرض وأدام نظره ، وإنما يفعل ذلك إذا حزن أو تحير ، واستعاره أبو تمام للربع على معنى أنه قد علته كآبة لارتحال ساكنيه عنه ، والبين : الفراق ، والثكلان : الذى فقد ولده ، يقال : رجل ثاكل ، وثكلان ، وامرأة ثاكل ، وثكول ، وثكلى ، وثكلانة ، وهذه الأخيرة قليلة .

(٣) يروى « لضيف الشوق » ويروى «وأبقوا لضيف الحزن من بعد بينهم » والقرى - بكسر القاف مقصورا - مايقدم للضيف من الألطاف ، والجوى : الحزن مع حرقة الباطن ، والطيف : الخيال الذى يزورك فى المنام ، والمعاود : الذى يأتى مرة بعد مرة ، يقول : أبقى هؤلاء الأحبة - بعد رحيلهم - عندى ضيف حزن أقدم له الجوى الذى يسرى إلى والطيف الذى يعاودنى فلا أستقر فى مضجعى .

٤ سَقَتْهُ ذُعَافًا عَادَةُ الدَّهْرِ فِيهِمُ   وَسُمُّ اللَّيَالِي فَوْقَ سُمِّ الأَسَاوِدِ

٥ بِهِ عِلَّةٌ صَمَّاءُ لِلْبَيْنِ لَمْ تُصِخْ   لِبُرْءٍ ، وَلَمْ تُوجِبْ عِيَادَةَ عَائِدِ

٦ وَفِي الْكِلَّةِ الْوَرْدِيَّةِ اللَّوْنِ جُؤْذُرٌ   مِنَ الْعِينِ وَرْدُ اللَّوْنِ وَرْدُ الْمَجَاسِدِ

٧ رَمَانِي بِخُلْفٍ بَعْدَمَا عَاشَ حِقْبَةً   لَهُ رَسَفَانٌ فِي قُيُودِ الْمَوَاعِدِ

(٤) الضمير المنصوب فى «سقته» يعود إلى الربع ، ويجوز أن يعود إلى المحب ، ويرجحه البيت الذى يليه ، وفاعل سقته قوله «عادة الدهر» ويروى «غارة الدهر» والذعاف : السم القاتل ، يقال بالذال المعجمة وبالزاى . يقول : فرق الدهر بيننا وأعقبنى فراقهم هموما وأحزانا تنغص على وتبلغ منى فوق ما يبلغ السم من اللديغ .

(٥) يروى « به علة للبين صماء » ووصف العلة بالصماء على معنى أنها لا ينفع فيها العلاج ، فكأنها لا تسمع صوت المداوين ، وقد بينه بقوله « لم تصخ لبرء » أى لم تلق سمعها للبرء ، ودل بقوله « ولم توجب عيادة عائد » على أن هذه العلة غير ظاهرة للناس ، بل هو داء دفين يخفق به قلبه ويرجف فؤاده من غير أن يشعر به أحد ، وهذا البيت مأخوذ من قول النابغة الذبيانى :

تناذرها الراقون من سوء سمها   تطلقه طورا وطورا تراجع

(٦) الكلة ـ بكسر الكاف وتشديد اللام ـ الستر الرقيق ، وهو أيضا غشاء رقيق يتوقى به من البعوض ، والجؤذر : ابن البقرة الوحشية ، ومن عادتهم تشبيه النساء ببقر الوحش فى سعة أعينهن ، وتشبيه الصغار بالجآذر فى ذلك أيضا ، والمجاسد : جمع مجسد وهو القميص الذى يلى الجسد ، ويروى عجز هذا البيت « من الإنس يمشى فى رقاق المجاسد » .

(٧) رمانى : أراد هذا الجؤذر ، والخلف : إخلاف الوعد وعدم الوفاء به ، والحقبة ـ بكسر الحاء وسكون القاف ـ مدة من الدهر لاقدر لها ، أو هى السنة ويروى « رمته بخلف » يقول : رمانى هذا الجؤذر بخلف وعده بعد أن كان يقيد نفسه بمواعده ولا يتحلل منها كأنما هو أسير مقيد بالأغلال ، ويروى « له رسفان فى صحيح المواعد » .

٨ غَدَتْ مُغْتَدَى الغَضْبَى، وَأَوْصَتْ خَيَالَهَا
بِهِجْرَانِ نِضْوِ العِيسِ نِضْوِ الخَرَائِدِ

٩ وَقَالَتْ نِكَاحُ الحُبِّ يُفْسِدُ شَكْلَهُ
وَكَمْ نَكَحُوا حُبًّا وَلَيْسَ بفَاسِـــــدِ

١٠ سَآوِى بِهٰذَا القَلْبِ مِنْ لَوْعَةِ الهَوَى
إِلَى ثَغَبٍ مِنْ نُطْفَةِ اليَأْسِ بَارِدِ

١١ وَأَرْوَعَ لاَ يُلْقِى المَقَالِيدَ لِامْرِىءٍ
وَكُلُّ امْرِىءٍ يُلْقِى لَهُ بِالمَقَالِدِ

(٨) غدت : أراد راحت وذهبت ، والمغتدى : مصدر ميمى فعله « اغتدى » وأصل النضو ـ بكسر النون وسكون الضاد ـ البعير الذى أنضاه وأهزله السفر ، والعيس: الإبل، ومعنىأنه نضو العيس أنه قد أهزله طول ركوبها لـكثرة مايسافر، ومعنى كونه نضو الخرائد أنه قد أهزله الهيام بهن، ووقع فىنسخة التبريزى « بحران نضو العيس » ولعله تحريف عما أثبتناه طبق أصلنا ، والمعنى أنها أوصت خيالها الا يزورنى .

(٩) ما أسمج هذا البيت يقع فى قصيدة مديح، وأصله قول الآخر :

ما الحب إلا قبلة وضم ساق وعضد
ما الحب إلا هكذا إن نـكح الحب فسد

(١٠) اللوعة : حرقة الباطن من حزن أو حب ، والثغب ـ بفتح الثاء والغين جميعا ، وقد تسكن الغين ـ الغدير يكون فى غلظ من الأرض ، ويروى « من صدأ الهوى » ويروى « من نطفة الماء » مكان « من نطفة اليأس » .

(١١) الأروع : هو الرجل يعجبك بحسبه وجهارة منظره أو بشجاعته ، وهو معطوف على « ثغب » فى البيت السابق ، ومعنى « لايلقى المقاليد لامرىء » أنه لايسلم أموره لأحد ، ولا يذعن لأحد ، ويروى « لايلقى المقالد » ومعنى عجز=

١٢ لَهُ كِبْرِيَاءُ الْمُشْتَرِى وَسُعُودُهُ
وَسَوْرَةُ بَهْرَامٍ وَظَرْفُ عُطَارِدِ

١٣ أَغَرُّ يَدَاهُ فُرْضَتَا كُلِّ طَالِبٍ
وَجَدْوَاهُ وَقْفٌ فِى سَبِيلِ الْمَحَامِدِ

١٤ فَتًى لَمْ يَقُمْ فَرْداً بِيَوْمِ كَرِيهَةٍ
وَلاَ نَائِلٍ إِلاَّ كَفَى كُلَّ قَاعِدِ

= البيت أنه معقد رجاء الناس ومناط حاجاتهم ؛ فكل إنسان يذعن له ويسلم أموره إليه . والمعنى إننى سآوى بهذا القلب إلى ثعب وإلى أروع من صفته كذا وكذا ، ولا يعجبنى أن يزعم أن الممدوح يكون مأواه من الحب .

(١٢) المشترى : نجم ، وبهرام وعطارد نجمان أيضا ، ويروى « وسطوة بهرام » ويزعمون أن المشترى كوكب الملوك والعظماء ، وأن بهراما — وهو المريخ — كوكب السلطان ، وأن عطاردا كوكب الكتاب والأدباء ، يقول : لهذا الممدوح كبر الملوك وبطش السلطان وظرف الأدباء .

(١٣) الأغر : أصله بمعنى ذى الغرة ، وهى فى الأصل بياض فى جبهة الفرس ، ويراد بالأغر الأبيض ، وهو مما يمدح به ، والفرصة — بضم الفاء وسكون الراء وبعدها صاد مهملة — وهى مايغتنمه الإنسان مما لايتفق حصوله فى كل وقت ، وأصل استعمال هذه الكلمة فى قسمة الماء . يقال « أخذ هؤلاء فرصتهم من السقى » بمعنى أخذوا حظهم منه ، ويروى « فرضتا » بالضاد المعجمة — وهى المكان الذى ينزل فيه السائرون ، وجدواه : عطاؤه . يقول : إن أفضال يديه هى مايغتنمه كل طالب جدوى وعطاء ، أو إن يديه هما بمنزلة المكان الذى يلقى المجتدون أثقالهم عنده ليستريحوا من عناء البحث عما يرغبون ، وضرب ذلك مثلا .

(١٤) فردا : أى منفردا غير محتاج إلى معين ، يريد أنه يستطيع وحده أن يقوم مقام الدفاع عن الحرم ، كما يستطيع وحده أن يؤدى لكل مستمنح ما يريد .

١٥ وَلاَ اشْتَدَّتِ الأيَّامُ إلاَّ ألاَنَهَا
أشَمُّ شَدِيدُ الوَطْءِ فَوْقَ الشَّدَائِدِ

١٦ بَلَوْنَاهُ فِيهَا مَاجِدًا ذَا حَفِيظَةٍ وَمَا كَانَ رَيْبُ الدَّهْرِ فِيهَا بِمَاجِدِ

١٧ غَدَا قَاصِدًا لِلْمَجْدِ حَتَّى أصَابَهُ وَكَمْ مِنْ مُصِيبٍ قَصْدَهُ غَيْرُ قَاصِدِ

١٨ هُمُ حَسَدُوهُ ، لاَمَلُومِينَ ، مَجْدَهُ وَمَا حَاسِدٌ فِي المَكْرُمَاتِ بِحَاسِدِ

١٩ قَرَانِي اللُّهَى وَالوُدَّ حَتَّى كَأنَّمَا أفَادَ الغِنَى مِنْ نَائِلِي وَفَوَائِدِي

---

(١٥) أصل الأشم المرتفع قصبة الأنف ، وهم يجعلون ذلك كناية عن الجادةو الكرم .

(١٦) بلوناه : اختبرناه ، وذا حفيظة : صاحب حمية ، ويروى « وما كان صرف الدهر » .

(١٧) غدا : أصل معناه خرج فى وقت الغداة ، وقد يطلق ولا يراد فيه وقت معين ، وما هنا من هذا القبيل ، ويروى « قاصدا للحمد » يريد أنه طلب المجد وسعى له سعيه فى حين أن كثيراً من الناس يقعون على المجد من غير سعى ولا عمل وإنما يصيبونه بالحظ والبخت ، ولا يكون أحد هؤلاء بمنزلة من يجد ويسعى .

(١٨) مجده : مفعول ثان لحسدوه ، ومعنى البيت أنهم حسدوه على ما ناله من المكرمات وشرف المنزلة ، والحسد فى مثل ذلك مما لا يعاب الإنسان به لأنه مدعاة التنافس فى خصال الشرف ، وهو مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حسد فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يعلمها ويعمل بها » .

(١٩) قرانى : أصل القرى ـ بكسر القاف ـ مايقدم للضيف من الألطاف ، وأراد منحنى وأعطانى ، واللهى ـ بضم اللام ـ أراد هنا المال ، والود : هو الحب ، يقول : أعطانى الأموال وأحبنى حبا شديدا حتى ليظن من لا معرفة له أنه قد استفاد غناه من منائح أخذها منى .

٢٠ فأصبحتُ يلقاني الزّمانُ من أجلِهِ
بإعظامِ مولودٍ وإشفاقِ والدِ

٢١ يصدُّ عن الدُّنيا إذا عنَّ سُؤْدُدٌ
ولو برزت في زيِّ عذراءَ ناهدِ

٢٢ إذا المرءُ لم يزهدْ وقد صُبِغَتْ لهُ
بزبرجِها الدُّنيا فليسَ بزاهدِ

٢٣ فوا كبِدي الحرَّى ووا كبِدَ النَّدى
لأيّامِهِ لو كُنَّ غيرَ بوائدِ

٢٤ وهيهاتَ ماريبُ الزّمانِ بمُخلِدٍ غريبًا، ولا ريبُ الزّمانِ بخالدِ

٢٥ محمدُ يا ابنَ الهيثمِ بنِ شُبابةٍ أبي كلِّ دفّاعٍ عن المجدِ ذائدِ

---

(٢٠) يروى « فأصبح » ويروى فى آخر الشطر الأول « بوجهه » فى مكان « من اجله » .

(٢١) عن سؤدد : ظهر وعرض ، والعذراء : البكر ، والناهد : المكتنزة البارزة الثدى .

(٢٢) يروى « بمصفرها » فى مكان « بزبرجها » يقول : إن الزهادة لا تكون زهادة على الحقيقة إلا إذا تمكن المرء من نوال أسباب الرفه والمتعة ، وقد اشتهر قولهم « إن من العفة ألا تجد » .

(٢٣) بوائد : جمع بائدة ، وهى الذاهبة الهالكة ، يقول : يابردها على كبدى وكبد الندى لوأنها تبقى ولا تزول ، ولا نظن هذا مما يليق أى يلق به الممدوح .

(٢٤) يروى « ماريب المنون » ومخلد : مورث الخلود ، وقد تكرر هذا المعنى فى شعره ، وهو مأخوذ من قول حسان فى المطعم بن عدى :

ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدا من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

(٢٥) ورد فى نسخة التبريزى « الهيثم بن شبانة » وقال : والناس يفتحون الشين تارة ويضمونها أخرى ، وقوله « أبى كل دفاع — إلخ » وصف للهيثم أبى الممدوح ، يريد أن هذا الأب لا يولد له إلا أبناء يدافعون عن المجد ويذبون عنه ، فهو يمدح محمدا ابنه بأنه واحد من هؤلاء الأبناء .

٢٦ هُمُ شَغَلُوا يومَيْكَ بالبأسِ وَالنَّدَى
وَآتَوْكَ زَنْدًا فِي الْعُلَى غَيْرَ خَامِدِ

٢٧ وَإِنْ كَانَ عَامٌ عَارِمُ المَحْلِ فاكْفِهِ
وَإِنْ كانَ يَوْمٌ ذُو جِلَادٍ فَجَالِدِ

٢٨ إذا السُّوقُ غطَّتْ آنُفَ السُّوقِ وَاعْتَدَتْ
سَوَاعِدُ أَبْنَاءِ الْوَغَى فِي السَّوَاعِدِ

٢٩ فَكَمْ لِلْعَوَالِي فِيكُمُ مِنْ مُنَادِمٍ
وَلِلْمَوْتِ صِرْفًا مِنْ حَلِيفٍ مُعَاقِدِ

---

(٢٦) يروى « زندا فى العلا غير صالد » وزند صالد : لا يورى نارا ، وزند خامد : ناره غير ثاقبة ، وزندوار : إذا قدح أخرج النار ، ويقال : وريت زنده — على مثال ورث يرث — وورت زنده — على مثال — وعى يعى — ويراد بهذا أنه قوى شديد الأثر .

(٢٧) المحل : الجدب والقحط ، وعارم المحل : شديده ، يستأصل ماعند الناس ويستقصيه ، وقالوا « عرم الصبى ثدى أمه » مصه حتى استقصى ما فيه ، يريد إذا كان عام شديد الجدب قاس على الناس فاكفهم بنوالك ، وإن جد يوم يحتاج إلى الجلاد ومقارعة الأبطال فكن أنت الذى يجالد ، لأنك ملاذ الناس .

ويروى « عارم » بالنصب — على أنه خبر كان ، وكذلك يروى « ذا جلاد » ورواها التبريزى بالرفع على أن كان تامة ، وأثبتنا روايته .

(٢٨) السوق الأول أراد به الدرع ، والسوق الثانى أراد به سوق الإنسان ، وآنفها : أعلاها ، وأعلى الساقين : الصدر ، والسواعد الأول أراد به سواعد المحاربين ، وأراد بالسواعد الثانى سواعد الحديد ، يقول : إذا اشتدت الحرب وتدجج الأبطال بسوق الحديد وسواعده تحرزا واحتماء بها .

(٢٩) العوالى : جمع عالية ، وهى أعلى الرمح ، والمنادم : أصله الذى يشاركك فى الشراب ، والمعاقد : الذى بينك وبينه عقد .

٣٠ لِتَلْحفكُمُ النَّعماءُ رِيشَ جَناحِهَا
فَمَا الْوَاحِدُ المحْمُودُ مِنكُمْ بِوَاحِدِ

٣١ لَكُمْ سَاحَةٌ خَضْرَاءُ أنّى انْتَجَعْتُهَا
غَدَا فَارِطِي فِيهَا صَدُوقًا وَرَائِدِي

٣٢ فَمَا قُلْبِي فِيهَا لأوّلِ مَاتِحٍ
وَلاَ سَمُرِي فِيهَا لأَوّلِ عَاضِدِ

٣٣ أَدَرَّتْ لِيَ الدُّنْيَا يَمِينُكَ بَعْدَمَا
وَقَفْتُ عَلَى شُخْبٍ مِنَ العَيْشِ جَامِدِ

---

(٣٠) جعل النعماء جناحاً ذا ريش ، على عادته فى الاستعارة ، يدعو لهم بأن تحيط بهم النعماء ، ثم يقول : إن الواحد الذى يستحق المدح منكم ليس بواحد لأن له أمثالا منكم، يريد أنهم جميعاً مستحقون للمدح لأن مكارمهم كثيرة وهم فيها أشباه .

(٣١) الفارط والرائد : اللذان يتقدمان القوم فى طلب الكلأ ليدلاهم على أطيب مواطنه ، يقول : إن جودكم يصدق ما سبق من آمالى .

(٣٢) يروى صدر هذا البيت « فما مرتعى فيها لأول سارح » والقلب : جمع قليب ـ بوزن سرير وسرر ـ والقليب : البئر ، وفى نسخة التبريزى «لأول نازح» والماتح : هو الذى يقف فى أعلى البئر ليجذب الدلو بعد ملئها ، والسمر : جمع سمرة ـ بفتح السين وضم الميم ـ وهو ضرب من الشجر ، يقول : إن لى عندكم وفى جنابكم ماء ونبتا ، وما شىء منها بقليل يخشى عليه النفاد حتى لو سبقنى إليه سابق لم يبق منه شىء ، وقد سبقه الكميت إلى هذا المعنى فى قوله :

ولا سمراتى يبتغيهن عاضد ولا سلماتى فى بجيلة تعصب

(٣٣) روى التبريزى « أذابت لى الدنيا » وما فى الأصل أنسب بعجز البيت ، ومعنى أدرت : حلبت ، والشخب ـ بضم الشين أو فتحها ـ أول ما يقع فى الإناء من اللبن عند الحلب .

٣٤ ونادَيْتَنِي بالتثويب لا أنني امْرُؤٌ سَلاكَ وَلاَ اسْتَغْنَى سِوَاكَ بِرَافِدِ
٣٥ وَلَكِنَّهَا مِنِّي سَجَايَا قَدِيمَةٌ إذَا لَمْ يُجَأْجَأْ بِي فَلَسْتُ بِوَارِدِ
٣٦ فَكَمْ دِيَةٍ ثُمَّ غدَوْتَ تَسُوقُهَا لَهَا أثر في تَالِدِي غَيْرُ تَالِدِ
٣٧ وَلَيْسَتْ دِيَاتٍ مِنْ دِمَاءٍ هَرَقْتَهَا حَرَامًا ، وَلَكِنْ مِنْ دِمَاءِ الْقَصَائِدِ
٣٨ وَلِلَّهِ أَنْهَارٌ مِنَ النَّاسِ شَقَّهَا لِيَشْرَعَ فِيهَا كُلُّ مُقْوٍ وَوَاجِدِ
٣٩ مَوَارِدُ رِزْقٍ لِلْعِبَادِ خَصِيبَةٌ وَأَنْتَ أَهَمُّ مِنْ خَيْرِ تِلْكَ الْمَوَارِدِ

---

(٣٤) روى التبريزى « ونادتنى » على أن الضمير المستتر يعود إلى الدنيا فى البيت السابق ، والذى فى الأصل أنسب بعجز البيت ، والتثويب : يراد به ههنا التكرير وحدوث النداء مرة بعد مرة . يقول : إنك دعوتنى لأرد مراتعك ، وكررت هذا الدعاء ، ولم يكن تكرارك الدعاء لأنك ظننت أنى سلونك ، وإنما كان محبة منك ، ولو أنك لم تدعنى لكنت مقبلا إليك ، بل لو لم يكن منك عطاء لما أحجمت عن الورود عليك .

(٣٥) السجايا : جمع السجية ، وهى الخلق ، ونظيره عطية وعطايا وقضية وقضايا ، وجأجأ به : دعاه .

(٣٦) أصل الدية : مايدفع قوم القاتل لقوم القتيل من المال يريد أنه أعطاه عن كل قصيدة قيمة الدية ، وهى عشرة آلف درهم ، وهذا المعنى يتكرر فى كلامه فمن ذلك قوله :

أعطيتنى دية القتيل وليس لى عقل ولا حق عليك قديم

(٣٧) الديات : جمع دية ، وهرقتها : أى أسلتها .

(٣٨) روى « لينهل فيها » أى يشرب منها و« يشرع فيها» يردها ، والمقوى الذى فنى زاده ، والواجد يقابله ، وأراد الناس جميعاً ، وليت شعرى ما أنهار من الناس يردها الناس ؟ وإنما يريد تشبيهه بنهر عام يرده الناس جميعا ، لايحلأ عنه أحد ، ولايصد دونه أحد ، فسلك لهذا أبعد الطرق وأوعرها مسلكا .

(٣٩) الموارد : جمع مورد ، وهو مكان الورود ، وروى التبريزى « موائد رزق » جمع مائدة ، وهى مايقدم عليه الطعام .

٤٠ أَفَضْتَ عَلَى أَهْلِ الْجَزِيرَةِ نِعْمَةً إِذَا شُهِدَتْ لَمْ تُخْزِهِمْ فِي الْمَشَاهِدِ

٤١ جَعَلْتَ صَمِيمَ الْعَدْلِ ظِلاًّ مَدَدْتَهُ عَلَى مَنْ بِهَا مِنْ مُسْلِمٍ وَمُعَاهِدِ

٤٢ فَقَدْ أَصْبَحُوا بِالْعُرْفِ مِنْكَ إِلَيْهِمِ
وَكُلٌّ مُقِرٌّ مِنْ مُقِرٍّ وَجَاحِـــــــدِ

٤٣ سَأَجْهَدُ حَتَّى أَبْلُغَ الشِّعْرَ شَأْوَهُ وَإِنْ كَانَ لِي طَوْعًا وَلَسْتُ بِجَاهِدِ

٤٤ فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنِّيَ صَاغِرًا عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنَّنِي غَيْرُ حَامِدِ

٤٥ بِسَيَّاحَةٍ تَنْسَاقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ وَتَنْقَادُ فِي الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدِ

---

(٤٠) أفضت : أصله فى إفاضة الماء وهى إسالته ، ويراد به أكثرت ، ومعنى « شهدت » حضرها الناس ، والمشاهد : جمع مشهد ، وهو مكان الحضور .

(٤١) صميم العدل : خالصه ولبابه ، ويروى « صميم المجد » وما أثبتناه موافق لرواية التبريزى ، والمعاهد : الرجل من أهل الذمة يدخل بلادنا بعهد بيننا وبينه فيدخل فى حمانا ، وروى التبريزى « من مسلم أو معاهد » .

(٤٢) العرف ـ بضم العين ـ المعروف ، يريد أن كل من يعترف بالحق لأهله يقرلك بذلك ، وكل من كان يدفع الحق ويجحده ولا يقربه لم يجد مساغا لإنكار حقك وجحده ، أقرلك أيضا ، لأن حقك واضح لكل ذى عينين .

(٤٣) يروى « أبلغ الشعر جهده » كما يروى « وإن كان طوعا لى » وشأو كل شيء : غايته ، وطوعا : أراد طائعا ، يقول : سأبذل جهدى حتى أبلغ بالشعر الغاية التى تتطاول إليها الأعناق ، وإن يكن الشعر يأتينى طائعا من غير أن أتكلف له . يريد أن الشعر سهل القياد له يجيئه عفو الخاطر من غير جهد .

(٤٤) يصف شعره بأنه جزل الألفاظ جيد المعانى ، وأن الناس يتسابقون إلى روايته وإنشاده حتى عدو الممدوح ، فهو حين يقول فى ممدوحه قصيدة فما أسرع مايرويها عدوه وينشدها ؛ مع مافيها من مدائح الممدوح ، فكأن العدو يمدح الممدوح بها فى غيبة قائلها .

(٤٥) سياحة : أراد بها الألفاظ الرائقة التى تجرى على كل لسان وتسير فى الناس مسرى الماء يسيح على وجه الأرض ، وتنقاد : تذل وتسير سير الروض .

٤٦ جَلَامِدُ تَخْصُوهَا اللَّيَالِي وَإِنْ بَدَتْ لَهَا مُوضِحَاتٌ فِي مُتُونِ الجَلَامِدِ
٤٧ إِذَا شَرَدَتْ سَلَّتْ سَخِيمَةَ شَانِيءٍ وَرَدَّتْ عُزُوبًا مِنْ قُلُوبٍ شَوَارِدِ
٤٨ أَفَادَتْ صَدِيقًا مِنْ عَدُوٍّ وَصَيَّرَتْ أَقَارِبَ دُنْيَا مِنْ رِجَالٍ أَبَاعِدِ
٤٩ مُخَيِّمَةٌ مَا إِنْ تَزَالُ تَرَى لَهَا إِلَى كُلِّ أُفْقٍ وَافِدًا غَيْرَ وَافِدِ
٥٠ وَمُحْلِفَةٌ لمَّا تَرِدْ أُذْنَ سَامِعٍ فَتَصْدُرَ إِلَّا عَنْ يَمِينٍ وَشَاهِدِ

(٤٦) الجلامد : جمع جلمد ، وهو الصخر ، وعنى بها قصيدته ، وإنما شبهها بالجلامد لطول بقائها على الدهر ، وبدت : ظهرت ، ويروى « وإن سرت » والموضحات : جمع موضحة ، وهى ضرب من الشجاج تكون فى الرأس توضح العظام وتكشفه ، يقول : إنه إذا ذم بشعره قوما ظهر هذا الذم كأنه شجة .

(٤٧) شردت : يريد جالت فى الناس وسارت فيهم ، والسخيمة : الغضب والشانئ : المبغض ، والعزوب : جمع عازب ، وهو المبتعد ، وأراد به ما بعد وغاب عن مودته . يريد أن هذه القصائد إذا سارت بين الناس فسمعها عدو سلت غضبه وسحبت حقده من حنايا صدره لما يرى فيها من فضائل الممدوح التى لا يستطيع أن يجحد شيئا منها .

(٤٨) ضمن « أفادت » معنى ميزت ، وغادرت : أى تركت أوصيرت ، وأقارب دنيا : أى أقارب أدنين ، يريد أن هذه القصائد قد حوات أعداء الممدوح أقارب أدنين له ، لأنهم ينشدونها ويروونها استعذابا لها واستجادة لصياغتها .

(٤٩) مخيمة : أى مقيمة ، وروى التبريزى « محببة » و « إن » فى قوله « ما إن تزال » زائدة ، أى ماتزال . يقول : هذه القصائد مقيمة عند الممدوح بها وهى — مع ذلك — سائرة فى الآفاق ، جوالة فى الأقطار ، لكثرة من رواها من الناس وحملوها ، فهى لاتزال تتنقل فى البلاد وتفدها مع من يحملها .

(٥٠) محلفة — بضم الميم وسكون الحاء — أراد أنها تحمل سامعها على الحلف ، وأصل الورود الإقبال على الماء للاستقاء منه ، وأصل الصدر الرجوع عن الماء بعد الاستقاء . يقول : إن هذه القصيدة إذا سمعها الإنسان لم يملك نفسه أن يحلف أنها حسنة المبانى جيدة المعانى ، وإذا سمعه سامع وهو يحلف لم يتمالك أن يقول له : صدقت والله ، فهذا شاهد ، والأول حالف باليمين .

(٥٤)

وقال يمدحه أيضاً :

١ تَجَرَّع أَسًى قدْ أقفَرَ الجَرَعُ الفَرْدُ
وَدَعْ حِسْىَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ مَاءهُ الوَجْدُ

٢ إِذَا انصَرَفَ المَحْزُونُ قَدْ فَلَّ صَبْرَهُ
سُؤَالُ المَغَانِى فَالبُكَاء لَهُ رَدُّ

٣ بَدَتْ لِلنَّوَى أَشْيَاء قَدْ خِلْتُ أَنَّهَا سَيَبْدَأُ بِى رَيْبُ الزَّمَانِ إِذَا تَبْدُو

٤ نَوًى كَانقِضَاضِ النَّجْمِ كَانَتْ نَتِيجَةً
مِنَ الهَزْلِ يَوْمًا ؛ إِنَّ هَزْلَ الهَوَى جِدُّ

---

(٥٤)

اتفقت جميع النسخ على رواية هذه القصيدة تالية للقصيدة السابقة ، وهى فى شرح التبريزى برقم ٥١ .

(١) تجرع : اشرب ، ويروى « تحمل » والأسى : الحزن ، وأقفر : خلا من سكانه ، والجرع – بفتح الجيم والراء جميعا – ما سهل من الأرض ، ومثله الجرعاء ، والحسى – بكسر الحاء وسكون السين – ماء قليل فى الأرض ، والوجد : شدة الحب .

(٢) فل صبره : فرق ، وأراد ذهب به ؛ فصار عديم الصبر سليب التجلد ، والمغانى : جمع مغنى ، وهو الدار ، وأصله اسم مكان من « غنى بالمكان يغنى » أى أقام و« رد » يروى بفتح الراء على أنه مصدر بمعنى الجواب ، ويروى بكسر الراء أى معين ومساعد

(٣) بدت : ظهرت ، والنوى : البعد ، وخلت : ظننت ، ويروى «خلت أنه» كما يروى « سيبدؤنى ريب الزمان » ويروى « ريب المنون » ويروى « سيبدو بها ريب الزمان » .

(٤) انقضاض النجم : هويه ، ويروى « إن هزل النوى جد » .

٥ فَلاَ تَحْسَبَا هِنْدًا لَهَا الْغَدْرُ وَحْدَهَا
سَجِيَّةُ نَفْسٍ كُلُّ غَانِيَــــةٍ هِنْدُ

٦ وَقَالُوا أُسًى عَنْهَا وَقَدْ خَصَمَ الْأَسَى
جَوَانِحُ مُشْتَاقٍ إِذَا خُوصِمَتْ لُدُّ

٧ وَعَيْنٌ إِذَا هَيَّجْتَهَا عَادَتِ الْكَرَى
وَدَمْعٌ إِذَا اسْتَنْجَدْتَ أَسْرَابَهُ نَجْدُ

---

(٥) أصل معنى هذا البيت من قول الشاعر :

كل أنثى وإن بدا لك منها آية الحب حبها خيتعور

وأصل «الخيتعور» السراب ، أو الغول لأنها تتلون، وقالوا «امرأة خيتعور» أى لايدوم ودها ، وقالوا لـكل شىء يتلون ولايدوم على حال : خيتعور .

ووقع فى لاميه كعب بن زهير :

فلا يغرنك ما منت وما وعـدت إن الأمانى والأحـلام تضليل

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما موعيـدها إلا الأباطيل

(٦) أسى عنها : هو التأسى والتسلى والصبر ، وهو مفعول لفعل محذوف ، وكأنه قال : الزم الأسى والصبر عنها ، وخصم : غلب فى الخصومة ، تقول : خاصمته فخصمته أخصمه ، تريد أنك غالبته فى الخصومة فغلبته فيها ، والأسى الثانى مفعول به لخصم ، وجوانح مشتاق:هو فاعل خصم ، أى قد غلبت جوانحى الأسى ، يريد أنه غلب التطبب والتداوى ، ولد: جمع ألد أو لداء ، وهو الشديد فى الخصومة المتمادى فيها ، وصف بها الجوانح لأنه جعلها تخاصم وتغلب فى الخصومة ، ويقولون: « فلان ألد الخصام » و « فلان خصم ألد » و « هم خصوم لد » ويروى « إذا خاصمت » .

(٧) هيجتها : تروى هذه الـكلمة بضم التاء على أنها ضمير المتـكلم ، وبفتحها على أنها ضمير المخاطب ، وعادت : من المعاداة ، والـكرى : النوم ، واستنجدت : طلبت نجدته ومعونته ، وأسرابه : جمع سرب ــ بفتح السين وسكون الراء ــ وهو المصبوب المنهمر ، ونجد ــ بفتح فسكون ــ أصله قولهم « رجل نجد » يريدون أنه شجاع قوى ينجد من يدعوه لمعونته ، ويراد منه هنا أنه قوى غزير ، يريد أنه إذا استعان بأسراب دمعه انهمر غزيراً .

٨ وَمَا خَلْفَ أَجْفَانِي شُؤُونٌ بَخِيلَةٌ وَلاَ بَيْنَ أَضْلاَعِي لَهَا حَجَرٌ صَلْدُ

٩ وَكَمْ تَحْتَ أَرْوَاقِ الصَّبَابَةِ مِنْ فَتًى
مِنَ الْقَوْمِ حُرٍّ دَمْعُهُ لِلْهَوَى عَبْدُ

١٠ وَمَا أَحَدٌ طَارَ الْفِرَاقُ بِقَلْبِهِ بِجَلْدٍ، وَلَكِنَّ الْفِرَاقَ هُوَ الْجَلْدُ

١١ وَمَنْ كَانَ ذَا بَثٍّ عَلَى النَّأْيِ طَارِفٍ
فَلِي أَبَدًا مِنْ صَرْفِهِ حُرَقٌ تُلْدُ

١٢ فَلاَ مَلِكٌ فَرْدُ الْمَوَاهِبِ وَاللُّهَى يُجَاوِزُ لِي عَنْهُ وَلاَ رَشَأٌ فَرْدُ

---

(٨) الشؤون : مخارج الدموع ، واحدها شأن ، والحجر الصلد : الصلب ، يقول : مجارى الدمع فى عينى ليست بخيلة تمتنع على إذا أردت أن أبكى ، وليس بين أضلاعى حجر يصبر ، وإنما يسكن بين هذه الأضلاع قلب محب يألم للفراق ، ويجزع للهجر ، فدموعى هطالة ، وقلبى شديد الخفقان .

(٩) أرواق الصبابة : أروقة المحبة ، وأراد ظلالها ، ودمعه عبد للهوى : أراد أنه قد ملك الهوى مقادة دمعه فهو يتصرف فيه على ما يشاء .

(١٠) طار الفراق بقلبه : أراد استولى الفراق على قلبه ، فأفزعه وروعه وسلبه الجلد والصبر ، ومهما يتصبر أو يتجلد أو يتكلف الاحتمال فلابد من أن يغلبه على قواه ، وأصل هـذه العبارة قولهم « أنا لا أطور به » أى لا أقربه ولا أدنو من فنائه .

(١١) البث : الحزن الذى يعلنه ويبثه الانفه ، وعلى النأى : معناه مع البعد ، وطارف : أى جديد ، والحرق : جمع حرقة ، وهى شدة الحرارة التى تحرق الجوف ، وتلد : جمع تليدة ، وهى القديمة ، وأصل الطارف من المال ما استحدثته بسعيك ولم يصل إليك عن طريق الميراث ، والتليد : ما ورثته عن آبائك ، فاستعارهما على طريقته فى الاستعارة للقديم والجديد كما بيناه ، يقول: إذا كان فى الناس من لم يذق الأحزان إلا حديثا فإنى أكابدها وأتحمل مرارتها من عهد بعيد .

(١٢) يروى «يجاوزنى عنه» والضمير المجرور محلا بعن يعود إلى البعد، والمراد لا يجاوز بى البعد أحد ، لا الملك الفرد للمواهب ولا الرشأ الفرد الجمال ، ومعنى هذا الـكلام أنه يملـكه أحد اثنين : إما ملك فرد العطايا ، وإما رشأ تام المحاسن .

١٣ مُحَمَّدُ يَاابْنَ الْهَيْثَمِ انْقَلَبَتْ بِنَا ... نَوًى خَطَأً فِي عَقْبِهَا لَوْعَةٌ عَمْدُ

١٤ وَحِقْدٌ مِنَ الأَيَّامِ وَهْيَ قَدِيرَةٌ ... وَشَرُّ السَّجَايَا قُدْرَةٌ مَعَهَا حِقْدُ

١٥ إِسَاءَةَ دَهْرٍ أَذْكَرَتْ حُسْنَ فِعْلِهِ ... إِلَيَّ وَلَوْلاَ الشَّرْىُ لَمْ يُعْرَفِ الشَّهْدُ

١٦ أَمَا وَأَبِي أَحْدَاثِهِ إِنَّ حَادِثًا ... حَدَا بِي عَنْكَ الْعِيسَ لَحَادِثٌ وَغْدُ

١٧ مِنَ النَّكَبَاتِ النَّاكِبَاتِ عَنِ الْهَوَى ... فَمَحْبُوبُهَا يَحْبُو وَمَكْرُوهُهَا يَعْدُو

---

(١٣) انقلبت بنا : عطفت ومالت بنا ، ويروى « انفلتت لنا » وأصل الخطأ والعمد يقعان فى وصف القتل ، يقال : قتل خطأ ، وقتل عمد ، وأراد بنوى خطأ أنه أخطأ فيها لأنه ترك من كان ينبغى له ألا يتركه وهو من يحبه ، وأراد باللوعة العمد الآلام التى لم يخطىء فيها لأنها آلام بسبب حبه من ينبغى أن يحبه ، وقال التبريزى « صرفتنا فرقة فى غير حينها فلحقت عقبها لوعة فى حينها » فجعل الخطأ والعمد راجعين للزمان .

(١٥) يروى « أذكرت حسن عهده » والشرى : الحنظل ، ويروى « ولولا السم » والشهد : العسل ، يعنى أن الأشياء تعرف حق المعرفة بأضدادها .

(١٦) الأحداث : جمع حدث ـ بوزن سبب وأسباب ـ والحدث والحادث بمعنى واحد ، وحدا بى عنك العيس : صرفها ووجهها ، والعيس : الإبل ، واحدها أعيس أو عيساء ، وأصل الوغد الضعيف ، ثم استعمل فى الساقط الذى لا خير فيه ولا مروءة له .

(١٧) يحبو : يزحف على استه كالأطفال ، ويروى مكانه « يمشى » ويعدو : يسرع ، والنكبات : جمع نكبة ، والناكبات : جمع ناكبة ، وهى العادلات ، وأراد التى عدلت به عن هوى من يهواه وعمن يحب أن يقيم عنده ومعه . يقول : إن حادثا وقع لى يعد من النكبات التى عدلت بى وحوات وجهتى إلى غير ما أهوى ، وإن محبوب هذه الحادثات يجىء فى بطء كأنه يحبو ، ومكروهها يجىء مسرعا كأنه يعدو .

١٨ ليَالِيَنَا بِالرَّقَّتَيْنِ وَأَهْلِهَا
سَقَى الْعَهْدَ مِنْكِ الْعَهْدُ فَالْعَهْدُ وَالْعَهْدُ

١٩ سَحَابٌ مَتَى يَسْحَبْ عَلَى النَّبْتِ ذَيْلَهُ
فَلاَ رَجِلٌ يَنْبُو عَلَيْهِ وَلاَ جَعْدُ

٢٠ ضَرَبْتُ لَهَا بَطْنَ الزَّمَانِ وَظَهْرَهُ
فَلَمْ أَلْقَ مِنْ أَيَّامِهَا عِوَضاً بَعْدُ

---

(١٨) ليالينا : منادى ، والرقتان : مثنى الرقة ، وهى مكان بعينه ، وثناه باعتبار طرفيه ، ويروى « بالرقتين وأرضها » والعهد الأول : يحتمل ثلاثة معان ، أحدها المنزل الذى كان يلقى فيه أحبته ، والثانى الزمان الذى كان شمله مجتمعا فيه بهم ، والثالث الحال الذى كانوا عليه فى هذا الموضع من اللقاء والاجتماع والألفة ، وأما العهد الثانى والعهد الثالث والعهد الرابع فتحتمل أن تكون بمعنى واحد ، وهو المطر ، أراد تتابع عليه مطر بعد مطر بعد مطر ، وتحتمل أن تكون بمعان مختلفة ، فإن العهد يطلق على الوصية ، ومنه يقولون « عهدت إليك بكذا » ويطلق على اليمين ، ومنه قالوا « عليك عهد الله » ويطلق على الدمع ، ويطلق على المطر ، ومهما يكن من شىء فإنه عنى بذلك الدعاء بأن تعود لياليهم فى هذا المكان فيجتمع شملهم وينتظم ودادهم

(١٩) أصل الرجل ـ بفتح الراء وكسر الجيم ـ أن يطلق على الشعر ، ويقابله الجعد ، وأراد منهما هنا سهل الأرض وحزنها ، شبه الأول بالشعر الرجل ، والثانى بالشعر الجعد ، وينبو عليه : أراد به يمتنع من طاعته . يقول : هذا السحاب الذى أدعو بأن يسقى البقاع التى كانت مألفنا لا يمتنع عليه سهل من الأرض ولا حزن ، بل كل منهما يطيعه فيخرج نباته ، ويروى « متى يسحب على الأرض ذيله » .

(٢٠) يريد أنه قلب الزمان ظهرا لبطن عساه أن يظفر بهذه الليالى ، فلم يعثر لها على عوض حتى الآن ، والمعنى أنه طوف الآفاق وجال فى البلاد آملا أن يجد مثل تلك الليالى .

٢١ لَدَى مَلِكٍ مِنْ أَيْكَةِ الْجُودِ لَمْ يَزَلْ
عَلَى كَبِدِ الْمَعْرُوفِ مِنْ فِعْلِهِ بَرْدُ

٢٢ رَقِيقِ حَوَاشِي الْحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفَّيْكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُرْدُ

٢٣ وَذُو سَوْرَةٍ تَفْرِي الْفَرِيَّ شَبَاتُهَا وَلَا يَقْطَعُ الصَّمْصَامُ لَيْسَ لَهُ حَدُّ

٢٤ وَدَانِي الْجَدَى تَأْتِي عَطَايَاهُ مِنْ عَلٍ وَمَنْصِبُهُ وَعْرٌ مَطَالِعُهُ جُرْدُ

٢٥ فَقَدْ نَزَلَ الْمُرْتَادُ مِنْهُ بِمَاجِدٍ مَوَاهِبُهُ غَوْرٌ وَسُودَدُهُ نَجْدُ

---

(٢١) أيكة الجود : الأيكة الشجر الكثير الملتف ، أوهى الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر ، واستعارها للجود على طريقته ، وقوله « على المعروف من فعله برد » كناية عن كونه يعطى الراحة والهدوء ، إلى المعروف ، فجعل المعروف كبدا ، وجعل فعل الممدوح يبرد هذه الكبد .

(٢٢) ماريت : شككت ، أوجادلت ، جعل الحلم حواشى أى جوانب ونواحى ، وجعلها رقاقا ، وجعل من يمسكها بكفيه لا يشك أو يجادل فى أنه برد ، قالوا : ولا يوصف البرد بأنه رقيق وإنما يوصف بأنه دقيق أو صفيق ، وليس هذا بصحيح ، بل الفاخر الجيد من الثياب يوصف بالرقة حتى إنهم ربما قالوا « هذا ثوب أرق من الهواء » .

(٢٣) سورة : شدة ، و « يفرى الفرى » يأتى بالعجب العاجب ، أو يضبط الأمور ويجد فى سعيه لها ، وفى الحديث فى وصف عمر « فلم أر عبقريا يفرى فريه » وشباتها – بفتح الشين بوزن سحابة – أى حدها .

(٢٤) دانى : أى قريب ، والجدى – بفتح الجيم – أى العطاء ، ويروى « ودانى النوى » و « تأتى عطاياه من عل » كناية عن كون عطاياه تجىء مجىء الغيث فتجىء بالخصب والنماء ، و « منصبه وعر » كناية عن صعوبة الوصول إلى مثله ، فلا يستطيع أحد أن يرتقى إلى مثل منصبه ، والمطالع : جمع مطلع وهو مكان الطلوع أى الصعود ، و « جرد » جمع أجرد ، وهو الذى لا تثبت عليه قدم

(٢٥) المرتاد : أصله طالب الكلأ والعشب ، وأراد طالب العطاء ، وأصل الغور – بفتح الغين وسكون الواو – ما انحط وسهل من الأرض ، والنجد : ما غلظ وصعب منها ، جعل مواهبه – وهى عطاياه – سهلة لا يشق البلوغ إليها على طالب ، وجعل سؤدده – وهو مجده – مما يصعب على كل واحد أن يبلغه

٢٦ غَدَا بِالأَمَانِى لَمْ يُرِقْ مَاءَ وَجْهِهِ ... مِطَالٌ وَلَمْ يَظْفَرْ بِآمَالِهِ الرَّدُّ

٢٧ بِأَوْفَاهُمُ بَرْقًا إِذَا أَخْلَفَ السَّنَا ... وَأَصْدَقِهِمْ رَعْدًا إِذَا كَذَبَ الرَّعْدِ

٢٨ أَبَلِّهِمِ رِيقًا وَكَفًّا لِسَائِلٍ ... وَأَنْضَرِهِمْ وَعْدًا إِذَا صَوَّحَ الوَعْدُ

٢٩ كَرِيمٌ إِذَا أَلْقَى عَصَاهُ مُخَيِّمًا ... بِأَرْضٍ فَقَدْ أَلْقَى بِهَا رَحْلَهُ المَجْدُ

٣٠ فَتًى لاَ يَرَى بُدًّا مِنَ البَأْسِ وَالنَّدَى ... وَلاَ شَىْءَ إِلاَّ مِنْهُ غَيْرَهُمَا بُدٌّ

---

(٢٦) الضمير المستتر فى « غدا » يعود إلى المرتاد ، ويروى « وفى بالأمانى » فيعود الضمير على الممدوح ، والأمانى : جمع أمنية ، وهى كل مايتمناه المرء ، والمعنى : إن مرتاد هذا الممدوح قد ظفر بكل مايتمناه ، ويروى « ولم يقعد بآماله الرد » وهى رواية التبريزى .

(٢٧) يروى « إذا أخلف الحيا » وهو المطر ، والسنا : الضوء ، وأراد به سنا البرق .

(٢٨) أبلهم ريقا : أشدهم بلا لريق السائل ، وهم يكنون ببل الريق عن إعطاء مايريد ، يعنى أنه أكثر المدوحين إعطاء لسائليهم ، وصوح الزرع : يبس وجفه ولم تبق له منفعة ، استعاره للوعد كما استعار له النضارة .

(٢٩) ألقى عصاه : هذه عبارة يكنون بها عن انتهاء سفر المسافر ورجوعه إلى أهله ، وقال الشاعر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

ويروى « إذا ألقى الرحال » ومخيما : أصل معناه ناصبا الخيمات ، وأراد مقيما ، وعجز البيت كناية عن ثبوت صفة المجد للممدوح كما فى قول زياد الأعجم :

إن السماحة والمروءة والندى ... فى قبة ضربت على ابن الحشرج

(٣٠) وقع هذا البيت فى روايه التبريزى تاليا للبيت الذى يليه هنا (٣١) وأراد=

٣١ بِهِ أَسْلَمَ المَعْرُوفُ بالشَّامِ بَعْدَمَا
ثَوَى مُنْذُ أَوْدَى خَالِدٌ وَهْوَ مُرْتَدُّ

٣٢ حَبِيبٌ بَغِيضٌ عِنْدَ رَامِيكَ عَنْ قِلًى
وَسَيْفٌ عَلَى شَانِيكَ لَيْسَ لَهُ غِمْدُ

٣٣ فَكَمْ أَمْطَرَتْهُ نَكْبَةٌ ثُمَّ فُرِّجَتْ
وَلِلّهِ فِي تَفْرِيجِهَا وَلَكَ الحَمْدُ

٣٤ وَقَدْ كَانَ دَهْرًا لِلْحَوَادِثِ مُضْغَةً
فَأَضْحَتْ جَمِيعًا وَهْيَ عَنْ لَحْمِهِ دُرْدُ

٣٥ تُصَارِعُهُ لَوْلاَكَ كُلُّ مُلِمَّةٍ
وَيَعْدُو عَلَيْهِ الدَّهْرُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْدُو

= أن هذا الممدوح يرى بدا من كل شيء ، إلا البأس – وهو الشجاعة – والندى وهو الجود ، أما هما فلا يرى بدا منهما ، يعني أنه مداوم على التمسك بهما .

(٣١) أراد بخالد خالد بن يحيى البرمكي ، وإنما تقرب إلى الممدوح بذكر خالد البرمكي لأنه فارسي مثله ، قال التبريزي : وهو أشبه من أن يريد بخالد خالد بن يزيد ، أو خالد بن عبد الله القسري ، أو خالد بن يزيد بن معاوية .

(٣٢) حبيب : خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : أنا حبيب ، وبغيض : أي مبغض ، والقلى – بكسر القاف – الكراهية ، والمراد أنا محب لك ، وأنا مبغض مكروه عند أعدائك ، وذلك لأني أسمعهم مدحك وأنعتك بصفاتك العالية ، وشانيك : أصله شانئك ، فخففت الهمزة بقلبها ياء من جنس حركة ماقبلها ، ومعناه مبغضك .

(٣٣) يروى في صدر هذا البيت « وكم نزلت بي نكبة ثم فرجت » .

(٣٤) يروى « وكم كان دهرا – إلخ » واسم كان ضمير مستتر يعود إلى أبي تمام ، ودهرا : نصب على الظرفية . يقول : إنه قد قضى دهرا طويلا تنتابه حادثات الدهر وتمضغ لحمه ، والدرد : جمع أدرد ، وهو من لا أسنان له ، يقول : إنه بعد أن اتصل بك حبله سقطت أسنان الحوادث فلم تعد تستطيع أن تؤثر فيه .

(٣٥) « من حيث لايعدو » أي من الجهة التي لايخشى أن يعدو عليه منها ، كأنه يعدو عليه من جهة أمنه .

٣٦ تَوَسَّطْتَ مِنْ أَبْنَاءِ سَاسَانَ هَضْبَةً
لَهَا الكَنَفُ المَحْلُولُ وَالسَّنَدُ النَّهْدُ

٣٧ بِحَيْثُ انْتَمَتْ زُرْقُ الأَجَادِلِ مِنْهُمُ
عُلُوًّا، وقَامَتْ عَنْ فَرَائِسِهَا الأُسْدُ

٣٨ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الجَفْرَ جَفْرَكَ فِي العُلَى قَرِيبُ الرِّشَاءِ لاَ جَرُورٌ وَلاَ ثَمْدُ

٣٩ إِذَا صَدَرَتْ عَنْهُ الأَعَاجِمُ كُلُّهَا
فَأَوَّلُ مَنْ يَرْوَى بِهِ بَعْدَهَا الأَزْدُ

٤٠ لَهُمْ بِكَ فَخْرٌ، لاَ الرِّبَابُ تُرِبُّهُ
بِدَعْوَى، وَلَمْ تَسْعَدْ بِأَيَّامِهِ سَعْدُ

---

(٣٦) توسطت هضبة : هذه كناية عن إدراكه منازل العز والشرف ، والكنف — بفتح الكاف والنون جميعا — وهو الجانب والناحية ، والمحلول: الذى يحله الناس التماسا لمعروفه ورغبة فى التحرز به ، والسند : يراد به الجبل ، والنهد: المرتفع العالى .

(٣٧) الأجادل : جمع أجدل ، وهو من كواسر الطير ، وإنما تكون أوكارها فى أعلى الجبال ، والفرائس : جمع فريسة ، لما جعله فى وسط هضبة يحتلها آل ساسان أراد أن يبين وجه ذلك ، فجعل الهضبة يحتلها ثلاث فئات منهم كلهم أشراف ذوو مجد ، فشبه الذين يحتلون ذراها بالأجادل الزرق ، والذين يحتلون أسفلها بالأسد ، وجعله فى وسط الهضبة بين هؤلاء وهؤلاء .

(٣٨) الجفر — بفتح الجيم وسكون الفاء — أصله البئر الواسعة الفم القليلة الماء ، والجرور — بفتح الجيم ، بوزن صبور — البعيدة القعر من الآبار ، والثمد — بفتح الثاء وسكون الميم — الماء القليل ، يقول : إن معروفك وأياديك مما يسهل على كل أحد أن يناله ؛ لأنه قريب ولأنه فياض ، فليس بعيدا ولا قليلا .

(٣٩) جعل الأعاجم يردون معروفه أول الناس ، ثم يرده من العرب الأزد بعدهم ، يشير إلى أن الممدوح من العجم ، وإلى أن له ولاء فى الأزد .

(٤٠) لهم : أى لبنى ساسان ، والمراد أنهم يفخرون بانتسابه إليهم ، والرباب: =

٤١ وَكَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ يَدٍ مُسْتَهِلَّةٍ عَلَيَّ، وَلَا كُفْرَانَ مِنِّي وَلَا جَحْدُ
٤٢ يَدٌ يَسْتَذِلُّ الدَّهْرُ مِنْ نَفَحَاتِهَا وَيَخْضَرُّ مِنْ مَعْرُورِ فِيهَا الأُفُقُ الوَرْدُ
٤٣ وَمِثْلَكَ قَدْ خَوَّلْتُهُ المَدْحَ جَازِيًا وَإِنْ كُنْتَ لَا مِثْلٌ لَدَيْكَ وَلَا نِدُّ
٤٤ نَظَمْتُ لَهُ عِقْدًا مِنَ المَدْحِ تَنْضَبُ الـ بُحُورُ وَمَا دَانَاهُ مِنْ حَلْيِهَا عِقْدُ

= قبائل من العرب معروفة ، قيل : هم تيم وعدى وعكل ، وتربهم : تزيدهم وتنميهم أو تحسن القيام عليهم كما تحسن الأم القيام على طفلها ، وقال الشاعر :

تربيه من آل دودان شلة تربة أم لاتضيع سخالها

(٤١) مستهلة : أصله قولهم « استهل المطر » إذا تدفق وانهمل ، والكفران : نكران النعمة ، ويروى « ولا كفران عندى » وهى رواية التبريزى ، والجحد : غمط النعمة وسترها ، يريد أنه لايسترها ، بل يدعها تظهر ، ولا ينكرها بل يعترف بها .

(٤٢) يد : أصلها الجارحة المعروفة ، وقد يراد بها النعمة ، ويستذل الدهر : يقهر ويغلب ، والنفحات : جمع نفحة وهى العطية ، وعند التبريزى « فى نفحاتها » والأفق الورد : الأحمر اللون ، وإنما يكون ذلك من الجدب والقحط ، فمعنى اخضراره أن الأشجار تورق والنبات يملأ الأرض ، يقول : إن أيادى هذا الممدوح قد أخضعت لى الدهر ، وأعادت لى الخصب والنماء بعد الجدب .

(٤٣) خولته : أعطيته ، جازيا : مجازيا ومكافئا ، والند – بكسر النون – الكفء والنظير ، يقول : أنت أعطيتنى العطايا السنية ومنحتنى النفحات التى قهرت بها الدهر وأنا أعطيتك المديح الذى يكافىء عطاياك ويماثلها ، وإن كنت على الحقيقة لانظير لك ولا مثيل .

(٤٤) تنضب البحور : ينفد ماؤها ، ومادناه : ماقاربه ولا أشبهه . يقول : إنى نظمت لك عقدا من المديح ، وكل مايستخرج من البحار من الجواهر واللآلى لايقارب جواهر مديحى ولآليه فى الحسن والرواء ، ويروى « تنضب البحار » وهى رواية التبريزى .

٤٥ تَسِيرُ مَسِيرَ الريحِ مُطَّرَفَاتُهَا ... وَمَا السَّيْرُ مِنْهَا لاَ العَنِيقُ وَلاَ الوَخْدُ

٤٦ تَرُوحُ وَتَغْدُو ، بَلْ يُرَاحُ وَيُغْتَدَى ... بِهَا وَهْيَ حَيْرَى لاَ تَرُوحُ وَلاَ تَغْدُو

٤٧ تُقَطِّعُ آفَاقَ البِلاَدِ سَوَابِقًا ... وَمَا ابْتَلَّ مِنْهَا لاَ عِذَارٌ وَلاَ خَدُّ

٤٨ غَرَائِبُ مَا تَنْفَكُّ فِيهَا لُبَانَةٌ ... لِمُرْتَجِزٍ يَحْدُو وَمُرْتَجِلٍ يَشْدُو

---

(٤٥) يروى « تسير مسير الشمس » ويروى « مطرفاته » فيعود الضمير على الشعر ، أو على العقد ، والمراد بمطرفاته ماقاله من خلل الشعر وعاليه مما لم يسبق إليه ، يريد أنه سار كما تسير الريح ، وذلك لأن الناس يتمثلون به فى كل مكان ، والعنيق — ومثله العنق — والوخد : ضربان من السير السريع .

(٤٦) يقول : إن هـذه القصائد التى أقولها فى هـذا الممدوح لاتسير على الحقيقة ، ولـكن الناس يحفظونها لنفاستها وعلو قدرها فهم الذين يسيرون بها .

(٤٧) الآفاق : جمع أفق وهو الناحية ، ووقع فى المصرية « ولا ابتل » وما أثبتناه يوافق ماعند التبريزى ومافى مطبوعة بيروت ، وسوابق : جمع سابق ، وفواعل يكون جمعا لفاعل متى كان وصفاً لغير عاقل ، والعذار — بكسر العين بزنة كتاب — جانب الرأس ، والخد : مكان معين من جانب الرأس فى الخيل والإبل ونحوها ، وكنى بقوله « وما ابتل منها — إلخ » عن كونها لاتجرى حتى تعرق فيبتل من عرقها عذارها وخدها ، يعنى أن الرواة هم الذين يتسابقون بها إلى آفاق البلاد .

(٤٨) غرائب : جمع غريبة ، والمراد أنها مما لم يألفه الشعراء ولم يقولوه ، وقد سبقه الأعشى إلى هذا الوصف إذ يقول :

وقصيدة تأتى الملوك غريبة ... قد قلتها ليقال من ذا قالها

واللبانة — بضم اللام — الحاجة ، والمرتجز : أراد به الذى يحدو للقافلة لتنشيط الإبل وبعثها على السير ، وأراد بالمرتجل الذى ينشد الشعر فى المجالس ليدل على براعته

٤٩ إذَا حَضَرَتْ سَاحَ المُلوكِ تَقَيَّلَتْ
عَقَائِلُ حُسْنٍ غَيْرُ مَلْمُوسَةٍ مُلْدُ

٥٠ أُهِينَ لَهَا مَافِي البُدُورِ وَأُكْرِمَتْ
لَدَيْهِمْ قَوَافِيها كَمَا يُكْرَمُ الوَفْدُ

* * *

(٤٩) الساح : جمع ساحة ، وتقيلت : ارتفع شأنها وعظم مكانها ، وأصله من القيل ـ بفتح القاف وسكون الياء ـ وهو الرئيس الذى يلى الملك ، والعقائل : المخدرات ، والملد : جمع ملداء، وهى الطويلة الناعمة .

(٥٠) البدور : المراد بها أكياس النقود ، وما فيها هوالمال ، والبدرة : كيس فيه ألف ـ وقيل : عشرة آلاف ـ درهم ، وكأنهم جمعوا البدرة بحذف التاء ، ثم جمعوا البدر على بدور .

* * *

(٥٥)

وقال يمدح الحسن بن وهب ، ويستسقيه نبيذا :

١ جُعِلْتُ فِدَاكَ عَبْدُ اللهِ عِنْدِى ... بِعَقْبِ الهَجْرِ مِنْهُ وَالبُعَادِ

٢ لَهُ لُمَةٌ مِنَ الكُتَّابِ بِيضٌ ... قَضَوْا حَقَّ الزِّيَارَةِ وَالوِدَادِ

٣ وَأَحْسَبُ يَوْمَهُمْ إِنْ لَمْ تَجُدْهُمْ ... مُصَادِفَ دَعْوَةٍ مِنْهُمْ جَمَادِ

---

(٥٥)

اتفقت الأصول كلها على رواية هذه القصيدة تالية للقصيدة السابقة ، وعلى أنها قيلت فى الحسن بن وهب ، فى الفرض المذكور فى الأصل ، وعبارة التبريزى «ويستهديه نبيذاً » كما اتفقت على عدة أبياتها ، وهى فى رواية التبريزى برقم (٥٢) وعبد الله الذى ذكره أبو تمام فى أول أبيات هذه القطعة كان محببا إليه ، وقد ذكره فى باب الغزل ، ثم كان أنه هجره وانقطع عن زيارته ، ثم تصالحا وجاء يزوره ، وهذا مقام يقتضى عند أبى تمام الاحتفال له وحشد الألطاف لتحية الزائر ، فهذا ما دعاه إلى استهداء النبيذ .

(١) عقب كل شىء : بفتح فكسر ، أو بفتح فسكون ، أو بضم فسكون ، ما يكون بعده أو فى آخره ، ومثله عقبته وعقباه ـ بضم فسكون فيهما ـ والبعاد = المباعدة .

(٢) لمة ـ بضم اللام وفتح الميم مخففة ، ولام الكلمة محذوفة كثبة وقلة ـ هى الجماعة من الناس يتساوون فى السن ، أو هى الأصحاب ما بين الثلاثة إلى العشرة ، أو هى المثل والترب ، يقال : فلان لمة فلان ، أى هو مثله وتربه وسنينه وشكله ، وفى حديث عمر أنه قال : أيها الناس ليتزوج كل رجل منكم لمته من النساء ، ولتتزوج المرأة لمتها من الرجال ، أراد ليتزوج كل رجل امرأة على قدر سنه ولا يتزوج الكهل حدثة يشق عليها زوجه ، وفى المصرية ومطبوعة بيروت « به لمة » فالباء بمعنى مع ، أى معه أصحاب من سنه وشكله .

(٣) تجدهم : تسقيهم ، وأصله قولهم « جاد الغيث الأرض » أى نزل عليها فسقاها ، وأصل الجماد من وصف السنين ، يقال : سنة جماد ، والمراد أنه لا مطر فيها ، يقول : إن لم يأتهم من عندك ما يسقيهم فلن يجدوا عندى شيئا ، ويكونون قد صادفوا دعوة تشبه السنة الجماد .

٤ فَكَمْ نَوْءٍ مِنَ الصَّهْبَاءِ سَارٍ وآخَرَ مِنْكَ بِالمَعْرُوفِ غَادِ
٥ فَهَذَا يَسْتَهِلُّ عَلَى غَلِيلِي وَهَذَا يَسْتَهِلُّ عَلَى تِلَادِي
٦ وَيَسْقِي ذَا مَذَانِبَ كُلِّ عِرْقٍ
وَيُتْرِعُ ذَا قَرَارَةَ كُلِّ وَادِ
٧ دَعَوْتُهُمُ عَلَيْكَ وَكُنْتَ مِمَّنْ
أُنَادِيهِ عَلَى النُّوَبِ الشِّدَادِ

* * *

(٤) النوء ـ بفتح فسكون ـ المطر ، وأصله النجم يغرب فيظهر فى إثره نجم ، وكانوا يزعمون أن ذلك سبب المطر ، والصهباء : من أسماء الخمر ، وأصل السرى يكون فى الليل ، والغدو يكون فى النهار ، ولكنه لا يريد هنا وقتا دون وقت .

(٥) يستهل : ينسكب وينهمر ، والغليل ـ بفتح الغين المعجمة ـ حرارة الجوف من العطش ، وأصل التلاد ـ بكسر التاء ـ المال القديم ، يقول : إن النبيذ الذى الذى ترسله يروى عطشى ويبرد حرارة باطنى ، ومالك الذى تمنحنيه يزيد فى مالى المدخر ويغنينى .

(٦) المذانب : مجارى الماء إلى الوادى ، ويترع : يملأ ، وقرارة الوادى : مكان استقرار الماء فيه . والمراد من هذا البيت تأكيد معنى البيت الذى قبله .

(٧) دعوتهم عليك : يريد أنه إنما دعاهم ارتكانا على أن نفقاتهم ستكون عليك ، ووقع عجز البيت عند التبريزى « وكنت ممن * تعينه على العقد الجياد » والعقد : جمع عقدة ، وهى ما يدخر من الأموال الكريمة .

* * *

(٥٦)

وقال أيضاً :

١ أبَا القَاسِمِ المَحْمُودَ إنْ ذُكِرَ الحَمْدُ
وُقِيتَ رَزَايَا مَا يَرُوعُ وَمَا يَغْدُو

٢ وَطَابَتْ بِلَادٌ أَنْتَ فِيهَا وأصْبَحَتْ
وَمَرْبَعُهَا غَوْرٌ وَمُصْطَافُهَا نَجْـــــدُ

٣ فَإنْ تَكُ قَدْ نَالَتْكَ أَطْرَافُ وَعْـكَةٍ
فَلَا عَجَبٌ أَنْ يُوعَكَ الأَسَدُ الوَرْدُ

---

(٥٦)

أجمعت النسخ على رواية هذه القصيدة تالية للقصيدة التى قبلهـا ، وقدم لهـا التبريزى بقوله « وقال يمدح غيره » وقدمت لها مطبوعة بيروت بقولها « وقال أيضا يهنئه بشفائه من علة لحقته » أى محمد بن الهيثم بن شبانة ، وهى فى رواية التبريزى برقم ٥٣

(١) وقيت: جعلت لك وقاية تمنعك وتحفظك ، والرزايا: جمع رزية ، وأصلها رزيئة ، فقلبوا همزتها باء ثم أدغموا الياء فى الياء ، كما فعلوا فى خطيئة حيث قالوا خطية ، وجمعوها على خطايا ، يقول : يا أبا القاسم أنت المحمود كلما ذكر الحمد ، وأنا أسأل الله أن يجعل لك وقاية تحفظك من شر الرزايا كلها .

(٢) المربع : منزل الناس فى وقت الربيع ، وأراد أن يقول « ومشتاها » فلم يستقم له الوزن فعـدل إلى المربع ، والغور : المـكان المنخفض من الأرض ، ومصطافها : المـكان الذى ينزل فيه القوم أيام الصيف ، والنجد : الموضع المرتفع ، وأحسن ما يقضى الشتاء فيه هو الغور لأنه قليل البرد ، كما أن أحسن ما يقضى فيه القيظ هو النجد لأنه قليل الحر ، وفى ذلك يقول أبو دلف العجلى :

وكنت امرأً كسروى الفعال ... أصيف الجبال وأشتو العراقا

ومن أجل هذا قلنا إن أبا تمام أراد أن يقول « ومشتاها غور » فلم يستقم له.

(٣) الوعكة ــ بفتح الواو وسكون العين المهملة ــ أول المرض ، وأكثر مايستعمل ذلك فى الحمى ، والأسد الورد : الذى يميل لونه إلى الحمرة ، والناس يقولون : إن الأسد لايزال محموما .

٤ سَلِمْتَ فإِن كَانَتْ لَكَ الدَّعْوَةُ اسْمُهَا
وَكَانَ الَّذِى يَحْظَى بِإِنْجَاحِهَا الْمَجْدُ

٥ فَقَدْ أَصْبَحَتْ مِنْ صُفْرةٍ وَوُجُوهُهَا
وَرَايَاتُهَا سِيَّانِ غَمًّا بِكَ الأَزْدُ

٦ خُلِقْتَ لَهُمْ كَهْفًا وحِصْنًا وَمَلْجَأً
فَلاَ الحِصْنُ مَهْدُومٌ ولا الكَهْفُ مُنْهدٌّ

٧ أَمَا وَأَبِى لَوْلاَ يَمِينُكَ أَصْبَحَتْ
يَمِينُ النَّدَى وَالنَّذْرِ لَيْسَ لَهَا عَقْدُ

---

(٤) الدعوة : هى طلب الناس من الله تعالى أن يشفيك من السقم وأن يعيد إليك العافية ، والدعوة اسم كان ، واسمها بدل منه ، وخبر كان هو الجار والمجرور. وهذا خير مما قاله التبريزى فى إعراب هذا البيت فإنه قد تكلف له وجها بعيدا ، يقول : إن الدعاء موجه إلى الله تعالى باسمك ، لكن الحقيقة أن الذى يفيد من هذا الدعاء هو المجد ، لأنه يسلم بسلامتك ويسقم بسقمك ، ومن هنا أخذ أبو الطيب المتنبي قوله :

المجد عوفى إذ عوفيت والكرم   وزال عنك إلى أعدائك الألم

(٥) روى التبريزى هذا البيت على وجه آخر . وهو :

فقد أصبحت من صفرة فى وجوهها   وراياتها سيان غما بك الأزد

وما أثبتناه موافقاً لما فى المصرية أوضح ، ووجوهها — على روايتنا — مبتدأ ، وراياتها : معطوف عليه ، وسيان : خبر المبتدأ وما عطف عليه ، والأزد : اسم أصبح الذى فى أول البيت ، وغما بك: مفعول لأجله ، ويجوز أن يكون « غما بك » فى تأويل مشتق ، أى أنه مصدر بمعنى اسم المفعول ، وعليه يكون خبر أصبح تقدم على اسمها . وتقدير البيت : فقد أصبحت الأزد مغمومة بك من أجل صفرة ، ووجوهها وراياتها سيان . والأزد : قبيلة الممدوح ، وسيان : مستويان . يقول : لقد امتلأت الأزد غما بسبب ما عراك من العلة ، وشحبت ألوانها واصفرت وجوهها ، وأصبحت وجوهها وراياتها بلون واحد ، ورايات الأزد صفراء اللون.

(٦ ، ٧ ، ٨) سقطت هذه الأبيات من نسخة التبريزى وحدها ، وهى ثابتة فى جميع ما عداها من نسخ الديوان .

٨ تَلاقَى بِكَ الحَيانِ كَعْبٌ وَنَاهِدٌ
فأَنْتَ لَهُمْ كَعْبٌ ، وأَنْتَ لَهُمْ نَهْدُ

٩ بِعالاَ بِكَ الشَّكْوَى ؛ فَلَيْسَ بِضائِرٍ
إِذَا صَحَّ نَصْلُ السَّيْفِ مالَقِيَ الغِمْدُ

* * *

(٩) ضاره يضيره : أنزل به الضر ، والباء فى « بضائر » زائدة فى خبر ليس ، واسم ليس هو «ما» من قوله «مالقى الغمد» . يقول: نحن نتمنى أن يكون الذى حل بك من سبب الشكوى قد نزل بناوقد سلمت أنت ، لأنك بمنزلة السيف ونحن منك بمنزلة غمد السيف ، فإذا سلمت أنت فإن كل شىء بعد ذلك هين ، وقد أخذالشريف الرضى معنى هذا البيت وبعض ألفاظه فى قوله :

لهان الغمد ما بقى الحسام   وبعض النقص أوله تمام

* * *

(٥٧)

وقال يمدح أحمد بن عبدالكريم

١ يادَارُ دَارَ عَلَيْكِ إرْهَامُ النَّدَى
وَاهْتَزَّ رَوْضُكِ فِي الثَّرَى فَتَرَأَّدَا

٢ وَكُسِيتِ مِنْ خِلَعِ الحَيَا مُسْتَأْسِداً
أُنُفاً يُغَادِرُ وَحْشَهُ مُسْتَأْسِدَا

(٥٧)

اتفقت جميع النسخ على رواية هذه القصيدة تالية للكلمة السابقة ، وقد قدمت لها رواية التبريزى بقوله « وقال يمدح أحمد بن عبد الكريم الطائى الحمصى » وهى فى روايته برقم ٥٤ .

(١) الدار : المنزل ، ؛ ودار عليك : أتاك من جميع جهاتك ، وارهام : أصل هذه المادة الرهمة ــ بكسر الراء وسكون الهاء ــ وهى المطر الضعيف الدائم الصغير القطر ، ويجمع على رهم ورهام ــ بكسر الراء وفتح الهاء فيهما ــ ويقال « أرهمت السحابة ، وأرهمت السماء » أى أمطرت ، ويجوز فى قول أبى تمام «ارهام الندى» أن تقرأه بفتح الهمزة على أنه جمع رهم الذى هو جمع رهمة ، ويجوز أن تقرأه بكسر الهمزة على أنه مصدر أرهمت السماء ، وترأد ــ بتضعيف الهمزة ــ من قولهم « ترأد النبت » إذا تمايل واهتز لنضارته وطوله ، وقال المستوفى : ترأد أى كثر وطال حتى يأتيه الرائد ، يدعو لهذه الدار بالسقيا الدائمة حتى تعشب وتنبت ويطول نبتها لما يستتبعه ذلك من استقرار أهلها ودوام إقامتهم بها .

(٢) الخلع : جمع خلعة ــ بكسر الخاء ــ ويروى « من حلل الحيا » والحلل ــ بضم الحاء وفتح اللام ــ جمع حلة ، وهى ماتتزين به المرأة من اللباس ، والحيا : المطر ، وحلل الحيا : النبات ، وإضافة الحلل إلى المطر من إضافة الشىء إلى سببه ، وهى استعارة جيدة ، استعار لفظ الحلل للنبات الذى تتزين به الأرض وتأخذ زخرفها بسببه ، وتقول « هذا نبت مستأسد » تريد أنه طويل متصل بعضه =

٣ طَلَلٌ وَقَفْتُ عَلَيْهِ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ كَادَ يُصْبِحُ رَبْعُهُ لِي مَسْجِدَا

٤ مَازِلْتُ أُنْشِدُهُ وَأَنْشُدُ أَهْلَهُ وَالْحُزْنُ خِدْنِي نَاشِدًا أَوْ مُنْشِدَا

٥ سَقْيًا لِمَعْهَدِكَ الَّذِي لَوْ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ قَلْبِي لِلصَّبَابَةِ مَعْهَدَا

= بعض ، وتقول « استأسد الرجل وغيره » تريد أنه أشبه الأسد فى قوته، وأراد أبو تمام أن هذا النبت يطول ويتصل ، وأن الوحش الذى يرعاه يقوى عليه ويشتد حتى يصير مثل الأسود ، والأنف ـ بضم الألف والنون جميعاً ـ الذى لم يرع من قبل ، ويغادر : يترك .

(٣) الطلل : ماشخص وارتفع من آثار الديار ، ووقفت عليه: هكذافى المصرية ووقع فى رواية التبريزى وفى مطبوعة بيروت « عكفت عليه » وهى أنسب بعجز البيت ، فإن فى العكوف إشعارا بلزوم الوقوف على هذا الطلل ودوامه ، وأسأله : أراد أنه يسأل هذا الطلل عن سكانه : أين ذهبوا ؟ ومتى غادروه ؟ وماذا حل بهم مما لم يشاهده؟ .

(٤) مازلت أنشده : روى التبريزى ومطبوعة بيروت « وظللت أنشده » وأنشده ـ بضم همزة المضارعة ـ يحتمل معنيين : الأول أنه أراد مازلت أعرفه بحالى وبمن معى من الرفاق ، وهذا أحسن المعنيين . والثانى أنه أرادأنه ظل ينشده شعره ، وأنشد الثانى ـ بفتح همزة المضارعة ـ مضارع « نشد فلان الضالة » أى طلبها وسأل الناس عنها ، وقوله « والحزن خدنى » هكذا فى المصرية ومطبوعة بيروت ورواية التبريزى ، ويروى «والشوق خدنى» وخدن الرجل ـ بكسر الخاء وسكون الدال ـ صاحبه ورفيقه .

(٥) للمعهد : المنزل الذى كنت تعهد فيه أحبابك ، ولم يكن : هنا تامة ، أى أنها تحتاج إلى فاعل ، ولا تحتاج إلى اسم وخبر ، ومعناها : يوجد ، والصبابة ـ بفتح الصاد ، بوزن السحابة ـ رقة الشوق ، يقول للطلل بعد أن دعا له بالسقيا : لولم توجدأنت لم يكن قلبى معهدا للشوق، وكم من الشعر الجزل والمعانى الرقيقةقد صاغه الشعراء فى خطاب الأطلال الدارسات .

٦ لَمْ يُعْطِ نَازِلَةَ الْهَوَى حَقَّ الْهَوَى
دَنِفٌ أَطَافَ بِهِ الْهَوَى فَتَجَلَّدَا

٧ صَبٌّ تَوَاعَدَتِ الْهُمُومُ فُؤَادَهُ
إِنْ أَنْتُمُ أَخْلَفْتُمُوهُ مَوْعِدَا

٨ لِمْ تُنْكِرِينَ مَعَ الْفِرَاقِ تَبَلُّدِي
وَبَرَاعَةُ الْمُشْتَاقِ أَنْ يَتَبَلَّدَا ؟

---

(٦) نازلة الهوى : ما نزل بالعاشق منه ، والدنف ـ بفتح الدال وكسر النون ـ المريض الذى كلما ظن أنه برىء عاوده السقام ، وتجلد : تصبر وتحمل ، يقول : من حق المريض بالعشق أن يظهر الشكوى وأن يتذلل لمحبوبه ، فإذا أظهر التحمل والجلد فإنه يكون فى حالة الذى لم يعط الهوى حقوقه .

(٧) الصب : العاشق ذو الصبابة : تقول « صب فلان يصب صبابة فهو صب » وباب فعله فرح ، والهموم : جمع هم ، وتواعدت الهموم فؤاده : وعد كل واحد منها الآخر على أن يتلاقيا فيه ، يريد تكاثرت الهموم واجتمعت عليه ، ويروى عجز البيت « إن أنتم أخلفتموه الموعدا » .

(٨) البراعة : فى رواية التبريزى وفى المصرية ومطبوعة بيروت بالراء والعين المهملتين ، وقال التبريزى « صحف قوم البراعة فرووه وبزاعة المشتاق (أى بالزاى والعين المهملة) وعدل قوم لم يعرفوه فرووه وأمارة المشتاق » اهـ كلامه ، ونحن لانقره على أن رواية « بزاعة المشتاق » بالزاى والعين المهملة تحريف أو تصحيف ، أما من جهة الرواية فقد نص ابن المستوفى على أنه وجدها فى نسخة من نسخ الديوان على هذا الوجه ، وأما من جهة المعنى فإن لها معنى جيدا ، ذلك أنه يقال « بزع الغلام يبزع بزاعة » مثل ظرف فى الوزن والمعنى ، والبزيع : هو الظريف . وتقول : غلام بزيع ، وجارية بزيعة ، إذا أردت وصفهما بالظرف والملاحة وذكاء القلب ، نعم نص حملة اللغة على أن ذلك مما لا يوصف به إلا الأحداث من الرجال والنساء ، لكن لا يلزم أن يكون المشتاق شيخاً أو كهلا .

٩ يا صَاحِبِي بِدِمَشْقَ لَسْتَ بِصَاحِبِي
مَا لَمْ تُمَهِّدْ لِلهُمُومِ مُمَهَّدَا

١٠ أَدْنِ الْمُعَبَّدَةَ السِّنَادَ وَأَنْئِهَا
بِالسَّيْرِ مَادَامَ الطَّرِيقُ مُعَبَّدَا

١١ وَإِلَى بَنِي عَبْدِ الْـ كَرِيمِ تَوَاهَقَتْ
رَتْكَ النَّعَامَ رَأَى الظَّلَامَ فَخَوَّدَا

---

(٩) يرون « إن لم تمهد » وهى رواية التبريزى ، وممهد فى آخر البيت : يجوز أن يكون مصدراً ميميا بمعنى التمهيد ، ويجوز أن يكون اسم مفعول مشتقا من التمهيد يقول : إذا أنت لم تهتم مثل اهتمامى ، أو إذا لم تأخذ فى الاحتيال لدفع الهموم عنى . فلست بصاحبى الذى أركن إليه وأعتمد عليه .

(١٠) أدن : فعل أمر ماضيه أدناه بمعنى قربه، والمعبدة: اسم مفعول من التعبيد، وهو التذليل ، وأراد الناقة المذللة على السير ، والسناد ـ بكسر السين ، بوزن الكتاب ـ الناقة المرتفعة السنام ، وأنئها : فعل أمر ماضيه أنآه ينئيه ، أى أبعده ، والطريق المعبد :الممهد المذلل . يقول: قرب منك ناقة مرتفعة السنام قد تعودت السير وعرفت بالصبر على مشاقه ، وسر بها فى الأرض حتى تبعد ، ولا تتوقف مادام الطريق الذى تسلكه ممهدا ومذللا .

(١١) تواهقت : تتابعت فى السير وبارى بعضها بعضا ، وفيه ضمير مستتر يعود إلى الناقة التى عبر عنها فى البيت السابق بقوله « أدن المعبدة السناد » وقال أوس بن حجر :

تواهق رجلاها يداها ، ورأسه لها قتب عند الحقيبة رادف

ورتك : مصدر « رتك البعير يرتك » من باب نصر ـ إذا مشى مشية فيها اهتزاز ، والنعام يوصف بسرعة السير ، والظليم : ذكر النعام ، ونصب « رتك النعام » على أنه مفعول مطلق قصد به التشبيه ، يعنى أن سيرها يشبه سير النعام ، وخود ـ بتشديد الواو ـ سار سيرا سريعا .

١٢ كَمْ أَنْجَبُوا قَمَراً حَباً بِفِعَالِهِ ... مَجْداً وَمَكْرُمَةً تُنَاغِي الفَرْقَدَا
١٣ مُتَهَلِّلاً فِي الرَّوْعِ مُنْهَلاً إِذَا ... مَا زَنَّدَ اللَّحِزُ الشَّحِيحُ وَصَرَّدَا
١٤ مَنْ كَانَ أَحْمَدَ مَرْتَعاً أَوْ ذَمَّهُ ... فَاللهَ أَحْمَدُ ، ثُمَّ أَحْمَدُ أَحْمَدَا
١٥ أَضْحَى عَدُوًّا لِلصَّدِيقِ إِذَا غَدَا ... فِي الْجُودِ يَعْذُلُهُ ، صَدِيقاً لِلعِدَى
١٦ أَفْنَيْتُ مِنْهُ الشِّعْرَ فِي مُتَمَدِّحٍ ... قَدْ سَادَ حَتَّى كَادَ يُفْنِي السُّؤْدَدَا

---

(١٢) رواية التبريزى « كم أنجموا » ومعنى « أنجموا » أطلعوا ، وتقول « نجم النبت » إذا طلع وظهر ، وتقول « أنجم المطر النبت » تريد أطلعه وأظهره ، يقول : إنهم يلدون أولادا كأنما يطلعون بهم أقمارا ، وحبا : منح وأعطى ، وروى التبريزى « حمى بفعاله قمرا » ويروى « كرما » وفى رواية التبريزى يكون القمر الأول أبا القمر الثانى ، وتناغى : من مناغاة الصبيان .

(١٣) متهللا: ضاحكا ، ومنهلا: منسكبا منهمرا بالجود والعطاء ، وزند ــ بتشديد النون ــ ضيق ، واللحز ــ بفتح اللام وكسر الحاء ــ الضيق الصدر ، والشحيح : البخيل ، وقال عمرو بن كلثوم :

ترى اللحز الشحيح إذا أمرت ... عليه لماله فيها مهينا

وصرد : أصله من التصريد ، وهو قطع الشرب ، والمراد هنا أنه قطع العطاء وامتنع منه .

(١٤) أحمد : فعل ماض معناه وجده محمود الخلال ، أو معناه أثنى عليه .

(١٥) يريد أنه يعادى صديقه إذا لامه أو عذله فى الجود وبذل المال ، لما يرى أن البذل يكسبه الحمد ، ويصادق عدوه إذا عذره على البذل والإعطاء .

(١٦) متمدح : مستوجب للمدح بجميل أفعاله ، وهو مثل المستمدح : أى طالب المدح ، وساد : صار سيدا ، ومعنى « كاد يفنى السؤددا » أنه لم يبق لغيره من الناس سؤددا ، ويروى « يغنى السودد » وليس بشىء ، يقول : إننى قد أفنيت فيه المدح فلم أبق مكرمة من المكارم إلا نسبتها إليه لأنه مستحق لها ، كما أنه هو أفنى خصال السؤدد فحازها كلها ولم يبق منها شيئا يحوزه غيره .

١٧ عَضْبُ الْعَزِيمَةِ فِي الْمَكَارِمِ لَمْ يَدَعْ
فِي يَوْمِهِ شَرَفًا يُطَالِبُهُ غَـــدَا

١٨ بَرَّزْتَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَاحِدًا فِيهَا تَسِيرُ مُغَوِّرًا وَمُنَجِّدَا

١٩ عَجَبًا لأَنَّكَ سَالِمٌ مِنْ وَحْشَةٍ فِي غَايَةٍ مَا زِلْتَ فِيهَا مُفْرَدَا

٢٠ وَأَنَا الْفِدَاءُ، إِذَا الرِّمَاحُ تَشَاجَرَتْ،
لَكَ، وَالرِّمَاحُ مِنَ الرِّمَاحِ لَكَ الْفِدَا

٢١ وَسَلِمْتَ، إِنَّا لاَ تَزَالُ سَوَالِمًا آمَالُنَا بِكَ مَا سَلِمْتَ مِنَ الرَّدَى

---

(١٧) عضب : أى قاطع ، يريد أن عزيمته تأتى على كل شىء ، ولا يقف دونها شىء ، ولم يدع : لم يترك ، ويطالبه : معناه يطلبه .

(١٨) برزت : سبقت ، ومغور : سائر نحو الغور وهو تهامة ، ومنجد : سائر نحو نجد ، والمراد بهما عموم الجهات .

(١٩) يقول : إنى لأعجب كيف سلمت من الوحشة وأنت تسير منفردا فى هذه الغاية التى استوليت عليها من المجد ، وليس لك من يؤنسك فى سيرك ، لأن جميع الناس قصرت منهم الهمم عن أن يجاروك فيها ، ولهذا وقفوا وسرت ، وأخلدوا إلى الراحة فى حين أنك دائم الجهد .

(٢٠) تشاجرت : اشتبكت ، و « لك » يتعلق بالفداء ، ويروى « والسيوف من الرماح لك الفدا » يريد سيوف الممدوح أو سيوف أنصاره ، لأنها تكسر رماح أعدائه . يقول : أنا أفديك إذا اشتبكت الرماح فى حال حرب أو نحوها ، ورماحك أو رماح أنصارك فداء لك من رماح أعدائك ، لأنهم يحطمونها ، ويكونون وقاية لك منها .

(٢١) يجوز فى « إنا لا تزال سوالما » كسر همزة إن على أن الجملة مستأنفة للتعليل . ويجوز فتح الهمزة على تقدير لام التعليل ، والردى : هو الهلاك ، يقول : سلمت من الموت فإن آمالنا لا تزال سالمة بك مدة سلامتك من الردى .

٢٢ كَمْ جِئْتَ فِي الهَيْجَا بِيَوْمٍ أَبْيَضٍ
وَالحَرْبُ قَدْ جَاءَتْ بِيَوْمٍ أَسْوَدَا

٢٣ أَقْدَمْتَ لَمْ تُرِكَ الحَمِيَّةُ مَصْدَرًا عَنْهَا ، وَلَمْ يَرَ فِيكَ قِرْنُكَ مَوْرِدَا

٢٤ لَمْ تُغْمِدِ السَّيْفَ الَّذِى قُلِّدْتَهُ حَتَّى تَمَنَّى نَصْلُهُ أَنْ يُغْمَدَا

٢٥ هَيْهَاتَ لاَ يَنْأَى الفَخَارُ وَإِنْ نَأَى
عَنْ طَالِبٍ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ النَّدَا

٢٦ أَنَّى يَفُوتُكَ مَا طَلَبْتَ وَإِنَّمَا وَطَرَاكَ أَنْ تُعْطِي الجَزِيلَ وَتُحْمَدَا

---

(٢٢) الهيجا : الحرب ، تمد وتقصر ، وأراد باليوم الأبيض أنه يبلى البلاء الحسن ويكشف الشدائد فتحسن العاقبة .

(٢٣) ترك : مضارع ماضيه أراك ، والضمير فى « عنها » يعود إلى الهيجا المذكورة فى البيت السابق ، والمصدر فى الأصل : الرجوع عن الماء بعد الاستقاء ، وأصل المورد الإقدام على الماء للاستقاء ، يقول : إنك أقدمت على الحرب إقداما جريئا ، ولم تمكنك الحمية من النكول عنها ، وإن عدوك لم يجد فيك مطمعا يتسنى له به أن يرد عليك .

(٢٤) روى الصولى « حتى تمنى لو درى أن يغمدا » ودرى : أى علم ، ولم تغمد السيف : أى لم تدخله فى غمده ، لأنك ما زلت تضرب به ، يقول : إنك مازلت تضرب بالسيف حتى إنه سئم العمل لكثرة ما قطع من رقاب الأعداء ، وتمنى أن يعود إلى قرابه .

(٢٥) هيهات : اسم فعل معناه بعد ، وينأى : يبعد ، و « عن طالب » متعلق بينأى . ومعنى « كانت مطيته الندى » أنه يركب إلى الفخار مطية هى الندى ، ويروى « سيما مطيته الندى » يقول : لا يبعد إدراك الفخار عن رجل يركب له مطية هى الجود والعطاء ، وهو يطلب ويبحث عن سائله ومستمنحه ، ولا ينتظر إقباله عليه .

(٢٦) أنى : معناه كيف ، وما طلبت : هو بلوغ أقصى درجات الفخار ، والوطر - بفتح الواو والطاء - الأرب والغرض ، والجزيل : الكثير . يقول : إنك لابد =

٢٧ لَمَّا زَهِدْتَ زَهِدْتَ فِي جَمْعِ الْغِنَى ... وَلَقَدْ رَغِبْتَ فَكُنْتَ فِيهِ أَزْهَدَا

٢٨ فَالْمَالُ أَنَّى مِلْتَ لَيْسَ بِسَالِمٍ ... مِنْ بَطْشِ كَفِّكَ مُصْلِحًا أَوْ مُفْسِدَا

٢٩ فَلَأَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ نَوَالِكَ مَحْتِدًا
وَنَدَاكَ أَكْرَمُ مِنْ عَدُوِّكَ مَحْتِدَا

٣٠ لَا تَعْدَمَنْكَ طَيِّئٌ فَلَقَلَّمَا ... عَدِمَتْ عَشِيرَتُكَ الْجَوَادَ السَّيِّدَا

* * *

= بالغ ما تريد ، لأن لك غرضين : أحدهما أن تعطى العطاء الكثير ، وأنت تفعل هذا ، وثانيهما أن يحمدك من تعطيه ، وهذا مترتب بالطبع على الأول .

(٢٧) يقول : حينما زهدت كان زهدك فى جمع المال ، وقد كنت من قبل قد رغبت فى جمع المال غير أن حالك فيه حينئذ كانت تدل على شدة الزهد فى المال؛ لأنك كنت تجمعه وتفرقه .

(٢٨) أراد بالإصلاح هنا جمع المال ، وأراد بالإفساد تفريقه على كل راغبى جدواه ، يقول : المال غير سالم فى كلتا حاليك ، أما فى حال جمعك فإنك لا تجمعه لتدخره وإنما تجمعه لتفرقه ، وأما فى حال تفريقه فعدم سلامته لا تحتاج إلى بيان .

(٢٩) النوال : العطاء ، والمحتد : الأصل ، والندى : الجود ، يقول : أنت أكرم أصلا من المال ، ونفسك عندك أكرم من أن تصونه وتبذل عرضك ومحتدك لمن يعاديك أو يعيبك ، فأنت تفرق المال بغير مبالاة ، وتحفظ عرضك من أن يقول فيك قائل شيئا . وانظر هذه الاستعارات المتكافئة ، للنوال محتد ، وللندى محتد أكرم من محتد الأعداء .

(٣٠) كان حاتم بن عبد الله من طيىء ، وكان مضرب المثل فى الجود ، وكان من من طيىء قوم غير حاتم طار بذكر جودهم المثل ، والممدوح من طيىء الذين منهم هؤلاء ، يدعو للممدوح بطول العمر ، لأنه من سلالة قوم أسخياء إذا مات منهم سيد قام مقامه منهم سيد آخر ، وفى العبارة قصور عن أداء المعنى الذى يريده كاملا .

* * *

(٥٨)

وقال يمدح مُوسَى بن إبراهيم الرَّافِقِي ، ويعتذر إليه :

١ شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدِي
وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ

٢ وَأَنْجَدْتُمُ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُمْ فَيَادَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ

٣ لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْلَقْتُمُ جِدَّةَ الْبُكَى عَلَيَّ ، وَجَدَّدْتُمْ بِهِ خَلَقَ الْوَجْدِ

---

(٥٨)

وقعت هذه القصيدة فى مطبوعة مصر ومطبوعة بيروت تالية للقصيدة السابقة، وفصلت بينهما فى رواية التبريزى الأبيات الثلاثة التى يمدح فيها داود الطائى ، والتى أولها * أيها السائلى عن عرصة الجود* والتى ستأتى فى أصلنا برقم ٦٤ ، وتقع هذه القصيدة التى نحن بصدد شرحها فى شرح التبريزى برقم ٥٦ ، وقد قدم لها بقوله «وقال يمدح أبا المغيث الرافقى ويعتذر إليه» وقد ذكر اسمه فى البيت ٢٢ وكنيته فى البيت ١٥.

(١) شهدت : أى حلفت وأقسمت ، وأقوت : خلت ، تقول « أقوى المنزل » تريد أن سكانه فارقوه فأصبح خاليا ، والمغانى: جمع مغنى ، وهو اسم مكان من قولهم « غنى المنزل يغنى » بوزن رضى يرضى – إذا كان آهلا بالسكان ، ومحت : انمحت وبليت ، والوشائع : جمع وشيعة ، وهى الغزل الذى على قصبة النساج ، والوشائع أيضا : الخيوط التى يلحم بها السدى ، وقد أطال الآمدى فى نقد هذا البيت .

(٢) أنجدتم : أصل معنى « أنجد » دخل نجدا ، ومعنى « أتهم » دخل تهامة ، وأراد انتقلتم إلى سكنى نجد بعد ما كنتم تسكنون تهامة ، وإنى لا أجد مسعدا لى على احتمال فراقكم غير الدمع أسكبه فيخفف أشجانى .

(٣) روى التبريزى هذا البيت ببعض اختلاف هكذا :

لعمرى لقد أخلقتم جدة البكى بكاء، وجددتم به خلق الوجد

ويروى على وجه آخر هكذا :

لعمرى لقد أبليتم جدة البكى بكائى، وجددتم على بلى الوجد

ويروى برواية أخرى هكذا :

لعمرى لقد أخلقتم جدة البلى على ، وجددتم على بلى الوجد

٤ وَكَمْ أَحْرَزَتْ مِنكُمْ عَلَى قُبْحِ قَدِّهَا
صُرُوفُ الرَّدَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ الْقَدِّ

٥ وَمِنْ نَظْرَةٍ بَيْنَ السُّجُوفِ عَلِيلَةٍ وَمُحْتَضَنٍ شَخْتٍ وَمُبْتَسَمٍ بَرْدِ

٦ وَمِنْ زَفْرَةٍ تُعْطِي الصَّبَابَةِ حَقَّهَا
وَتُورِي زِنَادَ الشَّوْقِ تَحْتَ الْحَشَا الصَّلْدِ

= وأخلقتم وأبليتم بمعنى واحد ، والجدة ـ بكسر الجيم وتشديد الدال ـ مصدر « جد الشيء » أى صار جديدا ، والخلق ـ بفتح الخاء واللام جميعا ـ الشيء البالى القديم ، والوجد : شدة الحب ، يقول : إنى ما زلت أبكى على هذه المعاهد حتى استنزفت دمع عينى فصار البكى شيئا باليا خلقا فى حين أنه أثار لواعج شوقى فصار كأنه جدد لى الشوق وتباريح الحب .

(٤) على قبح قدها : يريد على قبح صورتها وهيئتها ، ومنه يقولون « إن فلانا كأنما قد من فلان » إذا كان على صورته ، وصروف النوى : نوازل البعد ، وهو فاعل أحرزت ، ومن مرهف : مفعوله ، و « من » زائدة . يقول : كثيرا ما فرقت صروف البعاد بينى وبين حبائب لى حسان الصور مرهفات الأعطاف يسرن فى تثن ولين .

(٥) وقع هذا البيت فى رواية التبريزى ثامن أبيات القصيدة ، و « من نظرة » معطوف على قوله « من مرهف » فى البيت السابق ، والسجوف : جمع سجف ، وهو الستر المرسل ، والمحتضن : اسم مكان من الاحتضان ، وأراد موضع الاحتضان وهو وسط الإنسان ، وشخت : دقيق ، ومبتسم : موضع الابتسام وهو الفم ، وبرد أراد أنه بارد ، وهو مما يمتدح فى الحسان .

(٦) الزفرة : أراد التأوهات ، والصبابة : العشق ، وتورى : تقدح ، وأصله قولهم « أورى فلان زنده » إذا قدحه فأخرج نارا ، والحشا : باطن الإنسان ، والصلد : أصله الزند الذى لا يخرج نارا ، وأراد هنا وصف الحشا بأنه شديد لا يكاد الجزع يصل إليه .

٧ وَمِنْ كلِّ غَيْدَاءِ التَّثَنِّي كَأَنَّمَا ... أَتَتْكَ بِلِيتَيْهَا مِنَ الرَّشَإِ الفَرْدِ

٨ كَأَنَّ عَلَيْهَا كلَّ عِقْــدٍ مَلاَحَةً ... وَحُسْناً وَإِنْ أَمْسَتْ وَأَضْحَتْ بِلاَ عِقْدِ

٩ وَمِنْ فاحِمٍ جَعْدٍ،وَمِنْ قَمَرٍ سَعْدِ ... وَمِنْ كَفَلٍ نَهْدٍ، وَمِنْ نَائِلٍ ثَمْدِ

١٠ مَحَاسِنُ مَازَالَتْ مَسَاوٍ مِنَ النَّوَى ... تُغَطِّي عَلَيْهَا أَوْ مَسَاوٍ مِنَ الصَّدِّ

١١ سَأُجْهِدُ نَفْسِي وَالْمَطَايَا، فَإِنَّنِي ... أرى العَفْوَ لاَ يُمْتَاحُ إِلاَّ مِنَ الجُهْدِ

---

(٧) روى التبريزي صدر هذا البيت « ومن جيد غيداء ــ إلخ » والجيد: العنق والغيداء : اللينة الطويلة المتثنية ، والليت ــ بكسر اللام ــ صفحة العنق ، والرشأ : ولد الغزال ، والفرد : أراد أنه متفرد في محاسنه ، وفيه تشبيه عنق من يتحدث عنهن من الغيد بعنق الغزال .

(٨) يقول : إن آيات الحسن وعلامات الملاحة ودلائل الجمال تلوح عليها وإن كانت لم تتزين ولم تلبس أدوات الزينة .

(٩) فاحم : أراد شعرا شديد السواد ، والجعد : ضد السبط ، وكفل نهد : بارز ، ونائل : عطاء ، وثمد : أي قليل ، وأراد بنائلها ما يكون منها من رد تحية أو تزويد بنظرة ، والعرب تمدح النساء بالبخل ؛ لأنه أدل على التصون والعفاف .

(١٠) محاسن ومساو : جمعان ليس لهما واحد من لفظهما ، وقوله « مساو » اسم ما زالت ، وخبرها قوله « تغطي عليها » ويروى « مساومن الردى » في موضع « مساومن النوى » ويروى « تعفي عليها » في موضع « تغطي عليها » يقول : إن هذه محاسن لا يقدر قدرها ولا يبلغ شأوها ، وإن مساوي البعاد ومساوي الصدود لا تزال تعرض لها فتغطيها .

(١١) تقول : جهد فلان نفسه ــ من باب فتح ــ وأجهدها أيضاً ، إذا أردت أنه بذل كل وسعه في العمل ، والمطايا ، جمع مطية ، ويروى « والمطي » والعفو : المال الوفير ، ويمتاح ، أراد به هنا ينال ، وأصله قولهم « امتاح الماء » أي نزحه من البئر ليستقي .

١٢ إِذَا الجَدُّ لَمْ يَجْدُدْ بِنَا أَوْ نَرَى الغِنَى
صُرَاحًا إِذَا مَا أَصْرِخَ الجَدُّ بِالجِدِّ

١٣ فَكَمْ مَذْهَبٍ سَبْطِ المَنَادِحِ قَدْ سَمَتْ
إِلَيْكَ بِهِ الأَيَّامُ مِنْ أَمَلٍ جَعْدِ

١٤ سَرَيْنَ بِنَا رَهْوًا وَوَخْدًا ، وَإِنَّمَا
يَبِيتُ وَيُمْسِى النُّجْحُ فِى ذِمَّةِ الوَخْدِ

١٥ قَوَاصِدُ بِالسَّيْرِ الحَثِيثِ إِلَى أَبِى الْ
مُغِيثِ فَمَا تَنْفَكُّ تُرْقِلُ أَوْ تَخْدِى

---

(١٢) أحسن ما يحمل عليه هذا البيت أن يكون قوله « إذا الجد لم يجدد بنا » بمعنى البيت السابق ، و « إذا » ظرف يتعلق بقوله « سأجهد » ويكون الجد في هذه الجملة بفتح الجيم بمعنى الحظ والبخت ، ولم يجدد بنا : أي لم يجد بنا ، والمعنى على هذا : إنى سأجهد نفسى وأكلفها السعى والدأب وأجهد المطايا معى إذا لم يكن الحظ مسعداً لنا على بلوغ ما نريد ، وتكون « أو » بمعنى إلا ، وصراحا : صريحا ظاهرا ، يعنى أنه سيدأب إذا لم يسعفه الحظ إلى أن يرى الغنى .

(١٣) مذهب : موضع للذهاب ، وسبط : أراد به هنا متسعا ، والمنادح : جمع مندوحة وأصلها المتسع من الأرض ، ورواية التبريزى « المناديح » وهى الأصل فى جمع مندوحة ، ولكن الياء قد تحذف اكتفاء بكسر ما قبلها ، يقول : كم طريق فسيح قد أمكنتك الأيام منه ، وكم عطاء وفير وماء كثير ساقته لك الأيام من غير سعى ولا كد .

(١٤) سرين : هذا الضمير يعود إلى الإبل وإن لم يجر لها ذكر اكتفاء بأن المعنى منساق إلى الذهن ، والرهو : السير اللين السهل ، والوخد : السير السريع وروى التبريزى آخر البيت « فى كنف الوخد » .

(١٥) السير الحثيث : السريع المستمر ، وترقل : مضارع أرقلت ، وتخدى : مضارع وخدت ، ومعناهما تسرع فى السير السريع .

١٦ إِلَى مُشْرِقِ الأَخْلَاقِ ، لِلْجُودِ مَا حَوَى
وَيَحْوِى ، وَمَا يُخْفِى مِنَ الأَمْرِ أَوْ يُبْدِى
١٧ فَتًى لَمْ يَزَلْ تُفْضِى بِهِ طَاعَةُ النَّدَى
إِلَى العِيشَةِ العَسْرَاءِ وَالسُّؤْدُدِ الرَّغْدِ
١٨ إِذَا وَعَدَ انْهَلَّتْ يَدَاهُ فَأَهْدَتَا
لَكَ النُّجْحَ مَحْمُولاً عَلَى كَاهِلِ الوَعْدِ
١٩ دَلُوحَانِ تَفْتَرُّ المَكَارِمُ عَنْهُمَا
كَمَا الْغَيْثُ مُفْتَرٌّ عَنِ البَرْقِ وَالرَّعْدِ

---

(١٦) مشرق الأخلاق : يريد أنه جميل الأخلاق : حتى إن أخلاقه لتكاد تضيء وقوله « للجود » يتعلق بقوله « حوى » وما عطف عليه ، يعنى أن ماعنده الآن وما سيكون عنده فيما بعد ، قد جعله مبذولا فى سبيل الجود .

(١٧) تفضى به ، تنتهى به ، تقول « أفضى بنا الرأى إلى كذا » تريد أنه انتهى بك وأوصلك إليه ، والندى : الجود . والعسراء : الضيقة ، والرغد : المنى ، يقول: إن طاعته للجود واستسلامه إليه يدعوه إلى التضييق على نفسه ، ولكنه يحصل من ذلك مالا غاية وراءه من المجد والسؤدد .

(١٨) تقول « انهل المطر » تريد أنه انسكب وهطل بغزارة . يقول : إذا وعدك هذا الممدوح وعداً فإنه لابد أن يوفيه يفى به فينهمر عليك عطاؤه ، وانظر إلى استعارة الكاهل للوعد فإنها نابية غير واقعة موقعها .

(١٩) دلوحان : وصف من الدلح ، وأصله أن يمشى الرجل وهو مثقل ، تقول: دلح الرجل بحمله يدلح دلحا ـ بوزن فتح يفتح فتحا ـ إذا سار به غير منبسط الخطو لثقله عليه ، ثم استعير ذلك فى الغمام والسحاب ، فقيل : غمامة دلوح ، وسحابة دلوح ، إذا كانت مثقلة بالماء بطيئة السير ، وعنى أبو تمام يدى الممدوح ـ ويقال : عنى النجح والوعد المذكورين فى البيت السابق ، وأصل معنى تفتر تبتسم ، وأراد تتفتح وتفيض المكارم عن يديه ، كما يفيض المطر الغزير المنهمر عن البرق والرعد .

٢٠ إِلَيْكَ ثَغَرْنَا مَا بَنَتْ فِي ظُهُورِهَا
ظُهُورُ الثَّرَى الرِّبْعِيِّ مِنْ فَدَنٍ نَهْدِ

٢١ سَرَتْ تَحْمِلُ الْعُتْبَى إِلَى العَتْبِ ، وَالرِّضَى
إِلَى السُّخْطِ ، والعُذْرَ المُبِينَ إِلَى الْحِقْدِ

٢٢ أَمُوسَى بْنَ إِبْرَاهِيمَ دَعْوَةَ خَامِسٍ
بِهِ ظَمَأُ التَّثْرِيبِ ، لاَ ظَمَأُ الْوِرْدِ

---

(٢٠) ثغرنا : كسرنا ، ويروى « إليك هدمنا » وما : اسم موصول يقع مفعولا به لثغرنا ، والضمير البارز المتصل فى قوله « ظهورها » يعود إلى الإبل ، وقوله « ظهور الثرى » فاعل بنت ، والربعى : الذى جاده مطر الربيع ، وأصل معنى الفدن — بفتح الفاء والدال جميعاً — القصر ، والشعراء تشبه سنام البعير بالفدن ، والنهد : الرفيع العالى . يقول : كسرنا فى سيرنا إليك أسنمة الإبل التى كانت قد ارتفعت وعلت فوق ظهورها بسبب مارعته مما أنبته فى ظهور الثرى مطر الربيع .

(٢١) العتبى — بضم العين وسكون التاء — كل مايزيل أسباب العتاب ، والعتب: المعاتبة ، تقول : عتب فلان على فلان ، تريد وجه إليه عتابا عن شىء صنعه معه ، وتقول : أعتب فلان فلانا ، تريد أنه أزال عتبه وفعل ما يرضيه ، كما تقول : شكا فلان فلانا ، وتقول : أشكى فلان فلانا ، أى أزال أسباب شكواه ، والضمير المستتر فى « سرت » يعود إلى الإبل .

(٢٢) أراد بالخامس الذى انقطع عن ورود الماء أربعة أيام فهو شديد الظمأ ، والتثريب : اللوم والتعنيف ، والورد — بكسر الواو وسكون الراء — ورود الماء وكان قوم قد نقلوا إلى الممدوح أن أبا تمام هجاه ، يقول : إنى أدعوك دعوة من لم يرد الماء منذ عهد طويل فهو شديد العطش ، لكن ما أستغيث به إليك ليس من حاجتى إلى الماء ، وذلك لأن الظمأ الذى انتابنى ليس هو ظمأ الانقطاع عن الماء ، وإنما هو ظمأ ناشىء من عتب ولوم وتعنيف كان سببها ما اتهمت به من ذنب لم اقترفه وجريرة لم أكتسبها .

٢٣ جَلِيدٌ عَلَى رَيْبِ الخُطُوبِ وَعَتْبِهَا ... وَلَيْسَ عَلَى عَتْبِ الأَخِلاَّءِ بِالجَلْدِ

٢٤ أَتَانِي مَعَ الرُّكْبَانِ ظَنٌّ ظَنَنْتَه ... لَفَفْتُ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ المَجْدِ

٢٥ لَقَدْ نَكَبَ الغَدْرُ الوَفَاءَ بِسَاحَتِي
إِذًا ، وَسَرَحْتُ الذَّمَّ فِي مَسْرَحِ الحَمْدِ

٢٦ وَهَتَّكْتُ بِالقَوْلِ الخَنَا حُرْمَةَ العُلَى
وَأَسْلَكْتُ حُرَّ الشِّعْرِ فِي مَسْلَكِ العَبْدِ

٢٧ نَسِيتُ إِذًا كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ شَاكَلَتْ
يَدَ القُرْبِ أَعْدَتْ مُسْتَهَامًا عَلَى البُعْدِ

---

(٢٣) روى التبريزى صدر هذا البيت «جليد على عتب الخطوب إذا التوت» .

(٢٤) يجوز أن تقرأ « ظننته » بالبناء المعلوم والتاء مفتوحة ضمير المخاطب فيكون الظن قبله مقابل اليقين ، يريد أن للمدوح سمع مانسبوه إلى أبى تمام فظنه صحيحا ، ويجوز أن تقرأ « ظننته » بالبناء للمجهول والتاء مضمومة ضمير المتكلم فيكون الظن قبله بمعنى التهمة ، وظننته : أى اتهمت به ، وأراد بقوله « لففت له رأسى » غطيته خجلا.

(٢٥) يروى « ورعيت الذم » يقول : إن كان مااتهمونى به حقا ـ أو إن كان ماظننته أنت صادقا ـ فإنى أكون قد انتقلت من صفة الوفاء إلى صفة الغدر ، وفعلت عكس ما وجب على ، إذ ذممت من تشهد فواضله بأنه أهل الحمد .

(٢٦) أصل معنى هتكت مزقت ، والخنا : أراد الفاحش . يقول : إنى أكون حينئذ قد مزقت أستار المجد بما نطقت به من فاحش القول ، كما أكون قد خرطت الشعر الحر الفحل فى مضمار لاينزله إلا سفسافه ورديئه .

(٢٧) شاكلت : أشبهت ، والمستهام : العاشق ، وأعدته : أعانته ونصرته . يقول : لئن كان ذلك صحيحا فإنى أكون قد نسيت أياديك التى لاسبيل إلى حصرها تلك الأيادى البيض التى تشبه يد قريب المودة ينصر ويعين عاشقاً على بعد أحبابه وما يناله بسببه من الألم .

٢٨ وَمِنْ زَمَنٍ أَلْبَسْتَنِيهِ كَأَنَّهُ
- إِذَا ذُكِرَتْ أَيَّامُهُ - زَمَنُ الْوَرْدِ

٢٩ وَأَنَّكَ أَحْكَمْتَ الَّذِى بَيْنَ فِكْرَتِى
وَبَيْنَ اللَّيَالِى مِنْ ذِمَامٍ وَمِنْ عَهْدِ

٣٠ وَأَصَّلْتَ شِعْرِى فَاعْتَلَى رَوْنَقَ الضُّحَى
وَلَوْلَاكَ لَمْ يَظْهَرْ زَمَانًا مِنَ الْغِمْدِ

٣١ فَكَيْفَ وَمَا أَخْلَلْتُ بَعْدَكَ بِالْحِجَى
وَأَنْتَ فَلَمْ تُخْلِلْ بِمَكْرُمَةٍ بَعْدِى

---

(٢٨) زمن الورد : أراد أكثر الأيام بهجة ورغدا وطيب حياة ، يقول : ونسيت كم من زمن رغد فيه عيشى واستراحت خواطرى ، فكان - إذا قورن ببقية الأزمان - كأنه زمن الورد .

(٢٩) أحكمت : قومت ووثقت ، والذمام - بكسر الدال - العهد ، ويرى « وبين القوافى » يقول : ولست أنسى أنك أغدقت على من نعمتك الوافرة وواصلت فواضلك على ، حتى فتقت لسانى بالقول البارع والشعر الفحل .

(٣٠) أصلت شعرى : يجوز أن تقرأ بتشديد الصاد من التأصيل الذى أصله الأصالة ، أى جعلته أصيلا ، ويجوز أن تقرأه بسكون الصاد وتشديد التاء ، من قولهم « أصلت فلان سيفه » إذا أخرجه من غمده ، والمراد أن الممدوح استحسن شعره وتقبله أحسن القبول فكان فى ذلك شهرة له ، أو يكون المعنى أن أبا تمام لما قال شعره فى الممدوح - وهو من هو فى صفات المجد - كان قوله فيه إعلاء لشأن شعره ، وارتفاعاً به عن جميع منازل شعر الشعراء .

(٣١) الحجى : العقل ، يقول : كيف يكون منى ما اختلقه الحساد على ، ولم تزل مكارمك تعاودنى ، وفواضلك ترد على ؟ .

٣٢ أَسَرْبِلُ هُجْرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ
إِذاً لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي

٣٣ كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالْوَرَى
مَعِي ، وَمَتَى مَالُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

٣٤ وَلَوْ لَمْ يَزَعْنِي عَنْكَ لِلْحِلْمِ وَازِعٌ
لأَعْدَيْتَنِي بِالْحِلْمِ ؛ إِنَّ الْعُلَى تُعْدِي

٣٥ أَبَى ذَاكَ أَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ دَائِماً
عَلَى سُؤْدُدٍ حَتَّى يَدُومَ عَلَى الْعَهْدِ

---

(٣٢) أسربل : ألبس ، وروى التبريزى « أألبس هجر القول » ، وهجر القول ـ بضم الهاء وسكون الجيم ـ فاحشه ، يقول: كيف أقول مالا يصح أن يقال فى رجل لا تزال أياديه شاهدة على عظيم نعمه ، ولو أنى فعلت ذلك لكان معروفه أصدق دليل على أنى أجحد الفضل ، وأنكر الجميل ، ولا اعترف بما يسدى إلى من نعمة .

(٣٣) كريم : خبر لمبتدأ محذوف ، أى هو كريم ، يقول : أنا لو مدحت هذا الرجل وجدت الناس كلهم يصدقوننى فيما أنسب إليه من خلال المجد ، ولو أنى لمته ونسبت إليه شيئاً ينافى مافيه من خصال الشرف ما وجدت أحداً يؤمن على كلامى لأنه لا حقيقة له .

(٣٤) روى التبريزى « ولو لم يزعنى عنك غيرك وازع » ويزعنى : مضارع « وزعه » إذا كفه وزجره وردعه ، وقوله : « لأعديتنى » من العدوى ، يقول : لو لم يكن خلق هو الذى يردعنى عن السفاهة وقولها ، لكنت أنت تعدينى بالحلم الذى تمكنت منه ، ومما لاشك فيه أن للمعالى تعدى كما أن الدناءة تعدى .

(٣٥) يروى « على كرم » فى مكان « على سؤدد » واتفقت على ما أثبتناه رواية التبريزى والمصرية ومطبوعات بيروت ، يقول : منعنى مما يتقوله الحساد أنى أحب أن أنسب إلى السيادة والشرف فيقول الناس عنى إنى سيد وإنى شريف ، =

٣٦ وَأَنِّى رَأَيْتُ الْوَسْمَ فِي خُلُقِ الْفَتَى
هُوَ الْوَسْمُ ، لاَ مَا كَانَ فِي الشَّعْرِ وَالْجِلْدِ

٣٧ أَرُدُّ يَدِى عَنْ عِرْضِ حُرٍّ وَمَنْطِقِى
وَأَمْلَؤُهَا مِنْ لِبْدَةِ الأَسَدِ الْوَرْدِ

٣٨ فَإِنْ يَكُ جُرْمٌ عَزَّ ، أَوْتَكُ هَفْوَةٌ
عَلَى خَطَإٍ مِنِّى فَعُذْرِى عَلَى عَمْدِ

* * *

= وأنا أعلم أن المرء لا يكون محمودا ولا يكون شريفاً إلا إذا كان وفيا يدوم على العهد ، فكيف يظن بى مع هذا كله أننى قلت ما نسبه الحساد إلى ؟

(٣٦) الوسم – بالسين المهملة – العلامة ، ويقع فى بعض النسخ « الوشم » بالشين المعجمة ، وهو أن تغرز بالإبرة فى الجلد ثم تضع فيه كحل الشحم فيظهر أخضر فى الجلد ، وهذا لا يكون فى الشعر ، وقوله « وأنى رأيت » معطوف على قوله فى البيت السابق « أنى لست أعرف سوددا – إلخ ، يقول : ومنعنى أيضا أننى رأيت الغدر وسما تظهر علائمه على الإنسان أكثر مما يظهر الوشم الذى يكون فى جلده .

(٣٧) الأسد الورد : أراد به الجرىء الفاتك ، يقول : إن من السهل عندى أن أملأ يدى من لبدة الأسد الضارى ، وليس مما أستسيغه أن أتناول عرض رجل حر ببذىء القول .

(٣٨) عز : صعب وتباعد عن متناول العفو ، يقول : إن كان قد حدث منى ذنب أو فلتت منى هفوة على طريق الخطأ فإنى أعتذر عن ذلك عامدا ، وأنا قاصد لذلك الاعتذار ، فتقبله منى .

* * *

(٥٩)

وقال يمدح حَفْصَ بن عُمَرَ الأَزْدِيّ :

١ عَفَتْ أَرْبُعُ الخَلاَّتِ لِلأَرْبُعِ المُلْدِ
لِكُلِّ هَضِيمِ الكَشْحِ مَجْدُولَةِ القَدِّ

٢ لِسَلْمَى سَلاَمَانٍ ، وَعَمْرَةِ عَامِرٍ
وَهِنْدِ بَنِي هِنْدٍ ، وَسُعْدَى بَنِي سَعْدِ

٣ دِيَارٌ هَرَاقَتْ كُلَّ عَيْنٍ شَحِيحَةٍ
وَأَوْطَأَتِ الأَحْزَانَ كُلَّ حَشاً جَلْدِ

---

(٥٩)

اتفقت جميع النسخ على رواية هذه القصيدة تالية للقصيدة السابقة ، وقدم لها التبريزي – موافقا لمطبوعات بيروت – بقوله : « وقال يمدح أبا عبد الله حفص بن عمر الأزدي » .

(١) عفت : امحت ودرس أثرها ، والأربع : جمع ربع ، وهو منزل القوم ، والخلات : جمع خلة – بكسر الخاء – وهو محل إقامتهم ، والملد : جمع ملداء ، وهي الناعمة ، وهضيم الكشح : أراد ضامرة البطن ، وقد تطلق الخلات على جماعة الناس من باب إطلاق اسم المحل على الحال فيه ، يقول : عفت ديار هؤلاء الجماعات لمفارقة هؤلاء النسوة النواعم الضامرات البطون .

(٢) سلمى وعمرة وهند وسعدى : من أسماء النساء ، وسلامان : بطن من قبيلة طيء وبطن من قضاعة وبطن من الأزد ، وعامر : بطن من كلب ، ومن غيرهم ، وبنو هند : بطن من كندة ومن غيرها ، وبنو سعد كذلك ، ولم يحمله على اختيار هذه الأعلام إلا قصد المجانسة .

(٣) هراقت : أراقت ، أبدلت الهمزة هاء لأن مخرجها من الحلق واحد ، ومعنا =

٤ فَعُوجَا صُــدُورَ الأَرْحَبِيِّ وَأَسْهِلاَ
بِذَاكَ الـكَثِيبِ السَّهْلِ والعَلَمِ الفَرْدِ

٥ فَلاَ تَسْأَلاَنِى عَنْ هَوًى قَدْ طَعِمْتُمَا
جَوَاهُ ؛ فَلَيْسَ الْوَجْدُ إلاَّ مِنَ الْوَجْدِ

٦ حَطَطْتُ إِلَى أَرْضِ الْجُدَيْدِيِّ أَرْحُلِى
بِمَهْرِيَّةٍ تَنْبَاعُ فِى السَّيْرِ أَوْ تَخْدِى

= أسالت دموعها ، والشحيحة : البخيلة ، والحشا ـ بفتح الحاء ، بزنة الفتى ـ باطن الإنسان ، والجلد ـ بفتح الجيم وسكون اللام ـ الصبور ، وروى التبريزى « كل حشا صلد » ويروى « فوق الحشا الصلد » .

(٤) عوجا : أميلا ، والأرحبى : المنسوب إلى أرحب ، وقد اختلف فيه أهل اللغة ، فقال قوم : هو بطن من همدان تنسب إليه الإبل النجائب الأرحبية ، وقال الليث : هو حى أو موضع تنسب إليه هذه النجائب ، وقال الأزهرى : يحتمل أن يكون فحلا نسبت إليه لأنها من نسله ، وتقول « أسهل فلان » تريد أنه نزل السهل وهو ضد « أحزن » بمعنى نزل الحزن ـ بفتح الحاء ـ وهو ما غلظ من الأرض ، والـكثيب : تل الرمل ، والعلم الفرد : اسم مكان ، يقول : عرجا على هذا المـكان وميلا إليه .

(٥) قد طعمتما جواه : يريد قد ذقتما لواعجه وجربتما حرقه . يقول : إن هواى الذى أكابده من جنس الهوى الذى كابدتماه ، فلا تسألانى عما ألقى من الشدائد لأنـكما بها خبيران .

(٦) الجديدى : المنسوب إلى جديد ـ بزنة الصغر ـ وهو أبو بطن من الأزد ، والمهرية : أراد نوقا منسوبة إلى مهرة بن حيدان ، بفتح الميم وسكون الهاء ، وتنباع : تمتد فى السير ، وتخدى : تسير سيراً سريعا .

٧ تَؤُمُّ شِهَابَ الأَزْدِ حَفْصاً ؛ فَإِنَّهُمْ
بَنُو الحَرْبِ لاَ يَنْبُو ثَرَاهُمْ وَلاَ يُكْدِي

٨ وَمَنْ شَكَّ أَنَّ الجُودَ وَالبَأْسَ فِيهِمُ
كَمَنْ شَكَّ فِي أَنَّ الفَصَاحَةَ فِي نَجْدِ

٩ أَنَخْتُ إِلَى سَاحَاتِهِمْ وَجَنَابِهِمْ
رِكَابِي فَأَضْحَى فِي دِيَارِهِمِ وَفْدِي

١٠ إِلَى سَيْفِهِمْ حَفْصٍ ، وَمَا زَالَ يُنْتَضَى
لَهُمْ مِثْلُ ذَاكَ السَّيْفِ مِنْ ذَلِكَ الغِمْدِ

١١ فَلَمْ أَغْشَ بَاباً أَنْكَرَتْنِي كِلاَبُهُ
وَلَمْ أَتَشَبَّثْ بِالوَسِيلَةِ مِنْ بُعْدِ

---

(٧) تؤم : تقصد ، ووقع فى رواية التبريزى « شهاب الحرب حفصا ورهطه بنو الحرب» برفع رهطه على أنه مبتدأ خبره ما بعده ، والجملة فى محل نصب حال من حفص ، ويروى « ورهطه بنى الحرب » بالنصب على العطف ، وكنى بقوله : « لاينبو ثراهم ولايكدى » عن أنهم كرام وأنهم يعطون بلا من ولا تأجيل .

(٨) سقط هذا البيت من بعض النسخ .

(٩) أنخت : من قولهم « أناخ فلان بعيره » إذا نزل عنه وأبركه ، ومفعوله قوله « ركابى » يريد أنه نزل عندهم .

(١٠) أراد أنه لازال يولد لهم مثل ذلك الممدوح ، يعنى أن المكارم فيهم لاتنفد ولاتزول .

(١١) لم أغش بابا : لم أدخل ، وقوله « أنكرتنى كلابه » يحتمل معنيين ، أحدهما أن يكون قد أراد أنه معروف لكثرة ما يفد على هؤلاء القوم فلذلك لاتنبحه كلابهم ، والثانى أن يكون قد أراد أن هؤلاء القوم قد كثر الوافدون عليهم =

١٢ فَأَصْبَحْتُ لاَ ذُلَّ السُّؤَالِ أَصَابَنِي
وَلاَ قَدَحَتْ فِي خَاطِرِي رَوْعَـةُ الرَّدِّ

١٣ يَرَى الوَعْدَ أَخْزَي العَارِ إِنْ هُوَ لَمْ تَـكُنْ
مَوَاهِبُهُ تَأْتِي مُقَــــدَّمَةَ الوَعْدِ

١٤ فَلَوْ كَانَ مَا يُعْطِيهِ غَيْثاً لأَمْطَرَتْ
سَحَائِبُهُ مِنْ غَــيْرِ بَرْقٍ وَلاَ رَعْدِ

١٥ دَرِيَّةُ خَيْلٍ لاَ يَزَالُ لَدَى الوَغَى
لَهُ مِخْلَبٌ وَرْدٌ مِنَ الأَسَــدِ الوَرْدِ

= وتتابعوا فعودت كلابهم أن ترى الوفود تتلو الوفود ، فلم تعد تنبح أحدا ، وقد سبقه إلى هذا المعنى حسان بن ثابت فى قوله :

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

(١٢) كنى بقوله « لاذل السؤال أصابنى » عن كونهم يعطون الوافدين عليهم من غير أن يسألوهم ، كما كنى بقوله « ولا قدحت ـ إلخ » عن ثقته فى أن يناله منهم كل مايؤمل ، فليس يخاف أن يردوا له أملا .

(١٣) يريد أنه لايعد مؤمله بأن يعطيه مايشتهى ، ولـكنه يعطى من غير وعد، لاعتقاده أن المواهب والعطايا إذا لم تسبق الوعود فإنها تـكون عارا لايقاربه ولا يدانيه عار .

(١٤) أكد بهذا البيت معنى البيت السابق، يريد أنه لايقدم على عطائه وعدا ، كما يتقدم بين يدى المطر الرعد والبرق ، شبه عطاء الممدوح بالغيث الذى هو المطر ، وشبه الوعد الذى يقدمه بعض الأجواد بالرعد والبرق اللذين يسبقان المطر ، ونفاها عن هذا الممدوح .

(١٥) درية خيل : أصله « دريئة خيل » فسهلت الهمزة فقلبت ياء ثم أدغمت فى الياء ، كما قالوا « خطية » وأصلها خطيئة ، وأصل اشتقاقها من « درأ يدرأ » إذا منع ودفع ، يريد أنه صاحب كتائب الخيل وأنه ملازم الحروب ، ومخلب ورد : =

١٦ مِنَ الْقَوْمِ جَعْدٌ أَبْيَضُ الْوَجْهِ وَالنَّدَى
وَلَيْسَ بِنَـــانٌ يُجْتَدَى مِنْهُ بِالْجَعْدِ

١٧ فَأُبْتَ وقد مَجَّتْ خُرَاسَانُ دَاءهَا
وَقَدْ نَغِلَتْ أَطْرَافُهَا نَغَلَ الْجِـــلْدِ

١٨ وَأَوْبَاشُهَا خُزْرٌ إِلَى الْعَرَبِ الْأُلَى
لِكَيْمَا يَكُونَ الْحُرُّ مِنْ خَوَلِ الْعَبْدِ

= أى أحمر مما علق به من الدم ، والأسد الورد : يراد به الجرىء ، يقول : هو فارس مغوار ، وطوعه فرسان يخوض بهم غمرات الحرب ، فيقهر الأبطال ويخضب بدمائهم السيوف .

(١٦) جعد فى أول البيت أراد به الكريم أو المنقبض عن مساوىء الأخلاق ، وأبيض الوجه: من صفات المدح عند العرب ، والندى : هو الجود والعطاء ، والبنان : الإصبع ، والجعد : المنقبض ، وأراد به البخيل ، نفاه عن الممدوح ، يقول : ليست اليد التى يطلب عطاؤها منه بالبخيلة .

(١٧) أبت : رجعت ، تقول « آب يؤوب أوبا ومآبا» تريد رجع ، ووقع عند التبريزى « وأنت وقد مجت ـ إلخ » فيكون « أنت » مبتدأ خبره قوله « ضممت إلى قحطان » فى أول البيت ٢٣ الآتى ، ومجت ـ بالجيم ـ أصله قولهم « مج فلان الشراب » إذا ألقاه من فيه ، وخراسان : فاعله ، وداءها : مفعوله ، ووقع فى مطبوعة بيروت « محت » بالحاء ـ وفسرها بأهلكها وأبلاها ، وجعل خراسان مفعولا ، وداؤها فاعلا ، وليس بشىء ، ونغلت : فسدت .

(١٨) الأوباش : أخلاط الناس ، ويراد به سفلتهم ، والواحد وبش ، بسكون الباء أو فتحها ، ويقال أيضا : أوشاب ، بتقديم الشين ، ويقال : الأوشاب هو الأصل والأوباش مقلوب منه ، والخزر: جمع أخزر ، وهو الذى ينظر إليك بمؤخر عينه نظر الكراهية ، والأولى : اسم موصول بمعنى الذين ، وصلته محذوفة ، وتقدير الكلام : إلى العرب الذين عرفوا بالسيادة ، مثلا ، ونظيره قول عبيد : =

١٩ لَيَالِيَ بَاتَ العِزُّ فى غَيْرِ بَيْتِهِ
وَعُظِّمَ وَغْدُ القَوْمِ فى زَمَنٍ وَغْدِ

٢٠ وَمَا قَصَدُوا ـ إذْ يَسْحَبُونَ عَلَى المُنَى
بُرُودَهُمْ ـ إلاَّ إلَى وَارِثِ البُرْدِ

٢١ وَرَامُوا دَمَ الإسْلَامِ ، لا مِنْ جَهَالَةٍ
وَلا خَطَإٍ ، بَلْ حَاوَلُوهُ عَلَى عَمْدِ

= نحن الأولى فاجمع جمو عك ثم وجههم إلينا

يريد : نحن الأولى عرفوا بالشجاعة وقهر الأعداء ، والخول ـ بفتح الخاء والواو جميعا ـ الأتباع والخدم ، والواو فى أول بيت أبى تمام هى واو الحال . يقول : وقد كان أخلاط خراسان وسفلتها ينظرون إلى العرب ـ الذين عهدت فيهم السيادة وعرف لهم المجد ـ نظر الكاره الذى يتمنى أن يكون الحر من أتباع العبد .

(١٩) وقع عند التبريزى آخر البيت « فى الزمن الوغد » وليالى : ظرف زمان يتعلق بيكون فى البيت السابق ، والوغد : الدنىء . يريد أن ذلك النظر الشزر الذى كان ينظره أوباش خراسان إلى العرب ذوى المجد الأصيل إنما حدث منهم فى حين كان العز يقيم فى غير المكان الذى ينبغى أن يقيم فيه ، يريد أيام كان المتسلطون هم هؤلاء الأوباش .

(٢٠) المنى : جمع منية ، وهى مايتمناه الإنسان ، ويسحبون على المنى برودهم: كناية عن أنهم كانوا يتمنون الأمانى فيتخيلونها حقيقة واقعة فيسيرون سير الخيلاء والكبر ، ووارث البرد : هو الخليفة ، وذلك أن برد النبى صلى الله عليه وسلم الذى أعطاه كعب بن زهير بن أبى سلمى اشتراه معاوية بن أبى سفيان من ورثته فكان يلبسه فى المحافل ، ثم توارثه الخلفاء من بعده ، ولما سقطت الدولة الأموية آل إلى خلفاء بنى العباس ، وفى المصرية « يسحبون على الثرى » .

(٢١) وراموا : أى قصدوا ، وهذه الجملة معطوفة على جملة « وماقصدوا » يريد أنهم أرادوا أن يميتوا الإسلام ويذلوا أهله ، متعمدين لذلك ، ويروى فى بعض =

٢٢ فَمَجُّوا بِهِ سُمًّا ذُعَافًا ، وَلَوْ نَأَتْ
سُيُوفُكَ عَنْهُمْ كَانَ أَحْلَى مِنَ الشُّهْدِ

٢٣ ضَمَمْتَ إِلَى قَحْطَانَ عَدْنَانَ كُلَّهَا
وَلَمْ يَجِدُوا إِذْ ذَاكَ مِنْ ذَاكَ مِنْ بُدِّ

٢٤ فَأَضْحَتْ بِكَ الأَحْيَاءُ أَجْمَعَ أَلْفَةً
وَأَحْكَمَ فِى الهَيْجَاءِ نَظْمًا مِنَ العِقْدِ

٢٥ وَكُنْتَ هُنَاكَ الأَحْنَفَ الطَّبَّ فِى بَنِى
تَمِيمِ بْنِ مُرٍّ ، وَالْمُهَلَّبَ فِى الأَزْدِ

= النسخ بعد هذا البيت بيت آخر ، وهو :

وكان لهم حقد عليه فنفثوا من الجهل ذاك القرح من ذلك الحقد

(٢٢) « به » هذا الضمير يعود إلى المرام المفهوم من قوله « راموا دم الإسلام » . يريد أنهم نفثوا بسبب هذا المقصد سما قاتلا ، وإنما نفثوا هذا السم لأنه جلب عليهم سيوفك إذ قمت تدفع عداوتهم وترد كيدهم ، ولو أن سيوفك قد نأت عنهم لبقى ما في نفوسهم من الضغينة مستقرا ثابتا فيها يستمرئون طعمه كما يستمرئون طعم الشهد .

(٢٣) قحطان : أبو العرب اليمانية ، وعدنان : أبو الحجازية ، يريد أنه ألف بين قلوب العرب على اختلاف نزعاتهم وقبائلهم ، وأنهم حين دعوتهم إلى هذه الألفة وبينت لهم حسن آثارها لم يجدوا بدا منها .

(٢٤) يروى لفظ « أجمع » بالضم على أنه تأكيد الأحياء ، وعلى هذا يكون قوله « ألفة » منصوبا ، ويكون خبر أضحت ، ومعناه مؤتلفة ، ويروى « أجمع » بالنصب على أنه خبر أضحت ، وعليه يكون « ألفة » مجرورا على أنه مضاف إليه ، ويروى التبريزي عجز هذا البيت « كما أحكمت فى النظم واسطة العقد » .

(٢٥) الأحنف : هو الأحنف بن قيس ، سيد بنى تميم ، ومضرب المثل فى الحلم ، =

٢٦ وَكُنْتَ أَبَا غَسَّانَ مَالِكَ وَائِلٍ
عَشِيَّةَ دَانَى حَلْقَةَ الحِلْفِ بِالْعَقْدِ

٢٧ وَلَمَّا أَمَاتَتْ أَنْجُمُ العَرَبِ الدُّجَى
سَرَتْ وَهْىَ أَتْبَاعٌ لِكَوْكَبِكَ السَّعْدِ

٢٨ وَهَلْ أَسَدُ العِرِّيسِ إِلاَّ الَّذِى لَهُ
فَضِيلَتُهُ فِى حَيْثُ مُجْتَمَعُ الأُسْدِ

٢٩ فَهُمْ مِنْكَ فِى جَيْشٍ قَرِيبٍ قُدُومُهُ
عَلَيْهِمْ، وَهُمْ مِنْ يُمْنِ رَأْيِكَ فِى جُنْدِ

= وللجاحظ كلام جيد فيه (انظره فى ثمار القلوب للثعالبى ٨٥) والمهلب : هو المهلب ابن أبى صفرة ، سيد الأزد ، والذى تولى حرب الأزارقة ، وكان يلقب « شيخ العراق » ولزياد الأعجم فيه مدائح جيدة ، يقول أبو تمام : إن للممدوح فى قومه يشبه هذين فى قومهما ، فكما ساد كل واحد من هذين قومه ساد هو قومه .

(٢٦) سقط هذا البيت من بعض النسخ ، ومالك : هو مالك بن مسمع بن سنان البكرى ، كان سيد ربيعة بالبصرة ، وعقد بين قومه ربيعة وبين الأزد حلفا ، وفى هذا الحلف يقول الراجز :

نحن ضربنا الأزد بالعراق والحى من ربيعة المراق

ودانى : قرب ، والعقد : مصدر قولك « عقد اليمين ونحوه » إذا أحكمه ووثقه

(٢٧) الأنجم : جمع نجم ، وإضافته إلى العرب من إضافة المشبه به إلى المشبه ، يعنى العرب الذين هم كالنجوم ، والدجى : جمع دجية ــ بضم الدال وسكون الجيم ــ وهى الظلمة ، ومعنى «أماتوا الدجى» أنهم أذهبوا الظلام وأناروا ما كان مظلما من الدنيا ، وهذه كناية عن ظهورهم على أعدائهم ، فساروا خلفك .

(٢٨) العريس ــ بكسر العين وتشديد الراء ــ مجتمع الأسد ، يقول : إنه لا يعد أسدا على الحقيقة إلا الذى يسود على الأسود ، وليس هو الذى يسود على غيرها من أنواع الحيوان .

(٢٩) يريد أن لهم من شجاعته ونجدته مثل ما يكون من جيش قريب القدوم ولهم من سداد رأيه وأصالته وحسن آثاره مثل ما يكون من جند وافر العدد .

٣٠ وَوَقَّرْتَ يا فُوخَ الجبانِ عَلَى الرَّدَى
وَزِدْتَ غَدَاةَ الرَّوْعِ في نَجْدَةِ النَّجْدِ

٣١ رأَيْتَ حُرُوبَ النَّاسِ هَزْلاً وَإنْ عَلاَ
سَنَاهَا ، وَتِلْكَ الحَرْبَ مُعْتَدَة الجِدِّ

٣٢ وَلاَ فِئَــةٌ إلاَّ القَنَا ، وَنأَيْتُمُ
فَمَا لَكُمُ إلاَّ الأَسِنَّةَ مِنْ زَرْدِ

٣٣ وَلاَ مَــدَدٌ إلاَّ السُّيُوفُ لَوَامِعاً
وَلاَ مَعْقِلٌ غَيْرُ المُسَــــوَّمَةِ الجُرْدِ

---

(٣٠) وقرت : من التوقير الذى أصله الوقار ، وهو هنا الثبات ، والردى : الهلاك ، والنجد ـ بفتح النون وسكون الجيم ـ البطل الشجاع ، ونجدته : إغاثته غيره وإعانته ، يقول: إن الجند أحد رجلين: جبان ، وشجاع ، أما الجبان فإنك قد ثبته وأذهبت فزعه وطمأنت قلبه على ملاقاة الأقران والاستهانة بالهلاك ، وأما الشجاع فإنك قد زدته شجاعة وإقداما .

(٣١) أصل السنا الضياء ، وأراد هنا لهيب نيران الحرب ، يريد أن كل حرب سوى الحرب التى خاضها الممدوح تعد هزلا مهما يكن شأنها ، وإن حمى وطيسها واضطرمت نيرانها ، أما الحرب التى أثارها الممدوح فهى التى تعد حربا .

(٣٢ ، ٣٣) سقط هذان البيتان من نسخة التبريزى ، والفئة : هى الجماعة ، وكذلك وقعت هذه الكلمة فى المصرية ، ووقعت فى مطبوعة بيروت « فيأة » بفتح الفاء وسكون الياء ـ وهى الرجعة ، وفعلها فاء يفىء ـ مثل جاء يجىء ـ أى رجع ، ونأيتم : بعدتم ، والأسنة : جمع سنان ، والمراد به الرمح . والزرد : الدرع ، وأصله بفتح الزاى والراء جميعا ، ولكنه سكن الراء ليستقيم له الوزن . يقول : لقد أقدمت فى هذه الحرب التى خضتها إقدام من يعلم أنه لامرجع له ـ أو ليست له فئة ينحاز إليها ويعتمد عليها ـ إلا القنا ، وبعدتم فى خوض المعركة بعد من يعلم أنه ليس له ما يتحصن به إلا السنان الذى فى يده . وأصل المعقل الحصن ، والمسومة : التى وسمت لتكون =

٣٤ فيأطيبَ مَجْنَاهَا ، وَيَا بَرْدَ وَقْعِهَا
عَلَى الكَبِدِ الحَرَّى ، وَزَادَ عَلَى البَرْدِ

٣٥ وَرَفَّعْتَ طَرْفاً كانَ لَوْلاكَ خَاشِعاً
وَأَوْرَدْتَ ذَوْدَ العِزِّ فى أَوَّلِ الوِرْدِ

٣٦ فَتًى بَرَّحَتْ هِمَّاتُهُ وَفِعَالُهُ
بِهِ ؛ فَهْوَ فى جَهْدٍ ، وَمَا هُوَ فى جَهْدِ

٣٧ مَتَتْ إِلَيْهِ بِالقَرَابَةِ بَيْننَا
وَبالرَّحِمِ الدُّنيا ، فأغنَتْ عَنِ الوُدِّ

= وسمها علامة على انتسابها لأصحابها ، وأراد بها الخيل ، والجرد : جمع أجرد ، وهو القصير الشعر .

(٣٤) مجناها : مصدر ميمى من « جنى الثمرة يجنيها » وأراد الثمرة نفسها ، والكبد توصف بالحرارة إذا أريد الحزن ، وتوصف بالبرودة إذا أريد السرور ، يقول : إن ثمرة هذه الحرب ونتيجتها كانت عظيمة ، وإنها قد أزالت الأحزان وأثلجت الصدور .

(٣٥) ورفعت طرفا : جعلته مرفوعا ينظر إلى السماء بعد أن كان خاشعا مطرقا ، والذود - بفتح الذال وسكون الواو - من الإبل : ما بين الثلاثة إلى العشرة .

(٣٦) برحت به - بتشديد الراء - جهدته وأنصبته ، وهماته : جمع همة ، ووقع فى مطبوعة بيروت وفى رواية التبريزى « هاماته » وفسروا هذا اللفظ بأن المراد به آباؤه الماضون ، يقول : إن مقاصده العظيمة التى تبعثه عليها همته - أو إن آباءه الماضين الذى غرسوا فيه خصال المجد وأورثوها إياه - قد أجهدوه وأنصبوه لأنه لايزال يعمل لاكتساب ما أهلوه له ، فهو لايفتر عن طلب المعالى .

(٣٧) متت : توسلت ، والرحم الدنيا : القريبة .

٣٨ رَأَى سَالِفَ القُرْبَى وَشَابِكَ آلِهِ
أَحَقَّ بِأَنْ يَرْعَاهُ فِى سَالِفِ العَهْدِ

٣٩ فَيَا حُسْنَ ذَاكَ البِرِّ إِذْ أَنَا حَاضِرٌ
وَيَا طِيبَ ذَاكَ القَوْلِ وَالذِّكْرِ مِنْ بَعْدِى

٤٠ وَمَا كُنْتُ ذَا فَقْرٍ إِلَى صُلْبِ مَالِهِ
وَمَا كَانَ حَفْصٌ بِالفَقِيرِ إِلَى حَمْدِى

٤١ وَلَكِنْ رَأَى شُكْرِى قِلَادَةَ سُؤْدُدٍ
فَصَاغَ لَهَا سِلْكاً بَهِيًّا مِنَ الرِّفْدِ

---

(٣٨) روى التبريزى « رأى سالف الدنيا » وما أثبتناه موافقا المصرية ومطبوعة بيروت أنسب ، والشابك : المشتبك ، وأراد بشابك آله ما اتصل اتصالا قريبا به ، وقوله « فى سالف العهد » يتعلق بقوله رأى .

(٣٩) أراد بالبر عطايا الممدوح وما ناله من كرمه ، وأراد بالقول مديحه فيه ، يقول : ما أحسن ذلك البر الذى نلته وقت حضورى بين يديه ، وما أحسن هذا القول الذى قلته فيه ، وما أجل أثره من بعدى ، لأنه سيرويه الناس ويستحسنونه فينشدونه فى مجالسهم ، فيكون ذكرا حسنا للممدوح ولقائله ، ويروى « فياحسن ذاك العهد » .

(٤٠) فسروا «صلب ماله» بخياره ، واللفظ لايدل على ذلك وضعا ، وإنما الصلب الشديد القوى ، وحفص : هو الممدوح . يقول : إنى لم أكن فقيرا محتاجا إلى مامنحنى من ماله لأن مودته وجاهه كافيان لى ، ولم يكن هو محتاجا إلى ثنائى عليه لأن خلال المجد التى يتحلى بها ظاهرة لاتحتاج إلى من يتحدث عنها ، أو لأن الناس جميعا يثنون عليه.

(٤١) القلادة : ماتلبسه الغانيات فى عنقها مما يضم فاخر الجوهر ، والرفد : العطاء . يقول : مع كونه غير محتاج إلى حمدى لشهرته ، ومع كونى غير مفتقر إلى ماله لأن لى من وداده وجاهه مايغنينى ، قد رأى أن شعرى الذى يفوق الدر من وسائل كسب السؤدد ، فصنع لهذا الشعر سلكا من العطاء يضم به شوارده .

٤٢ فما فَاتَنِي ما عِنْدَهُ من حِبَائِهِ
وَلاَ فَاتَه مِنْ فَاخِرِ الشِّعْرِ ماعِنْدِى

٤٣ وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ تَخَضَّرَ قَلْبُهُ
بِذَاكَ الثَّنَاءِ الغَضِّ فى طرق المَجْدِ

* * *

(٤٢) الحباء – بكسر الحاء المهملة – العطاء ، وقد ورد قبل هذا البيت فى مطبوعة بيروت بيت لم تروه المصرية ولا ورد فى رواية التبريزى ، وهو قوله :

لآل إذا مرت على السمع ناسبت ادقة معنى نظمها لؤلؤ العقد

واللآلى : جمع لؤلؤ ، وأصله لآلئ ، ثم سهلت الهمزة بقلبها ياء ، ثم عوملت معاملة الياء الأصلية كالتى فى الجوارى ، وهو فى وصف شعره .

(٤٣) يروى « قد تهلل » فى مكان « قد تخضر » يقول : إن مافعله ليس بدعا ، لأن كثيرا من الكرماء والسادة يسرهم أن يجعلوا هذا الشعر الرصين طريقا لاكتساب المجد .

(٦٠)

وقال يمدح أبا المغيث :

١ لَطَمَحْتَ فى الإِرْاقِ وَالإِرْعادِ
وَغَدَا عَلَىَّ بِسَيْلِ لَوْمِكَ غَادِ

٢ أَنْتَ الفَتَى كُلُّ الفَتَى لَوْ أَنَّ مَا
تُسْدِيهِ فى التَّأْنِيبِ فى الإِسْعَادِ

---

(٦٠)

اتفقت جميع النسخ على رواية هذه القصيدة تالية القصيدة السابقة ، وهى فى رواية التبريزى برقم ٥٨ ، وقدم لها بقوله «وقال يمدح أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى » وكذلك وقع فى مطبوعة بيروت .

(١) طمحت : ارتفعت وتعاليت ، وأراد زدت زيادة كثيرة ، والإبراق : مصدر أبرق، والإرعاد : مصدر أرعد ، ويراد بهما شدة التأنيب أو التهديد ، ومنه قول الكميت :

أرعد وأبرق يا يزيد ، فما وعيدك لى بضائر

وقال ابن أحمر :

ياجل مابعدت عليك بلادنا وطلابنا فابرق بأرضك وارعد

وغدا على : يريد جاءنى فى وقت الغدوة ، وسيل لومك : الكثير منه ، وهو من إضافة المشبه به للمشبه ، ويروى « بمرعدك» يقول : لقد أكثرت من التعنيف على ما أبديه من آلام العشق .

(٢) تسديه : تمنحه وتعطيه ، والإسعاد : مصدر « أسعد فلان فلانا» إذا أعانه. يقول : إن ماتبذله من التأنيب على المحبة والتقريع على مايظهر على من لواعجها غير مجد ولامفيد ، وليس هو مما تمدح أنت عليه ، ولو كنت تبذل لى المعونة فتخفف بعض برحاء هذا العشق لكانت لك عندى يد أمدحك عليها .

٣ لاَ تُنْكِرَنْ أَنْ يَشْتَكِى ثِقَلَ الهَوَى
بَدَنِى فمَا أَنَا مِنْ بَقِيَّةِ عَادِ

٤ كَمْ وَقْعَةٍ لى فى الهَوَى مَشْهُورَةٍ
مَا كُنْتُ فِيهَا الحَارِثَ بن عُبَادِ

---

(٣) وقع فى المصرية ومطبوعة بيروت « لاتنكرى » بياء المؤنثة المخاطبة ، والخطاب فى البيتين السابقين لمذكر ، وما أثبتناه موافق لما رواه التبريزى ، واخترناه ليجرى الخطاب على صنن واحد ، وقد قال « أن يشتكى » فجعل نصب هذا الفعل بفتحة مقدرة على الياء ، ومثله وارد فى الشعرالعربى ، لكنا مما لا يغتفر لمثل أبى تمام وإن كان كثير من فحول الشعراء يستعملونه .

(٤) الحارث بن عباد : فارس النعامة ، شجاع مشهور ، وكان قد اعتزل حرب البسوس التى قامت بين بكر وتغلب ، إلى أن قتل المهلهل بجيرا ابنه ــ أوابن أخيه ، فحمى وقال :

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال

والمتأدبون يخطئون فى ضبط اسم أبيه فيقولونه بفتح العين وتشديد الباء ، والصواب أنه بضم العين وتخفيف الباء بوزن غراب ، ولا يستقيم وزن بيت أبى تمام إلا على هذا الوزن الصحيح ، وإن ضبطه ناشر مطبوعة بيروت على الخطأ ، وشراح ديوان أبى تمام يختلفون فى بيان المراد بقوله « ما كنت فيها الحارث بن عباد » فيذكر التبريزى أن أبا تمام يريد أنه صلى بحر هذه الوقعة ولم يعتزلها ، وقد أخذ هذا المعنى من قول الحارث فى الكلمة التى أشرنا إليها :

ما أنا من جناتها علم الله ، وإنى بحرها اليوم صال

وابن المستوفى يقول : إنه أراد أنه لم يكن شجاعا كالحارث بن عباد ، بل جبن عن احتمال هذه الوقعة من وقعات العشق فذل وخضع واستكان للمحبوب ، وكلا المعنيين يصح أن يراد .

٥ رَحَلَ العَزَاءُ مَعَ الرَّحِيلِ كَأَنَّمَا
أَخَذَتْ عُهُودُهُما عَلَى مِيعَادِ

٦ جَادَ الفِرَاقُ بِمَنْ أَضَنُّ بِنَأْيِهِ لِمَسَالِكِ الإِتْهَامِ وَالإِنْجَادِ

٧ فَكَأَنَّ أَفْئِدَةَ النَّوَى مَصْدُوعَةٌ
حَتَّى تَصَدَّعَ بِالْفِرَاقِ فُؤَادِي

٨ فَإِذَا قَضَضْتُ مِنَ اللَّيَالِي فُرْجَةً خَالَفْنَنِي فَسَدَدْنَهَا بِبِعَادِ

---

(٥) العزاء : التصبر والتجلد ، والرحيل : أراد به مفارقة الأحباب ، يقول : إن التجلد والصبر على آلام العشق قد فارقنى حين ارتحل أحبابنا وفارقوا ديارهم ، فكأنما كان الصبر والرحيل متفقين على موعد يقعان فيه ، فلما وقع الرحيل وقع ارتحال الصبر .

(٦) أضن : أبخل ، ونأيه : بعده ، والإتهام : مصدر « أتهم الرجل » إذا سار نحو تهامة ، أو إذا سار فى الأرض المنخفضة ، والإنجاد : مصدر « أنجد الرجل » إذا سار نحو نجد ، أو إذا سار فى الأرض المرتفعة ، يقول : إن الفراق قد تمكن من الذين كنت بخيلا بفراقهم فأسلمهم إلى طول السير ، فهم تارة يسلكون طريق تهامة أو يسيرون فى وهاد ، وتارة يسلكون طريق نجد أو يسيرون فى الهضاب .

(٧) الأفئدة : القلوب ، واحدها فؤاد — بوزن مكان وأمكنة وزمان وأزمنة — والنوى : البعد ، ويروى « أفئدة الهوى » ومصدوعة : مشقوقة ، وتصدع : تشقق . يقول : كأن قلوبها كانت مشقوقة حسرة على اجتماع شملى بمن أحب ، ودام لها ذلك حتى تصدع قلبي بالفراق ، وهى الآن مرتاحة ملتئمة . يريد أنها كانت حزينة فشفى حزنها ما فعلت بى من تشتيت الشمل وإبعاد من أحب عنى .

(٨) يروى هذا البيت على وجه آخر ، وهو :

فإذا قضيت لبانة من سلوة خالفننى فختمنها ببعاد

والضمير فى « خالفننى فسددنها » عائد إلى الليالى .

٩ عَرُضَ الظَّلَامُ أَمِ اعْتَرَتْهُ وَحْشَةٌ فَاسْتَأْنَسَتْ لَوْعَاتُهُ بِسُهَادِي ؟

١٠ بَلْ ذِكْرَةٌ طَرَقَتْ فَلَمَّا لَمْ أَبِتْ
بَاتَتْ تَفَكُّهُ فِي ضُرُوبِ رُقَادِي

١١ أَغْرَتْ هُمُومِي فَاسْتَلَبْنَ فُضُولَهَا
نَوْمِي وَبِتْنَ عَلَى فُضُولِ وِسَادِي

١٢ وَإِلَى جَنَابِ أَبِي الْمُغِيثِ تَوَاهَقَتْ
خُوصُ الْعُيُونِ مَوَاتِرُ الأَعْضَادِ

(٩) سقط هذا البيت من رواية التبريزى ، ومعنى « عرض الظلام » اتسع وزاد عرضه ، والمراد طول الليل ، وهو مما يشكوه المحبون ، ومعنى « استأنست » حصل لها الأنس ، ويروى « روعاته » فى مكان « لوعاته » والسهاد : الأرق ، يقول : هل طال الليل فليس ينقضى أم أنه قد نزلت به مخاوف فلم تجد هذه المخاوف ما تأنس به إلا أرقى فهى تلازمه ؟ يريد أنه قد طال عليه الليل وذهب عنه النوم .

(١٠) ذكرة : تذكر ، وفى المصرية « بل زورة » والرقاد : النوم ، يقول : إنما عرضت لى ذكرة من أحب فسهرت لها وطار عنى المنام .

(١١) سقط هذا البيت من بعض نسخ شرح الصولى ، وأغرت همومى : يريد أثرتها وهيجتها ، وقوله «واستلبن فضولها نومى» وكذلك وقع فى المصرية ، ويروى « فاصطحبن فضولها نومى » وقد نص التبريزى على هذه الرواية ، وما أثبتناه موافق لرواية التبريزى ، وفى قوله « فاستلبن فضولها نومى » ما يحسن التنبيه عليه ، وهو أنه وصل نون النسوة بالفعل مع كونه مسندا إلى اسم ظاهر ، وقد جاء نظير ذلك فى شعر العرب المحتج بشعرهم وفى شعر الفحول ممن تقدم على أبى تمام ومن تأخر ، ممن ذلك قول الشاعر :

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى فأعرضن عنى بالخدود النواضر

ومن ذلك قول أبى فراس :

نتج الربيع محاسنا ألقحنها غر السحائب

(١٢) جناب أبى المغيث : فناء بيته وما قرب من محلته ، وتواهقت : أسرعت=

١٣ يَلْقَيْنَ مَكْرُوهَ السُّرَى بِنَظِيرِهِ
مِنْ عَجْرَفِيِّ النَّصِّ وَالإِسْآدِ

١٤ الآنَ جُرِّدَتِ الْمَدَائِحُ وَانْتَهَى
فَيْضُ الْقَرِيضِ إلى عُبَابِ الْوَادِي

١٥ وَتَبَجَّسَتْ لِلْجُودِ مِنْ نَفَحَاتِهِ قُلُبٌ يَكَدْنَ يَقُلْنَ هَلْ مِنْ صَادِ

١٦ أَضْحَتْ مَعَاطِنُ رَوْضِهِ وَمِيَاهُهُ وَقْفًا عَلَى الْوُرَّادِ وَالرُّوَّادِ

= وخوص العيون : جمع خوصاء ، وهى الضيقة الغائرة ، والموائر : جمع مائرة وهى اسم الفاعل من « مار يمور » أى أسرع ، والأعضاد : أراد بها الأيدى كلها ، والكلام فى وصف النوق التى حملته .

(١٣) السرى – بضم السين – أصله السير ليلا ، والنص : ضرب من السير السريع ، والإسآد : سير الليل متتابعا من غير نزول ، والعجرفى : الذى لا يبالى ماينال ، ويروى « من جدها فى النص والإسآد » ويروى « من حدة فى النص – إلخ » وروى التبريزى « من جده فى النص » .

(١٤) أصل العباب – بضم العين – معظم الماء ، وفى مطبوعة بيروت « فيض المديح » يقول : قد انتهى شعرى إلى مكانه منك فلم أعد أمدح غيرك .

(١٥) سقط هذا البيت من رواية التبريزى ، وتبجست : تفجرت ونبعت ، ونفحاته : عطاياه ، وقلب : جمع قليب وهو البئر – بوزن سرير وسرر – والصادى . العطشان ، يقول : لقد تفجرت من عطاياه آبار عمت الناس بالرى ، وإنها لتكاد تنادى هل من عطشان ليرد هذا الماء .

(١٦) المعاطن : جمع معطن ، وهو فى الأصل المكان الذى تربض فيه الغنم حول الماء ، والروض : اسم جنس جمعى واحده روضة ، وهى فى الأصل مستنقع الماء من الرمل والعشب ، ويروى « أضحت عطان عراصه » والعطان – بكسر العين – جمع عطن ، وهو فى المعنى مثل المعطن ، والعراص: جمع عرصة – بفتح فسكون ، بوزن قصعة وقصاع وجفنة وجفان ، والرواد : جمع رائد ، وهو طالب الكلأ ، والوراد : جمع وارد ، وهو المقبل على الماء ليستقى .

١٧ عُذْنَا بِمُوسَى مِنْ زَمَانٍ أَنْشَرَتْ سَطَوَاتُهُ فِرْعَوْنَ ذَا الأَوْتَادِ
١٨ جَبَلٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٌ لَهُ تَقْيِيدُ عَادِيَةِ الزَّمَانِ الْعَادِي
١٩ مَا لِامْرِئٍ أَمَرَّ الْقَضَاءُ رَجَاءَهُ إِلَّا رَجَاؤُكَ أَوْ عَطَاؤُكَ فَادِي
٢٠ وإذا المنون تَخَمَّطَتْ صَوْلَاتُهَا عَسْفًا بِيَوْمِ تَوَاقُفٍ وَطِرَادِ
٢١ وَضَمَائِرُ الأَبْطَالِ يَقْسِمُ رَوْعَهَا فِيهَا ظُهُورُ ضَمَائِرِ الأَغْمَادِ
٢٢ وَالْخَيْلُ تَسْتَسْقِي الرِّمَاحُ نُحُورَهَا مُسْتَكْرَهًا كَعُصَارَةِ الفِرْصَادِ

---

(١٧) عذنا : لجأنا ، وأنشرت : أحيت ، وفرعون ذو الأوتاد : جبار ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم بهذا الوصف ، والأوتاد : الجبال ، فإن كان فرعون هذا المذكور هو فرعون موسى فأوتاده هذه الأهرام التى تناطح السحاب .

(١٨) جبل : أى هو جبل ، شبه الممدوح به لأنه يتحصن به كما يتحصن بالجبل ، وعادية الزمان : نازلته وكارثته ، والعادى : الجائر المجاوز الحد فى ظلمه .

(١٩) الفادى : أصله الذى يفدى الأسير بأن يدفع لآسره مالا يفتكه به ، يريد أن كل إنسان انقطعت آماله ولم يبق له رجاء فى الحصول على ما يحب فإنك أنت الذى تنيله رغباته .

(٢٠) المنون : الموت ، وتخمطت : أصله قولهم « تخمط الفحل » أى ثار وهاج ووقع فى المصرية « تحطمت » وهو تصحيف ما أثبتناه عن التبريزى ومطبوعة بيروت وصولاتها : جمع صولة وهى الشدة ، وأراد بيوم تواقف وطراد يوم الحرب ، لأن الأبطال يقف بعضهم لبعض ، ويطرد بعضهم بعضا .

(٢١) ضمائر الأبطال : يروى فى مكانه « وضمائر الأرواح » والروع : هو الخوف والفزع ، ويروى « يقسم أمرها » والأغماد ، جمع غمد وهو قراب السيف وجفنته ، وضمائر الأغماد ، هى السيوف لأنها مضمرة فى أجفانها أى مستورة ، يريد أن قلوب الابطال فى هذا اليوم تمتلىء رعبا وفزعا ، وأن السيوف تقسم بين قلوبهم هذا الفزع .

(٢٢) تستسقى : تطلب السقيا ، والفرصاد ، صبغ أحمر ، وقوله « كعصارة =

٢٣ وَتَلَبَّثَ الإِصْدَارُ عَنْ غَمْرِ الرَّدَى ۝ وَتَشَبَّثَ الْمَكْرُوهُ بِالإِيرَادِ

٢٤ أَمْتَعْتَ سَيْفَكَ مِنْ يَدَيْكَ بِضَرْبَةٍ ۝ لاَ تُمْتِعُ الأَرْوَاحَ بِالأَجْسَادِ

٢٥ مِنْ أَبْيَضٍ لِبَيَاضِ وَجْهِكَ ضَامِنٍ ۝ حِينَ الْوُجُوهُ مَشُوبَةٌ بِسَوَادِ

٢٦ فَكَأَنَّ مَضْرِبَهُ يُجَالِدُ جَفْنَهُ ۝ لَوْ لَمْ تُسَكِّنْهُ بِيَوْمِ جِلاَدِ

= الفرصاد » صفة لموصوف محذوف يقع مفعولا ثانيا لتسنقى ، وتقدير الكلام : تستسقى الرماح نحورها دما أحمر لونه مثل لون عصارة الفرصاد .

(٢٣) سقط هذا البيت من رواية التبريزى ، ومعنى « تلبث » تمهل وتوقف ، والإصدار : أصله الرجوع من الماء بعد الاستقاء ، والغمر - بفتح فسكون - أصله الماء الكثير ، والردى - بفتح الراء - الهلاك ، وتشبث : تمسك ، والإيراد : أصله الإقبال على الماء للاستقاء .

(٢٤) أمتعت سيفك : هذا جواب إذا فى أول البيت ٢٠ يقول : إذا حدثت هذه الشدائد فإنك تمكن يديك من سيفك وتمتع هذا السيف بضربة تقطع بها هام الأبطال ووقع فى المصرية « أتبعت سيفك » وروى التبريزى «مغوثة» فى مكان «بضربة» .

(٢٥) من أبيض : أراد به السيف ، ضامن لبياض وجهك : هذه كناية عن كونه يقطع رقاب أعدائه فيخرج من الوقائع منتصرا . و « حين الوجوه إلخ » كناية عن يوم الحرب التى تغبر فيها وجوه المحاربين لشدتها .

(٢٦) روى التبريزى « قد كان مضربه يجالد جفنه » ويروى « يجاهد جعبة » يعنى أن هذا السيف قد كان بين جفنه وبينه جهاد ومجالدة ، فهو كثير الحركة والاضطراب فى جفنه ، يريد أن يخرج ليعمل عمله فى رقاب أعدائه ، ومن هنا أخذ أبو العلاء المعرى قوله ، وأجاد :

يذيب الرعب منه كل عضب ۝ فلولا الغمد يمسكه لسالا

٢٧ وَالسَّيْفُ مُغْفٍ غَيْرَ أَنَّ غِرَارَهُ
يَقِظٌ إِذَا هَادٍ هَدَاهُ لِهَادِ

٢٨ أَحْيَيْتَ ثَغْرَ الْجُودِ مِنْكَ بِنَائِلٍ
قَدْ مَاتَ مِنْهُ ثَغْرُ كُلِّ فَسَادِ

٢٩ جَاهَدْتَ فِيهِ الْمَالَ عَنْ حَوْبَائِهِ
وَالْمَالُ لَيْسَ جِهَادُهُ كَجِهَادِ

٣٠ مَا لِلْخُطُوبِ طَغَتْ عَلَيَّ كَأَنَّهَا
جَهِلَتْ بِأَنَّ نَدَاكَ بِالْمِرْصَادِ

٣١ وَلَقَدْ تَرَاءَتْنِي بِأَمْنَعِ جُنَّةٍ
لَمَّا بَرَزْتُ لَهَا وَأَنْتَ عَتَادِي

---

(٢٧) مغف : اسم فاعل فعله «أغفى» أى نام ، وغرار السيف - بكسر الغين - حده ، ويروى « والسيف أعمى » والهادى الأول : المرشد ، وهداه : أى دله وأرشده ، والهادى فى آخر البيت : العنق ، يريد أن السيف كان كأنه نائم ؛ لأنه لا يعمل ، ولكن حده متيقظ متأهب للعمل إذا داله دليل - وهو صاحبه - إلى أعناق الأبطال .

(٢٨) أصل معنى الثغر الموضع الذى يخشى مجىء العدو منه ، والنائل : العطاء

(٢٩) جاهدت فيه المال أراد بذلته وفرقته فى طالبى معروفك ، والحوباء - بفتح الحاء وسكون الواو - النفس ، جعله يقاتل المال ويتغلب عليه لأن من شأن النفوس أن تضن به ، ولهذا أتبعه بقوله « والمال ليس جهاده كجهاد » أى جهاد ، يعنى أن بذل المال يحتاج إلى عناء ومشقة فوق كل عناء .

(٣٠) الخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر يثقل احتماله ، وطغت على : أراد تغلبت وسطت ، والمرصاد : الموضع يرتقب فيه العدو لدفعه .

(٣١) تراءتنى ، أراد رأتنى ، والجنة - بضم الجيم - كل ما تتحصن به وتستتر =

٣٢ مَازِلْتُ أَعْلَمُ أَنَّ شِلْوِىَ ضَائِعٌ حَتَّى جَعَلْتُكَ مَوْئِلِى وَمَصَادِى
٣٣ سَلْ مُخْبِرَاتِ الشِّعْرِ عَنِّى هَلْ بَلَتْ فى قَدْحِ نَارِ المَجْدِ مِثْلَ زِنَادِى
٣٤ لَمْ تَبْقَ حَلْبَةُ مَنْطِقٍ إِلاَّ وَقَدْ سَبَقَتْ سَوَابِقَهَا إِلَيْكَ جِيَادِى
٣٥ أَبْقَيْنَ فى أَعْنَاقِ جُودِكَ جَوْهَراً أَبْقَى مِنَ الأَطْوَاقِ فى الأَجْيَادِ
٣٦ وَغَداً تَبَيَّنُ كَيْفَ غِبُّ مَدَائِحِى إِنْ مِلْنَ بى هِمَمِى إِلَى بَغْدَادِ

= من مكروه تخشاه ، وأمنعها : أقواها منعة وأشدها تحصنا ، وأنت عتادى ـ بفتح العين ـ عدتى .

(٣٢) الشلو ـ بكسر الشين وسكون اللام ـ واحد أشلاء الإنسان وهى أعضاؤه ويروى « شكرى » ويريد به شعره الذى يشكره به الذين يمنحهم الجوائز ، ومعنى ضياع شكره أنه لا يجد من يشكره ، والموئل : الملجأ ، والمصاد : أصله حرف الجبل ، وأراد به المعتصم .

(٣٣) بلت : أى اختبرت ، تقول : بلوته أبلوه أى اختبرته وجربته وامتحنته ، يقول : إنك لو سألت لعرفت أن شعرى هو الذى يصل ببلاغته وجودة سبكه إلى المنزلة العليا فى الحديث عن أمجاد ذوى المجد فينزلهم منازلهم التى هم أحرياء بها .

(٣٤) الحلبة ـ بفتح الحاء وسكون اللام ـ أصلها الموضع يتسابق فيه الفرسان ، و السوابق : جمع سابق ، وهو مفعول سبقت ، وجيادى : فاعله ، يقول : إن كل موضع يجتمع فيه قوم لينشدوا جيد أشعارهم يفوق الشعر الذى قلته فيك كل ماينشدون .

(٣٥) الأجياد : الأعناق . يقول : إن ما قلته فيك من الشعر أكثر بقاء وأحسن زينة من أطواق الذهب فى أعناق الحسان ، ويروى « أعناق فعلك » .

(٣٦) تبين : أصله تتبين . فحذف إحدى التاءين ، وغب مدائحى أى عقباها ، ويريد أثرها فى بيان مجدك وإظهار سؤددك ، « ملن بى هممى » يروى « صرن بى هممى » وتقول : صاره يصوره ، وصاره يصيره . أى عطفه ومال به ، وفى كلتا العبارتين إلحاق نون النسوة بالفعل المسند إلى الاسم الظاهر ، وانظر شرح البيت ١١ من هذه القصيدة .

٣٧ وَمَفَاوِزُ الآمَالِ يَبْعُدُ شَأْوُهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ جَدْوَاكَ فِيهَا زَادِي

٣٨ وَمِنَ العَجَائِبِ شَاعِرٌ قَعَدَتْ بِهِ هِمَّاتُه ، أَوْ ضَاعَ عِنْدَ جَوَادِ

* * *

(٣٧) المفاوز : جمع مفازة ، وهى الصحراء لاماء فيها ، وشأوها : أى مداها ، والجدوى : العطاء ، يقول: إن آمالى طويلة المدى ، وإنى لن أحققها إلا على يديك .

(٣٨) يقول : إن من العجب ألا يبلغ آماله شاعر يجيد الحديث عن أمجاد ذوى المجد ، وأن يحرمه الدهر من إدراك رغباته ، ومن العجب أيضا أن يضيع شاعر بهذه المنزلة عند جواد أريحى مثلك .

* * *

(٦١)

وقال فى عبد الحميد بن جبريل :

١ يَدُ الشَّكْوَى أتتكَ عَلَى البَرِيدِ	تُمَدُّ بِهَا القَصَائِدُ بالنَّشِيدِ
٢ تُقَلِّبُ بَيْنَهَا أَمَلاً جَدِيداً	تَدَرَّع حُلَّتَىْ طَمَعٍ جَدِيدِ
٣ شَكَوْتُ إلى الزَّمَانِ نُحُولَ حَالِي	فأَرْشَدَنِى إلى عَبْدِ الحَمِيدِ

---

(٦١)

تقدم البيتان اللذان يقولهما فى عبد الله بن طاهر ، عن هذه الكلمة ، فى رواية التبريزى ، واتفقت المصرية ومطبوعة بيروت على تأخير بيتى عبد الله بن طاهر ، واتفقت المصرية ورواية التبريزى ومطبوعة بيروت على التقديم لها « وقال فى عبد الحميد بن جبريل » وجاء فى نسخة « وقيل : عبد الحميد بن نصر ».

(١) ذكر التبريزى أنه يروى « تمديد القصائد بالنشيد » .

(٢) تدرع : لبسه كما يلبس الدرع لاتقاء ضربات الزمان ، وأراد أنه جعل لما عنده من الطمع ظهارة من الطمع أيضا ، فكان طمعه مؤكدا .

(٣) نحول حالى : هكذا وقع فى المصرية ، ووقع فى رواية التبريزى ومطبوعة بيروت « نحول جسمى » وذكر التبريزى أن النقاد عابوا قوله « نحول جسمى » لأن نحول الجسم إنما يشتكى إلى الطبيب ، وأجيب عن هذا الاعتراض بأن نحول الجسم الذى يشتكى منه إلى الطبيب هو النحول الحاصل عن علة أو مرض ، وهو لايريد ذلك ، وإنما يريد أن جسمه قد نحل مما أصابه من البؤس وماحل به من الفقر ، وهذا يشتكى إلى الأجواد لأنهم يزيلون بمنحهم فقره فيزول حزنه وبؤسه ، وهذا معنى يرد على ألسنة الشعراء كثيرا ، ومنه قول الشاعر :

رآنى على مابى عميلة فاشتكى	إلى ماله حالى ، أسر كما ظهر
دعانى فآسانى ، ولوضن لم ألم	على حين لاباد يرجى ولاحضر

٤ فَجِئْتُكَ رَاكِباً أَمَلَ الْقَوَافِي
عَلَى ثِقَةٍ مِنَ الْبَلَدِ الْبَعِيدِ

٥ أُرَجِّى أن تَكُونَ مَحَلَّ يُسْرِي
وَمُنْتَصَرِي عَلَى الزَّمَنِ الْكَنُودِ

٦ فَقَدْ لاَذَتْ بِكَ الآمَالُ مِنِّى
كَمَا لاَذَ الْوَرَى بابْنِ الرَّشِيدِ

٧ وَقَدْ أَلْقَى الزَّمَانُ عِنَانَ يُسْرِي
وَصَافَحَنِي الْغَدَاةَ بِكَفِّ سِيدِ

٨ فَلاَ تَجْعَلْ جَوَابَكَ فِى يَدَىْ لاَ
فَأَكْتُبَ مَا رَجَوْتُ عَلَى الْجَلِيدِ

---

(٤) يريد أنه أرسل إليه بشعره وهو يأمل أن يكون هذا الشعر وسيلة إلى نجح مقصده فيدر له نواله ، وحينئذ تزول أسباب شكواه .

(٥) منتصرى - بفتح الصاد - مكان انتصارى ، والكنود : أصله الذى يجحد النعمة ويكفرها ولا يعترف بها ، وأراد به هنا البخيل أو مايؤدى معناه .

(٦) لاذت بك : لجأت إليك ، وابن الرشيد : الظاهر أنه أراد به المأمون العباسى .

(٧) أصل العنان - بكسر العين ، بزنة الكتاب - ماتساس به الدابة من لجام ونحوه ، والمشهور أن السيد - بكسر السين - هو الذئب ، ومن أهل اللغة من يزعم أنه يطلق على الأسد أيضا ، يريد أن الزمان قد ألقى عنان يسره وطرحه من يده ، وقاده بعد هذا بعنان الشدة والقسوة .

(٨) لاتجعل جوابك فى يدى لا : يريد لاتردنى خائبا وتمنعى ما أملت فيك ، =

٩ فَلَوْلاَ أَنَّ آمَالِي أَرَتْنِي لَدَيْكَ سَحَابَتَيْ كَرَمٍ وَجُودِ
١٠ لأَصْبَحَ حَبْلُ شِعْرِي طَوْقَ غُلٍّ مِنَ الأَيَّامِ فِي عُنُقِي وَجِيدِي
١١ وَقَدْ حَرَّرْتُ فِي مَدْحِيكَ جَهْدِي فَحرِّزْ بِالنَّدَى صِلَةَ القَصِيدِ

* * *

= وقوله « فأ كتب مارجوت على الجليد » يريد به فلا يكون لرجائى أثر ، وأصله قولهم لمن لايحصل من سعيه على فائدة « فلان كمن يرقم على الماء » فألجأته القافية إلى ان يجعل الماء جليدا لأنه يذوب فيذهب ما كتب عليه .

(٩ ، ١٠) الآمال : جمع أمل وهو ماترجو أن تحصل عليه مما فيه منفعة لك ، والغل - بضم الغين - طوق من الحديد يجعل فى العنق ، ويروى « مدى الأيام » فى مكان « من الأيام » يقول: لولا أنى أملت فيك آمالا جساما لما رأيت فيك من خلال الكرم لما رأيت من يستحق مدحى فكنت لا أقول شعرا فى مدح أحد فيكون شعرى حينئذ كأنه غل أحيط به عنق .

(١١) حررت : استخلصت ، والندى : الجود ، والصلة : العطية .

(٦٢)

وقال فى عبد الله بن طاهر وقد خرج إليه :

١ يَقُولُ فى قُومَسٍ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ
مِنَّا السُّرَى وَخُطَى الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ

٢ أَمَطْلَعَ الشَّمْسِ تَبْغِى أَنْ تَؤُمَّ بِنَا
فَقُلْتُ : كَلَّا ، وَلَكِنْ مَطْلَعَ الْجُودِ

* * *

(٦٢)

وقع هذان البيتان فى المصرية وفى مطبوعة بيروت بعد الكلمة السابقة ، وهما فى نسخة التبريزى قبلها كما ذكرنا من قبل .

(١) قومس ، هنا : اسم بلد ، ذكروا أنه قريب من أصفهان بين العراق وخراسان وطبرستان ، وأنها كانت على طريق القوافل الذاهبة من الرى إلى خراسان ، والصحب : جمع صاحب ـ مثل راكب وركب ، وتاجر وتجر ، وشارب وشرب ـ والسرى ـ بضم السين ـ سير الليل ، والمهرية : أرابها النوق ، منسوبة إلى مهرة بن حيدان ، والقود : جمع قوداء ، وهى الطويلة العنق .

(٢) تبغى : تقصد ، ووقع مكانه عند التبريزى « تنوى » وهو بمعناه .

(٦٣)

وقال يمدح أبا سعيد :

١ دَاعٍ دَعَا بِلِسَانِ هَادٍ مُرْشِدِ ... فَأَجَابَ عَزْمٌ هَاجِدٌ فِى مَرْقَدِ

٢ نَادَى وَقَدْ نَشَرَ الظَّلَامُ سُدُولَهُ ... وَالنَّوْمُ يَحْكُمُ فِى عُيُونِ الرُّقَّدِ

٣ يَاذَائِدَ الْهِيمِ الْخَوَامِسِ وَفِّهَا ... عِشْراً وَوَافِ بِهَا حِيَاضَ مُحَمَّدِ

٤ يَمْدُدْنَ لِلشَّرَفِ الْمُنِيفِ صَوَادِياً ... أَعْنَاقَهُنَّ إِلَى حِيَاضِ السُّؤْدَدِ

٥ وَتَنَبَّهَتْ فِكَرٌ فَبِتْنَ هَوَاجِسًا ... فِى قَلْبِ ذِى سَمَرٍ بِهَا مُتَهَجِّدِ

---

(٦٣)

اتفقت النسخ على إثبات هذه القصيدة فى هذا الموضع ، وهى فى رواية التبريزى برقم ٦١ وقدم لها بقوله (وقال يمدح أبا سعيد الثغرى) ؟

(١) يروى « فأجاب عزما هاجداً » والداعى الذى دعاه هو خاطره ، والهاجد هنا : النائم ، والمرقد ـ بفتح الميم والقاف بينهما راء ساكنة ـ مكان الرقاد ،

(٢) السدول : جمع سدل ، وهو الستر ، ونشر الظلام سدوله ، كناية عن إطباقه وامتلاء الأفق به ، والرقد : جمع راقد ، مثل راكع وركع .

(٣) الذائد : السائق ، والهيم : جمع أهيم أو هيماء ، وأراد الإبل العطاش التى تهيم على وجهها فى طلب الماء ، والخوامس : التى تركت فى المرعى ثلاثة أيام وترد فى اليوم الرابع ، ووفها : تمم لها ، ووافِ بها : أقبل بها بعد العطش الطويل ، ومحمد : الممدوح ! يريد عطش إبلك عطشا شديدا ثم أوردها حياض محمد فإنها تروى ويذهب عنها العطش ، أو يريد سر بإبلك سيرا طويلا فى أرض قفرة لا ماء بها حتى تعطش وتهيم على وجهها ولا تجزع لذلك فإنك وارد بها على الممدوح وإنه سيجزل لك المكافأة .

(٤) يمدون ، هذا الضمير يرجع إلى الإبل التى عبر عنها بالهيم فى البيت السابق والشرف المنيف : المرتفع العالى ، والصوادى : جمع صادية مؤنث صاد وهو العطشان ، والسؤدد : السيادة والشرف ورفعة الشأن .

(٥) تنبهت ، تيقظت ، والفكر : جمع فكرة ـ بكسر الفاء وسكون الكاف =

٦ لَمَّا رَأَيْتُكَ يا مُحَمَّـــدُ تَصْطَفِى
صَفْوَ المحامِدِ مِنْ ثَنَــاءِ المُجْتَدِى

٧ سَيَّرْتُ فِيكَ مَــــــدائِحًا فَتَرَكْتُهَا
غُرَرًا تَرُوحُ بها الرُّوَاةُ وَتَغْتَدِى

٨ مَالِى إذَا مَا رُضْتُ فِيكَ غَريبَــــــةً
جَاءَتْ مَجِىءَ نَجِيبَــةٍ فى مِقْوَدِ

٩ وَإذَا أَرَدْتُ بها سِوَاكَ فَرُضْتُهَا
وَافْتَدْتُهَا بِذَمَائِهِ لَمْ تَنْقَــــــدِ

١٠ مَا ذَاكَ إلاَّ أَنَّ زَنْدَكَ لم يَكُنْ فى كَفِّ قَادِحِهِ بِزَنْدٍ مُصْلِدِ

= وهى إعمال النظر فى الشىء ، والهواجس : جمع هاجسة ، وهى اسم الفاعل المؤنث وفعله « هجس الشىء فى صدره يهجس هجسا » – على وزن ضرب يضرب ضربا – أى حدث نفسه به ، مثل الوسواس ، والسمر – بفتح السين والميم جميعا – هو الحديث فى الليل ، والمتهجد ، هنا : المتيقظ الساهر .

(٦و٧) تصطفى : تختار ، والصفو : الخالص من كل شىء ، والمحامد : جمع محمدة ، والمجتدى : طالب الجدوى وهى العطاء ، والغرر : جمع غرة ، وهى فى الأصل بياض فى جبهة الفرس ، وهى مما يمدح به ، ثم تطلق على كل ظاهر مشتهر ممدوح ، والرواة : جمع راو ، وأراد بقوله « تروح بها الرواة وتغتدى » أنهم يتناقلون قصائده التى قالها فيه وينشدونها فى كل وقت .

(٨و٩) رضت : قدت وذللت ، وأراد بالغريبة القصيدة النادرة التى تفرق الشعر كله ، والنجيبة : الناقة ، والمقود – بوزن المنبر – كل ما تقاد به الراحلة ، يقول : إنى إذا أردت أن أقول فيك قصيدة من غرائب الشعر يسهل على نظمها وتنهال على ذهنى معانيها ، فإذا أردت أن أقول مثل هذه القصيدة فى أحد سواك لم يكن ذلك ميسورا لى .

(١٠) الزند : مايقدح به ليخرج شررا . وإذا اقتدح الزند فأخرج النار قيل =

١١ صَدَّقْتَ ظَنِّي فِيكَ حِينَ رَعَيْتَنِي
لِتَحَرُّمِي بالسَّيِّدِ المُسْتَشْهَدِ

١٢ وَلَجَأْتُ مِنْكَ إلى ابْنِ مَلْكٍ أَنْبَأَتْ
عَنْهُ خَلاَئِقُهُ بِطِيبِ المَحْتِدِ

١٣ مَلِكٌ يَجُودُ وَلاَ يُؤَامِرُ آمِراً فِيهِ وَيَحْكُمُ فِي جَدَاهُ الْمُجْتَدِي

١٤ وَيَقُولُ وَالشَّرَفُ الْمُنِيفُ يَحُفُّهُ :
لاَ خَيْرَ فِي شَرَفٍ إِذَا لَمْ أُحْمَدِ

= « أورى الزند» وإذا اقتدح فلم يخرج نارا قيل « أصلد الزند » يريد أنه جواد كريم يجد عنده المادحون ما يؤملون ، وأما غيره فلا .

(١١) وقع فى المصرية « صدقت مدحى فيك » وما أثبتناه موافق لما ورد فى رواية التبريزى ومطبوعة بيروت ، ورعيتنى : أى حطتنى بعطفك واهتممت بأمرى وتقول « تحرم فلان بفلان » تريد أنه احتمى به ولجأ إليه بذمة أو عهد ، ووقع عند التبريزى « بالسيد المتشهد » ومعناه الناطق بالشهادتين ، وهو كناية عن أنه مداوم على العبادة ، ووقع فى المصرية ومطبوعة بيروت « المستشهد » وتقرأ بفتح الهاء لا بكسرها كما ضبطت فى مطبوعة بيروت ، ومعنى الكلمة الذى نال الشهادة وهى القتل فى سبيل الله ، ووقع فى نسخة « يعنى محمد بن حميد الطائى » .

(١٢) أنبأت : أخبرت ، والخلائق : جمع خليقة وهى السجية والطبيعة ، وقال زهير بن أبى سلمى المزنى :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

والمحتد ــ بفتح الميم وكسر التاء ــ الأصل .

(١٣) يجود : يعطى ، وقوله « لا يؤامر آمرا » يريد أنه لا يستشير فى عطائه مشيرا يمنعه أو يجيزه ، والجدى ــ بفتح الجيم مقصورا بوزن الفتى ــ العطاء ، والمجتدى : طالبه .

(١٤) يحفه : يحيط به من جميع جوانبه ، ووقع فى نسخة « إذا لم يحمد » أى أن شرف المرء ما لم يعد على طالبى عطائه بالبر فيحمدوه على ذلك لم يكن محموداً .

١٥ وَأَكُون عِنْدَ ظُنُونِ طُلَّابِ النَّدَى
وَأَذُبُّ عَنْ شَرَفِي بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

١٦ يَأْبَى لِعِرْضِي أَنْ يَكُونَ مُشَعَّثاً
جُودٌ وَقَاهُ بِطَارِفٍ وَبِمُتْلَدِ

١٧ وَرَاحَتَيْهِ دِيمَتَانِ؛ فَدِيمَةٌ لِي بِالْوِدَادِ، وَدِيمَةٌ بِالْعَسْجَدِ

١٨ كَمْ مِنْ ضَرِيكٍ قَدْ بَسَطْتَ يَمِينَهُ
بَعْدَ التَّحَيُّنِ فِي ثَرَاءٍ سَرْمَدِ

١٩ وَلَرُبَّ حَرْبٍ حَائِلٍ أَلْقَحْتَهَا وَنَتَجْتَهَا مِنْ قَبْلِ حِينِ الْمَوْلِدِ

---

(١٥) طلاب : جمع طالب ، والندى : الكرم والجود ، وأذب : أدفع .

(١٦) عرض الإنسان : موضع المدح أو الذم منه ، والمشعث : أراد به هنا غير الممدوح : ووقاه : حرسه وحفظه ، والطارف : كل ما أحدثته من مال أو شرف ، والمتلد : الذى ورثته عن خلفك وآبائك .

(١٧) راحتاه : كفاه ، والديمتان : مثنى ديمة ، وهى المطر الدائم من غير رعد ولا برق ، والعسجد: الذهب، يريد أن يدى الممدوح تفيضان بالعطاء ، كما أنه يصفينى بهما المودة .

(١٨) الضريك : الفقير ، والتحين : أصله الحين ، ويقال « حينت الشىء » أى جعلت له حينا ، ويقال « فلان يتحين كذا » أى يرتقبه وينتظر حينه ووقته الذى يحصل فيه ، ويروى « بعد التحير » بالراء ، والثراء : الغنى ، والسرمد : الدائم ، يقول : كثير من الضعاف والمحتاجين كانوا لا يصلون إلى المال إلا فى الحين بعد الحين قد أغنيتهم فصاروا فى بسطة دائمة .

(١٩) أصل الحائل الناقة التي لا تلد ، ويقال « ألقح القوم الناقة » إذا استولدوها ويقال « لقحت الناقة » إذا حملت ، وقد استعملوا هذا فى الحرب ، قال الحارث ابن عباد فارس النعامة :

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال

٢٠ وَإِذَا بَعَثْتَ لِنَاكِثِينَ عَزِيمَةً
عَصَفَتْ رُؤُوسٌ مِنْ سُيُوفٍ رُكَّدِ

٢١ إِنَّ الخِلاَفَةَ لَوْ جَزَتْكَ بِمَوْقِفٍ
جَعَلَتْ مِثَالَكَ قِبْلَةً لِلْمَسْجِدِ

٢٢ وَسَمَتْ إِلَيْكَ جُنُودُهَا حَتَّى إِذَا
أَمَّتْكَ خَرَّ لَدَيْكَ كُلُّ مُقَلَّدِ

٢٣ وَاللهُ يَشْكُرُ وَالخَلِيفَةُ مَوْقِفاً لَكَ شَائِعاً بِالبَذِّ صَعْبَ المَشْهَدِ

٢٤ فِى مَأْزِقٍ ضَنْكٍ المَكَرِّ مُغَصَّصٍ
أَرِزِ المَجَالِ مِنَ القَنَا المُتَقَصِّدِ

---

(٢٠) الناكثون : أراد بهم الخارجين على الدولة ، وأراد بالعزيمة هنا التهديد بالجيش ، أو نحوه ، وعصفت : أراد طارت كما يطير العصف وهو التبن ، وسيوف ركد : جمع راكد ، وهو فى الأصل الثابت ، وأراد به الذى لم يخرج من غمده .

(٢١و٢٢) أول هذين البيتين لاينبغى لشاعر مسلم أن يقوله ، وأمتك : يعنى قصدتك ، وخر : أصل معناه سقط من أعلى إلى أسفل ، ويريد معنى سجد ، والمقلد ـ بفتح اللام مشددة ـ أراد به لابس السيف ، يعنى الجنود كلهم لأن كل جندى يلبس سيفا ، فهو من وضع الظاهر فى موضع الضمير إذ كان الأصل أن يقول « خروا لديك » ومسوغ ذلك اختلاف اللفظين واشتمال « كل مقلد » على معنى زائد عن « الجنود » .

(٢٣و٢٤) البذ ـ بفتح الباء وتشديد الذال المعجمة ـ كورة بين أذربيجان وأران ، وبها كان خروج بابك الخرمى ، فى أيام المعتصم ، ويكثر ذكره فى شعر أبى تمام والبحترى ، فمن قول أبى تمام سوى هذا البيت :

فالبذ أغبر دارس الأطلال لبد الردى أكل من الآكال

ومنه قوله :

٢٥ نَازَلْتَ فِيهِ مُفَنَّداً فى دِينِهِ لاَ بَأْسِهِ فَرَآكَ غَيْرَ مُفَنَّدِ
٢٦ فَتَلَوَّتَ هَامَتَهُ فَطَارَ فَرَاشُهَا بِشِهَابِ مَوْتٍ فى اليَدَيْنِ مُجَرَّدِ
٢٧ يَافَارِسَ الإِسْلاَمِ أَنْتَ حَمَيْتَهُ وَكَفَيْتَهُ كَلَبَ العَدُوِّ المُعْتَدِى
٢٨ وَنَصَرْتَهُ بِكَتَائِبٍ صَيَّرْتَهَا نَصْباً لِعَوْرَاتِ العَدُوِّ بِمَرْصَدِ

= وكم جبل يالبذ منهم هددته وغاو غوى حلته لو تحللا

ومن قول البحترى فيه :

لله درك يوم بابك فارسا بطلا لأبواب الحتوف قروعا
حتى ظفرت ببذهم فتركته للذل جانبه وكان منيعا

والمأزق — بوزن مجلس — المكان الضيق ، وضنك — بفتح الضاد وسكون النون — شديد الضيق ، والمكر : مكان كرور المتحاربين بعضهم على بعض ، والمغوص بوزن المفعول — المزدحم بمن فيه ، والأرز : يروى بزايين وبزاى فراء مهملة ، أما الأول فمن قولهم « مجلس أزز » إذا كان كثير الأهل ، وقولهم « بناء ازز » أى محكم ، وأما الثانى فمأخوذ من قولهم « تآزر النبات » إذا اتصل بعضه ببعض وتشابك ، والقنا المتقصد : المتكسر .

(٢٥) المفند : المنسوب إلى الفند — بفتح الفاء والنون جميعا — وهو الكذب . يقول : لقد حاربت فى هذا المكان رجلا كاذبا فى رأيه لأنه كافر — وهو يريد بهذا الرجل بابكا الخرمى — ولكنه صادق البأس والشجاعة والقدرة على القتال ، وقد رأى فيك الشجاع الصادق العزم .

(٢٦) الهامة : الرأس ، والفراش — بوزن السحاب — عظام رقاق تكون فى الرأس ، وأراد بشهاب الموت سيفه ، ومجرد : مخرج من غمده .

(٢٨) الكتائب ، جمع كتيبة ، وهى الفرقة من الجيش ، ومعنى « صيرتها نصبا لعورات العدو » أنك أقمت هذه الكتائب فى الثغور التى تخشى على بلاد المملكة مجيء العدو من ناحيتها ؟

٢٩ أَصْبَحْتَ مِفْتَاحَ الثُّغُورِ وَقُفْلَهَا
وَسِدَادَ ثُلْمَتِهَا الَّتِي لَمْ تُسْدَدِ

٣٠ أَدْرَكْتَ فِيهِ دَمَ الشَّهِيدِ وَثَأْرَهُ
وَفَلَجْتَ فِيهِ بِشُكْرِ كُلِّ مُوَحِّدِ

٣١ ضَحِكَتْ لَهُ أَجْبَالُ مَكَّةَ ضِحْكَهَا
فِي يَوْمِ بَدْرٍ وَالْعُتَاةِ الشُّهَّدِ

٣٢ أَحْيَيْتَ لِلْإِسْلَامِ نَجْدَةَ خَالِدٍ
وَفَسَحْتَ فِيهِ لِمُتْهِمٍ وَلِمُنْجِدِ

---

(٢٩) الثلمة ـ بضم الثاء وسكون اللام ـ الفرجة ، يقول : لقد أصبحت المفتاح الذى تفتح به الثغور ، والقفل الذى به يقفل على الأعداء فلا ينفذون إلى البلاد ، وأنت تسد الفرج التى لم تسد من قبل .

(٣٠) أراد بالشهيد محمد بن حميد الطوسى ، وكان قد قتل فى هذه المعارك ، وقيل : إنه أراد بالشهيد أبا عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب ، وهذا بعيد ، وفلجت : ظفرت .

(٣١) أجبال مكة : جمع جبل ويروى « أحياء مكة » جمع حى ، ويروى « أكباد مكة » ويروى « أجياد مكة » وأجياد : موضع فى مكة فيه يقول الأعشى :

فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا ولا لك حق الشرب من ماء زمزم
ولا جعل الرحمن بيتك فى العلا بأجياد غربى الصفا والمحرم

ويوم بدر : يوم الموقعة الكبرى التى نصر الله فيها نبيه وأصحابه على جبابرة قريش وطغاتهم ، والعتاة : جمع عات وهو الجبار ، والشهد : جمع شاهد وهو الحاضر .

(٣٢) أراد بخالد سيف الله القائد المظفر خالد بن الوليد المخزومى رضى الله تعالى عنه ، وكان على خيل النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، وله المقامات المشهودة فى حروب الردة ، وفى فتوح الإسلام .

٣٣ لَوْ أنَّ هَرْثَمَةَ بْنَ أعْيَنَ فى الْوَرَى
حَىٌّ وَعَايَنَ فَضْلَهُ لَمْ يَجْحَدِ

٣٤ أوْ شَاهَدَ الحَرْبَ الْمُمِرَّ مَذَاقُها
لَرَآه أقْمَعَ لِلْعُتَاةِ العُنَّدِ

٣٥ وَأجَرَّ لِلْخَيْلِ الْمُغِيرَةِ فى السُّرَى
وَأذَبَّ مِنْهُ بِاللِّسَانِ وَ بِالْيَدِ

٣٦ أمَّا الْجِيَادُ فَقَدْ جَرَتْ فَسَبَقْتَها
وَشَرِبْتَ صَفْوَ زُلاَلِهَا فى الْمَوْرِدِ

٣٧ غَادَرْتَ طَلْحَةَ فى الغُبَارِ وَحَاتِمًا
وَأبَانَ حَسْرَى عَنْ مَدَاكَ الأبْعَدِ

٣٨ وَطَلَعْتَ فى دَرَجِ الْعُلَى حَتَّى إذَا
جِئْتَ النُّجُومَ نَزَلْتَ فَوْقَ الْفَرْقَدِ

---

(٣٣) هرثمه بن أعين : من القواد الذين كان لهم فى الدولة العباسية غناء كبير ، وعاين فضله : أى رآه بعينه وشاهده ، ويروى « وعاين فعله » ولم يجحد : لم ينكر ،

(٣٤) أمر الطعام والماء : صار طعمه مرا ، ويكنى بمرارة المذاق عن الشدة ، واقمع : أفعل تفضيل فعله « قمعت العدو أقمعه » من باب فتح ــ أى أخضعته وأذللته ويروى « أنقع » وإن صحت هذه الرواية فهى مأخوذة من قولهم « سم ناقع » و « موت ناقع ».

(٣٥) وأجر الخيل ــ إلخ : أى أكثر جرا لها على السير بالفرسان ليلا لكى يهجموا على العدو ، وأذب: أفعل تفضيل فعله « ذب العدو » أى دفعه .

(٣٧) طلحة : اشتهر بهذا الاسم من الأجواد طلحة الطلحات الذى يقول فيه عبيد الله بن قيس الرقيات :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

وهو طلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعى ، كما اشتهر بهذا الاسم من الأجواد طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وكان يقال له: =

٣٩ فأنعَمْ فكُنْيَتِكَ الَّتِي كُنِّيتَها ... فَأْلٌ جَرَى لكَ بِالسَّعَادَةِ فاسْعَدِ
٤٠ وَلَقَدْ وَفَدْتَ إِلَى الخليفَةِ وَفْدَةً ... كانَتْ عَلَى قَدَرٍ بِسَعْدِ الأَسْعُدِ
٤١ زُرْتَ الخليفةَ زَوْرَةً مَيْمُونَةً ... مَذْكُورَةً قَطَعَتْ رَجَاءَ الحُسَّدِ
٤٢ يَتَنَفَّسُونَ فتَنْثَنِي لَهَوَاتُهم ... مِنْ جَمْرَةِ الحَسَدِ الَّتِي لَمْ تَبْرُدِ
٤٣ نَفَسُوكَ فَالْتَمَسُوا نَدَاكَ فَحَاوَلُوا ... جَبَلاً يَزِلُّ صَفِيحُهُ بِالمُصْعِدِ
٤٤ درستْ صفائح كَيْدِهِمْ فكأنَّما ... أذْكَرْنَ أَطْلالاً بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ

= طلحة الخير، وطلحة الفياض، وهو من المهاجرين الأولين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين سماهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للشورى فى الخلافة على المسلمين ، وحاتم : هو حاتم الطائى الجواد المشهور ، وأبان : أراد به أبان بن الوليد البجلى ، وهو ممن ذكروا بالجود .

(٣٩) كنية الممدوح : أبو سعيد ، واشتقاقها من السعادة ، والفأل : ما يتيمن به ، وهو ضد التشاؤم والتطير .

(٤٠) كانت على قدر : هذه العبارة مأخوذة من قول جرير فى عمر بن عبد العزيز .

جاء الخلافة أو كانت له قدراً ... كما أتى ربه موسى على قدر

وسعد الأسعد : برج فى السماء يذكره المنجمون فى مطالع السعود .

(٤٢) لهواتهم : جمع لهاة — بوزن قناة — وهى بضعة من اللحم عند أصل اللسان ، يريد أن لهواتهم تحترق بسبب ما فى صدورهم من نيران الحسد .

(٤٣) نفسوك المستعمل فى العربية « نفس فلان على فلان » أى حسده ، ويقولون « نفس فلان على فلان الأمر الفلانى » إذا لم يجده أهلاله ، والمعنى الذى يريده أبو تمام يقال فيه « نافسوك » أى جاروك فى الأشياء النفيسة ، والندى : الكرم ، ويروى « مداك » بالميم — والصفيح: الحجارة الكبار ، والمصعد : الصاعد ، يقال : صعد المكان ، وأصعد ، ويزل صفيحه بالمصعد : أى تزلقه فلا يستطيع الصعود .

(٤٤) برقة ثهمد : هى التى ذكرها طرفة بن العبد البكرى فى قوله :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

وبيت أبى تمام يشير إلى هذا البيت .

(٦٤)

وقال يمدح محمد بن المستهل :

١ أجفانُ خُوطِ البانةِ الأملُود
مشغولةٌ بكَ عن وصالِ هُجُودِ

٢ سَكبتْ ذخيرةَ دمعةٍ مُصفَرّةٍ
في وَجنةٍ مُحمرّةِ التّوريدِ

٣ فكأنّ وهْيَ نظامِها نظمٌ وهي
من يارقٍ وقلائدٍ وعقودِ

---

(٦٤)

سقطت هذه القصيدة من المصرية ، وهي ثابتة في رواية التبريزي على الترتيب الذي أثبتناه ، وروت منها مطبوعة بيروت ٢٨ بيتا . وسنبين في الشرح ماسقط منها ، وقد اختلف ناشرا النسختين في رواية الصولي لها ، فيقول ناشر مطبوعة بيروت « وقد رواها الصولي » ويقول ناشر شرح التبريزي « لم ترد هذه القصيدة في نسخ الصولي التي بين أيدينا ، غير أن نقول ابن المستوفي عن الصولي والمرزوقي ترى أنها وجدت في نسخ شروحهما التي نظر فيها ابن المستوفي »ومن هنا تعلم أن نسخ الصولي مختلفة ، وفي بعضها زيادة لم ترد في بعضها الآخر .

(١) الأجفان: جمع جفن والمراد به جفن العين، والخوط : أصله الغصن،وقد أراد به فتاة شبيهة بالغصن في اعتدال قامتها ، والأملود : الناعم الأملس ، والهجود : الرقاد ، يقول : هذه الفتاة قد عشقتك فمنعها عشقها إياك من النوم .

(٢) دمعة مصفرة : يريد أنها امتزجت بالدم أو بالخلوق ـ وهو العطر ـ ومحمرة التوريد : أراد أن يكسب حمرة خدها لون الورد فجاء بالعبارة على وجه الإضافة ، وكأنه جعل التوريد لونها الأصلي .

(٣) وهي العقد يهي وهيا ـ بوزن رمى يرمي رميا ـ أي ضعف خيطه وسقط =

٤ أذْكَتْ حُمَيَّا وَجْدِهَا حُمَـةَ الأَسَى
فَغَدَتْ بِنَارٍ غَـــيْرِ ذَاتِ خُمُودِ

٥ طَلَعَتْ طُلُوعَ الشَّمْسِ فى طَرَفِ النَّوَى
وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ بِطَرْفِ حَسُـــودِ

٦ وَتَأَمَّلَتْ شَـــبَحِى بِعَـيْنٍ أَيَّدَتْ
عَمَدَ الْهَوَى فى قَلْبِيَ الْمَعْمُـــودِ

٧ فَنَحَرْتُ حُسْنَ الصَّبْرِ تَحْتَ الصَّدْرِ عَنْ
جَيَدٍ بِوَاضِـحِ نَحْرِهَا وَالْجِيـدِ

٨ حَاشَا لِجَمْرِ حَشَاىَ أَنْ يَلْقَى الْحَشَا
إِلاَّ بِلَفْحٍ مِثْــلِ لَفْحِ وَقُودِ

= واليارق : عقد يشد على المعصم ، شبه دمعها الذى سكبته باللؤلؤ الذى يتساقط من العقد الذى ضعف خيطه فانقطع .

(٤) أذكت : أشعلت وأوقدت ، وحميا وجدها : سورته وشدته ، والحمة فى الأصل : إبرة العقرب التى تلدغ بها ، والأسى : الحزن ، والضمير المستتر : فى « فغدت » يعود إلى حمة الأسى ، يقول : إن حدة شوقها وشدة غرامها أشعلت نيران الحزن فى صدرها .

(٥) أراد بطرف النوى أول البعد ساعة الوداع ، يقول : طلعت عند الوداع فغلب ضوؤها ضوء الشمس .

(٦) رواية مطبوعة بيروت « وتأملت شخصى » « أيدت » من التأييد وهو التقوية والتمكين ، والمراد بعمد الهوى أصوله وآساسه ودعائمه ، والقلب المعمود : الذى قد هده العشق .

(٧) الجيد ـ بفتح الجيم والياء جميعاً ـ طول العنق ، وأراد بنحر حسن الصبر أنه أزال صبره ، يقول : أزلت صبرى عن جيدها إلى واضح نحرها وواضح عنقها .

(٨) اللفح : وهج النار ، يقول : مثلى من المحبين لا يستطيع أن يلقى جمر حشاه =

٩ أَضْحَى الَّذِي بَقَّتْهُ نِيرانُ الحَشَا
مِنِّي حَبِيسًا فى سَبِيلِ البِيدِ

١٠ أَذْرَاء أَمْطَاء الْغِنَى يَضْحَكْنَ عَنْ
أَذْرَاء أَمْطَاء المَطايَا القُودِ

١١ فَفَلَلْتُ حَدَّ الأَرْضِ تَحْتَ العَزْمِ فى
وَجْنَاء تُدْنِى حَدَّ كُلِّ بَعِيدِ

١٢ تَحْثُو إذا حَثَّ العِتَاقَ الوَخْدُ فى
غُرَرِ العِتَاقِ النَّقْعَ بالتَّوْخِيدِ

= إلا بلفح محرق بالغ الحد فى الإحراق ، لأنه إذا لم يفعل ذلك لم يكن قد أدى حق العشق .

(٩) رواية مطبوعة بيروت « أضحى الذى بقته نيران الهوى » ومعنى حبيس أنه قد صار موقوفا على ذلك ، يقول : إن الذى أبقته لى نيران الهوى من الجلد قد صار وقفاً على المفاوز والصحارى لا شتغالى الدائم بالسير فيها والوفود على الكرام

(١٠) الأذراء : يحتمل أن يكون جمع ذرو الذى هو اسم جمع لذروة الشىء بمعنى أعلاه ، ويحتمل أن يكون جمع ذرى – بفتح الذال ، بوزن عصا – وهو الكن يسترك ويقيك من البرد ، والأمطاء : جمع مطا – بوزن فق وعصا – وهو الظهر ، يقول : إن الغنى يحصل عن السفر ، وإن الراحة نتاج من نتاج التعب .

(١١) فللت : كسرت ، وحد الأرض : حدتها وشدتها ، وأصله « حد السيف ونحوه » بمعنى طرفه القاطع ، والوجناء : الناقة القوية ، وتدنى : تقرب .

(١٢) تحثو : تثير ، وفاعله ضمير يعود إلى الوجناء فى البيت السابق ، و« النقع » مفعوله ، و « فى غرر العتاق » متعلق به ، والعتاق الأول أراد به الإبل والثانى أراد به الخيل ، والوخد : ضرب من السير السريع ومثله التوخيد ، والنقع : التراب يقول : هذه الناقة تثير التراب فى وجوه الخيل العتاق لأنها تكون سابقة ومتقدمة عليهن بسبب شدة سيرها .

١٣ تَعْرِيسُهَا خَلَلَ السُّرَى تَقْرِيبُهَا
حَتَّى أَنَخْتُ بِأَحْمَدَ الْمَحْمُودِ

١٤ فَحَطَطْتُ تَحْتَ غَمَامَةٍ مَغْمُورَةٍ
بِحَيًا بُرُوقٍ ضَاحِكٍ وَرُعُودِ

١٥ تَلْقَاهُ بَيْنَ الزَّائِرِينَ كَأَنَّهُ
قَمَرُ السَّمَاءِ يَلُوحُ بَيْنَ سُعُودِ

١٦ لَوْ فَاحَ عُودٌ فِى النَّدِىِّ وَذِكْرُهُ
لَعَلَا بِطِيبِ الذِّكْرِ طِيبَ الْعُودِ

١٧ وَلَاهُ مَنْصُورٌ سَمَاحَ يَمِينِهِ
وَمَضَى فَقِيدَ الْمِثْلِ غَيْرَ فَقِيدِ

---

(١٣) تعريسها : أراد به هنا استراحتها ، وخلل السرى : وسطه، والتقريب : أن يقرب الفرس بين خطاه ولا يبلغ العدو ، يقول : إذا أرادت هذه الأفراس أن تستريح من طول السير فإنها تسير هـذا الضرب من السير ، ويكون لها بمنزلة النزول للراحة .

(١٤) مفعول « حططت » محذوف ، أى حططت رحلى ، و « مغمورة » بالغين المعجمة ، ويروى « معمورة » بالعين المهملة ، والحيا : المطر ، وأراد بالغمامة التى يصفها الممدوح الذى حط رحله عنده .

(١٥ ، ١٦) سقط هذان البيتان من مطبوعة بيروت ، وأراد بالبيت الأول منهما أن زائرى هـذا الممدوح تشرق وجوههم وتتهلل لأنهم على ثقة من نيل ما يريدون ، وبالثانى أن ذكره والحديث عنه أرجا يفوق ريحه ريح العود المندى .

(١٧) منصور : أبو الممدوح ، وسماح يمينه : جوده ، وغير فقيد : لأنه قد ترك ابنه الممدوح خلفا عنه .

١٨ فَيَرَى فَنَاءَ الْمَالِ أَفْضَلَ ذُخْرِهِ
وَخُلُودَ ذِكْرِ الْحَمْدِ خَيْرَ خُلُودِ

١٩ يُبْدِى أَبو الْحَسَنِ اللُّهَى وَيُعِيدُهَا
فَمُؤَمِّلوهُ مِنَ اللُّهَى فى عِيدِ

٢٠ حَيَّيْتُ غُرَّتَهُ بِحُسْنِ مَدائِحٍ
غُرٍّ فَحَيَّا مِدْحَتِى بِالْجُودِ

٢١ لَوْ رَامَ جُلْمُوداً بِجَانِبِ صَخْرَةٍ
يَوْماً لَرَضَّضَ جَانِبَ الْجُلْمُودِ

٢٢ وَإِذَا الثُّغُورُ اسْتَنْصَرَتْهُ شَبَا القَنَا
أَرْوَى الشَّبَا مِنْ ثُغْرَةٍ وَوَرِيدِ

٢٣ يَسْتَلُّ إِثْرَ عَدُوِّهَا عَزَمَاتِهِ
فَيَمُمُّهَا بِالنَّصْرِ وَالتَّأْييدِ

---

(١٨) من هذا البيت إلى البيت الحادى والعشرين ساقط من مطبوعة بيروت ،

(١٩) اللهى : العطايا ، واحدها لهوة .

(٢٠) الغرة : أصلها البياض فى وجه الفرس ، وتطلق على الإنسان ، ويراد بها الوجه ، وقد وصفوا الإنسان بالأغر كما وصفوه بالأبيض عند المدح .

(٢١) رضض : كسر وحطم .

(٢٢) استنصرته : سألته مساعدته ، وشبا القنى : مفعول ثان لاستنصر ، والثغرة : قرة النحر ، والوريد : أحد الوريدين ، وهما عرقان فى العنق إذا قطعا مات الإنسان .

(٢٣) « عزماته » مفعول به ليستل ، شبه عزماته بالسيف الذى يسله الفارس من غمده ليفتك به فى الأعداء .

٢٤ ذُو نَاظِرٍ حَدِبٍ وَسَمْعٍ عَائِرٍ
نَحْوَ الطَّرِيدِ الصَّارِخِ المَجْهُودِ

٢٥ تَلْقَاهُ مُنْفَرِداً وَتَحْسَبُ أَنَّهُ
مِنْ عَزْمِهِ فِى عُـــدَّةٍ وَعَدِيدِ

٢٦ يَأَيُّهَا المَلِكُ المُرَجَّى وَالَّذِى
قَدَحَتْ بِهِ فِطَنِى نِظَامَ نَشِيدِى

٢٧ أَنَا رَاجِلٌ بِبِلادِ مَرْوٍ رَاكِبٌ
فِى جَوْدَةِ الأَشْعَارِ كُلَّ مُجِيدِ

٢٨ فَأَعِزَّ ذِلَّةَ رُجْلَتِى بِمُهَذَّبٍ
خُلْوِ المَخِيلِ مُقَذَّذٍ مَقْـــدُودِ

(٢٤) حدب : مشفق ، وسمع عائر : منتشر فى كل جهة ، وأصله قولهم « فرس عائر » إذا ترك يذهب فى الأرض حيث شاء ، والصارخ : هو المستغيث .

(٢٥) منفردا : ليس معه أحد ، لكنه لقوة حزمه وثبات عزمه وسداد رأيه لايظنه من يراه إلا قد اجتمع له العدة الكاملة والعدد الوافر .

(٢٦) الفطن : جمع فطنة – بكسر الفاء – يريد أنه أخرج هذه المعانى التى أودعها شعره بفطنته لما رأى من تمام كمالاته .

(٢٧) أنا راجل : معناه أنا أمشى على قدمى ، وقد فسر التبريزى قوله « راكب فى جودة الأشعار كل مجيد » بقوله « أى كل شاعر مجيد ، أى علوتهم فى جودة الأشعار » وتبعه على ذلك ناشر مطبوعة بيروت ، وأحسن من هذا أن يكون المعنى أنه يركب كل فرس مجيد حين يقول الشعر ، أى أنه يأتى بشعره على أحسن وجوهه ، وبذلك يتناسق صدر البيت وعجزه .

(٢٨) بمهذب : أراد به فرسا مطهما تام الخلق ، وخلو : أى خال ، ومعنى « خلو المخيل » أنه خال من كل عيب يخطر على المخيلة ، وإذا قرأتها « حلو المخيل » بالحاء المهملة فمعناه أنه جميل المنظر ، وأصل القذذ السهم الذى قد ريش فهو يصيب رميته ولا يخطىء ، استعاره للفرس ، والقدود : الجواد الضامر .

٢٩ ذِى كُمْتَةٍ أَوْ شُقْرَةٍ أَوْ حُوَّةٍ
أَوْ دُهْمَةٍ فَهِمِ الفُؤَادِ سَدِيدِ

٣٠ تَتَنَزَّهُ اللَّحَظَاتُ فى حَرَكَاتِهِ
كَتَنَزُّهِى فى ظِلِّكَ المَمْدُودِ

٣١ مُتَسَرْبِلٌ بُرْداً يَفُوقُ بِوَشْيِهِ
بَيْنَ المَوَاكِبِ حُسْنَ وَشْيِ بُرُودِ

٣٢ فإذا بَدَا فى مَشْهَدٍ قَامَتْ لَهُ
نُبَلاؤُهُ صَدْرَ المَحْفِلِ المَشْهُودِ

٣٣ يَجِدُ السُّرُورَ الرَّاكِبُ الغَادِى بِهِ
كَسُرُورِهِ بالفَـــــارِسِ المَوْلُودِ

٣٤ إِنْ سابَقَتْهُ الخَيْلُ فى مَيْدانِها
قَذَفَتْ إِلَيْهِ الخَيْلُ بالإِقْلِيدِ

٣٥ فَيَرُوحُ بَيْنَ مُؤَدِّبِيهِ مُخَالِفاً
مُتَقَصِّباً بِعِصَابَةِ التَّسْوِيدِ

---

(٢٩) ذى كمتة : أى لونه الكمتة ، وكذلك مابعده ، ومعنى « فهم الفؤاد » أنه أصيل كريم يدرك مراد صاحبه .

(٣٠ و ٣١) سقط هذان البيتان من مطبوعة بيروت ، وهما فى وصف الفرس الذى يطلبه ، ووقع فى بعض النسخ آخر ثانى البيتين « حسن وشى تزيد » .

(٣٣ و ٣٤) سقط هذان البيتان أيضا من مطبوعة بيروت ، وهما من تتمة وصف الفرس ، وقوله « قذفت إليه بالإقليد » يضرب مثلا فى تسليم الأمر كله لمستحقه ومن هو أهل له ، يعنى أنه إذا جرى مع الخيل فى سباق أقرت له الخيل بالسبق وسلمت له .

(٣٥) مؤدبيه : أراد بهم الذين يروضونه ، ومخالفا : أراد أنه يمشى معترضا يمينا وشمالا من المرح والنشاط ، ويروى « مخلفا » أى مطليا بالخلوق — وهو =

٣٦ وَمُشَيَّعُوهُ مُعَوِّذُوهُ بكل ما عَرَفُوهُ من عُوَذٍ من التحميد

٣٧ يَتَعَشَّقُونَ نَضَارَةً فى وَجْهِهِ عِشْقَ الفتى وَجْهَ الفَتَاةِ الرُّودِ

٣٨ أغْضَى عَلَيْكَ جُنُونَ شُكْرِكَ أنّها ثَقُلَتْ عَلَيَّ لجودِكَ المَوْجُودِ

٣٩ إنى اعْتَصَمْتُ بِطُولِ طَوْدِكَ إنّهُ طَوْدٌ يَقُومُ مَقَامَ طَوْد حَدِيدِ

٤٠ لا يَهْتَدِي صَرْفُ الزّمَانِ إلى امْرِئٍ مُتَصَرِّفٍ بِفَنَائِكَ المَعْهُودِ

* * *

= الطيب ـ وإنما جعل للفرس متعصبا بعصابة التسويد لأن الخيل لما أقرت له بالسبق وسلمت له بالغلبة فكأنما جعلته السيد عليهم .

(٣٦) معوذوه : أى الذين يرقونه بالرقى ، والعوذ ـ بضم العين وفتح الواو ـ جمع عوذة ، وهى الرقية .

(٣٧) سقط هذا البيت من مطبوعة بيروت .

(٣٨) « أنها ثقلت على » فى تأويل مصدر يكون فاعل أغضى ، والمعنى : إن شكرك مما لاقدرة لى عليه بسبب كون نعمك مما لايأتى عليه الحصر ، فلما رأيت أنى لا أبلغ حقك من الشكر تساهلت فيه فجئت بما قدرت عليه منه .

(٣٩) أصل الطود ـ بفتح فسكون ـ الجبل ، والبيت كله كناية عن علو الممدوح ورفعته .

(٤٠) الفناء ـ بكسر الفاء ، بوزن الكتاب ـ ساحة الدار ، ويروى مكانه « بزمانك المعهود » .

(٦٥)

وقال يمدح داوُدَ بن محمدٍ :

١ غَنّى فَشاقَكَ طائرٌ غِرِّيدُ لمّا ترَنّمَ وَالغُصُونُ تَمِيدُ

(٦٥)

سقطت هذه القصيدة برمتها من المصرية ، وقد وردت عند التبريزى على الوجه الذى أثبتناه ، وروت منها مطبوعة بيروت عشرة أبيات ، وسنبين مع الشرح ماسقط منها وقد اختلفت النسختان فى نسبة رواية هذه القصيدة إلى الصولى على النحو الذى ذكرناه فى مطلع القصيدة السابقة .

(١) لم تزو مطبوعة بيروت هذا البيت ، وأشارت إليه وإلى أنه المطلع فى تقديمها للأبيات التى روتها منها ، حيث تقول « وروى الصولى قال أبو تمام يمدح داود بن محمد من قصيدة أولها * غنى فشاقك طائر غريد * » وشاقك : بعث الشوق إلى قلبك ، وغريد : صيغة مبالغة ، والغناء والتغريد والترنم واحد ، والغصون تميد : أراد تهتز وتتحرك ، ومن جميل هذا المعنى قول ابن المعتز :

روضة من قرقف أنهارها وغناء الورق فيها فى ارتفاع

لاتلم أغصانها إن رقصت فهى ما بين شراب وسماع

وقد ذكر الشعراء قديمهم ومحدثهم مايبعثه غناء الطير فى أنفسهم من الشوق والشجن ، فمن ذلك قول حميد بن ثور الهلالى :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة دعت بقلوب فى حمام ترنما

ومن ذلك قول العباس بن الأحنف :

والذى زاد الفؤاد شجى طائر يبكى على فننه

شفه ما شفنى فبكى كلنا يبكى على شجنه

٢ ساقٌ عَلَى سَاقٍ دعَا قُمْرِيَّةً فَدَعَتْ تُقَاسِمُهُ الْهَوَى وَتَصِيدُ
٣ إلفانِ فى ظِلِّ الغُصُونِ تألفا وَالْتَفَّ بَيْنَهُمَا هَوًى مَعْقُودُ
٤ يَتَطَعَّمانِ بِرِيقِ هَذا هٰذِهِ مَجّاً وَذَاكَ بِرِيقِ تِلْكَ مُعِيدُ
٥ ياطائِرانِ تَمَتَّعا هُنِّيتُما وَعِمَا الصَّباحَ فإنَّنِى مَجْهُودُ
٦ آهٍ لِوَقْعِ الْبَيْنِ يابْنَ مُحَمَّدٍ بَيْنُ الْمُحِبِّ عَلَى المحبِّ شَدِيدُ

(٢) ساق الأول أراد به طائرا ، ويقال له « ساق حر » وهو ذكر الحمام وساق الثانى أراد به ساق الشجرة ، وقمرية ـ بضم القاف وسكون الميم ـ الأنثى من الحمام ، وتقاسمه : تشاطره المحبة .

(٣) سقط هذا البيت من مطبوعة بيروت .

(٤) مجا : منصوب على أنه مفعول مطلق ، والنحاة يختلفون فى ناصب المصدر الذى تقدمه فعل من معناه نحو قولك « قعدت جلوسا » وأقرب الآراء ما اختاره ابن مالك ، وحاصله أن ناصبه الفعل السابق ، وهذا البيت تصوير دقيق لما يصنعه الحمام بعضه مع بعض ، يعنى أن كل واحد منهما يتطعم ريق صاحبه .

(٥) « عما الصباح » هذه تحية من تحايا العرب ، يقولون : عم صباحا ، وعم مساء ، وعم ظلاما ، وهم يحيون بها الأناسى ، ويحيون غير الأناسى إذا نزلوه منزلة الأناسى بالإقبال عليه أو دعائه ، أو الحديث معه ، انظر إلى قول عنترة العبسى :

يادار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

وانظر إلى قول شمير بن الحارث الضبى :

أتوا نارى ، فقلت : منون أنتم ؟ فقالوا : الجن ، قلت : عموا ظلاما

(٦) بين المحب : فراقه ، وهو مرفوع على أنه مبتدأ خبره « شديد » فى آخر البيت ، وقد سقط هذا البيت من مطبوعة بيروت .

٧ أَبكِى وَقَدْ سَمَتِ البُرُوقَ مُضِيئَةً
مِنْ كلِّ أَقْطَارِ السَّمَاءِ رُعُودُ

٨ وَاهْتزَّ رَيْعَانُ الشَّبَابِ فَأَشْرَقَتْ
إِتَهِلَّلِ الشجَرِ القُرَى وَالبِيدُ

٩ وَمَضَتْ طَوَاوِيسُ العِراقِ فأشْرَقَتْ
أَذنابُ مُشْرِقَةٍ وَهُنَّ حُفُودُ

١٠ يَرْفُلْنَ أَمْثَالَ العَذَارَى طُوَّفاً
حَوْلَ الدَّوَارِ وَقَدْ تَدَانَى العِيدُ

١١ إِنِّى سَأَنْثُرُ مِنْ لِسَانِى لُؤْلُؤاً
يَرِدُ العِرَاقَ ، نِظَامُهُ مَعْقُودُ

---

(٧) فى مطبوعة بيروت « وقد تلت البروق » و « رعود » فى آخر البيت هو فاعل « تلت » أو « سمت » و « البروق » مفعول ، و « مضيئة » حال .

(٨) يصف الربيع فى هذا البيت وما بعده ، وأشرقت : أضاءت ، وهذا لأن نور الزهور والنبات قد كثر .

(٩) ومضت : جعل التبريزى الواو فى هذه الكلمة حرف عطف ، ومعنى مضت صارت ، وعلى هذا يكون الخبر محذوفاً ، وكأنه قد قال : مضت طواويس العراق تحرك أذنابها ، وهذا تكلف ، وخير منه أن يكون « ومض » بمعنى تلألأ وبرق ، والواو فاء الكلمة ، والحفود : جمع حافد ، وهو الخادم ، وقد جعل الطواويس خدما وهى المضروبة مثلا فى التيه والخيلاء .

(١٠) طوفا : جمع طائفة ، والدوار ـ بفتح الدال بوزن السحاب ، أو بضم الدال بوزن الغراب ـ اسم صنم ، ويقال : هو حجر كانوا يأخذونه من الحرم فى أسفارهم ، فإذا وضعوا رحالهم نصبوه وطافوا به .

(١١) إنما اختار العراق ليردها شعره لأمرين ، أحدهما أنها موطن أهل البراعة =

١٢ حَتّى يَحُلَّ مِنَ المُهَلَّبِ مَنْزِلاً
لِلْمَجْدِ فى غُرُفَاتِهِ تَشْيِيدُ

١٣ رَفَعَ الخِلافَةَ رَايَةً ؛ فَتَقَاصَرَتْ
عَنْهَا الرِّجَالُ وَحَازَهَا دَاوُدُ

١٤ السَّيِّدُ العَتَكِيُّ غَيْرَ مُدافَعٍ
إذْ لَيْسَ سُؤْدَدُ سَيِّدٍ مَوْجُودُ

١٥ نَقَّرْتُ بِاسْمِكَ فى الظَّلامِ مُسَدِّراً
داوُدُ إنَّكَ فى الفَعَالِ حَمِيدُ

١٦ قَدْ قِيلَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أخاالنَّدَى
وَأَبَا سُلَيْمَانَ الأغَرَّ أُرِيدُ

١٧ فَافْتَحْ بِجُودِكَ قُفْلَ دَهْرِى إنَّهُ
قُفْلٌ وَجُودُ يَدَيْكَ لِى إقْلِيدُ

= والفصاحة الذين يعرفون أقدار الكلام ويميزون بين عاليه وأعلاه ، والثانى : أن الممدوح مقيم بها .

(١٣ و ١٤) سقط هذان البيتان من مطبوعة بيروت ، وقد ألغى ليس فلم يرفع اسمها وينصب خبرها ، وهى لغة ضعيفة لبعض العرب ، يشبهون ليس بما النافية غير العاملة ، وقد قالوا « ليس الطيب إلا المسك » - برفع الاسمين - على هذه اللغة .

(١٥) نقرت - بتشديد القاف - أى بحثت ، وقد حذف متعلق هذا الفعل ، والكلام التام أن يقال « نقرت عن مطلوبى » مثلا ، ومسدراً أصله قولهم « اسمدر طرفه » أى أظلم فلم يبصر لإظلام الهواء أمامه ، ويراد منه معنى متحير لايدرى من يقصد فيلتجىء ، يقول : كنت فى حيرة لا أدرى من أقصده بمدحى لأحصل منه على مأمولى ، فنقرت باسمك ، فظهر لى أنك الخليق بأن أسير إليه .

١٨ فالجودُ حَيٌّ ماحَيِيتَ، وَإنْ تَمُتْ
غاضَتْ مَناهِلُهُ وَمَاتَ الجُودُ

* * *

(١٦ - ١٨) سقطت هـذه الأبيات الثلاثة من مطبوعـة بيروت ، والإقليد : المفتاح ، والبيت الثالث مما يرى النقاد غثاثته في قصيدة مدح ، والمناهل : جمع منهل ، وهو مورد الماء يرده العطاش والمستقون.

* * *

(٦٦)

وقال فى محمد بن يُوسُفَ :

١ حَلَّ الأميرُ مَحَلَّ رِفْدِ الرَّافِدِ ... وَمُبِيحُ طَارِفِ مَالِهِ وَالتَّالِدِ
٢ للهِ دَرُّكَ مِنْ كَرِيمٍ مَاجِدٍ ... سَهْلِ الخَلِيقَةِ فى المكَارِمِ وَاحِدِ
٣ الدَّهْرُ يَسْمَحُ بالَّتِى تَهَبُ الغِنَى ... لِمُؤَمِّلٍ مِنْ صَادِرٍ أَوْ وَارِدِ
٤ فَعَلامَ أُصْبِحُ مِن نَدَاكَ بمَعْزِلٍ ... وَسِوَاىَ تَلْحَظُهُ بِعَيْنِ الوَالِدِ
٥ كَمْ لِلأميرِ مُحَمَّدٍ مِنْ شَاكِرٍ ... فى العَالَمِينَ، وَكَمْ لَهُ مِنْ حَامِدِ
٦ اليَأْسُ أَلْزَمَنِى مَحَلَّ القَاعِدِ ... إذْ لَيْسَ جَدِّى فى الجُدُودِ بِصَاعِدِ

---

(٦٦)

سقطت هذه القصيدة من المصرية ، ووردت فى شرح التبريزى على الوجه الذى أثبتناها عليه ، وروت منها مطبوعة بيروت أربعة أبيات هى ٣ ، ٧ ، ٨ ، ٩ والأبيات الرابع وما بعده تدل على أنها فى العتاب .

(١) الرفد — بكسر الراء — العطاء ، والطارف : ما استحدثته من الأموال ، والتالد : ما أثله لك آباؤك .

(٢) فى المكارم واحد ، يريد أنه واحد فيها لا يماثله فيها أحد .

(٣) التى تهب الغنى : أى بالأموال التى تورث من يقتنيها الغنى ، يريد أن الدهر يسمح لكل أحد أن يحصل من أموالك على ما يغنيه ، والصادر : أصله الذى يرجع من الماء بعد ما أخذ حظه منه ، والوارد : المقبل على الماء ليأخذ منه نصيبه .

(٤) نداك : جودك ، وأراد به العطاء ، وأصبح منه بمعزل — أى بمكان بعيد منه — كناية عن أنه لم ينله منه شىء .

(٦) ألزمنى محل القاعد : أى جعلنى لا أنال شيئاً ، لأن القاعد يقابل الساعى ، والساعى هو الذى ينال مآربه عادة ، وفى أمثالهم « رب ساع لقاعد » والجد — بفتح الجيم — الحظ والبخت ، والجد الصاعد : هو الذى يكون لصاحبه النصيب الأوفر .

٧ مَالِي حُرِمْتُ لَدَيْكَ حُظْوَةَ خَالِدٍ
أَوَ لَسْتُ أَقْدَمَ حُرْمَةً مِنْ خَالِدِ ؟

٨ عَوَزُ الرِّجَالِ أَقَامَ مُنَّةَ خَالِدٍ وَالصَّيْفُ نَفَّقَ سُوقَ بَرْدِ الْبَارِدِ

٩ شَخْصَانِ أَفَّا كَانِ قِيلُهُمَا الْخَنَى
حَلاَ لَدَيْكَ مَحَلَّ عَمْرٍو الزَّاهِدِ

---

(٧) خالد: ذكر التبريزى أنه شاعر كان فى زمان أبى تمام ، ولم يذكر فى التعريف به شيئاً ، وهو يحتج فى هذا البيت على محمد بن يوسف الذى يوجه الكلام إليه بأنه أقدم اتصالا به وأسبق حرمة ، وقد كان ينبغى - إذا جرت الحظوظ على وجهها الصحيح - أن يكون له منه نصيب أوفر من نصيب خالد ، لكنه لم ينل مثل نصيبه، فضلا عن أن يزيد

(٨) العوز : الحاجة ، والمنة - بضم الميم وتشديد النون - الضعف ، يقول : إن خالدالم يصعد جده لأنه ذو مزية تقدمه على غيره ، وإنما أقام ضعفه وقواه عدم الرجال الذين يستحقون التقدم ، ونظيره قول الشاعر :

وإن بقوم سودوك لحاجة إلى سيد لو يظفرون بسيد

(٩) أفا كان : تثنية أفاك ، وهو الكذاب ، صيغة مبالغة من الإفك ، والخنا : الفحش ، وعمرو الزاهد : ضرب به مثلا للرجل القويم الخلق الوثيق التدين .

(٦٧)

وقال يمدح عبد العزيز بقزوين :

١ أَمَا إنَّهُ لَوْلاَ الْهَوَى وَمَعَاهِدُهْ
مَوَاعِيسُــــــهُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَأَجَالِدُهْ

٢ لأَعْطَيْتُ هَـذَا الصَّبْرَ مِنِّىَ طاعَةً
تُعَـلِّمُ دَهْرِى أَىُّ قِرْنٍ يُكابِدُهْ

٣ وَلـكِنْ أَبِى قَلْبٌ دَعَا الشَّوْقَ حِقْبَةً
مَتَى مَا يَرِدْهُ لاَعِـجٌ فَهْوَ وَاجِدُهْ

٤ وَأَىُّ فَتًى يَنْقَادُ لِلْحِلْمِ أَمْرُهُ
وَأَكْـثَرُهُ رُشْداً إلَى الْغَىِّ قَائِدُهْ

---

(٦٧)

سقطت هذه القصيدة من المصرية ، ومن رواية التبريزى ، وقد روتها مطبوعة بيروت على الوجه الذى أثبتناها عليه ، ولم تبين الممدوح بأكثر مما ذكرناه ، ولم تذكر الذى رواها على خلاف عادتها فيما تنفرد به .

(١) المعاهد : جمع معهد ، وهو اسم للمكان الذى كنت تعهد أصحابك فيه، أى تلقاهم ، والمواعيس : جميع ميعاس ـ بكسر أوله ـ وهى الأرض ذات الرمل الكثير الذى يصعب السير فيه ، والأجالد : جمع الأجلد ، وهو الأرض الصلبة ، ومعنى « أقفرت » خلت من سكانها .

(٤) ترتيب عجز البيت على الأصل « وأكثره رشداً قائده إلى الغى » وأراد بأكثره رشدا قلبه ، وأراد بالغى الذى يقوده قلبه إليه دواعى الصبابة .

٥ وَسِرْبٍ كَنَوَّارِ الرَّبِيعِ تَنَاقَلَتْ
إِلَى مَوْعِدٍ زَوْلَاتُهُ وَخَرَائِدُهْ

٦ فَبِتْنَا بِهِ زَوْراً ، وَبَاتَ بِهِ الْمَهَى
وَأَذْرُعُ قَوْمٍ وُشْحُهُ وَقَلَائِدُهْ

٧ فَيَا مَشْهَداً يُسْتَهْزَمُ الْبَيْنُ بِاسْمِهِ
إِذَا عُدَّ أَيَّامُ الْهَوَى وَمَشَاهِدُهْ

٨ وَيَا لَيْلَةً لَوْ يَعْلَمُ الدَّهْرُ طِيبَهَا
أَصَيَّرَهَا ثَغْراً تُنَاغِي مَرَاصِدُهْ

٩ وَمَرْتٍ لَوَ انَّ الْعِيسَ تُقْسِمُ أَقْسَمَتْ
إِذَا قَطَعَتْهُ أَنَّهَا لَا تُعَاوِدُهْ

---

(٥) السرب – بكسر السين – أصله جماعة الطير والظباء ، وأراد جماعة من النساء ، وشبههن بنوار الربيع فى الإشراق ، وتناقلت : تمايلت فى سيرها ، وزولاته جمع زولة ، وهى مؤنث الزول – بفتح الزاى وسكون الواو – وهو الخفيف الظريف يعجب من ظرفه ، والخرائد : جمع خريدة ، وهى هنا الحيية .

(٦) الزور : جمع زائر ، ومثله صحب فى جمع صاحب وركب فى جمع راكب وشرب فى جمع شارب ، والمهى : أصله بقر الوحش ، وتشبه به النساء فى سعة أعينهن ، والوشح : جمع وشاح . وأصله بضم الشين فى الجمع ، ولكن أبا تمام سكن الشين لإقامة الوزن ، والوشاح : ماتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ، والقلائد : جمع قلادة وهى حلية تلبسها النساء فى أعناقهن .

(٧) البين : البعد والفراق ، يعنى أن من يعرف وصف هذا المشهد لو ذكر اسمه لم يعرض له بين .

(٨) تناغى : أصل المناغاة المحادثة عن قرب ، والمراصد : الحصون والمرتفعات

(٩) المرت – بفتح الميم وسكون الراء – الصحراء والمفازة لا نبات بها ، والعيس : الإبل ، وقوله « لو أن العيس تقسم – إلخ » كناية عن صعوبة السير فيه .

١٠ تَظَلُّ وَتُمْسِي مُطْعَمَاتِ رِكَابِهُ
وَرُكْبَانُهُ أَعْلَامُهُ وَفَدَافِدُهْ

١١ تَجَشَّمْتُهُ بِالدَّاعِرِيَّةِ تَغْتَلِي بِهَا رَتَكَانٌ أَوْ ذَمِيلٌ تُوَاعِدُهْ

١٢ أُنَاسٌ لَهُمْ طَلُّ الفَخَارِ وَوَبْلُهُ وَلِلنَّاسِ مِنْهُ بَرْقُهُ وَرَوَاعِدُهْ

١٣ مَعَاشِرُ لَا يُعْتَاضُ مِنْ فَقْدِهِمْ ، بَلَى
إِذَا اعْتَاضَ بِالْعَقْلِ الْمُهَذَّبِ فَاقِدُهْ

١٤ لَهُمْ شَرَفٌ لَا تُشْرِفُ الشَّمْسُ فَوْقَهُ
طِمَانٌ أَعَالِيهِ ، سِمَاحٌ قَوَاعِدُهْ

---

(١٠) الركاب : الإبل ، والركبان:جمع راكب ، والأعلام : جمع علم ، وأراد بها علامات الأرض التي يهتدى بها ، والفدافد : جمع فدفد ، وهو الأرض الغليظة. يقول : تأ كل أعلامه وفدافده الركاب وركبانها ، يصفه بمشقة السير فيه .

(١١) تجشمته : تكلفت السير فيه واقتحمته ، والداعرية : الناقة الأصيلة ، وتغتلي : تنشط في سيرها ، والرتكان : ضرب من سير الإبل فيه اهتزاز ، والذميل : السير اللين .

(١٢) أصل الطل – بفتح الطاء – المطر الخفيف ، والوبل : المطر الغزير المنهمر ومثله الوابل ، وفي القرآن الكريم (فإن لم يصبها وابل فطل) يريد أن لهؤلاء الممدوحين حقيقة الفخار ، ولغيرهم من الناس اسمه ودعواه .

(١٣) لايعتاض من فقدهم : أي لايجد أحد منهم عوضا يقوم مقامهم في بذل العرف وإجابة الداعي ، ثم قال « بلى إذا اعتاض إلخ » يعني لو أن من فقد عقله المهذب وجد عوضا منه فإن الناس يجدون عوضا منهم ، ولما كان مافرضه غير ممكن التحقق كان العوض منهم غير محقق أيضا .

(١٤) يريد أن لشرفهم قواعد وأسسا بني عليها وأعالي تمكنت فوق القواعد ، فأما قواعد هذا الشرف التي بني عليها فهي السماح والبذل والجود ، وأما أعاليه فهي الشجاعة وممارسة الحروب .

١٥ شَرَاحِيلُ يَبْنِيهِ وَدَهْرٌ يَحُوطُهُ
مِنَ الدَّهْرِ إنْ أَخْنَى وَأَشْعَرُ شَائِدُهْ

١٦ لِنَابِغَةَ الْجَعْدِىّ فى فَتَكَاتِهِمْ
غَرَائِبُ شِعْرٍ لاَ تَنامُ شَوَارِدُهْ

١٧ أَلَيْسَ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ يَطْلُبَ الْعُلاَ
فَيَنْجَحَ فِيهاَ مَنْ مُعَادِيهِ شَاهِدُهْ

١٨ أَحَبُّ أَدَانِيهِ إِلَيْهِ مُكَاشِحٌ
يُنافِسُهُ فى سُؤْدَدٍ وَيُمَاجِدُهْ

١٩ مَحَا حِقْدَهُ عَنْهُ التَّيَقُّنُ أَنَّهُ
عَلَى الَمجْدِ يَوْمًا لاَ على المَالِ حَاسِدُهْ

---

(١٥) شراحيل ، ودهر، وأشعر: أسماء أعلام ، وهم من أشراف قبيلة الممدوح.

(١٦) يقول : إن للنابغة الجعدى شعراً وصف فيه بلاءهم ودل به على حسن قيامهم على المجد وتأثيله ، ومن أمثلة ذلك قول النابغة الجعدى :

ويل لهم أهل بيت ليلة انصرفوا من جيش دهر ، فلو عادوا كما كانوا

(١٧) أحق الناس خبر ليس ، ومن اسم موصول اسم ليس ، ومعاديه شاهده جملة من مبتدأ وخبر لا محل لها صلة ، يقول : من كان عدوه شاهدا له بالعلا والمجد فهو الحقيق بالفخار ، لأن الفضل ماشهدت به الأعداء .

(١٨) أدانى : جمع أدنى ، وهو الأقرب ، والمكاشح : المعادى ، وينافسه : يفاخره ، ويماجده : يغاليه فى المجد .

(١٩) الضمير فى « حقده » يعود إلى الممدوح ، وفى «عنه» يعود إلى منافسه ، يقول : أزال حقد الممدوح عن منافسيه علمه أنهم ينافسونه فى خلال المجد والشرف ، وهذا مما يجمل بكل كريم النفس شريف الطبيعة أن يسر به ، وذلك من قبل أن الكريم الحليم يحب أن يكون الناس كلهم أمجاداً كرام السجايا ، والقرآن الكريم يقول (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) .

٢٠ يَرَى القَوْلَ إيلاَءَ الْغَمُوس ؛ فَلاَ يَنِى
عَلَى وَجَلٍ حَتَّى تبَرَّ مَوَاعِدُهْ

٢١ إذَا الْخَيْلُ خَاضَتْ فى الدِّمَاء وَفى الْقَنَا
مُسَوَّمَـــةً وَالْمَوْتُ قَدْ حَرَّ بَارِدُهْ

٢٢ فإنَّ الْمَنَايَا الْحُمْرَ وَالسُّودَ كُلَّهَا
عَلَى الدَّارِعِينَ الْمُعْلَمِينَ عَقَـــــائِدُهْ

٢٣ يَظَلُّ يَخُوضُ الْمَوْتَ بِالْمَوْتِ وَالنَّدَى
مِنَ الْخَوْفِ وَالْبُقْيَا عَلَيْهِ يُنَاشِدُهْ

٢٤ إذا جَاهَدَ الأبْطَالَ أقْبَلَ عِرْضُهُ
عَلَى الْمَالِ إقْبَالَ الْكَمِىِّ يُجَاهِدُهْ

٢٥ وَمَا خِلْتُ أنَّ الْجُودَ أصْبَحَ نَاشِراً
وَحَاتِمُهُ قَدْ بَانَ عَنْـــــهُ وَخَالِدُهْ

---

(٢٠) الإيلاء : الحلف ، تقول : آلى فلان إيلاء ، تريد حلف ، والغموس - بفتح الغين - اليمين الكاذبة التى تغمس صاحبها فى النار ، ولا ينى : أى لا يتوانى ولا يقتصد ، والوجل : الخوف ، وتبر مواعده : تصدق وتتحقق .

(٢١ و ٢٢) مسومة : معلمة بعلامات أصحابها ، وأراد بالدارعين المحاربين ، وعقائده : جمع عقيدة بمعنى عاقدة ، يريد أنه إذا اشتد الحرب وجالت الفرسان فى معمعاتها فإن المنايا قد عاقدت هذا الممدوح أن تنزل بأعدائه .

(٢٣) الواو فى قوله « والندى - إلخ » واو الحال ، يقول : إنه يخوض الموت بالموت ينزل بأعدائه ، والحال أن الكرم يناشده أن يحترس لنفسه .

(٢٤) الكمى : البطل المتكمى فى السلاح ، أى المستتر فيه المتغطى به ، يقول : إنه يجاهد الأبطال فيذيقهم من سيفه طعم الموت ، وعرضه يجاهد المال .

(٢٥) خلت : ظننت ، أصبح ناشراً : حيا ، وحاتم : هو حاتم الطائى مضرب المثل فى الجود ، وخالد : أراد به خالد بن عبدالله القسرى ، يقول : كنت اعتقدت أن الجود المتناهى قد مات بموت حاتم وخالد اللذين كانا مضرب الأمثال فى الكرم ، لكنى لما رأيت الممدوح علمت أن الجود عاد إلى الحياة .

٢٦ وَلَـكِنَّهُ لَمْ يَبْرَحِ النَّخْلُ مُطْعِماً
إذا بَقِيَتْ أَجْذامُـــــهُ وَجَرَائِدُهْ

٢٧ وَإِنِّى وَمَدْحِى مَذْحِـجَ بِنْتَ مَذْحِـجٍ
لَـكَا لْمُفْعِمِ الْحَوْضَ الَّذِى هُوَ وَارِدُهْ

٢٨ وَأَكْيِسْ بِمُجْدٍ عَادَ فِيهِ نَوَالُهُ
وَشَاعِرِ قَوْمٍ عُدْنَ فِيـــهِ قَصَائِدُهْ

* * *

(٢٦) الأجذام : جمع جذم ــ بكسر الجيم وسكون الذال ــ وهو أصل الشجرة وجرائد النخل معروفة واحدها جريدة .

(٢٧) المفعم الحوض : الذى يملأه ، ووارده : مقبل عليه للسقيا ، يقـــول : لاتنكروا أن أمدح مذحج ، وأنا منهم ، فإن لذلك نظيرا وهو الذى يملأ الحوض الذى يرد عليه للاستقاء منه .

(٢٨) أكيس : عبارة تعجب ، يعنى ما أكيسه ، أى ما أعقله ، والمجدى : اسم فاعل فعله « أجدى » أى أعطى ، والنوال : العطاء ، و « عدن قصائده » جار على اللغة التى يسميها النحاة لغة أكلونى البراغيث ، وهى تلحق علامات التثنية والجمع بالفعل المسند إلى مثنى أو مجموع ، وقد سبق فى كلام أبى تمام نظير لذلك ، وبينا أنه جاء فى كلام الفصحاء ، واستشهدنا له .

* * *

(٦٨)

وقال يمدح محمد بن عبد الملك الزيات :

١ خَلِّى سَبِيلَ تَهَائِمِى وَنُجُودِى ... مِمَّا يَغُرُّكِ طارِفِى وَتَلِيدِى

٢ ذاتَ الثَّنَايَا الغُرِّ لاَ تَتَعَرَّضِى ... عِنْدَ الفِرَاقِ بِمُقْلَتَيْنِ وَجِيدِ

٣ مَا ابْيَضَّ وَجْهُ المَرْءِ فى طَلَبِ العُلا ... حَتَّى يُسَوِّدَ وَجْهَهُ فى البِيدِ

٤ وَصَدَقْتِ أَنَّ الرِّزْقَ يَطْلُبُ أَهْلَهُ ... لـكِنْ بِحِيلَةِ مُتْعَبٍ مَكْدُودِ

٥ وَمَنِ الَّذِى يَرْعَى الجَمِيمَ وَلَمْ يَكُنْ ... مُتَعَهِّداً لِلْجَانِبِ المَعْهُودِ

٦ نَظَرَتْ إِلَىَّ بِنَظْرَةٍ مِنْ مُقْلَةٍ ... غَضْبَى وَقَلْبٍ فَارِغٍ مَعْمُودِ

---

(٦٨)

سقطت هذه القصيدة من النسخة المصرية ، ومن رواية التبريزى ، وانفردت بروايتها مطبوعة بيروت ، وقال ناشرها « وانفرد فى روايتها الخارزنجى » .

(١) خلى : اترکى ، والتهائم : جمع تهامة وهى الأرض المستوية ، والنجود : جمع نجد ، وهى الأرض المرتفعة ، يريد لا تعترضى على فى الإتهام والإنجاد ، ولا تغترى بما لدى من طارف المال وتليده ، فإن المجد محتاج إلى دائم السعى .

(٢) الثنايا : الأسنان ، الغر : البيض ، والمقلتان : : العينان ، والجيد: العنق .

(٣) البيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء ، وهذا البيت تأكيد للمعنى الذى يدل عليه البيت الأول .

(٥) الجميم : النبات فى أول ظهوره ، ومتعهداً: مراعيا ، والجانب المعهود : الذى نزل فيه المطر ، يقول : لا يرعى النبات إلا من راعى الموضع الذى سقاه المطر حتى يعرف متى ينبت ، ومتى يرده ليرعاه ، وضرب هذا مثلا للاحتيال والسعى لطلب الرزق.

٧ فكأنَّ مُقْلَتَهَ خاذِلٍ فى دَمْعِهـا نَظَرَتْ إلى أحْوَى أغَنَّ فريدِ

٨ الحَزْمُ بَيْنَ رِحالَةٍ وَقُتُودِ وَالعَجْزُ بَيْنَ إسَاحةٍ وَعُقُودِ

٩ وَبِىَ الذِى بِكِ لَوْ رَضِيتُ بِمَجْلِسٍ
قاصِى المكَانِ وَمَشْرَبٍ مَثْمُودِ

١٠ حَسْبُ المُفَاخِرِ بالقَبائِلِ أنْ يَرَى
أيْدِى القَبائِلِ عِنْـــدَهُ لِلجُودِ

١١ وَإذَا احْتَمَى لِلمَكْرُمَاتِ رَأيْتَهُ يَحْمِى بِجِنَّةِ عَبْقَرٍ وَأُسُودِ

١٢ مَاالسَّيِّدُ الصِّنْدِيدُ إلاّ مَنْ جرَى فَحَثَا بِوَجْهِ السَّيِّدِ الصِّنْدِيدِ

(٦ ، ٧) المقلة : العين ، وقلب فارغ : أراد أنه فارغ من الصبر والاحتمال ، والعمود : الذى هده العشق ، والخاذل : الظبية التى أقامت على ولدها وانفردت عن القطيع ، والأحوى : أصله الأسمر ، وأراد به الغزال ، والأغن : الذى فى صوته غنة .

(٨) الرحالة : الرحل ، والقتود: جمع قتد ، والرحل والقتد يوضعان على البعير عند الرغبة فى ركوبه ، يقول : الحزم فى اقتعاد غوارب الإبل والسير بها ، والعجز فى القعود بين النساء ذوات الوشح والعقود .

(٩) مثمود : قليل ، وأصله الثمد وهو الماء القليل ، يقول : أنا أهواك كما تهويننى ولكننى لا أرضى بالمجلس القاصى البعيد ولا بالمشرب القليل الماء، لذلك لا أترك السعى حتى اتصدر المجالس ويكون رزقى واسعا .

(١١) احتمى: ثارت حميته ، والجنة ـ بكسر الجيم ـ الجن ، وفى القرآن الكريم (من الجنة والنـاس) وعبقر : بلد يزعم العرب أنها مسكن الجن ، وينسبون لها كل ما يرونه غريبا عجيبا وترقى صنعته عن متناول الناس .

(١٢) حثا التراب : أثاره « وجرى فلان فحثا التراب فى وجـه فلان » كناية عن أنه سبقه فكان التراب الذى يثيره فى وجه الآخر وانظر إلى قول الخنساء :

جارى أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الترب

فإنها لما أرادت أن أحدهما لم يسبق الآخر جعلتهما يتداولان ملاءة التراب .

١٣ يُغْنِيكَ جُودُكَ عَنْ خُؤُولَةِ دَارِمٍ وَأُخُوَّةٍ طَابَتْ بِآلِ أُسَيِّدِ
١٤ انْظُرْ تَرُدُّ الخَلْقَ عَنْكَ إِذَا غَدَا أَنْ يَنْتَمِي لِعُمُومَةٍ وَجُدُودِ
١٥ وَالعُودُ مَنْصِبُكَ الَّذِي تُنْمَى لَهُ وَنَدَى يَدَيْكَ لِحَاءُ هَذَا العُودِ
١٦ يَغْدُو فَيَغْدُو كُلُّ شَاكِرِ نِعْمَةٍ سَلَفَتْ وَطَالِبِ مِثْلِهَا وَحَسُودِ
١٧ فَيَظَلُّ فِي ظِلِّ العَطَايَا يَوْمَهُ وَيَبِيتُ فَوْقَ مَنِيَّةِ التَّفْنِيدِ
١٨ مَا خُطَّةُ القَلَمِ الَّتِي بَيَّنْتَهَا وَرَدَتْ عَلَيْكَ لِشَاعِرٍ مَحْدُودِ
١٩ وَنَوَالُ ذِي الشَّرَفَيْنِ عِنْدَ خَلِيفَةٍ بَاقٍ وَمَاضٍ قَبْلَ ذَاكَ حَمِيدِ

---

(١٣) دارم: هو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وكان يسمى بحراً ، فأتى قوم أباه فى حمالة ، فقال له : يابحر ائتنى بخريطة ، فجاء يحملها وهو يدرم تحتها من ثقلهـا ويقارب الخطو ، فقال أبوه : قد جاءكم يدرم ، فسمى دارما يومئذ ، وأسيد ـ بفتح الهمزة وكسر السين ، هنا ـ وفى العرب أسيد بوزن المصغر أيضا . يقول : أنت فى غير حاجـة إلى الافتخـار بالنسب لأن فضلك يغنيك عن الانتماء إلى أب أو عم أو خال من الأماجد .

(١٤ ، ١٥) هذان البيتان لتأكيد المعنى الذى أفاده البيت السابق ، وقدفسر الشراح العود بأنه أراد به ذات الممدوح وشخصه ، وأقرب منه عندى أن يكون أراد عوده بالفضل على قصاده ، وتنمى له : تنسب إليه ، ولحاء العود : قشرته . يقول : إن رجوعك بالفضل على طالبى الفضل هو الخليق بأن تنسب إليـه ، وإن جودك وكرمك هما اللذان يقويان هذه النسبة .

(١٦) يريد أنه إذا ظهر للنـاس كان الذين يرتقبونه ثلاثة أجناس ، أولهم قوم يريدون أن يشكروا له ما سلف من أياديه ، وثانيهم قوم يطلبون نعمـة مثـل تلك النعمة ، وثالثهم قوم يحسدونه على ما أنعم الله به عليه .

(١٧) منية التفنيد : أراد عدل الذين يلومونه على تبذير أمواله وتفريقها .

(١٨) شاعر محدود : محروم ، وعنى نفسه ، وكان الخليفـة قد أمر له بصلة ، وكتب بذلك إلى الممدوح ، وأبطأ خروجها إليه ، فهو يستنجزها .

(١٩ ، ٢٠) يطلب إليه أن يسعى له سعيا مجدداً عند الخليفة الحاضر كما سعى له عند الخليفة السابق .

٢٠ وَقَبِلْتَ تِلْكَ عَلَى الوَفَاءِ فأَصْبَحَتْ هٰذِى تُشِيرُ إليكَ بالإقْلِيدِ

٢١ فنَصَحْتَ لِلْمَلِكَيْنِ يَزْعُمُ أَنَّهُ نُصْحُ الإمَامِ قَرَابَةُ التَّوْحِيدِ

٢٢ فكأنما هِيَ دَعْوَةُ العَبَّاسِ فى عَامِ الرَّمَادَةِ وَهْوَ غَيْرُ مَجُودِ

٢٣ وَلِخُطْبَةٍ طَائِيَّةٍ نَجْدِيَّةٍ وَلِبَابِ رَأْيٍ مُغْلَقٍ مَسْدُودِ

٢٤ لاَ يَذْبَحُ الكَلْبُ القُرَاةَ بأَرْضِهِ وَيُعِيدُهَا لِلطَّالِبِ المَطْرُودِ

٢٥ وَيَبِيتُ حَامِيَةَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مُتَكَفِّلٌ بالضَّائِعِ المَفْقُودِ

٢٦ وَإِذَا المَطَايَا عُدْنَ عَادَ لَهَا بِهِ وَيَقُولُ : إِنَّكَ قَدْ صَدَرْتِ فَعُودِى

٢٧ وَكَأَنَّمَا نَظْمُ القَوَافِى لُؤْلُؤٌ أَثْبَتُّهُ فِى جَنْدَلٍ مَنْضُودِ

٢٨ مَاضَرَّهَا إِذْ كُنْتُ بَنَّاءً بِهَا أَلاَّ تَكُونَ لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدِ

---

(٢٢) عام الرمادة : سنة المجاعة ، انقطع المطر فى أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأجدب الناس وقحطوا ، واستسقى عمر بالعباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ، فسقاهم الله تعالى . وغير مجود : أى غير ممطور .

(٢٤) القراة : جمع قار ، مثل غاز وغزاة وداع ودعاة ، وأصله اسم فاعل فعله « قرا الأرض يقروها » أى تتبعها واحدة فواحدة ، وأراد هنا طالبى معروفه ، والضمير البارز فى « ويعيدها » يعود إلى النعمة .

(٢٥) التاء فى «حامية» للمبالغة ، ومثلها التاء فى قولهم: رجل طاغية، ورجل داهية . يقول : إنه يقضى ليله فى حماية الرجال لا يغمض له طرف ولاتنام له عين حفظا لأصحابه وتأمينا لهم من كل طارىء .

(٢٦) يقول : إذا عاد إليه العافون عادلهم بالنوال والعطاء ، وأسند الفعل إلى المطايا لأنها هى التى تعود بهم إليه .

(٢٧) نظم القوافى : أراد الشعر الذى يقوله فى مديحه ، شبهه باللؤلؤ الذى قد ثبت فى صخر فهو لا يخشى عليه التشذر ولا الضياع .

(٢٨) خالدبن يزيد الشيبانى، يقول:لايضير هذهالقصيدة انهالم تقل فى خالدبن=

٢٩ وَمُكاشِحٍ يَلْوِى بَنَانَةَ كَفِّهِ
بَغْياً فَقُلْتُ لَهَا : الْقَضَاءَ نَشِيدِى

٣٠ احْسُدْ عَلَى نَيْلِ الْمَكارِمِ وَالْعُلَى
إِنْ لَمْ تَكُن فِى حَالَةِ الْمَحْسُودِ

٣١ حَسَدُ الْفَتَى فِى الْمَكْرُمَاتِ لِغَيْرِهِ
كَرَمٌ ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِالْمَحْمُودِ

* * *

= يزيد ، لأنها قيلت فيك ، وأنت أفضل منه ، هذا ما يمكن أن يحمل عليه هذا البيت وأنا أرى فيه قصوراً ، فإنه يوهم أن خالد بن يزيد هو الحقيق بالمدح .

(٢٩) المكاشح : المبغض ، و «يلوى بنانة كفه» أراد أنه يشير بأصابعه إشارة من يهدد ، فقلت لها : أى لهذه البنانة المهددة ، وقوله « القضاء نشيدى » أى منشودى ومطلوبى ، يريد أنه استعان على دفع هذه البنانة بالقضاء الذى يقهر كل طاغ ويرد كل معتد .

(٣٠ ، ٣١) يقول : إن لم تكن قد بلغت الدرجة العليا فى المكارم التى يحسدك الناس عليها فكن أنت حاسداً لمن بلغها ، فإن حسد الإنسان لغيره فى معالى الأمور — على معنى أنه يتمنى أن يبلغ مثل الذى بلغه غيره — يعد كرما ، وإن لم يكن محمودا لمجرد إطلاق اسم الحسد عليه ، وهذا المعنى يتكرر كثيراً فى شعر أبى تمام .

(٦٩)

وقال يمدح محمد بن يوسف :

١ مَلاَمَكِ عَنِّيٌ – لاَ أَبَالَكِ – واقْصِدِي
كَفَاكِ مَلاَمِي وَعْظُ شَيْبٍ مُفَنِّدِ

٢ تَلُومِينَ إِنْ لَمْ أَطْوِ مَنْشُورَ هِمَّةٍ
طَوَتْ عَنْ لِسَانِي مَدْحَ كلِّ مُزَنَّدِ

٣ لَبزَّتْكِ أَثْوَابَ البَصَائِرِ غِرَّةٌ
كَسَتْكِ ثِيَابَ الزَّجْرِ مِنْ كل مُرْشِدِ

٤ كأنَّكِ لاَ تَدْرِينَ طَعْمَ مَعِيشَةٍ تَمُجُّ دَمًا مِنْ طَعْمِ ذلِّ التَّعَبُّدِ

---

(٦٩)

سقطت هذه القصيدة من المصرية ، ومن رواية التبريزى ، وهى ثابتة فى مطبوعة بيروت ، وقال فى تقديمها « وانفرد الخارزنجى بروايتها » .

(١) ملامك : مفعول لفعل محذوف ، وتقدير الكلام : كفى ملامك عنى ، ولا أبالك : كلمة تقال عند إرادة المدح ، وتقال أيضا عند إرادة الذم ، واقصدى : أى اقتصدى واعتدلى ، وكفاك ملامى : أى أغناك عن لومى ماتشاهدينه من الشيب الذى ينهى عن الصبابة .

(٢) أطو : أصله قولهم « طوى الثوب يطويه طيا » إذا ثناه ، وضده نشره ، والمزند : اللئيم ، يقول : أتلوميننى على أنى لا أمدح اللئام ؟ أى لاينبغى لك ذلك .

(٣) بزتك : سلبتك ، والبصائر : جمع بصيرة ، والغرة : الغفلة ، يقول : لقد سلبتك الرأى الصحيح غفلة عرضت لك استحققت بها الزجر من كل مرشد .

(٤) يقول : إن صنيعك هذا يدل على أنك لا تعرفين الآثار القبيحة التى تنجم عن التعبد للئام .

٥ فَصُونى قِنَاعَ الصَّبْرِ إلى لَرَاحِلٌ إلى بَحْرِ جُودٍ غَامِرِ الفَضْلِ مُزْبِدِ
٦ أَمَاتَ حَبَاةَ الْوَعْدِ مِنْـهُ نَوَافِلٌ
مِنَ الْجُودِ أَضْحَتْ لِلْعُفَاةِ بِمَرْصَدِ
٧ بَدِيهَتُهُ حَزْمٌ ، وَفِكْرَتُهُ قَلْبِهِ يَقِينٌ جَلاَهُ عَزْمُ رَأْيٍ مُسَدَّدِ
٨ بِنَجْدَةِ ذِكْرَاكَ المَنَايَا تَزَاحَفَتْ إلَى بَابَكٍ فى كُلِّ سَهْلٍ وَأَجْلَدِ
٩ أَيَاسَنْدَبَايَا لاَ نَسِيتِ مُحَمَّداً وَإِقْدَامَهُ بَيْنَ القَنَا المُتَقَصِّدِ
١٠ صَبِيحَةَ غَيرِ الْخُرَّمِيَّـــــــةِ وَالضحى
طَرِيدُ دُجَى اللَّيْلِ مِنَ النَّقْعِ أَرْبَدِ
١١ سَلَّتْ عَلَيْهِمْ مِنْ مَنَاصِلِكَ الرَّدَى
خَسًا وَزَكاً مَا بَيْنَ مَثْنَى وَمَوْحَدِ

---

(٥) صونى قناع الصبر : يريد احفظيه ولا ترميه ولا تفارقيه، وغامر الفضل: كثيره وهو الذى يعم قاصديه ويغمرهم، ولما جعله بحرا وصفه بكونه مزبداً أى يرمى بالزبد .

(٦) النوافل : جمع نافلة وهى العطية ، يريد أنه لا يعد بالعطاء ، ولكنه يعطى من غير وعد يسبق عطاءه .

(٧) بديهته حزم : أراد أن الرأى الذى يبديه لأول خطرة تعرض له هو حزم ثابت ، وكأنه قد روى فيه طويلا ، والرأى المسدد : الذى يوافق الصواب .

(٨) المنايا : جمع منية وهى الموت ، وتزاحفت : أسرعت ، والأجلد : الأرض الصلبة ، وقوله « بنجدة ذكراك » فى أول البيت يتعلق بقوله « تزاحفت » والمنايا مبتدأ خبره جملة تزاحفت ، وأصل نظام الكلام : المنايا تزاحفت بنجدة ذكراك إلى بابك — إلخ.

(٩) سندبايا : هى البلدة التى وقعت فيها الحرب بين الممدوح وجيوش بابك ، وقد ذكرها أبو تمام مراراً ، والقنا المتقصد : المتكسر .

(١٠) الواو فى قوله « والضحى طريد — الخ » واو الحال ، والدجى : جمع دجية وهى الظلام الشديد ، والنقع : الغبار ، وأربد : أى قاتم اللون .

(١١) المناصل : جمع منصل وهو السيف ، والردى: الهلاك ، والخسا : الفرد ، والزكا : الزوج.

١٢ فَأَوْرَدْتَ أَبْنَاءَ الرَّدَى مَوْرِدَ الرَّدَى
بِسُمْرِ العَوَالِي وَالصَّفِيحِ المُهَنَّدِ

١٣ وَمَا إِمَّ فِى يَوْمِ الفِرَارِ وَلَمْ يَجِدْ عَلَى المَوْتِ إِقْدَامًا مُعَاوِيَةُ الرَّدِى

١٤ فَلَوْلاَ حُصُونُ الرَّكْضِ وَالنَّجْدَةُ الَّتِى
أَتَتْهُ مِنَ اللَّيْلِ البَهِيمِ المُمَدَّدِ

١٥ لأَلْبَسْتَهُ مِنْ كُسْوَةِ السَّيْفِ خِلْعَةً
مُصَبَّغَةً بِالدَّمِّ فَوْقَ المُوَرَّدِ

١٦ بِقُعْدُدٍ لَمَّا أَنْ رَآكَ لَقِيتَهُ وَكَانَ زَمَانًا فِى الوَغَى غَيْرَ قُعْدُدِ

١٧ وَكَانَ كَمِثْلِ اللَّيْلِ ظَلْمَاءَ غَيِّهِ وَكُنْتَ كَمِثْلِ الصُّبْحِ يُسْفِرُ مِنْ غَدِ

١٨ وَلَوْ مَلَكَ النَّاؤُونَ عَنْكَ نُفُوسَهُمْ
لأَمَّكَ مِنْهُمْ كُلُّ كَهْلٍ وَأَمْرَدِ

---

(١٢) أبناء الردى: أى الذين أعدوا أنفسهم للموت لأنهم أبطال ، يصف شجاعة أتباع بابك ، ومن عادتهم أن يمدحوا أعداءهم بالشجاعة ليكون انتصارهم عليهم فخرا لهم ، وسمر العوالى : أراد الرماح ، والصفيح المهند : أراد السيوف .

(١٣) معاوية : اسم بابك ، والردى : الهالك ، يقول : إنه فر من المعركة لأنه رأى بأسك وشدة شجاعتك ، وشجاعـة أبطال جيشك ، ورأى مـع ذلك أنك سددت عليك كل طريق الحياة ، فلا لوم عليه إن هو فر .

(١٤ ، ١٥) جعل شدة ركض بابك بفرسه طالبا النجاة بنفسه حصنا تحصن به، وجعل إقبال الليل بظلامه نجدة له ، ولولا هذه الحصون وهـذه النجدة لـكنت قد خضبت جسده بدمه فجعلته كمن لبس خلعة من دم .

(١٦) القعدد : الجبان القاعـد عن القتـال ، والوغى : الحرب . يقول : إنه لما رآك وعلم أنه لاقدرة له على الصمود لك تقاعـد عن القتال ، وكان من قبل ذلك مقداماً .

(١٨) الناؤون : جمع ناء ، وهو البعيد ، وأمك : قصدك ، وكل كهل وأمرد: يريد جميعهم .

١٩ لِيَهْنِكَ مَحْسُوداً تَلَهُّفُ مُجْهَدٍ ... عَلَى عَفْوِ سَبَّاقٍ إِلى المَجْدِ أَوْحَدِ
٢٠ وَلَمَّا تَدَانَتْ هِمَّةُ العُرْبِ فى العُلاَ ... وَهَبَّتْ بِأَشْعَارِي رِيَاحُ التَّبَلُّدِ
٢١ تَقَرَّبْتُ بِالقُرْبَى إِلَيْكَ وَمَعْصِمٍ ... مِنَ العَذْلِ مِنْ دُونِ القَصِيدِ المُقَصَّدِ
٢٢ وَكُنْتُ إِذَا مَازُرْتُ يَوْماً مُسَوَّداً ... سَرَحْتُ رَجَائِى فى مَسَارِحِ سُؤْدَدِ
٢٣ فَإِنْ يُجْزِلِ النُّعْمَى تُذِبْهُ قَصَائِدِى ... وَإِنْ يَأْبَ لَمْ أَقْنَعْ بِأَصْوَاتِ مَعْبَدِ
٢٤ أَلَيْسَ بِأَكْنَافِ الجَرِيرِ وَفَارِسٍ ... وَقُمٍّ وَإِصْطَخْرٍ قَرَارٌ لِرُوَّدِ
٢٥ بَلَى إِنَّ أَرْضَ اللهِ فِيهَا نُدُوحَةٌ ... وَمُضْطَرَبٌ لِلْفَاتِكِ المُتَجَرِّدِ

(٢٠ ، ٢١) تدانت : تقاربت . يقول : لما رأيت العرب قد تقاربت هممهم فى المعالى والمكرمات ، ورأيت أشعارى غير نافقة عندهم لم أتقرب إليك بالشعر ، ولكنى تقربت بالقربى التى تربطنى بك وبعاصم من عدلك .

(٢٢ ، ٢٣) مسودا ـ على صيغة المفعول ـ الرجل الذى رآه قومه أهلا للسيادة فسودوه عليهم ، و «سرحت رجائى فى مسارح سؤدد» أى كان رجائى فيه أن أنال من ماله ما يرفعنى إلى مراقى أهل السؤدد ، فإذا هو أجزل العطية كانت قصائدى كفاء عطيته ، فإن لم يفعل ذلك لم أقنع منه بالكلام المنمق .

(٢٤) رود : جمع رائد ، مثل صائم وصوم وراكع وركع ، وأصل الرائد طالب الكلأ ، ويراد به طالب العرف ، وماذكره من قبل أسماء بلاد .

(٢٥) ندوحة : اتساع وفسحة ، ومضطرب : مكان اضطراب وحركة ، والفاتك : الجرىء الذى لا ينثنى عما يريد ، والمتجرد : المشمر المستعد لما يريد الإقدام عليه .

* * *

(٧٠)

وقال :

١ وَخَوْدٍ أَتَاقَتْهُ بِإِهْدَاءِ طَيْفِهَا دُجَى اللَّيْلِ وَالْمُهْدَى يَتُوقُ إِلَى الْمُهْدِى

٢ وَعَهْدِى بِهَا وَالدَّهْرُ يَجْرِى بِسَلْوَةٍ عَلَى أَهْلِهِ صَرْفَاهُ لَوْ أَنَّ لِى عَهْدِى

٣ وَمَازِلْتُ أَقْرُو مِنْهُمُ رَوْضَ تَلْعَةٍ وَعَهْداً أَضَافَتْهُ السَّمَاءُ إِلَى عَهْدِ

٤ إِذَا مَا الأَغَرُّ الأَبْيَضُ اصْفَرَّ سَوَّدُوا لَهُ وَجْهَهُ أَوْ حَمَّرُوا بِالدَّمِ الْوَرْدِ

* * *

---

(٧٠)

هذه الأبيات الأربعة لم تروها إلا مطبوعة بيروت ، وذكرت أن المرزوقى رواها من قصيدة .

(١) الخود : الفتاة الناعمة ، وأتاقته : حملته على التوق وهو الشوق ، وتقول : تاقه بتوقه مثل شاقه بشوقه .

(٢) صرفاه : فاعل يجرى ، والواو فى قوله « والدهر يجرى-إلخ » واو الحال ، و « لو » فى قوله « لو أن لى عهدى » حرف تمن ، يقول: عهدى بهذه الخود حاصل ، فى حال أن الدهر يجرى صرفاه بين الناس بسلوة ، ثم تمنى أن يكون له ما كان يعهده من قبل .

(٣) أقرو : أتتبع .

* * *

(٧١)

وقال يمدح داود بن داود الطائي :

١ يأيُّها السّائِلي عَنْ عَرْصَةِ الْجُودِ إنَّ فَتَى البأْسِ دَاوُدُ بْنُ دَاوُدِ
٢ فَتًى مَتَى مَا يَنُلْكَ الدَّهْرَ صَالِحَةً يَقُلْ لأَمْثَالِهَا مِنْ فِعْلِهِ عُودِى
٣ أَضْحَى ابْنُ دَاوُدَ مَحْسُودًا لِسُؤْدُدِهِ لاَزَالَ مُكْتَسِيًا سِرْبَالَ مَحْسُودِ

* * *

(٧١)

لم يرو هذه الأبيات الثلاثة غير المصرية.

(١) أراد بعرصة الجود المكان الذى استقر الجود فيه ، ويستطيع طالبه أن يجده متى ذهب إليه ، والبأس : الشجاعة ، وفتى البأس : الذى صار البأس طبعا له . فهو ملازم له لايفاقه

(٢) ينلك : يعطيك ، تقول : نال فلان فلانا ينوله ، تريد أعطاه ، والمعنى أنه يجود ويكرر جوده وعوارفه على عفاته وطالبى بره .

* * *

(٧٢)

وقال :

١ أأفْرَقُ أنْ تُماطِلَنِي بِنَيْلٍ وَحَوْضُكَ لَمْ يَزَلْ عَذْبَ الوُرُود
٢ جَحَدْتُ إذاً بَيَاضَ نَدَاكَ عِنْدِي عَلَيَّ نُوَبٍ مِنَ الأَيَّامِ سُودِ

---

(٧٢)

لم يرو هذين البيتين غير المصرية .

(١) افرق : أى أخاف ، وتماطلنى : تسوف وتكثر من الإرجاء ، والاستفهام فى هذا البيت إنكارى ، يقول : إننى لاأخاف أن تؤخر عطائى أو تسوف فيه ، لأنك لاتزال منهلا عذبا سائغا يرده العافون

(٢) جحدت : أنكرت ولم أعترف بفضلك ، دعا على نفسه بأن يفعل ذلك لأنه على يقين من أن الناس لايقرونه عليه فهم سيحكمون عليه بالكذب إذا قال شيئا من ذلك .

* * *

تم ـ بحمد الله ـ ما أردناه من شرح الجزء الأول
من ديوان أبى تمام حبيب بن أوس الطائى



